باب بعث[1] النبي ﷺ من قبره

ابن المبارك[2] قال: حدثنا ابن لهيعة قال: حدثني خالد بن يزيد أبي هلال[3] عن نبيه بن وهب أن كعباً دخل على عائشة ﵂ فذكروا رسول الله ﷺ فقال كعب: ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفوا[4] بالقبر يضربون بأجنحتهم، ويصلون على النبي ﷺ[5]، حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط سبعون ألفاً[6] يحفون بالقبر يضربون بأجنحتهم، ويصلون على النبي ﷺ سبعون ألفاً بالليل، وسبعون ألفاً بالنهار، حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفاً من الملائكة يوقرونه ﷺ.

والأخبار دالة ثابتة على أن[7] جميع الناس [٧٤/ب] يخرجون عراة، ويحشرون كذلك على ما يأتي[8] إن شاء الله تعالى.

وخرج الترمذي الحكيم في نوادر الأصول[9]: حدثنا بشر بن خالد قال: ثنا سعيد بن سلمة عن إسماعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر ﵄ قال: «خرج النبي ﷺ ويمينه على أبي بكر ﵁ وشماله على عمر ﵁ فقال: هكذا نبعث يوم القيامة».

باب ما جاء في بعث الأيام والليالي ويوم الجمعة

عن أبي موسى الأشعري ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ﷻ يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها ويبعث الجمعة زهراء منيرة أهلها محفون بها

---

(١) في (ع): في بعث. (٢) في زهده ص(٥٥٨)، ح١٦٠٠.
(٣) في (ع، ظ): خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال.
(٤) في (ظ): يحفون.
(٥) من هذا الموضع سقط من (ظ) إلى قوله: بأجنحتهم.
(٦) في (ع): سبعون ألف ملك. (٧) (أن): ليست في (ع).
(٨) ص(٥٣١).
(٩) ٣/ ١٤١؛ وابن ماجه في سننه ١/ ٣٨، ح٩٩؛ والترمذي في جامعه ٥/ ٦١٢، ح٣٦٦٩؛ والطبراني في الأوسط ٥/ ١٥٧، ح٨٢٥٨؛ قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه خالد بن يزيد العمري، وهو كذاب، المجمع ٩/ ٥٣؛ وضعفه الألباني، انظر: ضعيف ابن ماجه ص(٩)، ح١٨.

كالعروس تهدى إلى كريمها تضيء لهم يمشون في[(١)] ضوئها، ألوانهم كالثلج بياضاً، وريحهم يسطع كالمسك يخوضون في جبال الكافور ينظر إليهم الثقلان ما[(٢)] يطرفون تعجباً، يدخلون الجنة لا يخالطهم إلا المؤذنون المحتسبون»، خرّجه القاضي الشريف أبو الحسن علي بن عبد الله بن إبراهيم الهاشمي العيسوي[(٣)] من ولد عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس ﷺ[(٤)]، وإسناده صحيح[(٥)].

وقال أبو عمران الجوني[(٦)]: ما من ليلة[(٧)] إلا تنادي: اعملوا في ما استطعتم من خير فلن أرجع إليكم إلى يوم القيامة»، ذكره **أبو نعيم**[(٨)].

باب ما جاء أن العبد المؤمن إذا قام من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا وعمله

تقدم[(٩)] من حديث جابر مرفوعاً: «فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فأنشطا كتاباً معقوداً في عنقه، ثم حضرا معه واحد سائق والآخر شهيد»، ذكره **أبو نعيم**[(١٠)].

وذكر **أبو نعيم**[(١١)] أيضاً عن ثابت البناني أنه قرأ حم السجدة[(١٢)] حتى

---

(١) في (ع): على. (٢) (ما): ساقطة من (ظ).

(٣) حدّث عنه الخطيب البغدادي والبيهقي، مات سنة ٤١٥هـ، ولم يذكروا له تأليفاً، السير ٣٢١/١٧.

(٤) في (ع، ظ): عنهم.

(٥) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ١١٧/٣، ح١٧٣٠؛ والحاكم في مستدركه ٤١٢/١، ح١٠٢٧، صححه الحاكم في مستدركه، وقال الذهبي: شاذ صحيح الإسناد، انظر: المستدرك ٤٣/١، ح١٠٢٩، ط. دار الحرمين.

(٦) عبد الملك بن حبيب البصري، روى عن مالك بن أنس، وعبد الله بن الصامت، قيل توفي ١٢٣هـ، سير أعلام النبلاء ٢٥٥/٥.

(٧) في (ع): ما من ليلة تأتي. (٨) في الحلية ٣١٠/٢.

(٩) ص(٣٤٧).

(١٠) تقدم ص(٣٤٦ ـ ٣٤٧)، وفيه جابر الجعفي متروك.

(١١) في الحلية ٣٢٥/٢.

(١٢) في كل النسخ: حم السجدة. وسورة السجدة تبدأ بـ: ﴿الٓمٓ﴾.

إذا بلغ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾[١] فوقف فقال: بلغنا أن العبد المؤمن حين يبعث من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له: لا تخف ولا تحزن وأبشر بالجنة التي كنت توعد[٢]، قال: فأمّن الله خوفه، ويقر الله عينه، فما عظيمة تغشى الناس يوم القيامة بالمؤمن من قرة عين لما هداه[٣] الله له، ولما كان يعمل له في الدنيا.

وقال عمرو بن قيس الملائي[٤]: إن المؤمن إذا خرج من قبره و[٥]استقبله عمله أحسن[٦] صورة وأطيب ريحاً، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا، إلا أن الله طيّب ريحك وحسّن صورتك، فيقول: كذلك كنت في الدنيا، أنا عملك الصالح، طالما ركبتك في الدنيا اركبني اليوم، وتلا: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥] وأن الكافر [٥٧/أ] يستقبله عمله أقبح[٧] شيء صورة وأنتنه ريحاً، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا، إلا إن الله قد قبّح صورتك، ونتّن[٨] ريحك، فيقول: كذلك كنت في الدنيا، أنا عملك السيء، طالما ركبتني في الدنيا وأنا اليوم أركبك، وتلا: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١]، ولا يصح من قبل إسناده، قاله ابن العربي[٩][١٠].

باب أين يكون الناس

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]؟

مسلم[١١] عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائماً عند

---

(١) هذه الآية ليست من سورة السجدة، وإنما من سورة فصلت من الآية (٣٠)، ولعل المراد أنه قرأ من سورة السجدة حتى بلغ هذا الموضع من سورة فصلت، والله أعلم.
(٢) في (ع): كنتم توعدون.
(٣) في (الأصل): لما أهداه، وتصويبه من (ع، ظ، الحلية).
(٤) عمرو بن قيس الكوفي الملائي، البزاز، الحافظ، حدّث عن عكرمة وعاصم بن أبي النجود وغيرهم، مات سنة ١٤٦هـ. سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٥٠؛ تهذيب التهذيب ٨/ ٨١.
(٥) (الواو): ليست في (ع).
(٦) في (ظ): في أحسن.
(٧) في (ظ): في أقبح.
(٨) في (ظ): أنتن.
(٩) في (ع، ظ): القاضي أبو بكر بن العربي.
(١٠) لم أهتد إلى توثيق حكمه في كتبه.
(١١) في صحيحه ١/ ٢٥٢، ح٣١٥.

رسول الله ﷺ فجاء[1] حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد، وذكر الحديث، وفيه: فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات، فقال رسول الله ﷺ: «هم في الظلمة دون الحشر» الحديث بطوله وسيأتي[2].

وخرج مسلم[3] أيضاً، وابن ماجه[4] جميعاً قالا: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا علي بن مسهر عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق عن عائشة ﵂ قالت: سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ فأين يكون الناس يومئذ؟ قال: «على الصراط»، وخرّجه الترمذي[5] قال: ثنا ابن أبي عمر[6] قال: حدثنا سفيان[7] عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق[8] عن عائشة ﵂ قالت: يا رسول الله، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه، فأين يكون المؤمنون يومئذ؟ قال: «على الصراط يا عائشة» قال: [هذا][9] حديث حسن صحيح.

وخرّج[10] عن مجاهد[11] قال: قال ابن عباس ﵄: أتدري ما سعة

---

(١) في (الأصل): فجاءه، وما أثبته من (مع، ظ، مسلم).

(٢) ص(٥٨٦).

(٣) في صحيحه ٤/ ٢١٥٠، ح٢٧٩١.

(٤) في سننه ٢/ ١٤٣٠، ح٤٢٧٩، وصححه الألباني، انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٤٢٤، ح٣٤٥٢.

(٥) في جامعه ٥/ ٣٧٢، ح٣٢٤٢.

(٦) هو: محمد بن يحيى، ابن أبي عمر العدني، أبو عبد الله، المحدث، حدث عن سفيان ووكيع وغيرهم، حدث عنه مسلم والترمذي وابن ماجه، مات سنة ٢٤٣هـ، السير ١٢/ ٩٦.

(٧) هو الثوري، انظر: ترجمة داود بن أبي هند في تهذيب الكمال ٨/ ٤٦٣.

(٨) هو: مسروق بن الأجدع، أبو عائشة الوداعي، الإمام، روى عن عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل، روى عنه.

(٩) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، الترمذي).

(١٠) أي الترمذي في جامعه ٥/ ٣٧٢، ح٣٢٤١، قال الألباني: صحيح الإسناد ٣/ ١٠١، ح٢٥٨٩.

(١١) من هذا الموضع طمس في بعض الكلمات والأحرف في نسخة (ع) إلى قوله: وأن المؤمن يطعم يومئذٍ من بين رجليه.

جهنم؟ قلت: لا، قال: أجل والله ما تدري، حدثتني عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﷻ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، قالت[١]: فقلت[٢]: فأين يكون الناس يا رسول الله فقال: «على جسر جهنم»، قال: حديث حسن صحيح[٣] غريب من هذا الوجه.

فصل

هذه الأحاديث نص في أن السموات والأرض تبدل وتزال ويخلق الله أرضاً أخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر وهو الصراط، لا كما قال كثير من الناس أن تبديل[٤] الأرض عبارة[٥] عن تغيير صفاتها، وتسوية آكامها، ونسف جبالها ومد أرضها، ورواه ابن مسعود رضي الله عنه. خرجه **ابن ماجه**[٦] وسيأتي[٧] ذكره في الأشراط إن شاء الله تعالى.

وذكره **ابن المبارك**[٨] من حديث شهر بن حوشب قال: حدثني ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم، وزيد في سعتها كذا وكذا»، وذكر الحديث.

وروى[٩] أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: تبدل الأرض غير الأرض، فيبسطها ويمدها مد الأديم، ذكره **الثعلبي** في تفسيره [٧٥/ب].

وروى علي بن الحسين رضي الله عنه أن النبي ﷺ[١٠] قال: «إذا كان يوم القيامة

---

(١) في (الأصل): قال، والتصويب من (ع، ظ، الترمذي).
(٢) في (ظ، الترمذي): قلت.
(٣) (صحيح): ليست في (ع).
(٤) في (ع): تبدل.
(٥) (عبارة): ساقطة من (ظ).
(٦) في سننه ٢/ ١٣٦٥، ح٤٠٨١، قال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف ابن ماجه ص(٣٣٣)، ح٨٨٥.
(٧) ص(١٠٥٠).
(٨) في الزهد له ص(١٠١)، ح٣٥٣.
(٩) في (ع): ورواه.
(١٠) (أن النبي ﷺ): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع تفسير الماوردي.

مد الله[١] الأرض مد الأديم حتى لا يكون لأحد من البشر إلا موضع قدميه»، ذكره **الماوردي**[٢]، وما بدأنا[٣] بذكره أصح، لأنه نص ثابت عن النبي ﷺ.

فإن قال قائل: إنَّ بَدَّل في كلام العرب معناه: تغيير الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]، وقال: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩]، ولا يقتضي هذا إزالة العين، وإنما معناه تغيير الصفة، ولو كان المعنى[٤] الإزالة لقال: يوم تبدل الأرض مخففاً، من أبدلت الشيء إذا أزلت عينه وشخصه.

قيل له: ما ذكرته صحيح، ولكن قد قرئ قوله ﷻ: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا﴾ [القلم: ٣٢] مخففاً ومثقلاً[٥] بمعنى واحد، قال: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥]، وقال: ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠]، وكذا ذكر تاج اللغة أبو نصر الجوهري في الصحاح[٦]، وأبدلت الشيء بغيره وأبدله[٧] الله من الخوف أمناً وتبديل الشيء أيضاً تغييره، فقد دل القرآن وكلام العرب على أن بدل وأبدل بمعنى واحد، وقد فسر النبي ﷺ أحد المعنيين، فهو أعلا ولا كلام معه.

قال ابن مسعود وابن عباس[٨] ﭭ: تبدل الأرض أرضاً بيضاء كالفضة لم يسفك عليها[٩] دم حرام ولم يعمل عليها خطيئة قط. وقال ابن مسعود أيضاً: تبدل الأرض ناراً والجنة من ورائها ترى أكوابها[١٠] وكواعبها[١١].

---

(١) (لفظ الجلالة): ليس في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع تفسير الماوردي.
(٢) في تفسيره النكت والعيون ٦/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥.
(٣) (بدأنا): ليست في (ظ).
(٤) (المعنى): ليست في (ظ).
(٥) القراءة المثقلة هي قراءة: نافع وأبو عمرو وأبو جعفر، انظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص(٤٢١).
(٦) في الصحاح له ٤/ ١٦٣٢.
(٧) في (ع، ظ): وبدله.
(٨) ذكر قول ابن عباس وابن مسعود ﭭ في تفسيره ١٣/ ٢٥٠؛ والماوردي في تفسيره ٣/ ١٤٣.
(٩) في (ظ): فيها.
(١٠) في (الأصل): كوابها، والتصويب من (ع، ظ).
(١١) ذكره الطبري في تفسيره ١٣/ ٢٥١.

وقال أبو الجلد جيلان بن فروة(١): إني لأجد فيما أقرأ من كتاب الله إن الأرض تشتعل ناراً يوم القيامة(٢).

وقال علي رضي الله عنه: تبدل الأرض فضة والسماء ذهباً(٣).

وقال جابر(٤): سألت أبا جعفر محمد بن علي عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ قال: تبدل خبزة يأكل منها الخلق يوم القيامة، ثم قرأ: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: ٨]، وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب(٥): تبدل الأرض خبزة بيضاء فيأكل المؤمن من تحت قدميه.

قلت: وهذا المعنى الذي قاله سعيد بن جبير ومحمد بن كعب مروي في الصحيح وسيأتي(٦). وإليه ذهب ابن برّجان في كتاب الإرشاد له، وأن المؤمن يومئذ يطعم من بين رجليه، ويشرب من الحوض، فهذه أقوال الصحابة والتابعين دالة على ما ذكرنا، وأما تبديل السماء فقيل تكوير شمسها وقمرها وتناثر نجومها، قاله ابن عباس(٧) رضي الله عنهما.

وقيل: اختلاف أحوالها فتارة كالمهل وتارة كالدهان، حكاه(٨) ابن الأنباري(٩).

---

(١) أبو الجلد الجوني، جيلان بن فروة، ثقة، مات بعد المائة، انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ٢٢٢، والطبقات لخليفة بن خياط العصفري، ص(٢٠٦).

(٢) لم أقف على من ذكر قوله في ما وقفت عليه من كتب التفسير.

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره ٣/ ١٤٤.

(٤) جابر بن يزيد الجعفي، وأورد أبو جعفر النحاس هذه الرواية في معاني القرآن له ٣/ ٥٤٥.

(٥) ذكر قول سعيد بن جبير ومحمد بن كعب الطبري في تفسيره ١٣/ ٢٥٢.

(٦) ص(٥٢٤).

(٧) ذكره الماوردي في تفسيره ٣/ ١٤٤.

(٨) حكى هذا القول الماوردي في تفسيره ٣/ ١٤٤.

(٩) الحافظ اللغوي ذو الفنون، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري، المقرئ النحوي، صنّف في علوم القرآن، والغريب، والمشكل، والوقف والابتداء، وأشياء عدة، توفي سنة ٣٠٤هـ، السير ١٥/ ٢٧٤.

وقال كعب: تصير السماء دخاناً وتصير البحار نيراناً[(١)].

وقيل: تبديلها: أن تطوى كطي السجل للكتاب[(٢)].

وذكر أبو الحسن شبيب بن إبراهيم بن حيدرة في كتاب الإفصاح له: أنه لا تعارض بين هذه الآثار، وأن الأرض والسماوات تبدل كرتين إحداهما: هذه الأولى، وأنه سبحانه يغير صفاتها قبل نفخة الصعق فتنتثر أولاً كواكبها، وتكسف شمسها وقمرها وتصير كالمُهل، ثم[(٣)] تكشط [٧٦/أ] عن رؤوسهم، ثم تسير الجبال ثم تموج الأرض، ثم تصير البحار نيراناً، ثم تنشق الأرض من قطر إلى قطر فتصير الهيئة غير الهيئة والبنية غير البنية، ثم إذا نفخ في الصور نفخة الصعق طويت السماء ودحيت الأرض، وبدلت السماء سماء أخرى[(٤)]، وهو قوله[(٥)]: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩]، وبدلت الأرض: تمد كمد[(٦)] الأديم العكاظي، وأعيدت كما كانت فيها القبور، والبشر على ظهورها وفي[(٧)] بطنها، وتبدل أيضاً تبديلاً ثانياً، وذلك إذا وقفوا في المحشر فتبدل لهم الأرض التي يقال لها الساهرة، و[(٨)]يحاسبون عليها وهي أرض عفراء، وهي البيضاء من فضة[(٩)] لم يسفك عليها دم حرام قط، ولا جرى عليها ظلم قط. وحينئذ يقوم الناس على الصراط وهو لا يسع جميع[(١٠)] الخلق وإن كان قد روي إن مسافته ألف سنة صعوداً وألف سنة هبوطاً، وألف سنة استواء، ولكن الخلق أكثر من ذلك فيقوم من فضل على الصراط، على متن جهنم، وهي كإهالة خامدة وهي الأرض التي قال عبد الله[(١١)] إنها أرض من نار يعرق فيها البشر فإذا حوسب الناس عليها أعني الأرض المسماة بالساهرة وجاوزوا

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره ٣/ ١٤٤.

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره ٣/ ١٤٤ وعزاه للقاسم بن يحيى.

(٣) (ثم): ساقطة من (ع).

(٤) في (ظ): غيرها.

(٥) في (ع): قوله تعالى، (وهو قوله): ليست في (ظ).

(٦) في (ع، ظ): مد.

(٧) (في): لست في (ظ).

(٨) (الواو): ليس في (ع،ظ).

(٩) في (ع): الفضة.

(١٠) في (ظ): لجميع.

(١١) هو ابن مسعود.

الصراط وجعل أهل الجنان من وراء الصراط، وأهل النار[١] في النار، وقام الناس على حياض الأنبياء يشربون، بدلت الأرض كقرصة النقي فأكلوا[٢] من تحت أرجلهم وعند دخولهم الجنة كانت خبزة واحدة أي قرصاً واحداً، يأكل منه جميع الخلق[٣] ممن دخل الجنة وإدامهم زيادة كبد ثور في الجنة وزيادة كبد النون على ما يأتي[٤].

باب أمور تكون قبل الساعة[٥]

ذكر علي بن معبد عن أبي هريرة ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ ونحن في طائفة من أصحابه فقال: إن الله تبارك وتعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور وأعطاه لإسرافيل[٦] فهو واضع على فيه شاخصاً ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر، فقال أبو هريرة ﷺ فقلت: يا رسول الله، وما الصور؟ قال: قرن، فقلت: وكيف هو؟ قال: هو عظيم، والذي نفسي بيده إن عظم دارة فيه لكعرض السماء والأرض، فينفخ فيه ثلاث نفخات، الأولى: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين، يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول: انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السماء والأرض[٧] إلا من شاء الله ويأمره فيمدها[٨] ويطولها، فيقول الله ﷻ: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ۝١٥﴾ [ص: ١٥]، مأخوذ من فواق الحالب، وهي المهلة بين الحلبتين، وذلك أن الحالب يحلب الناقة و[٩]الشاة ثم يتركها سويعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب، ومنه سمي الفواق فواقاً لأنه ريح يتردد في المعدة بين مهلتين، أي هذه[١٠] النفخة ممتدة لا تقطيع فيها، ويكون

(١) في (ع، ظ): النيران.
(٢) في (ع): فيأكلون.
(٣) في (ظ): الخلائق.
(٤) ص(١٠٥٠).
(٥) (أمور تكون قبل الساعة): ليست في (ع، ظ).
(٦) في (ع، ظ): إسرافيل.
(٧) في (ع): وأهل الأرض.
(٨) في (ع، ظ): فيمدها ويديمها.
(٩) في (ع، ظ): أو.
(١٠) في (ع): أن هذه.

ذلك يوم الجمعة في النصف من شهر رمضان، فتسير الجبال[١] فتمر مر السحاب، فتكون[٢] سراباً ثم ترتج الأرض بأهلها رجاً، وهي التي يقول الله جل ثناؤه: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾﴾ [النازعات: ٦ ـ ٨] فتكون الأرض كالسفينة الموبقة[٣] في البحر [٧٦/ب] تضربها الأمواج فيميد[٤] الناس على ظهرها، وتذهل المراضع[٥]، وتضع الحوامل ما في بطونها، وتشيب الولدان، وتتطاير الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار تتلقاها الملائكة هاربة فتضرب وجوهها، ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضاً، وهي التي يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [غافر: ٣٢ ـ ٣٣]، فبينما هم على ذلك إذ تصدعت[٦] الأرض من قطر إلى قطر، ورأوا أمراً عظيماً لم يروا مثله، فيأخذهم[٧] من الكرب والهول[٨] ما الله به عليم، ثم ينظرون إلى السماء فإذا هي كالمهل ثم انشقت وانخسفت شمسها وقمرها وانتثرت نجومها، ثم كشطت السماء عنهم، ثم قال رسول الله ﷺ: والموتى لا يعلمون شيئاً من ذلك، قلت: يا رسول الله فمن استثنى الله ﷻ، حين يقول: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٨٧]، قال: أولئك [هم][٩] الشهداء عند ربهم يرزقون، إنما يصل الفزع إلى الأحياء، يقيهم الله شر ذلك اليوم، ويؤمنهم منه. وهو عذاب يلقيه الله على شرار[١٠]، خلقه، وهو الذي يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحج: ١] أي شديد، فيمكثون في ذلك ما شاء الله إلا أنه يطول عليهم بأطول [يوم عليهم][١١]. ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ

---

(١) في (ع، ظ): فيسير الله الجبال.
(٢) في (ع، ظ): ثم تكون.
(٣) (الموبقة): ليست في (ع، ظ).
(٤) في (الأصل): فيمتد، والتصويب من (ع، ظ).
(٥) في (ع): عما أرضعت.
(٦) في (الأصل، ع): تصعدت، والتصويب من (ظ).
(٧) في (ظ): من ذلك.
(٨) (والهول): ليست في (ع، ظ).
(٩) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(١٠) في (ع، ظ): بشرار.
(١١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

نفخة الصعق، الحديث بطوله وقد تقدم[١] وسطه وهذا[٢] آخره.

فصل

هذا الحديث ذكره الطبري[٣] والثعلبي، وصححه ابن العربي في سراج المريدين[٤] له[٥] وقال[٦]: «يوم الزلزلة هو الاسم الثاني عشر يكون عن النفخة الأولى. بهذا الحديث الصحيح الواحد المفرد. ولما نبأ[٧] النبي[٨] ﷺ بذكر الزلزلة التي تكون عند النفخة الأولى ذكر ما يكون في ذلك اليوم من الأهوال العظام التي يعطيها قوله: ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾، ومن فرعها ما لا تطيق حمله النفوس وهو قوله لآدم: «ابعث بعث النار[٩] فتكون في الدنيا ذلك اليوم[١٠] ولا يقتضي ذلك أن يكون[١١] متصلاً بالنفخة الأولى التي يشيب فيها الوليد وتضع الحوامل وتذهل المراضع ولكن يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون آخر[١٢] الكلام منوطاً بأوله تقديره يقال: لآدم ابعث بعث النار أثناء يوم[١٣] يشيب الوليد وتضع الحوامل وتذهل المراضع من أوله.

الثاني: أن شيب الوليد، ووضع الحوامل، وذهول المراضع يكون في النفخة الأولى حقيقة، وفي هذا القول الثاني تكون صفته بذلك إخباراً عن شدته،

(١) ص(٤٨٣).
(٢) (هذا): ليست في (ع، ظ).
(٣) في تفسيره ٢٣/ ١٤.
(٤) في ل٣٥/أ سطر ٤ من أسفل إلى ل٣٥/ب السطر ٥ من أعلى.
(٥) (له): ليست في (ع، ظ).
(٦) أي ابن العربي في سراج المريدين، انظر: الإحالة السابقة.
(٧) في (الأصل): نشأ، والتصويب من (ع، ظ).
(٨) في (ع): رسول الله.
(٩) أخرجه البخاري ٣/ ١٢٢١، ح٣١٧٠؛ ومسلم ١/ ٢٠١، ح٢٢٢.
(١٠) في (ع، ظ): فيكون ذلك في أثناء ذلك اليوم.
(١١) في (ع، ظ): أن يكون ذلك.
(١٢) في (الأصل): أول، وهو خطأ، يتنافى مع السياق، وتصويبه من (ع، ظ، وسراج المريدين).
(١٣) في (ظ): في أثناء يوم.

وإن لم يوجد غير[(١)] ذلك الشيء فيه، وهذه طريقة العرب في فصاحتها».

قلت: ما ذكره ابن العربي من صحة الحديث وكلامه فيه: فيه نظر، لما نبينه آنفاً[(٢)]، وقد قال أبو محمد عبد الحق في كتاب العاقبة له[(٣)]: ورد في هذا الباب حديث منقطع لا يصح، ذكره الطبري[(٤)] من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ينفخ في الصور ثلاث نفخات، الأولى نفخة الفزع» فذكره. قال: وهو عنده[(٥)] في سورة يس.

قلت: قد تقدم[(٦)] أن الصحيح في [٧٧/أ] النفخ إنما هو مرتان لا ثلاث مرات، وحديث مسلم[(٧)] في قول الله تعالى لآدم: «يا آدم ابعث بعث النار»، إنما هو بعد البعث يوم القيامة، ونفخة الفزع هي نفخة الصعق على ما تقدم، أو نفخة البعث على ما يأتي[(٨)]، ولأنه لو كانت نفخة الفزع غير نفخة الصعق لاقتضى ذلك أن يكون بقاء الناس بعدها أحياء ما شاء الله، ويكون هناك ليل ونهار حتى تأتي نفخة الصعق التي يموت بسماعها جميع الخلق كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وعلى هذا لا يكون قوله: «ابعث» في أثناء اليوم الذي يكون مبدؤه نفخة الفزع على ما ذكره ابن العربي، والله أعلم.

ولا يلزم عن زلزال الأرض أن يكون عن نفخة، فإنا نشاهد تحرك الأرض وميدها بمن عليها وما عليها من جبال وبناء كالسفينة في البحر إذا تلاطمت أمواجه من غير نفخ، وإنما تلك الزلزلة من أشراط الساعة ومقدماتها كسائر أشراطها.

---

(١) (غير): ليست في (ظ).

(٢) هكذا في جميع النسخ، والذي ظهر لي أن المعنى لا يستقيم بها؛ لأن السياق أنه سيبين الكلام على صحة الحديث مستقبلاً، وكلمة (آنفاً) تكون لما مضى من الأفعال، قال صاحب لسان العرب ٩/ ١٤ ـ ١٥: استأنفت الشيء إذا ابتدأته. وفعلت الشيء آنفاً أي في أول وقت، واستأنفه بوعد: ابتدأه من غير أن يسأله إياه.

(٣) لا يوجد قوله في كتاب العاقبة.

(٤) تقدم تخريجه ص(٥٠٧).

(٥) أي الطبري.

(٦) ص(٤٩١).

(٧) تقدم تخريجه ص(٥٠٩).

(٨) تقدَّم ص(٤٩٠) ويأتي ص(٥٢٣).

وقد قال علقمة[١] والشعبي[٢]: الزلزلة من أشراط الساعة وهي في الدنيا، وكذلك قال أنس بن مالك[٣] والحسن البصري[٤] ﷺ، وقد ذكر القشيري أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم[٥] في تفسيره[٦]: أن المراد بنفخة الفزع، النفخة الثانية، أي يحيون فزعين يقولون: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢] ويعاينون من الأمر ما يهولهم ويفزعهم والله أعلم. ونحو ذلك ذكر الماوردي[٧] واختاره.

وقد قيل: إن هذه الزلزلة تكون قبل الساعة في النصف من شهر رمضان ومن بعدها طلوع الشمس من مغربها[٨]. وقوله تعالى: ﴿تَرَوۡنَهَا﴾ الضمير المنصوب في ﴿تَرَوۡنَهَا﴾ للزلزلة، أو القيامة قولان: فعلى الأولى أن ذلك في الدنيا قبل نفخة الصعق لعظم تلك الزلزلة وقوة حركتها بالأرض؛ لأن القيامة لا رضاع فيها ولا حمل ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ [الحج: ٢] يعني من الخوف. وعلى القول الثاني أن لو كان لذهلت كل مرضعة عن مرضعها[٩] يكون فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون ذلك مثلاً، والمعنى أنه يكون يوماً لا يهم أحد فيه إلا نفسه والحامل تسقط من مثله كما تسقط الحوامل من الصيحة الشديدة ويكون الهول[١٠] عظيماً.

والوجه الآخر: أن يكون ذلك حقيقة لا مثلاً. ويكون المعنى إن من كانت محشورة مع ولد رضيع فإنها إذا رأت هول ذلك اليوم ذهلت عمن ولدت

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره ١٧/ ١٠٩.
(٢) ذكره الطبري في تفسيره ١٧/ ١١١.
(٣) لم أقف على من ذكره غير المؤلف.
(٤) ذكره البغوي في تفسيره ٣/ ٢٧٣.
(٥) مفسر، نحوي، صوفي، أشعري، مات سنة ٥١٤هـ، السير ١٩/ ٤٢٤.
(٦) لا يوجد هذا النقل عن القشيري في تفسيره لطائف الإشارات، انظر: تفسير الآية ٥/ ٢٢٠.
(٧) تفسير الماوردي ٤/ ٢٣٠.
(٨) في (ع، ظ): فالله أعلم.
(٩) (أن لو كان لذهلت كل مرضعة عن مرضعها): ليست في (ع، ظ).
(١٠) في (الأصل): المعول، والتصويب من (ع، ظ).

وأن الحوامل إذا بعثن[١] أسقطن من فزع يوم القيامة الأحمال التي كانت أحياء فماتت بموت أمهاتها أحياء، ثم لا يمتن بالإسقاط. لأن الموت لا يتكرر عليهن مرتين؛ لأنه لا موت في القيامة وإنما هو يوم الحياة[٢]. ثم يحتمل أن يحيي الله كل حمل كان قد أتم خلقه ونفخ فيه الروح، ويسويه ويعدله، فإن الأم تذهل عنه ولو لم تذهل ما قدرت على أرضاعه لأنه لا غذاء لها يومئذ[٣] ولا لبن، واليوم يوم الحساب، لا يقبل فيه أحد[٤] عذر ولا علة، فكيف تُخلي والاشتغال بالولد، مع ما عليها من الحساب، وهي بصدده من الجزاء، والحمل الذي لم ينفخ فيه الروح[٥] قط إذا سقط يكون مع[٦] الوحوش تراباً، ولم يبتدأ إحياؤه لأن اليوم يوم الإعادة. فمن لم يمت في الدنيا لم يحيى في الآخرة، قاله الحليمي [٧٧/ب] في منهاج الدين[٧].

وقال الحسن[٨] في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ أي من العذاب والخوف، وما هم بسكارى من الشراب، وما[٩] يبين ما قلناه: أن إبليس قال: ﴿أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤]، فسأل النظرة والإمهال إلى يوم البعث والحساب، طلب أن لا يموت لأن يوم البعث لا موت بعده، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥]، قال ابن عباس[١٠] والسدي[١١] وغيرهما: أنظره إلى النفخة الأولى حيث يموت الخلق كلهم، وكان طلب الإنظار إلى النفخة الثانية حيث يقوم الناس لرب العالمين فأبى الله ذلك عليه.

قال **المؤلف** ﷺ: وما وقع في هذا الحديث من انشقاق[١٢] السماء،

---

(١) في (الأصل): تعبن، والتصويب من (ع، ظ).
(٢) في (ع): وإنما هو يوم الحياة وتضع الحوامل حملها.
(٣) في (ع): لأنه لا غذاء يومئذ لها. (٤) (أحد): ساقطة من (ظ).
(٥) (الروح): ليست في (ع، ظ). (٦) في (ع): من.
(٧) في (ظ): في كتاب منهاج الدين، وهو فيه ١/ ٤٤٨.
(٨) ذكر قوله الطبري في تفسيره ١٧/ ١١٥. (٩) في (ع): ومما.
(١٠) ذكر قوله ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/ ٢٢٦٤، ح١٢٣٨٤.
(١١) ذكر قول السدي الطبريُّ في تفسيره ٨/ ١٣٢
(١٢) في (الأصل): انتقال، والتصويب من (ع، ظ).

وتناثر نجومها، وطمس شمسها وقمرها، فقد ذكر المحاسبي[١] وغيره: أن ذلك يكون بعد جمع الناس في الموقف، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وسيأتي[٢]، وقال الحليمي في كتاب[٣] منهاج الدين[٤]: فصل، فأما الكوائن يوم القيامة قبل الحساب فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾، وقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝﴾ إلى آخرها، والذي ثبت بسياق الآيات: أن هذه الزلزلة إنما تكون بعد إحياء الناس وبعثهم من قبورهم؛ لأنه لا يراد بها إلا إذعار الناس، والتهويل عليهم فينبغي أن يشاهدوها؛ ليفزعوا منها، ويهولهم أمرها، ولا تمكن المشاهدة منهم وهم أموات، ولأنه تعالى قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝﴾، أي تخبر عما عُمِلَ عليها من خير وشر: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾. فدل ذلك على أن هذه الزلزلة إنما تكون والناس إحياء، واليوم يوم الجزاء، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۝﴾ [الحاقة: ١٣]، يعني الآخرة: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ إلى قوله: ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٤ ـ ١٨]، فدلت هذه السورة أن اصطدام الأرض والجبال لا يكون إلا بعد الإحياء، فدل أن هذه الكوائن إنما تكون بعد النشأة الثانية والله أعلم.

وأما قوله فيه يوم التناد، فقال الحسن[٥] وقتادة[٦] ذلك: يوم ينادي أهل الجنة أهل النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، وينادي أهل النار أهل الجنة أن أفيضوا علينا من الماء، يوم تولون مدبرين، يعني عن النار أي غير فارين غير معجزين[٧] في تفسير مجاهد[٨]. وقيل: معناه يوم ينادي أهل النار بالويل والثبور ويولون مدبرين من شدة العذاب، وقيل: إن ذلك نداء بعض الناس لبعض في المحشر وتوليهم مدبرين إذا رأوا عنقاً من النار، قال قتادة[٩]: معنى

(١) في كتاب التوهم له ص(٤١).
(٢) ص(٥١٤).
(٣) (كتاب): ليست في (ظ).
(٤) ١/ ٤٤٧.
(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره ٤/ ٨١.
(٦) ذكره الطبري في تفسيره ٢٤/ ٦١.
(٧) في الدر المنثور للسيوطي: قادرين غير معجزين، ٥/ ٦٦٥.
(٨) ذكره الطبري في تفسيره ٢٤/ ٦٢.
(٩) ذكره الطبري في تفسيره ٢٤/ ٦٢.

﴿تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ منطلقاً بكم إلى النار، ما لكم من الله من عاصم أي مانع يمنعكم، فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ إلى أن قال: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [النازعات: ٦ ـ ١٣]، وهذا يقتضي بظاهره أنها ثلاث، قيل له ليس كذلك، وإنما المراد بالزجرة: النفخة الثانية التي يكون عنها خروج الخلق من قبورهم، كذلك قال ابن عباس[١] ومجاهد وعطاء[٢] وابن [٧٨/أ] زيد[٣] وغيرهم، قال مجاهد: هما صيحتان، أما الأولى فتميت كل شيء بإذن الله، وأما الآخرة فيحيي كل شيء بإذن الله[٤].

وقال مجاهد[٥] أيضاً: الرادفة حين تنشق السماء، وتحمل الأرض والجبال فتدك دكة واحدة.

وقال عطاء: الراجفة القيامة، والرادفة البعث[٦].

وقال ابن زيد[٧]: الراجفة الموت، والرادفة الساعة، وهذا[٨] يبين لك ما قلناه من أن[٩] المراد بالرجفة[١٠] النفخة الثانية، والله أعلم.

واختلفوا في الساهرة اختلافاً كثيراً، فقال ابن عباس[١١] رضي الله عنهما: وأما الساهرة فأرض من فضة بيضاء لم يعص الله عليها طرفة عين، خلقها الله[١٢] يومئذ وهو قوله تعالى: يوم تبدل الأرض غير الأرض.

وقال بعضهم: الساهرة اسم الأرض السابعة يأتي الله بها فيحاسب عليها الخلائق، وذلك حين تبدل الأرض غير الأرض[١٣].

وقال قتادة[١٤]: هي جهنم، أي فإذا هؤلاء الكفار في جهنم.

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره ٣٠/ ٣١.
(٢) لم أجد من ذكر قول عطاء.
(٣) ذكره الطبري في تفسيره ٣٠/ ٣٦ عنه بنحوه.
(٤) هذا القول ذكره الطبري في تفسيره عن الحسن البصري ٣٠/ ٣١.
(٥) ذكره الطبري في تفسيره ٣٠/ ٣٢.
(٦) ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٤٤٣.
(٧) ذكره الطبري في تفسيره ٣٠/ ٣٢.
(٨) في (ع، ظ): فهذا.
(٩) (أن): ليست في (ظ).
(١٠) في (ع، ظ): بالزجرة.
(١١) ذكره الماوردي في تفسيره ٦/ ١٩٦.
(١٢) (لفظ الجلالة): ليس في (ع).
(١٣) لم أقف على من قال به.
(١٤) ذكره الطبري في تفسيره ٣٠/ ٣٨.

وقيل: صحراء قريب من شفير جهنم[١].

وقال الثوري[٢]: الساهرة أرض الشام وقيل غير هذا، وإنما قيل لها الساهرة لأنهم لا ينامون عليها حينئذ، ومعنى فإذا هم بالساهرة، أي على وجه الأرض بعد ما كانوا في بطنها، والعرب تسمي الفلاة ووجه الأرض ساهرة.

قال أمية بن أبي الصلت:

وفيها لحم ساهرة وبحر وما فاهوا به لهم مقيم[٣]

باب الحشر

[ومعناه الجمع][٤]:

وهو على أربعة أوجه: حشران في الدنيا، وحشران في الآخرة، أما الذي في الدنيا فقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢]، قال الزهري[٥]: كانوا من سبط لم يصبهم جلاء، وكان الله ﷻ قد كتب عليهم الجلاء، فلولا ذلك لعذبهم في الدنيا، وكان أول حشر حشروا في الدنيا إلى الشام.

قال ابن عباس ﵄: من شك أن الحشر في الشام فليقرأ هذه الآية[٦]، وذلك أن النبي ﷺ قال لهم: «اخرجوا قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر»[٧]، قال قتادة: هذا أول الحشر[٨].

والثاني: ما رواه **مسلم**[٩] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين، وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثة

---

(١) ذكره الحليمي في المنهاج في شعب الإيمان ١/ ٤٤١.
(٢) ذكره الطبري في تفسيره ٣٠/ ٣٧.
(٣) ذكره الطبري في تفسيره ٣٠/ ٣٦ ـ ٣٧، والماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٩٦.
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٥) ذكره الطبري في تفسيره ٢٨/ ٢٨.
(٦) ذكره ابن كثير في تفسيره ٤/ ٣٣٣.
(٧) ذكره ابن كثير في تفسيره ٤/ ٣٣٣.
(٨) ذكره ابن كثير في تفسيره عن الحسن البصري ٤/ ٣٣٣.
(٩) في صحيحه ٤/ ٢١٩٥، ح٢٨٦١.

على بعير، وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا»، أخرجه **البخاري**[(١)] أيضاً.

وقال قتادة[(٢)]: الحشر الثاني نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، فتأكل منهم من تخلف.

قال القاضي عياض[(٣)]: هذا الحشر في الدنيا قبل[(٤)] قيام الساعة وهو آخر أشراطها، كما[(٥)] ذكره **مسلم**[(٦)] بعد هذا في آيات الساعة، قال فيه: «وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن[(٧)] ترحل الناس»، وفي [٧٨/ب] رواية: «تطرد الناس إلى محشرهم»[(٨)]، وفي حديث آخر: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز»[(٩)].

ويدل على أنها قبل يوم القيامة قوله: «فتقيل معهم حيث قالوا، وتمسي معهم حيث أمسوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا»، قال: وفي بعض الروايات في غير مسلم: «فإذا سمعتم بها فاخرجوا إلى الشام»[(١٠)]، كأنه أمر بسبقها إليه قبل إزعاجها لهم.

قال **المؤلف** ﷺ وذكر الحليمي في كتاب[(١١)] منهاج الدين[(١٢)] له[(١٣)] حديث ابن عباس ﷺ وذكر أن ذكر في الآخرة فقال: يحتمل قوله ﷺ تحشر الناس على ثلاث طرائق، إشارة إلى الأبرار، والمخلطين، والكفار، فالأبرار

---

(١) في صحيحه ٥/ ٢٣٩٠، ح٦١٥٧.
(٢) ذكره الطبري في تفسيره ٢٨/ ٢٩.
(٣) في كتابه إكمال المعلم بفوائد مسلم ٨/ ٣٩١.
(٤) في (إكمال المعلم): قبيل.
(٥) (كما): ليست في (ظ).
(٦) في صحيحه ٤/ ٢٢٢٥، ح٢٩٠١.
(٧) في (مسلم): تخرج من اليمن.
(٨) أخرجها مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٢٥، ح٢٩٠١.
(٩) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٢٧، ح٢٩٠٢.
(١٠) أخرجها ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٤٨٤، ح٣٧٤١٨ بنحوه.
(١١) (كتاب): ليست في (ع).
(١٢) ١/ ٤٤٢.
(١٣) (له): ليست في (ع).

هم الراغبون[١] إلى الله تعالى فيما أعد لهم من ثوابه، والراهبون هم الذين بين الخوف والرجاء، فأما الأبرار فإنهم يؤتون بالنجائب كما في الحديث على ما يأتي[٢] في هذا الباب، وأما المخلطون فهم الذين أريدوا في هذا الحديث، وقيل: إنهم يحملون على الأبعرة، وأما الفجار الذين تحشرهم النار فإن الله يبعث إليهم ملائكة فتقيض لهم ناراً تسوقهم. ولم يرد في[٣] الحديث إلا ذكر البعير، فأما إن ذلك من إبل الجنة أو من الإبل التي تجيء، وتحشر يوم القيامة فهذا ما لم يأت بيانه، والأشبه أن لا يكون من نجائب الجنة، لأن من خرج من جملة الأبرار وكان مع ذلك من جملة المؤمنين فإنهم بين الخوف والرجاء؛ لأن من هؤلاء من يغفر الله تعالى ذنوبه فيدخل الجنة، ومنهم من يعاقبه بالنار، ثم يخرجه منها، ويدخله الجنة، وإذا كانوا[٤] كذلك لم يلق أن يوردوا موقف الحساب على نجائب الجنة ثم ينزل الله[٥] بعضهم إلى النار، لأن من أكرمه الله بالجنة لم يهنه بعد ذلك بالنار، و[٦]قال: وفي حديث آخر عن أبي هريرة ﷺ قال: «يحشر الناس» الحديث، وفي آخره: «أما أنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك[٧]»، فهذا إن ثبت مرفوعاً فالركبان هم المتقون السابقون الذين يغفر الله ذنوبهم عند الحساب، ولا يعذبهم، إلا أن المتقين يكونون على نجائب الجنة، والآخرون على دواب سوى دواب الجنة[٨].

والصنف الثاني: الذين يعذبهم الله بذنوبهم ثم يخرجهم[٩] من النار إلى

---

(١) في (الأصل): الراغبين، والتصويب من (ع، ظ، والمصدر)؛ ولأن حكمها الإعرابي أنها خبر مرفوع.

(٢) ص(٥٣٣).

(٣) في (ع، ظ): ولم يرد في هذا.

(٤) في (ع): كان.

(٥) (لفظ الجلالة): ليس في (ع).

(٦) (الواو): ليست في (ع، ظ).

(٧) أخرجه الترمذي في جامعه ٥/ ٣٩٥، ح٣١٤٢؛ وأحمد في مسنده ٢/ ٣٥٤، ح٨٦٣٢، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف الترمذي ص(٣٩٠)، ح٦١٢.

(٨) في (ع): أهل الجنة.

(٩) (والصنف الثاني: الذين يعذبهم الله بذنوبهم ثم يخرجهم): ساقطة من (ع).

الجنة وهؤلاء يكونون مشاة على أقدامهم، وقد يحمل[١] على هذا قد يمشوا[٢] وقتاً ثم يركبوا، أو يكونوا ركباناً، فإذا قاربوا المحشر نزلوا فمشوا ليتفق الحديثان.

والصنف الثالث: المشاة على وجوههم، هم الكفار وقد يحتمل أن يكونوا ثلاثة أصناف: صنف مسلمون، وهم ركبان وصنفان من الكفار أحدهما العتاة وأعلام الكفر، فهؤلاء يحشرون على وجوههم، والآخرون الأتباع فهم يمشون على أقدامهم.

قال المؤلف ﷺ: وإلى هذا القول ذهب أبو حامد في كتاب كشف علم الآخرة[٣] في قوله ﷺ: كيف يحشر الناس يا رسول الله؟ قال: «اثنان على بعير، وخمسة على بعير، وعشرة على بعير»[٤]، ومعنى هذا الحديث والله أعلم أن قوماً يأتلفون في الإسلام برحمة الله يخلق الله[٥] لهم [٧٩/أ] من أعمالهم بعيراً يركبون عليه، وهذا من ضعف العمل لكونهم يشتركون فيه، كقوم خرجوا في[٦] سفر بعيد وليس مع[٧] واحد منهم ما يشتري به مطية توصله، فاشترك في ثمنها رجلان أو ثلاثة، وابتاعوا مطية يتعاقبون عليها في الطريق، ويبلغ بعيرٌ مع عشرة، فاعمل هداك الله عملاً يكون لك به بعير خالص من الشركة. واعلم أن ذلك هو المتجر الرابح، فالمتقون وافدون كما قال الجليل[٨]: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾، وفي غريب الرواية[٩] أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: «كان رجل من بني إسرائيل كثيراً ما يفعل الخير حتى أنه ليحشر فيكم، قالوا له: وما كان يصنع؟ قال: ورث من أبيه مالاً كثيراً فاشترى بستاناً فحبسه

---

(١) في (ع، ظ): يحتمل.
(٢) في (ع، ظ): أن يمشوا.
(٣) ص(٦٠ ـ ٦١).
(٤) أخرجه النسائي في المجتبى ٤/ ١١٥، ح٢٠٨٥؛ وابن حبان في صحيحه ١٦/ ٣٢١، ح٧٣٣٦، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن النسائي ٢/ ٤٤٨، ح١٩٧٢.
(٥) (لفظ الجلالة): ليس في (ع، ظ).
(٦) في (الأصل): من، والتصويب من (ع، ظ، كشف علوم الآخرة).
(٧) في (ع): منهم.
(٨) في (ظ): قال الجليل جل جلاله.
(٩) لم أجد هذه الرواية، وذكرها أبو حامد ضمن هذا النص.

للمساكين، وقال: هذا بستاني عند الله تعالى وفرق دنانير عديدة على[١] الضعفاء، وقال: بهذا أشتري جارية من الله وعبيداً[٢]، وأعتق رقاباً كثيرة وقال: هؤلاء خدمي عند الله تعالى، والتفت ذات يوم إلى رجل ضرير البصر فرآه تارة يمشي وتارة يكبو فابتاع له مطية يسير عليها، وقال: هذه مطيتي عند الله تعالى أركبها، والذي نفسي بيده لكأني أنظر إليها وقد جيء بها إليه مسرجة ملجمة يركبها تسير به إلى الموقف»[٣].

قال **المؤلف** ﷺ: ما ذكره القاضي عياض: من أن ذلك في الدنيا أظهر، والله أعلم، لما في الحديث نفسه من ذكر المساء، والصباح، والمبيت، والقائلة، وذلك ليس في الآخرة، وقد خرج **الترمذي**[٤] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنفاً مشاة، وصنفاً ركباناً، وصنفاً على وجوههم، قيل: يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم[٥]؟ قال: الذي[٦] أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك» قال: حديث حسن، وقوله يتقون بوجوههم كل حدب وشوك يدل على أنه في الدنيا[٧] إذ ليس في الآخرة ذلك على ما يأتي[٨] في صفة أرض المحشر، والله أعلم.

وخرج **النسائي**[٩] عن أبي ذر ﷺ قال: إن الصادق المصدوق حدثني:

---

(١) في (ع، ظ): في.
(٢) في (الأصل): وعبدا، وما أثبته من (ع، ظ، مصدر المؤلف).
(٣) نهاية النقل من كشف علوم الآخرة.
(٤) في جامعه ٥/٣٠٥، ح٣١٤٢؛ وأحمد في مسنده ٢/٣٥٤، ح٨٦٣٢، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن الترمذي له ص(٣٩٠ ـ ٣٩١)، ح٦١٢.
(٥) (قيل: يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم): ساقطة من (ظ).
(٦) في (ع): إن الذي.
(٧) (قال حديث حسن، وقوله يتقون بوجوههم كل حدب وشوك يدل على أنه في الدنيا): ليست في (ظ).
(٨) ص(٥٢٤).
(٩) في المجتبى ٤/١١٦، ح٢٠٨٦، وضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن النسائي ص(٧١ ـ ٧٢)، ح١١٩.

«أن الناس يحشرون ثلاثة أفواج، فوجاً راكبين طاعمين كاسيين، وفوجاً تسحبهم الملائكة على وجوههم، وتحشر النار فوجاً[(١)] يمشون ويسعون يلقي الله الآفة على الظهر فلا يبقى حتى إن الرجل لتكون[(٢)] له الحديقة يعطيها بذات القتب[(٣)] لا يقدر عليها».

وذكر عمر بن شبة في كتاب المدينة[(٤)] على ساكنها السلام عن أبي هريرة ﷺ قال: آخر من يحشر رجلان، رجل من جهينة وآخر من مزينة، فيقولان: أين الناس؟ فيأتيان المدينة فلا يريان إلا الثعلب، فينزل إليهما ملكان فيسحبانهما على وجوههما حتى يلحقاهما بالناس».

وهذا كله مما يدل على أن ذلك في الدنيا، كما قال القاضي عياض، وأما الآخرة فالناس أيضاً مختلفو الحال على ما ذكره[(٥)]، وسنذكره من ذلك ما فيه كفاية في الباب بعد هذا[(٦)].

[والحشر الثالث: حشرهم إلى الموقف على ما يأتي[(٧)] بيانه في الباب بعد هذا إن شاء الله[(٨)]][(٩)]، قال الله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧] [٧٩/ب].

والرابع: حشرهم إلى الجنة والنار، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ[(١٠)] ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]، أي ركباناً على النُّجُب، وقيل: على قدر الأعمال كما تقدم[(١١)]، وقد وردت أخبار[(١٢)] منها ما رواه النعمان بن سعد عن

---

(١) في (النسائي): وفوجاً تحشرهم النار. (٢) (لتكون): ليست في (ظ).

(٣) أي يشتري الناقة المسنة لكونها تحمله على القتب بالبستان الكريم؛ لهوان العقار الذي عزم على الرحيل عنه، وعزة الظهر الذي يوصله إلى مقصوده، انظر: فتح الباري ١١/ ٣٨١.

(٤) ١/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩. (٥) في (ع، ظ): ذكروه.

(٦) في (ع): بعد هذا إن شاء الله تعالى.

(٧) ص(٥٢٢). (٨) (إن شاء الله): ليست في (ظ).

(٩) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، وتكملته من (ع، ظ).

(١٠) في (الأصل، ع): ونحشر، والتصويب من المصحف و(ظ).

(١١) ص(٥١٦ ـ ٥١٨). (١٢) في (ع): الأخبار.

علي ﷺ عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝٨٥﴾ قال: «أما إنهم ما[(١)] يحشرون على أقدامهم ولا يساقون سوقاً، ولكنهم يؤتون بنوق من نوق الجنة لم ينظر الخلائق إلى مثلها، رحالها الذهب وأزمتها الزبرجد، فيقعدون عليها حتى يقرعوا باب الجنة، وسمي[(٢)] المتقون وفداً لأنهم يسبقون الناس إلى حيث يدعون إليه فهم لا ينبطون لكنهم يحدون ويسرعون والملائكة تتلقاهم بالبشارات كما قال الله تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، فيزدهم[(٣)] ذلك إسراعاً، وحق للمتقين أن يسبقوا لسبقهم في الدنيا بالطاعات: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝٨٦﴾ [مريم: ٨٦] أي عطاشاً وقال: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢] وقال: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٣٤﴾ [الفرقان: ٣٤]»[(٤)].

مسلم[(٥)] عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله، الذين يحشرون على وجوههم أيحشر الكافر على وجهه؟ قال رسول الله ﷺ: «أليس[(٦)] الذي أمشاه على الرجلين قادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة»؟ قال قتادة حين بلغه: بلى وعزة ربنا، أخرجه **البخاري**[(٧)] أيضاً.

فصل

قال أبو حامد[(٨)]: وذكر هذا الفصل في طبع الآدمي إنكار ما لم يأنس به ولم يشاهده، ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشي على بطنها لأنكر المشي

---

(١) (ما): ساقطة من (ظ).
(٢) في (ع): يسمى.
(٣) في (ع، ظ): فيزيدهم.
(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/٦٠٩، ح٨٦٨٨، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
(٥) في صحيحه ٤/٢١٦١، ح٢٨٠٦.
(٦) (أليس): ليست في (ظ).
(٧) في صحيحه ٤/١٧٨٤، ح٤٤٨٢، وذكر البخاري قول قتادة بعد الرواية.
(٨) في إحياء علوم الدين ٤/٥١٤.

من غير رجل، والمشي بالرجل أيضاً مستبعد عند من لم يشاهد ذلك، فإياك أن تنكر شيئاً من عجائب يوم القيامة لمخالفتها قياس الدنيا فإنك لو لم تشاهد عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكاراً لها، فأحضر رحمك الله في قلبك صورتك وأنت قد وقفت عارياً ذليلاً، مدحوراً، متحيراً، مبهوتاً، منتظراً لما يجري عليك من القضاء[1] بالسعادة أو بالشقاء.

باب بيان الحشر إلى الموقف[2] كيف هو وفي أرض المحشر[3] وقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝﴾ [ق: ٤١][4]

أبو نعيم[5] قال: حدثنا أبي قال: حدثنا إسحاق قال: حدثنا محمد قال: ثنا عبد الرزاق قال: أنبأ المنذر[6] بن النعمان أنه سمع وهب بن منبه يقول: قال الله تعالى لصخرة بيت المقدس: لأضعن عليك عرشي [و][7]لأحشرن عليك خلقي وليأتينك يومئذ داود راكباً.

وقال بعض العلماء[8]: في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝﴾ قال: إنه ملك قائم على صخرة ببيت المقدس فينادي أيتها[9] العظام البالية، والأوصال المنقطعة، ويا عظاماً نخرة[10] [٨٠/أ] ويا أكفاناً فانية، ويا قلوباً خاوية، ويا أبداناً فاسدة، ويا عيوناً سائلة، قوموا لعرض رب العالمين.

قال قتادة: المنادي هو صاحب الصور ينادي من الصخرة من بيت المقدس[11].

---

(١) في (الأصل): القضايا، والتصويب من (ع، ظ).
(٢) (إلى الموقف): ليست في (ظ).
(٣) في (ع، ظ): وذكر الصخرة، والأصل يتوافق مع مسودة المؤلف.
(٤) في (ع، ظ): الآية. (٥) الحلية ٤/٦٦.
(٦) في (ع): أخبرنا المنذر.
(٧) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، الحلية).
(٨) ذكره الطبري في تفسيره ٢٦/١٨٣ عن كعب الأحبار.
(٩) في (ظ): يا أيتها. (١٠) في (ظ): ناخرة.
(١١) في (ظ): من صخرة بيت المقدس.

قال كعب: وهي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً، [وقيل: باثني عشر ميلاً][١]، ذكره القشيري[٢]، والأول ذكره الماوردي[٣].

وقيل: إن المنادي جبريل، والله أعلم.

قال عكرمة[٤]: ينادي منادي الرحمن وكأنما ينادي في آذانهم: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾ يريد النفخ في الصور، ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤٢]﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ إلى المنادي صاحب الصور إلى بيت المقدس أرض المحشر: ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤]، أي: هين سهل.

فإن قيل[٥]: فإذا كانت الصيحة للخروج فكيف يسمعونها وهم أموات؟

قيل له: إن نفخة الإحياء تمد[٦] وتطول فيكون أوائلها للأحياء وما بعدها للإزعاج من القبور فلا يسمعون ما يكون للإحياء ويسمعون ما للإزعاج. ويحتمل أن تتطاول تلك النفخة والناس يحيون منها أولاً فأولاً، وكلما حيي واحد سمع من يحيى به من بعده إلى أن يتكامل الجميع للخروج.

وقد تقدم[٧] أن الأرواح في الصور، فإذا نفخ فيه النفخة الثانية ذهب كل روح إلى جسده، ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]، وهذا يبين لك ما ذكرناه[٨] وبالله توفيقنا[٩].

وقال محمد بن كعب القرظي[١٠]: يحشر الناس يوم القيامة في ظلمة، وتطوى السماء، وتتناثر النجوم، وتذهب الشمس والقمر، وينادى مناد فيتبع

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٢) لم أقف على قوله في تفسيره لطائف الإشارات عند تفسير الآية ٦/ ٢٥.
(٣) في تفسيره ٥/ ٣٥٨.
(٤) لم أقف على من ذكر قوله.
(٥) من هذا الموضع إلى قوله: يتكامل الجميع للخروج، نقله المصنف من منهاج الدين للحليمي ١/ ٤٤٥.
(٦) في (ع، ظ): تمتد.
(٧) ص(٤٨٧).
(٨) في (ع): ما ذكرنا.
(٩) في (ظ): التوفيق.
(١٠) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/ ١٦٦.

الناس الصوت يومئذ، فذلك قول الله ﷻ: ﴿يَوْمَئِذٍ[١] يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾ [طه: ١٠٨] الآية. قال الله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣﴾ [الانفطار: ١ ـ ٣]، فجر عذبها في ملحها، وملحها في عذبها، في تفسير قتادة[٢]، ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤﴾ [الانفطار: ٤]، أي أخرجت[٣] ما في جوفها[٤] من الأموات، وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢﴾ [الانشقاق: ١ ـ ٢]، سمعت وأطاعت، وحقت أي و[٥]حق لها أن تفعل، ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣﴾ تمد مد الأديم، وهذا إذا بدلت بأرض بيضاء كأنها فضة لم يعمل عليها خطيئة قط، ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ أي من الأموات فصاروا على ظهرها.

مسلم[٦] عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي[٧] ليس فيها علم لأحد».

وخرّج أبو بكر أحمد بن [علي][٨] الخطيب عن عبد الله بن مسعود ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط، وأظمأ ما كانوا قط، وأعرى ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا قط[٩]، فمن أطعم لله أطعمه الله، ومن سقا لله سقاه، ومن كسا لله كساه، ومن عمل لله كفاه[١٠]».

وروي من حديث معاذ بن جبل ﷺ قال: قلت: يا رسول الله أرأيت قول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨﴾ [النبأ: ١٨]، فقال النبي ﷺ: «يا معاذ بن جبل[١١] لقد سألت عن أمر عظيم»، ثم أرسل عينيه بالبكاء، ثم

---

(١) في (الأصل): يوم، تصويبه من (المصحف، ع، ظ، م).
(٢) ذكره الطبري في تفسيره ٣٠/ ٨٥.
(٣) في (ع): أخرج. وفي (ظ): خرج.
(٤) في (ع، ظ): ما فيها.
(٥) (الواو): ليس في (ع).
(٦) في صحيحه ٤/ ٢١٥٠، ح٢٧٩٠.
(٧) في الفائق للزمخشري ٣/ ٦: قوله ﷺ: «يُحشر الناس يومَ القيامة على أرض بيضاء عَفْراء، كقرصة النَّقِيّ ليس فيها مَعْلَم لأحد». النَّقِيّ: الحُوّارَى، سمي لنقائه من النخالة، وفي لسان العرب ١٥/ ٣٤١: كقرصة الخبز.
(٨) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٩) (قط): ليست في (ع).
(١٠) لم أجده فيما وقفت عليه من كتب الخطيب البغدادي.
(١١) (بن جبل): ليست في (ع).

قال: «يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتاً، قد ميزهم الله من جماعات المسلمين وبدل صورهم فمنهم على صورة(١) القردة، وبعضهم على صورة(٢) الخنازير، وبعضهم منكسين أرجلهم أعلاهم ووجوههم يسحبون عليها، وبعضهم عُمْيٌ [٨٠/ب] يترددون، وبعضهم صم بكم لا يعقلون، وبعضهم يمضغون ألسنتهم مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم لعاباً يقذرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلبين على جذوع من النار وبعضهم أشد نتناً من الجيف(٣)، وبعضهم يلبسون جلابيب سابغة من القطران، فأما الذين على صور(٤) القردة فالقتات من الناس، يعني النمّام، وأما الذين على صور(٥) الخنازير فأهل السحت والحرام، والمكس، وأما المنكسون رؤوسهم ووجوههم فأكلة الربا، والعمي فمن(٦) يجور في الحكم، والصم البكم الذين يعجبون بأعمالهم، والذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعلهم، والمقطعة أيديهم وأرجلهم فالذين يؤذون الجيران، والمصلبين على جذوع من النار فالسعاة بالناس إلى السلطان، والذين هم أشد نتناً من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات، واللذات ويمنعون حق الله من أموالهم، والذين يلبسون الجلابيب فأهل الكبر والفخر والخيلاء(٧).

وقال أبو حامد في كتاب كشف علم الآخرة(٨): ومن الناس من يحشر بفتنته الدنيوية فقوم مفتونون بالعود، معتكفون عليه دهرهم، فعند قيام أحدهم من قبره فيأخذه(٩) بيمينه فيطرحه من(١٠) يده، ويقول: سحقاً لك شغلتني عن ذكر الله فيعود إليه، ويقول: أنا صاحبك حتى يحكم الله بيننا وهو خير

---

(١) في (ظ): صور.
(٢) في (ظ): صور.
(٣) في (ظ): الجيفة.
(٤) في (ع، ظ): صورة.
(٥) في (ع): صورة.
(٦) في (ع): من.
(٧) ذكر هذا النص القرطبي في تفسيره أيضاً ١٩/ ١٧٥، ولم يعزه لأحد.
(٨) ص(٦٤ _ ٦٥).
(٩) في (الأصل): فيأخذ، وما أثبته من (ع، ظ، كشف علوم الآخرة).
(١٠) في (ع): في.

الحاكمين، وكذلك يبعث السكران سكراناً، والزامر زامراً، وكل أحد على الحال الذي صده عن سبيل الله، قال: ومثله الحديث الذي روي في الصحيح[١]: «أن شارب الخمر يحشر والكوز معلق في عنقه، والقدح بيده وهو أنتن من كل جيفة على الأرض يلعنه كل من يمر به[٢] من الخلق».

وقال أيضاً في الكتاب[٣]: فإذا استوى كل أحد قاعداً على قبره فمنهم العريان والمكسو[٤]، والأسود والأبيض، ومنهم من يكون له نور كالمصباح الضعيف، ومنهم من يكون كالشمس، لا يزال كل واحد منهم مطرقاً برأسه، [لا يدري ما يصنع به][٥] ألف[٦] عام حتى تقوم من الغرب نار لها دوي تساق فتندهش[٧] لها رؤوس الخليقة: إنساً وجناً، وطيراً ووحشاً، فيأتي كل واحد من المخاطبين عمله ويقول له: قم فانهض إلى المحشر، فمن كان له حينئذ عمل جيد شخص له عمله بغلاً، ومنهم من يشخص عمله حماراً، ومنهم من يشخص له كبشاً، تارة يحمله، وتارة يلقيه، ويجعل لكل واحد منهم نور شعاعي بين يديه وعن يمينه مثله[٨]، يسري بين يديه في الظلمات وهو قوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢]، وليس عن شمائلهم نور بل ظلمة حالكة، لا يستطيع البصر نفاذها يحار فيها الكفار ويتردد المرتابون، والمؤمن ينظر إلى قوة حلكتها وشدة حِنْدِسها[٩]، ويحمد الله تعالى على ما أعطاه من النور المهتدى به في تلك الشدة يسعى[١٠] بين أيديهم وبأيمانهم، لأن الله تعالى يكشف للعبد

(١) لم أقف عليه في شيء من دواوين السنة، وهو ضمن نص الغزالي.
(٢) (به): ليست في (ع).
(٣) القائل هو الغزالي في كشف علوم الآخرة ص(٥٨ ـ ٦١).
(٤) في (ظ): ومنهم المكسو.
(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، مصدر المصنف).
(٦) في (ع): مدّ ألف.
(٧) في (ع، ظ): فتدهش.
(٨) في (الأصل): ومثله، وما أثبته من (ع، ظ، كشف علوم الآخرة).
(٩) الحِنْدِس: الظلمة، انظر: لسان العرب ٦/ ٥٨.
(١٠) في (ظ): يسعى نورهم.

المؤمن المنعم[(١)] عن أحوال المعذب الشقي ليستبين له سبيل الفائدة كما فعل بأهل الجنة وأهل النار حيث [٨١/أ] يقول: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝﴾ [الصافات: ٥٥]، وكما قال ﷻ: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾ [الأعراف: ٤٧]؛ لأن أربعاً لا يعرف قدرها إلا أربع: لا يعرف قدر الحياة إلا الموتى، [ولا يعرف قدر الصحة إلا أهل السُّقْم، ولا يعرف قدر الشباب إلا أصحاب[(٢)] الهرم][(٣)]، ولا يعرف قدر الأغنياء إلا الفقراء. ومن الناس من يبقى على قدميه وعلى أطراف[(٤)] بنانه [و][(٥)]نوره يطفأ تارة[(٦)] ويشتعل أخرى، وإنما هم عند البعث على قدر إيمانهم وأعمالهم.

وقد مضى في باب: يبعث كل عبد على ما مات عليه ما فيه كفاية والحمد لله.

باب في الجمع بين آيات وردت في الكتاب[(٧)] في الحشر ظاهرها التعارض

منها قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥]، وقال: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧]، وفي آية ثالثة إنهم كانوا يقولون: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]، وهذا كلام وهو متضاد والبكم، والتعارف تخاطب[(٨)]، وهو مضاد للصمم والبكم

(١) في (الأصل): النعم، تصويبه من (ع، ظ، كشف علوم الآخرة).
(٢) في (كشف علوم الآخرة): أهل.
(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، وكشف علوم الآخرة).
(٤) في (الأصل، ظ): طرف، وما أثبته من (ع، مصدر المصنف).
(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، كشف علوم الآخرة).
(٦) في (الأصل، ظ): مرة، وما أثبته من (ع، مصدر المصنف).
(٧) (في الكتاب): ليست في (ع)، وفي (ظ): في كتاب الحشر.
(٨) في (الأصل): والعارف يخاطب، والتصويب من (ع، ظ).

معاً، وقال الله[١] تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦]، والسؤال لا يكون إلا باستماع، وإلا لناطق يستمع للجواب، وقال: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢]، وقال: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]، وقال: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝٤٣﴾ [المعارج: ٤٣]، والنسلان والإسراع مخالفان للحشر على الوجوه.

والجواب: لمن سأل عن هذا أن يقال له: إن الناس إذا أحيوا وبعثوا من قبورهم فليست حالهم[٢] واحدة، ولا موقفهم ولا مقامهم واحداً، ولكن لهم مواقف وأحوال، واختلفت الأخبار عنهم لاختلاف مواقفهم وأحوالهم. وجملة ذلك أنها خمسة أحوال، أولها حال البعث من القبور، والثانية: حال السوق إلى موضع الحساب، والثالثة: حال المحاسبة، والرابعة: حال السوق إلى دار الجزاء، والخامسة: حال مقامهم في الدار التي يستقرون فيها.

فأما حال البعث من القبور فإن الكفار يكونون كاملي الحواس والجوارح لقول الله تعالى: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥]، وقوله: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۝١٠٣﴾ [طه: ١٠٣]، وقوله: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقوله: ﴿كَمْ[٣] لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون ١١٢ ـ ١١٥].

والحالة الثانية: حال السوق إلى موضع الحساب، وهم أيضاً في هذه الحال بحواس تامة لقوله ﷻ: ﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ۝٢٣ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤﴾ [الصافات: ٢٢ ـ ٢٤]، ومعنى فاهدوهم أي دلوهم، ولا دلالة لأعمى أصم ولا سؤال لأبكم، فثبت بهذا أنهم يكونون بأبصار وأسماع، وألسنة ناطقة.

والحالة الثالثة: وهي حالة المحاسبة، وهم يكونون فيها أيضاً كاملي الحواس ليسمعوا ما يقال لهم ويقرؤوا كتبهم الناطقة بأعمالهم، وتشهد عليهم

---

(١) (لفظ الجلالة): ليس في (ع).
(٢) في (الأصل): حالة، وتصويبه من (ع، ظ).
(٣) في (ع): ﴿قَٰلَ كَمْ﴾.

جوارحهم بسيئاتهم فيسمعونها [٨١/ب]، وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم يقولون: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩]، وأنهم يقولون لجلودهم لما شهدتم علينا، وليشاهدوا أحوال القيامة، وما كانوا مكذبين في الدنيا، من شدتها وتصرف الأحوال بالناس فيها[١].

وأما الحالة الرابعة: وهي السوق إلى جهنم، فإنهم يسلبون فيها أسماعهم وأبصارهم وألسنتهم لقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [الإسراء: ٩٧]، ويحتمل أن يكون قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ [الرحمن: ٤١]، إشارة إلى ما يشعرون به من سلب الأبصار والأسماع والمنطق.

والحالة الخامسة: حال الإقامة في النار، وهذه الحال ينقسم إلى بدوٍ ومآل، فبدؤها أنهم إذا قطعوا المسافة التي بين موقف الحساب وشفير جهنم عمياً، وبكماً، وصماً، إذلالاً لهم وتمييزاً عن غيرهم ردت الحواس إليهم ليشاهدوا النار، وما أعد لهم فيها من العذاب ويعاينوا ملائكة العذاب[٢] وكل ما كانوا به مكذبين فيستقرون في النار ناطقين سامعين مبصرين، ولهذا قال الله[٣] تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ﴾ [الشورى: ٤٥]، وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام: ٢٧]، وقال: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ... ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩]، وقال: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ[٤]﴾ [الملك: ٨ ـ ٩].

وأخبر الله[٥] تعالى أنهم ينادون أهل الجنة فيقولون: ﴿أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ

---

(١) (فيها): ليست في (ظ).
(٢) في (ظ): الملائكة.
(٣) (لفظ الجلالة): ليس في (ع، ظ).
(٤) في (ظ): ﴿... قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾ إلى قوله: ﴿مِن شَىْءٍ﴾.
(٥) (لفظ الجلالة): ليست في (ع، ظ).

ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠]، وأن أهل الجنة ينادون[١]: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ﴾ [الأعراف: ٤٤]، وأنهم ليقولون[٢]: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ فيقول لهم: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، وأنهم يقولون لخزنة جهنم: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ فيقولون لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: ٥٠]، وأما العقبى والمآل فإنهم إذا قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، فقال الله تعالى: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

وكتب عليهم الخلود بالمَثَل الذي يضرب لهم وهو أن يؤتى بكبش أملح ويسمى الموت[٣]، ثم يذبح على الصراط بين الجنة والنار، وينادوا يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، سلبوا في ذلك الوقت أسماعهم، وقد يجوز أن يسلبوا الأبصار والكلام لكن[٤] سلب السمع يقين، لأن الله تعالى يقول: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٠] فإذا سلبوا الأسماع صاروا إلى الزفير والشهيق ويحتمل أن تكون الحكمة في سلب الأسماع من قبل أنهم سمعوا نداء الرب سبحانه على ألسنة رسله فلم يجيبوه بل جحدوه، وكذبوا به بعد قيام الحجة عليهم بصحته، فلما كانت حجة الله عليهم في الدنيا الاستماع[٥] عاقبهم على كفرهم في الأخرى بسلب الأسماع، يبين ذلك أنهم [٨٢/أ] كانوا يقولون للنبي ﷺ: ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥]، وقالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ[٦]﴾

---

(١) في (ع): ينادونهم. (٢) في (ع، ظ): يقولون.

(٣) هذا التعبير من المؤلف يحمل في طياته معتقده من عدم قلب الأعراض أعياناً، وقد صرح بذلك في ص(٣٨٦) من هذا الكتاب حيث يقول: ومحال أن الموت ينقلب كبشاً، لأن الموت عرض، وإنما المعنى: أن الله ﷻ يخلق شخصاً يسميه الموت فيذبح بين الجنة والنار، وهكذا كلما ورد عليك في هذا الباب التأويل فيه ما ذكرت لك. وقد تم الرد على ما ذكر هناك.

(٤) في (ع): ولكن. (٥) في (ع، ظ): الأسماع.

(٦) في (ع): ﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾.

[فصلت: ٢٦]، وأن قوم نوح عليه السلام كانوا يستغشون ثيابهم تستراً منه لئلا يروه ولا يسمعوا كلامه[١]، وقد أخبر الله[٢] عن الكفار [في][٣] وقت نبينا عليه الصلاة والسلام مثله، فقال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ [هود: ٥]، وإن سلبت أبصارهم فلأنهم أبصروا العبر فلم يعتبروا، والنطق فلأنهم أوتوه فكفروا، فهذا وجه الجمع بين الآيات على ما قاله علماؤنا والله ﷻ أعلم.

باب ما جاء في حشر الناس إلى الله ﷻ حفاة عراة غرلاً وفي أول من يكسى منهم، وفي أول ما يتكلم من الإنسان

مسلم[٤] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: يا أيها الناس إنكم[٥] تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ألا وإن أول الناس يكسى[٦] يوم القيامة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي، فيقول[٧]: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾[٨] إلى قوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧ ـ ١١٨]، فيقال إنهم لم يزالوا مدبرين مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم. أخرجه **البخاري**[٩] أيضاً.

والترمذي[١٠] عن معاوية بن حيدة عن النبي ﷺ في حديث ذكره قال:

---

(١) يشير إلى قوله: ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝﴾.

(٢) في (ظ): الله تعالى.

(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٤) في صحيحه ٤/ ٢١٩٤، ح٢٨٦٠.

(٥) (إنكم): ليست في (ع).

(٦) في (مسلم): وإن أول الخلائق يكسى، وفي (ظ): من يكسى.

(٧) في (ع، مسلم): فيقال.

(٨) في (ع): زيادة ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾.

(٩) في صحيحه ٣/ ١٢٢٢، ح٣١٧١.

(١٠) لم أجده في الترمذي بهذا اللفظ، ويوجد فيه مختصراً ٥/ ٢٢٦، ح٣٠٠١، وقد حسنه الألباني، انظر: صحيح جامع الترمذي له ٣/ ٣٢، ح٢٣٩٩.

وأشار بيده إلى الشام فقال: «هاهنا إلى هاهنا تحشرون ركباناً ومشاة وتجرون على وجوهكم يوم القيامة على أفواهكم الفدام، توفون سبعين أمة، أنتم خيرهم وأكرمهم على الله، وأن أول ما يعرب عن أحدكم فخذه».

وفي رواية أخرى ذكرها **ابن أبي شيبة**[1]: «وأول ما يتكلم من[2] الإنسان فخذه وكفه».

فصل

قوله: غرلاً، أي غير مختونين[3]، النقي: الحواري، وهو الدرمك من الدقيق، والعفر: بياض ليس بخالص يضرب إلى الحمرة قليلاً[4]، والفدام: مصفاة الكوز والإبريق، قاله الليث[5].

قال أبو عبيدة[6]: يعني أنهم منعوا الكلام حتى تتكلم أفخاذهم، فشبه ذلك بالفدم الذي يجعل على الإبريق، وقوله: «أول من يكسى إبراهيم» فضيلة عظيمة لإبراهيم، وخصوص له كما خص موسى ﷺ بأن النبي ﷺ يجده متعلقاً[7] بساق العرش مع أن النبي ﷺ أول من تنشق عنه الأرض، ولا يلزم من هذا أن يكونا أفضل منه مطلقاً، بل هو أفضل من وافى القيامة على ما

---

(١) في مصنفه ٧/ ٢٧٥، ح٣٦٠٧. (٢) (من): ليست في (ظ).

(٣) من هذا الموضع إلى قوله: يضرب إلى الحمرة، ليس في (ع، ظ) وهو في الأصل ومسودة المؤلف.

(٤) من هذا الموضع إلى قوله: الذي يجعل على الإبريق، تكرر في الأصل في موضعين هذا أحدهما، وهو موافق في هذا الموضع لمسودة المؤلف، والموضع الآخر في الفصل الذي يلي هذا الفصل وهو موافق في هذا الموضع لـ(ع، ظ) فأثبت الموضعين في الأصل؛ لأن في الموضع الأول زيادة لا توجد في الموضع الثاني، وفي الموضع الثاني زيادة لا توجد في الموضع الأول.

(٥) ذكر المصنف هذا النص أيضاً في تفسيره ١٥/ ٣٤ فقرة ٤٨ ولم يبين من هو الليث، وكذلك لم يذكر في كتب غريب الحديث المشهورة.

(٦) ذكره ابن سلام في غريب الحديث له ١/ ٤٩.

(٧) في (ع، ظ): معلقاً، والأصل يتوافق مع مسودة المؤلف.

(٨) ص(٦٠٢).

يأتي[1] بيانه في أحاديث[2] الشفاعة والمقام المحمود إن شاء الله[3].

قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر في كتاب المفهم له[4]: ويجوز أن يراد بالناس [٨٢/ب] من عداه من الناس فلم يدخل تحت خطاب نفسه، والله أعلم.

قلت: هذا حسن لولا ما جاء منصوصاً خلافه، فقد روى **ابن المبارك** في رقائقه[5]: أخبرنا سفيان عن عمرو بن قيس عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث عن علي ﷺ قال: «أول من يكسى خليل الله إبراهيم قبطيتين، ثم يكسى محمد ﷺ حلة حبرة عن يمين العرش»، ذكره[6] **البيهقي**[7] أيضاً.

وروى عباد بن كثير عن الزبير عن جابر قال: «إن المؤذنين والملبين يخرجون يوم القيامة من قبورهم، يؤذن المؤذن ويلبي الملبي، وأول من يكسى من حلل الجنة إبراهيم خليل الله، ثم محمد ﷺ، ثم النبيون والرسل[8] ﷺ، ثم يكسى المؤذنون، وتتلقاهم الملائكة على نجائب من نور أحمر، أزمتها من زمرد أخضر رحالها من الذهب، ويشيعهم من قبورهم سبعون ألف ملك إلى المحشر»، ذكره الحليمي في كتاب المنهاج له[9].

وذكر **أبو نعيم**[10] الحافظ من حديث الأسود وعلقمة وأبي وائل[11] عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «جاء ابنا مليكة إلى النبي ﷺ الحديث، وفيه فيكون أول من يكسى إبراهيم ﷺ فيقول: اكسوا خليلي فيؤتى بريطتين

---

(١) في (الأصل): حديث، وما أثبته من (ع، ظ، م).
(٢) في (ع): الله تعالى.
(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٧/ ١٥٣.
(٤) الزهد والرقائق لابن المبارك (في الزوائد) ص(١٠٥ ـ ١٠٦)، ح٣٦٤.
(٥) في (ع): خرجه.
(٦) في شعب الإيمان له ١/ ٣٢٠.
(٧) في (ظ): المرسلون.
(٨) في (ع): في كتاب المنهاج في الدين له، وفي (ظ): في كتاب منهاج الدين. وهو في ١/ ٤٤٦ منه.
(٩) في الحلية ٤/ ٢٣٨.
(١٠) (وأبي وائل): ليست في (ع، والحلبة).

بيضاوين فيلبسهما ثم يقعد مستقبل العرش، ثم أوتى بكسوتي فألبسها، فأقوم عن يمينه مقاماً[١] لا يقومه أحد غيري، يغبطني فيه الأولون والآخرون»، وذكر الحديث.

وخرّج[٢] البيهقي بإسناده في كتاب الأسماء والصفات[٣] عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم تحشرون[٤] حفاة عراة، وأول من يكسى من الجنة إبراهيم ﷺ، يكسى حلة من الجنة، ويؤتى بكرسي فيطرح[٥] عن يمين العرش، ويؤتى بي فأكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر وأوتى[٦] بكرسي فيطرح لي على ساق العرش»، وهذا نص في أن إبراهيم أول من يكسى، ثم نبينا بإخباره ﷺ، فطوبى ثم طوبى لمن كسي في ذلك الوقت من ثياب الجنة، فإنه من لبسه فقد لبس جبة تقيه مكاره الحشر وعرقه وحر الشمس[٧] وغير ذلك من أهواله.

فصل

وتكلم العلماء في حكمة تقديم إبراهيم ﷺ بالكسوة، فروي أنه لم يكن في الأولين والآخرين لله ﷻ عبد أخوف من إبراهيم ﷺ، فتجعل[٨] له كسوته أماناً[٩] له؛ ليطمئن قلبه.

ويحتمل أن يكون ذلك لما جاء به الحديث من أنه أول من أمر بلبس السراويل إذا صلى مبالغة في التستر، وحفظاً لفرجه من أن يماس مصلاه، ففعل ما أمر به، فيجزى بذلك أن يكون أول من يستر يوم القيامة.

---

(١) في (الأصل): قياماً، وما أثبته من (ع، ظ، الحلية).
(٢) في (م): وذكره.
(٣) في الأسماء والصفات له ٢/٢٧٦، ح٨٣٩.
(٤) في (الأسماء والصفات): محشورون. (٥) (فيطرح): ليست في (ع).
(٦) في (ع، ظ): ثم أوتى.
(٧) في (الأصل): وحر الشمس والنار، وما أثبته من (ع، ظ، م).
(٨) في (ع، ظ): فتعجل.
(٩) في (الأصل): إيماناً، والتصويب من (ع، ظ).

ويحتمل أن يكون الذين ألقوه في النار جردوه ونزعوا عنه ثيابه على أعين[(١)] الناس كما يفعل بمن يراد قتله، فكان ما أصابه من ذلك في ذات الله ﷻ، فلما صبر واحتسب، وتوكل على الله تعالى دفع عنه شر النار في الدنيا والآخرة، وجزاه بذلك العُري أن جعله أول من يدفع عنه العُري يوم القيامة على رؤوس الأشهاد [٨٣/أ] وهذا اجتهاد، والله أعلم[(٢)].

وإذا بدئ بالكسوة[(٣)] بإبراهيم، وثني بمحمد ﷺ أوتي محمد بحلة لا يقوم لها البشر لينجبر التأخير بنفاسة الكسوة فيكون كأنه كسي مع إبراهيم عليه السلام، قاله الحليمي[(٤)].

وقوله: «تجرون على أفواهكم الفدام»، الفدام: مصفاة الكوز والإبريق قاله الليث، قال أبو عبيدة: يعني أنهم منعوا الكلام حتى تتكلم أفخاذهم، فشبه ذلك بالفدام الذي يجعل على الإبريق[(٥)]، وقال سفيان: وفدامهم الذي يؤخذ على ألسنتهم[(٦)]، وهذا مثل.

باب منه وبيان قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾

مسلم[(٧)] عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً، قلت: يا رسول الله الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض[(٨)]».

---

(١) (أعين): ليست في (ظ).
(٢) في (ع، ظ): وهذا أحسنها، والله أعلم.
(٣) في (ع): في الكسوة.
(٤) في المنهاج له ٤٤٦/١، والنقل عنه يبدأ من قوله: لم يكن في الأولين.
(٥) في (ع): فم الإبريق.
(٦) تقدم توثيق قول أبي عبيدة ص(٥٣٢).
(٧) في صحيحه ٢١٩٤/٤، ح٢٨٥٩.
(٨) (قال: «يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض».): ساقط من (ظ).

الترمذي[(١)] عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: تحشرون، حفاة، عراة، غرلاً، فقالت امرأة: أيبصر بعضنا أو يرى بعضنا عورة بعض؟ فقال: يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه، قال: حديث[(٢)] حسن صحيح.

فصل

قلت:[(٣)] هذا الباب والذي قبله يدل على أن الناس يحشرون حفاة عراة غرلاً، أي[(٤)] غير مختونين كما بدأنا أول خلق نعيده.

قال العلماء[(٥)]: يحشر العبد غداً وله من الأعضاء ما كان له يوم ولد، فمن قطع منه[(٦)] عضو يرد في القيامة عليه حتى الختان.

وقد عارض هذا الباب ما روى[(٧)] **أبو داود** في سننه[(٨)] عن أبي سعيد الخدري ﷺ لما[(٩)] حضرته الوفاة دعا بثياب جدد فلبسها، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الميت يبعث في ثيابه التي يدفن فيها».

قال أبو عمر بن عبد البر[(١٠)]: وقد احتج بهذا الحديث من قال: إن الموتى جملة يبعثون[(١١)] على هيئاتهم.

وحمله الأكثر من العلماء على الشهيد الذي أمر أن يزمل في ثيابه، ويدفن فيها ولا يغسل عنه دمه، ولا يغير عنه[(١٢)] شيء من حاله بدليل حديث ابن عباس وعائشة، قالوا: ويحتمل أن يكون أبو سعيد سمع الحديث في الشهيد فتأوله على العموم، والله أعلم.

---

(١) في جامعه ٥/ ٤٣٢، ح٢٣٣٢، وحسنه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/ ١٢٦، ح٢٦٥٢.

(٢) في (ع): هذا حديث.

(٣) (قلت): ليست في (ظ).

(٤) (أي): ليست في (ظ).

(٥) لم أقف على القائل.

(٦) في (ع): له.

(٧) في (ع، ظ): رواه.

(٨) ٣/ ١٩٠، ح٣١١٤.

(٩) في (ع، ظ، السنن): أنه لما.

(١٠) في كتابه التمهيد ١٩/ ١٤.

(١١) في (الأصل): يبعثون جملة، وما أثبته من (ع، ظ، التمهيد).

(١٢) في (ظ): عليه.

قلت: ومما يدل على قول الجماعة مما يوافق حديث عائشة وابن عباس قوله تعالى[(١)]: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤] وقوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، ولأن الملابس في الدنيا أموال، ولا مال[(٢)] في الآخرة[(٣)]، زالت الأملاك بالموت وبقيت الأموال في الدنيا، وكل نفس[(٤)] يومئذ فإنما يقيها المكاره، ما وجب لها بحسن عملها[(٥)] أو رحمة مبتدأة من الله تعالى عليها، فأما الملابس فلا يحيى فيها[(٦)] ويومئذ إلا ما كان من لباس الجنة على ما تقدم[(٧)] في الباب قبل.

وذهب أبو حامد في كتاب كشف علم الآخرة [٨٣/ب] حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «بالغوا في أكفان موتاكم فإن أمتي تحشر في أكفانها، وساير الأمم عراة»، و[(٨)]رواه أبو سفيان مسنداً[(٩)].

قال **المؤلف** رحمه الله: وهذا الحديث لم أقف عليه، فالله أعلم بصحته، وإن صح فيكون معناه فإن أمتي الشهداء تحشر بأكفانها حتى لا تتناقض الأخبار والله أعلم، ولا يعارض هذا الباب ما تقدم[(١٠)] أول الكتاب من أن الموتى يتزاورون في قبورهم بأكفانهم، فأن[(١١)] ذلك يكون في البرزخ، فإذا قاموا من قبورهم خرجوا عراة ما عدا الشهداء[(١٢)]، والله أعلم.

---

(١) في (ع): تعالى. (٢) في (ع): أموال.
(٣) (ولا مال في الآخرة): ليست في (ظ).
(٤) في (ع): لأن كل نفس.
(٥) في (ع، ظ): ثواب وجب لها بحسن عملها.
(٦) في (ع، ظ): فلا غنى فيها. (٧) ص(٥٣٤).
(٨) (الواو): ليس في (ع، ظ).
(٩) كشف علوم الآخرة ص(٥٥)، وهذا الحديث مخالف للروايات الصحيحة في حشر الناس عراة، انظر: ص(٦٤٠).
(١٠) ص(٢٦٨).
(١١) في (ع): وإن.
(١٢) في (ع): الشهيد.

باب

ذكر أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت عن عبد الله بن إبراهيم بن عمر[١] الغفاري قال: حدثنا[٢] مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أحشر يوم القيامة بين أبي بكر وعمر ﷺ حتى أقف بين الحرمين[٣] فيأتي أهل المدينة ومكة»[٤]، غريب من حديث مالك تفرد به عبد الله بن إبراهيم عنه[٥]، ويقال: لم يروه عنه[٦] غير عبد العزيز بن عبد الله الهاشمي البغدادي عن الغفاري.

باب قول النبي ﷺ من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ: إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت، وفي أسماء يوم القيامة[٧]

الترمذي[٨] عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ: إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت»، قال: هذا حديث حسن.

فصل

قلت: إنما[٩] كانت هذه السور الثلاث أخص بالقيامة لما فيها من انشقاق السماء وانفطارها، وتكور[١٠] شمسها وانكدار نجومها وتناثر كواكبها إلى غير

---

(١) في (ع، ظ): ابن أبي عمر.
(٢) (حدثنا): ليست في (ظ).
(٣) في (الأصل): الجهتين، وتصويبه من (ع، ظ).
(٤) أورده الذهبي في ميزان الاعتدال ٥٧/٤ بسند الخطيب وقال بعده: فهذا غير صحيح.
(٥) (عنه): ليست في (ظ).
(٦) (عنه): ليست في (ظ).
(٧) في (ع، م): وفي أسمائها.
(٨) في جامعه ٤٣٣/٥، ح٣٣٣٣؛ والحاكم في مستدركه ٥٦٠/٢، ح٣٩٠٠، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ١٢٦/٣، ح٢٦٥٣.
(٩) في (الأصل): وإنما، وما أثبته من (ع، ظ، م).
(١٠) في (ع، ظ): وتكوير.

ذلك من أفزاعها وأهوالها وخروج الخلق من قبورهم إلى سجونهم أو قصورهم بعد نشر صحفهم[١]، وقراءة كتبهم، وأخذها بأيمانهم وشمائلهم، أو من وراء ظهورهم في موقفهم على ما يأتي[٢] بيانه.

قال الله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١﴾ [الانشقاق: ١]، وقال: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١﴾ [الانفطار: ١]، وقال: ﴿[و][٣]يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: ٢٥] فتراها واهية منفطرة متشققة لقوله[٤] تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ١٩﴾ [النبأ: ١٩]، ويكون الغمام سترة بين السماء والأرض. وقيل: إن الباء بمعنى عن أي تشقق عن سحاب أبيض، ويقال: انشقاقها لما يخلص إليها من حر جهنم، وذلك إذا بطلت المياه وبرزت النيران فأول ذلك أنها تصير حمراء صافية كالدهن، وتنشق لما يريد الله من نقض هذا العالم ورفعه. وقد قيل: إن السماء تتلون: فتصفر، ثم تحمر، أو تحمر ثم تصفر كالمُهْرة[٥] تميل في الربيع إلى الصفرة، فإذا اشتد الحرُّ مالت إلى الحمرة، ثم إلى الغبرة، قاله الحليمي[٦].

وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١﴾ [التكوير: ١] قال ابن عباس ﵄: [٨٤/أ] تكويرها: إدخالها في العرش[٧]، وقيل: ذهاب ضوئها، قاله الحسن وقتادة[٨]. وروي ذلك عن ابن عباس[٩] ﵄ ومجاهد، وقال أبو عبيدة[١٠]: كورت مثل تكوير العمامة تلف فتمحى.

---

(١) في (الأصل): صحائفهم، وما أثبته من (ع، ظ، م).
(٢) ص(٦١٣).
(٣) ما بين المعقوفتين من (المصحف، م).
(٤) في (ع، ظ): كقوله، والأصل يتوافق مع (م).
(٥) في (الأصل): المبهرة، والتصويب من (ع، ظ، مصدر المصنف). والمهرة تطلق على: الأنثى من ولد الفرس، الصحاح للجوهري ٢/ ٨٢١، وتطلق على الخرزة، لسان العرب ٥/ ١٨٥، وهذا المعنى الأخير أقرب إلى المراد.
(٦) في كتابه المنهاج ١/ ٤٥٢.
(٧) لم أقف على قول ابن عباس هذا.
(٨) ذكره الحليمي في كتابه المنهاج ١/ ٤٥٢.
(٩) رواه الماوردي في تفسيره ٦/ ٢١١.
(١٠) في مجاز القرآن له ٢/ ٢٨٧.

وقال الربيع بن خثيم[(١)]: كورت رمي بها، ومنه كورته فتكور أي سقط.

قلت: وأصل التكوير الجمع، مأخوذ من كار العمامة على رأسه يكورها أي: لانها[(٢)] وجمعها فهي تكور، ثم يمحى ضؤوها، ثم يرمى بها، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ [التكوير: ٢] أي انتثرت، قيل: تتناثر من أيدي الملائكة لأنهم يموتون، وفي الخبر أنها معلقة بين السماء والأرض بسلاسل بأيدي الملائكة[(٣)]، وقال ابن عباس: انكدرت تغيرت[(٤)]، وأصل الانكدار الانصباب[(٥)] فتسقط في البحار فتصير معها نيراناً إذا ذهبت المياه.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ [التكوير: ٣]، هو مثل قوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ[(٦)] ٱلْجِبَالَ﴾ [الكهف: ٤٧]، أي تحول عن منزلة الحجارة فتكون كثيباً مهيلاً أي رملاً سائلاً، وتكون كالعهن، وتكون هباء منبثاً، وتكون سراباً[(٧)] مثل السراب الذي ليس بشيء، وقيل: إن الجبال بعد اندكاكها إنها تصير كالعهن من حر جهنم كما تصير السماء من حرها كالمهل.

قال الحليمي[(٨)]: وهذا والله أعلم لأن مياه الأرض كانت حاجزة بين السماء والأرض، فإذا ارتفعت وزيد مع ذلك في إحماء جهنم أثرت في كل واحد من السماء والجبال ما ذكر.

قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾ [التكوير: ٤]، أي عطلها أهلها فلم تحلب من الشغل بأنفسهم، والعشار: الإبل الحوامل، واحدها: عُشراء، وهي التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع

---

(١) ذكر قوله الماوردي في تفسيره ٦/ ٢١١.
(٢) في (الأصل): ليها، والتصويب من (ع، ظ، م).
(٣) في (ع): ملائكة.
(٤) ذكره الماوردي في تفسيره ٦/ ٢١١.
(٥) في (ع): أي الانصباب.
(٦) في (الأصل): تسير، والتصويب من (المصحف، ع، ظ).
(٧) (وتكون كالعهن وتكون هباء منبثا وتكون سراباً): ساقطة من (ظ).
(٨) في المنهاج له ١/ ٤٥٢.

وبعدها تضع، وإنما خص العشار بالذكر لأنها أعز ما تكون على العرب فأخبر أنها تعطل يوم القيامة، ومعناه أنهم إذا قاموا من قبورهم وشاهد[(١)] بعضهم بعضاً ورأوا الوحوش والدواب محشورة، وفيها عشارهم[(٢)] التي كانت أنفس أموالهم لم يعبئوا بها ولم يهمهم أمرها[(٣)]، ويحتمل تعطيل العشار إبطال الله تعالى أملاك الناس عما كان ملكهم إياها في الدنيا، وأهل[(٤)] العشار يرونها ولا يجدون إليها سبيلاً[(٥)]، وقيل: العشار: السحاب، تعطل مما يكون فيه، وهو الماء فلا تمطر، وقيل: العشار الديار تعطل فلا تسكن، وقيل: الأرض التي يُعشّر زرعها تعطل فلا تزرع، والقول الأول أشهر[(٦)]، وعليه من الناس الأكثر.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝﴾ [التكوير: ٥] أي جمعت، والحشر: الجمع، وقد تقدم[(٧)]، [ويأتي[(٨)]][(٩)].

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝﴾ [التكوير: ٦] أي أوقدت فصارت ناراً، رواه الضحاك عن ابن عباس[(١٠)] رضي الله عنهما، وقال قتادة: غار ماؤها فذهب[(١١)]، وقال الحسن[(١٢)] والضحاك[(١٣)]: فاضت، قال ابن أبي زمنين: سجرت حقيقة[(١٤)] ملئت فيفضي بعضها إلى بعض فتصير شيئاً واحداً، وهو معنى قول الحسن.

---

(١) في (ظ): ورأى.
(٢) في (ع): عشايرهم.
(٣) هذا من قول الحليمي في كتابه المنهاج ١/ ٤٥٠.
(٤) في (ع، ظ): فأهل.
(٥) هذا كلام الحليمي في كتابه المنهاج ١/ ٤٥٠.
(٦) في (ع): مشهور.
(٧) ص(٥١٥).
(٨) ص(٦٥١).
(٩) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).
(١٠) ذكر الطبري قوله في تفسيره ٣٠/ ٦٨ بنحوه.
(١١) رواه الطبري في تفسيره ٣٠/ ٦٨.
(١٢) المشهور عن الحسن أنه يفسر ﴿سُجِّرَتْ﴾ بمعنى يبست وغار ماؤها، انظر: صحيح البخاري كتاب التفسير ٤/ ١٨٨٣؛ وتفسير الطبري ٣٠/ ٦٨.
(١٣) ذكر الطبري قوله في تفسيره ٣٠/ ٦٨.
(١٤) في (ع): حقيقته.

ويقال: إن الشمس تلف ثم تلقى في البحار فمنها تحمى وتنقلب ناراً[١].

قال الحليمي[٢]: ويحتمل إن كان هذا هكذا أن البحار في قول من فسر التسجير بالامتلاء هو أن النار حينئذ[٣]، تكون أكثر ما كان، لأن الشمس أعظم من الأرض مرات كثيرة، فإذا كورت وألقيت في البحر فصارت ناراً ازدادت امتلاء.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ [التكوير: ٧] تفسير [٨٤/ب] الحسن[٤]: أن تلحق كل شيعة بشيعتها[٥]، اليهود باليهود والنصارى بالنصارى والمجوس بالمجوس، وكل من كان يعبد من دون الله شيئاً، يلحق بعضهم ببعض[٦]، المنافقون بالمنافقين، والمؤمنون بالمؤمنين.

وقال عكرمة[٧]: المعنى تقرن بأجسادها أي ترد إليها، وقيل: يقرن الغاوي بمن أغواه من شيطان أو إنسان.

وقيل: يقرن المؤمنون بالحور العين، والكافرون بالشياطين[٨].

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨﴾ [التكوير: ٨] يعني بنات الجاهلية، كانوا يدفنونهن[٩] أحياء لخصلتين: إحداهما: كانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله، فألحقوا البنات به[١٠].

الثانية: مخافة الحاجة والإملاق، وسؤال الموؤدة على وجه التوبيخ لقاتلها كما يقال للطفل إذا ضرب، لم ضُربت؟ وما ذنبك؟.

قال الحسن[١١]: أراد الله[١٢] أن يوبخ قاتلها، لأنها قتلت بغير ذنب،

---

(١) ذكر هذا القول الحليمي في كتابه المنهاج ١/ ٤٥٣.
(٢) في كتابه المنهاج ١/ ٤٥١.
(٣) (حينئذ): ليست في (ظ).
(٤) رواه الطبري عن قتادة ٣٠/ ٧٠.
(٥) في (ظ): شيعتها.
(٦) في (ع): بعضاً.
(٧) ذكره الطبري في تفسيره ٣٠/ ٧٠.
(٨) ذكر الثعالبي نحوه في تفسيره ٣/ ١٦.
(٩) في (ع): يدفنون.
(١٠) أي: بذلك القول.
(١١) لم أقف على من ذكر قول الحسن، وذكر الطبري نحوه ٣٠/ ٧١.
(١٢) (لفظ الجلالة): ليس في (ظ).

وبعضهم يقرأ: «وإذا الموؤدة سألت[1]»، فتتعلق[2] الجارية بأبيها فتقول: بأي ذنب قتلتني؟

وقيل: معنى سئلت: يسأل عنها، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾﴾ [التكوير: ١٠] أي للحساب، وسيأتي[3].

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾﴾ [التكوير: ١١] قيل معناه: طويت كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَاءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكِتَابِ[4]﴾ أي كطي الصحيفة على ما فيها، فاللام بمعنى على، يقال: كشطت السقف أي قلعته، وكأن المعنى قلعت، فطويت، والله أعلم.

والكشط، والقشط سواء وهو القلع، وقيل: السجل كاتب رسول الله ﷺ، ولا يصح إذ لا يعرف في الصحابة من اسمه سجل.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾﴾، أي: أوقدت.

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾﴾، أي: قربت لأهلها[5] وأدنيت.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ أي من عملها، وهو مثل قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾ [الانفطار: ٥][6]، ومثل قوله: ﴿يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القيامة: ١٣]، فهو يوم الانشقاق، ويوم الانفطار، ويوم التكوير،

---

(١) هذه قراءة أبي الضحى مسلم بن صبيح، ذكرها الطبري في تفسيره ٣٠/٧١.
(٢) في (الأصل، ظ): فتعلق، والتصويب من (ع، م).
(٣) ص(٦١٢).
(٤) هكذا في جميع النسخ بما فيها المسودة، قال صاحب كتاب إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ص(٣١٠): واختلف في (للكتب) فحفص وحمزة والكسائي وخلف: بضم الكاف والتاء بلا ألف على الجمع ووافقهم الأعمش، والباقون بكسر الكاف وفتح التاء مع الألف على الإفراد، والرسم يحتملها، والآية في سورة الأنبياء رقم (١٠٤).
(٥) في (ع): من أهلها.
(٦) وهذه الآية لا توجد في (ع، ظ)، والأصل يتوافق مع (م).

ويوم الانكدار، ويوم الانتثار، ويوم التسيير، قال الله تعالى: ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾﴾ [الطور: ١٠][(١)] مثل: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ ويوم التعطيل، ويوم التسجير، ويوم التفجير، ويوم الكشط، والطي[(٢)]، ويوم المد لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾﴾ [الانشقاق: ٣] إلى غير ذلك من أسماء القيامة، وهي الساعة الموعود أمرها، ولعظمها أكثر الناس السؤال عنها رسول[(٣)] الله ﷺ حتى أنزل الله ﷻ على رسوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧] وكلما عظم[(٤)] شأنه تعددت صفاته، وكثرت أسماؤه، وهذا جميع كلام العرب، ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم موضعه، وتأكد نفعه لديهم وموقعه، جمعوا له خمس مائة اسم، وله نظائر، فالقيامة لما عظم أمرها وكثرت أهوالها سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة، ووصفها بأوصاف كثيرة، منها ما ذكرناه[(٥)] مما وقع في هذه السور الثلاث.

وقيل[(٦)]: إن الله تعالى يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها فتوقف [٨٥/أ] بين يدي الله، ويوم الجمعة فيها زهراء مضيئة يعرفها الخلائق، فيوم القيامة[(٧)] يوم يتضمن الأيام كلها فسمي بكل حال يوماً، فقيل: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ [الأنعام: ٧٣]، ثم قيل: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾﴾ [القارعة: ٤]، ثم قيل: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: ٤٠]، فهذه[(٨)] حالة أخرى، ثم قيل: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ [الحاقة: ١٨]، ثم قيل: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ [الزلزلة: ٦] فهذه أحوال. وقد يجري يوم القيامة بطوله على هذه الأحوال كل

---

(١) وفي (الأصل) و(ع): ويوم تسير، وتصويبه من (المصحف م، ظ).

(٢) في (الأصل): ويوم الكشط، وإذا الجبال سيرت ويوم المد، والذي يظهر أن في هذه العبارة تصرف من الناسخ بالإدراج والحذف، وتصويبه من (ع، ظ، م).

(٣) في (الأصل): لرسول، وما أثبته من (ع، ظ، م).

(٤) في (ع): عظمت.

(٥) في (ع): ما ذكرنا.

(٦) في (ع، ظ): ويقال.

(٧) في (ع، ظ): فهو يوم القيامة.

(٨) في (ع): فهو.

حال منها كاليوم المتجدد، ولذلك كررت[١] في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨﴾ لأن ذلك اليوم ومن بعده يوم، واليوم[٢] العظيم متضمن لهذه الأيام، فهو لله يوم وللخلائق أيام، قد عرفت أيامهم في يومه وقد بطل الليل والنهار، قاله الترمذي الحكيم[٣].

ومما قيل في معنى ما ذكرناه[٤] من النظم قول بعضهم:

مثّل لنفسك أيها المغرور ... يوم القيامة والسماء تمور
إذ[٥] كورت شمس النهار وأدنيت ... حتى على رؤوس العباد تسير
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت ... وتبدلت بعد الضياء كدور
وإذا البحار تفجرت من خوفها ... ورأيتها مثل الحميم تفور
وإذا الجبال تعلقت بأصولها ... فرأيتها مثل السحاب تسير
وإذا العشار تعطلت وتخربت ... خلت الديار فما بها معمور
وإذا الوحوش لدى القيامة أحشرت ... وتقول للأملاك أين تسير
وإذا تقاة المسلمين تزوجت[٦] ... من حور عين زانهن شعور
وإذا الموؤدة سئلت عن شأنها ... وبأي ذنب قتلها ميسور
وإذا الجليل طوى السماء بيمينه ... طي السجل كتابه المنشور
وإذا الصحائف عند ذاك تساقطت ... تبدي لنا يوم القصاص أمور
وإذا السماء تكشطت عن أهلها ... ورأيت أفلاك السماء تدور[٧]
وإذا الجحيم تسعرت نيرانها فلها ... على أهل الذنوب زفير
وإذا الجنان تزخرفت وتطيبت ... لفتى على طول البلاء صبور

---

(١) في (ع، ظ): كرر.
(٢) في (ع): فاليوم.
(٣) لم أجد قوله في نوادر الأصول له.
(٤) في (ع، ظ): ما ذكرنا.
(٥) في (ع): إذا.
(٦) في (ع، ظ): تزوجوا.
(٧) في (ع): في الهامش زيادة بعض الأبيات وهي في (ظ) أيضاً:

وإذا الصحائف نشرت فتطايرت ... وتهتكت للمؤمنين ستور
وإذا الجحيم تسعرت وتلهبت ... فيها مقامع ذلة وزفير

وإذا الجنين بأمه متعلق[(١)] يخشى القضاء[(٢)] وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف جناية كيف المصر على الذنوب دهور

ومنها: الساعة، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥]، وقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الروم: ١٢][(٣)]، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾، وقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ [٨٥/ب] ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦][(٤)]، وهذا[(٥)] في القرآن كثير. والساعة كلمة يعبر بها في العربية عن جزء من الزمان غير محدود، وفي العرف: على جزء من أربعة وعشرين جزءاً من يوم وليلة، اللذَيْن هما أصل الأزمنة، وتقول العرب: أفعل كذا الساعة، وأنا الساعة في أمر كذا، تريد الوقت الذي أنت فيه والذي يليه تقريباً له، وحقيقة الإطلاق فيها أن الساعة بالألف واللام عبارة في الحقيقة عن الوقت الذي أنت فيه وهو المسمى بالآن[(٦)]، وسميت به القيامة إما لقربها فإن كل آت قريب، وإما أن تكون سميت بها تنبيهاً على ما فيها من الكائنات العظام التي تصهر الجلود وتكسر العظام، وقيل: إنما سميت بالساعة لأنها تأتي بغتة في ساعة، وقيل: إنما سميت بالساعة لأن الله تعالى يأمر السماء أن تمطر بماء الحيوان حتى تنبت الأجسام في مدافنها ومواضعها حيث كانت من بحر أو بر، وتستقل وتتحرك بحياتها بماء الحيوان وليست فيها أرواح، ثم يدعو الأرواح فأرواح المؤمنين تتوقد نوراً، وأرواح الكافرين تتوهج ظلمة، فإذا دعا الأرواح ألقاها في الصور ثم يأمر إسرافيل أن ينفخ في الصور فإذا نفخ فيه خرجت من الصور ثم أمرت أن تلحق الأجساد فتبعث[(٧)] إلى الأجساد في أسرع من اللمحة، وإنما سميت الساعة لسعي الأرواح إلى الأجساد في تلك السرعة[(٨)] فهي سايع وجمعها

(١) في (الأصل): معلق هو بأمه، وما أثبته من (ع، ظ).
(٢) في (ع، ظ): القصاص.
(٣) وهذه الآية ليست في (ظ).
(٤) وهذه الآية ليست في (ظ).
(٥) في (ع، ظ): وهو.
(٦) في (الأصل): الآن، وتصويبه من (ع، ظ، م).
(٧) في (ع): فتنبعث.
(٨) في (ع): الساعة.

ساعة، كقولك: بايع وباعة، وصايغ وصاغة، وكائل وكالة، فتوصف أن سائر أموره في السرعة كلمح البصر[١]، قاله الترمذي أبو عبد الله[٢].

وذكر **أبو نعيم الحافظ**[٣] بإسناده عن وهب بن منبه قال: إذا قامت الساعة صرخت الحجارة صراخ النساء وقطرت العضاه[٤] دماً.

ومنها: القيامة، قال الله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝١﴾ [القيامة: ١]، وهي في العربية مصدر قام يقوم، ودخلها التأنيث للمبالغة على عادة العرب، واختلف في تسميتها بذلك على[٥] أربعة أقوال: الأول: لوجود هذه الأمور فيها.

الثاني: لقيام الخلق كلهم من قبورهم إليها، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣].

الثالث: قيام الناس لرب العالمين، كما روى **مسلم**[٦] عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ: «﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ٦]، قال: يوم[٧] يقوم أحدهم في رشحه إلى نصف أذنيه».

قال ابن عمر ﷺ: يقومون مائة سنة[٨]. ويروى عن كعب: يقومون ثلاث مائة سنة[٩].

الرابع: لقيام الروح والملائكة صفاً، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨].

---

(١) في (ع، ظ): كلمح البصر وأمر الساعة أقرب من لمح البصر.
(٢) في (ظ): الترمذي الحكيم، ولم أجده في نوادر الأصول للترمذي الحكيم.
(٣) في الحلية ٤/ ٦٣.
(٤) في (الأصل، ع): العصاة، وتصويبه من (ظ، الحلية)، والعضاه: ما عَظُمَ من شجر الشوك. الصحاح ٣/ ١٠٩٢.
(٥) (على): ليست في (ظ).
(٦) في صحيحه ٤/ ٢١٩٥، ح٢٨٦٢.
(٧) (يوم): ليست في (ع، ظ).
(٨) ذكره ابن العربي في أحكام القرآن له ٤/ ١٩٠٩.
(٩) رواه الطبري في تفسيره ٣٠/ ٩٣.

قال علماؤنا[١]: واعلم أن كل ميت مات فقد قامت قيامته، ولكنها قيامة صغرى وكبرى، فالصغرى هي ما يقوم على كل إنسان في خاصته من خروج روحه وفراق أهله[٢] وانقطاع سعيه وحصوله على عمله، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشرّاً، والقيامة الكبرى هي التي تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة. والدليل على أن كل ميت يموت فقد قامت قيامته قول النبي ﷺ [٨٦/أ] لقوم من الأعراب وقد سألوه متى القيامة، فنظر إلى أحدث إنسان منهم فقال: «إن يعش هذا لم يدركه الهرم قامت[٣] عليكم ساعتكم». خرّجه مسلم[٤] وغيره[٥]، وقال الشاعر[٦]:

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي ... غداة أقلّ الحاملون جنازتي
وعجّل أهلي حفر قبري وصيّروا ... خروجي وتعجيلي إليه كرامتي
كأنهم لم يعرفوا قط سيرتي ... غداة أتى يومي علي وساعتي

ومنها: يوم النفخ[٧]، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الأنعام: ٧٣] وقد مضى القول فيه.

ومنها: يوم الزلزلة ويوم الراجفة، قال الله تعالى[٨]: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝﴾ [النازعات: ٦ ـ ٧] وقد تقدم[٩].

ومنها: يوم الناقور، لقوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝﴾ [المدثر: ٨]، وقد تقدم[١٠] القول فيه والحمد لله.

---

(١) القائل هو أبو محمد عبد الحق في كتاب العاقبة له ص(٢٥٤).
(٢) (وفراق أهله): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع العاقبة.
(٣) في (الأصل): وقامت، والتصويب من (ع، وصحيح مسلم)، وفي (ظ): حتى قامت.
(٤) في صحيحه ٤/٢٢٦٩، ح٢٩٥٢.
(٥) وأخرجه البخاري في صحيحه ٥/٢٣٨٧، ح٦١٤٦؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/٥٠٢، ح٣٧٥٥٩.
(٦) لم أقف على من ذكره.
(٧) في (ظ): يوم النفخة.
(٨) (ويوم الراجفة، قال الله تعالى): ساقطة من (ظ).
(٩) ص(٥١٤).
(١٠) ص(٤٧٨).

ومنها: القارعة، سميت بذلك لأنها تقرع القلوب بأهوالها، يقال: قد أصابتهم قوارع الدهر، أي أهواله وشدائده، قالت الخنساء[١]:

تعرقني الدهر نهشاً وحزاً[٢] ... وأوجعني الدهر قرعاً وغمزاً

أرادت أن الدهر أوجعها بكبريات[٣] نوائبه وصغرياتها[٤].

ومنها: يوم البعث، وحقيقته[٥]: إثارة الشيء عن خفاء، وتحريكه عن سكون، قال عنترة[٦]:

وعصابة شم الأنوف بعثتهم ... ليلاً وقد مال الكرا بطلاها

وقال امرؤ القيس[٧]:

وفتيان صدق قد بعثت بسحرة ... فقاموا جميعاً بين عاث[٨] ونشوان

وقد تقدم[٩] القول فيه وفي صفته والحمد لله.

ومنها: يوم النشور وهي عبارة عن الإحياء، يقال: أنشر الله الموتى فنشروا[١٠] أي أحياهم[١١] الله فحيوا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِرُهَا[١٢]﴾

---

(١) ديوان الخنساء ص(٨١).
(٢) في (الأصل): خزا، والتصويب من (ع، ظ، ديوان الخنساء).
(٣) في (الأصل): بكبرات، وتصويبه من (ع، ظ).
(٤) في (ع): صغراها. (٥) في (ظ): وحقيقة البعث.
(٦) في (ظ): وقال الشاعر، انظر: ديوان عنترة ص(١٥٢).
(٧) ديوان امرئ القيس، ص(١٧٤).
(٨) في (الأصل): غاث، والتصويب من (ع، ظ، ديوان امرئ القيس).
(٩) ص(٤٩٢).
(١٠) في (ع): فانشروا.
(١١) في (ع): فأحياهم.
(١٢) هكذا في جميع النسخ بما فيها المسودة، قال صاحب كتاب إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ص(١٦٢): قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف بالزاي من النشز وهو الارتفاع أي يرتفع بعضها على بعض للتركيب ووافقهم الأعمش، وقرأ الباقون بالراء المهملة من أنشر الله الموتى: أحياهم، ومنه ﴿إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [سورة عبس: ٢٢]، سورة البقرة من الآية (٢٥٩).

أي نحييها، وقد يكون معناه التفريق، من ذلك قولك: أمرهم نشر.

ومنها: يوم الخروج، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣]، فأوله الخروج من القبور وآخره خروج المؤمنين من النار، ثم لا خروج ولا دخول على ما يأتي[(١)].

ومنها: يوم الحشر، وهو عبارة عن الجمع وقد يكون مع الفعل إكراه، قال الله تعالى: ﴿وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١١]، أي من يسوق السحرة كرهاً، وقد مضى القول في الحشر مستوفى والحمد لله[(٢)].

ومنها: يوم العرض، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة: ١٨]، وقال: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: ٤٨] وحقيقته: إدراك الشيء بإحدى الحواس ليعلم حاله، وغايته السمع والبصر، ولا يزال الخلق قياماً في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما شاء الله أن يقوموا حتى يلهموا أو يهتموا فيقولون قد كنا نستشفع [٨٦/ب] في الدنيا فهلّم فلنسأل الشفاعة إلى ربنا فيقولون: ائتوا آدم الحديث، وسيأتي[(٣)].

قال ابن العربي[(٤)]: وفي كيفية العرض أحاديث كثيرة، المعول منها على تسعة أحاديث في تسعة أوقات.

الأول: الحديث المشهور الصحيح[(٥)] رواه أبو هريرة وأبو سعيد الخدري ﷺ واللفظ له قال: إن ناساً في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في [رؤية][(٦)] القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: ما تضارُّون

---

(١) ص(٩٢٤).
(٢) (والحمد لله): ليست في (ع)، وانظر: ص(٥١٥).
(٣) ص(٥٩٨).
(٤) قاله في سراج المريدين ل٣٣/أ سطر ٨ من أسفل إلى ل٣٤/أ سطر ٢ من أعلى.
(٥) رواه مسلم في صحيحه ١/ ١٦٧، ح١٨٣.
(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م، مسلم، سراج المريدين).

في رؤية الله يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا[1] من كان يعبد الله من بر وفاجر، وغير أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فما ذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون، فيحشرون إلى النار، كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار.

ثم تدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا، قال: فيشار إليهم ألا تردون، فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: فماذا تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما[2] كانت تعبد، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً، حتى أن بعضهم[3] ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء أو رياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في الصورة التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم، سلم، وذكر الحديث، وسيأتي تمامه إن شاء الله تعالى.

---

(١) في (ع): حتى لا يبقى إلا.

(٢) (ما): ساقطة من (ظ).

(٣) في (ع): أحدهم، وفي (ظ): أحدكم، والأصل يتوافق مع (م) وصحيح مسلم.

الثاني: صح من طريق[(١)] عائشة ﷺ أنها[(٢)] قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نوقش الحساب عذب، قلت: يا رسول الله، أليس الله يقول: فسوف يحاسب حساباً يسيراً؟ قال: ليس ذلك[(٣)] الحساب، ذلك العرض»[(٤)]، وسيأتي[(٥)].

الثالث: روى الحسن عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات»[(٦)]، ويأتي[(٧)] [٨٧/أ].

الرابع: روي عن أنس ﷺ قال: عن النبي ﷺ: «يجاء بابن آدم يوم القيامة كأنه بذج[(٨)]»[(٩)] الحديث[(١٠)]، وسيأتي[(١١)].

الخامس: ثبت عن أبي هريرة ﷺ، وأبي سعيد ﷺ واللفظ له: «يؤتى بعبد يوم القيامة فيقال له: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً؟ وتركتك ترأس وتربع[(١٢)]، فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟ فيقول: لا، فيقول[(١٣)] له: اليوم أنساك كما نسيتني»، وهذا حديث صحيح.

---

(١) في (الأصل): من حديث، وما أثبته من (ع، ظ، م).

(٢) (أنها): ليست في (ع، ظ). (٣) (ذلك): ساقطة من (ظ).

(٤) رواه البخاري في صحيحه ٥/ ٢٣٩٤، ح٦١٧١.

(٥) ص(٦١٣).

(٦) في (ع، ظ): الحديث. وقد رواه الترمذي ٤/ ٦١٧، ح٢٤٢٥؛ وابن ماجه ٢/ ١٤٣٠، ح٤٢٧٧ كلاهما من طريق أبي موسى الأشعري ﷺ والحديث ضعيف، انظر: ص(٦١٣).

(٧) ص(٦١٣).

(٨) في (الأصل): رخ، وفي (ع): برح، وفي (ظ): بذخ، وما أثبته من جامع الترمذي. «كأنه بَذَجٌ» من الذّل، البَذَج: ولد الضأن وجمعه بِذْجان. النهاية في غريب الحديث ١/ ١١٠.

(٩) رواه الترمذي في جامعه ٤/ ٦١٨، ح٢٤٢٧.

(١٠) (الحديث): ليست في (ظ). (١١) ص(٦٣٦).

(١٢) في (الأصل، ع): ترفع، وتصويبه من (م، الترمذي)، و(ظ) غير معجمة، قال صاحب النهاية في غريب الأثر ٢/ ١٨٦: في حديث القيامة «ألم أذرك تربع وترأس»، أي تأخذ ربع الغنيمة، يقال: ربعت القوم أربعهم إذا أخذت ربع أموالهم، مثل عشرتهم، يريد: ألم أجعلك رئيساً مطاعاً؛ لأن الملك كان يأخذ الربع من الغنيمة في الجاهلية دون أصحابه ويسمى ذلك الربع المرباع.

(١٣) في (ظ): فيقال.

قلت: خرَّجه الترمذي[١] ومسلم[٢] مطولاً.

السادس: ثبت من طرق صحاح أن النبي ﷺ قال: «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيضع عليه كنفه فيقول له: عبدي تذكر يوم كذا وكذا [حين فعلت كذا، وكذا][٣]، فلا يزال يقرره حتى يرى أنه قد هلك، ثم يقول له: عبدي[٤] أنا سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم»[٥].

السابع: وفي الصحيح عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجاً من النار رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال: أعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها»[٦]، وذكر الحديث.

الثامن: وفي الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يخرج من النار أربعة فيعرضون على الله فيلتفت أحدهم فيقول: أي رب إذا أخرجتني منها فلا تعدني فيها فينجيه الله منها»[٧].

وروى **مسلم**[٨]: «يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول لهم[٩]: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم؟ لست بصاحب ذلك». وذكر حديث الشفاعة، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾، وذلك قوله في الحديث المتقدم[١٠]: «ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها[١١] بعضاً».

---

(١) في جامعه ٤/٦١٩، ح٢٤٢٨، واللفظ للترمذي، وصححه الألباني ٢/٢٩٢، ح١٩٧٨.
(٢) في صحيحه ٤/٢٢٧٩، ح٢٩٦٨. (٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٤) (له: عبدي): ليست في (ظ).
(٥) أخرج نحوه البخاري ٤/١٧٢٥، ح٤٤٠٨؛ ومسلم ٤/٢١٢٠، ح٢٧٦٨ في صحيحيهما.
(٦) أخرجه مسلم في الصحيح ١/١٧٧، ح١٩٠.
(٧) أخرجه مسلم في الصحيح ١/١٨٠، ح١٩٢.
(٨) أخرجه مسلم في صحيحه ١/١٨٦ ـ ١٨٧، ح١٩٥.
(٩) (لهم): ليست في (ظ). (١٠) ص(٥٥١).
(١١) في (الأصل): بعضهم، والتصويب من (ع، ظ، صحيح مسلم).

قال القاضي أبو بكر ابن العربي: وهذا مما أغفله الأئمة في التفسير[١].

التاسع: العرض على الله ولا أعلمه في الحديث إلا قوله في النص المتقدم: «حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين»، وذكر الحديث.

قلت: إذا تتبعت الأحاديث في هذا الباب على هذا السياق كان الحسن والصحيح منها أكثر من تسعة.

وقد خرج **مسلم**[٢] عن أبي برزة الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع» الحديث، وسيأتي[٣].

وقوله في الحديث الآخر: «إذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عباده فيوقفه بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن عمله»[٤].

وخرّج **مسلم**[٥] عن عدي بن حاتم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان» الحديث، وسيأتي[٦].

وخرّج **البخاري**[٧] عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك [٨٧/ب] يا رب» الحديث، وسيأتي[٨].

ويتضمن من غير رواية البخاري عرض اللوح المحفوظ ثم إسرافيل ثم جبرائيل ثم الأنبياء نبياً نبياً صلوات الله عليهم أجمعين، وسيأتي[٩].

---

(١) قاله في سراج المريدين ل٣٤/أ السطر الثاني من أعلى.
(٢) لم أجده في صحيح مسلم، وهذا لفظ ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ١٢٥، ح٣٤٦٩٤، والطبراني في المعجم الكبير ١١/ ١٠٢، ح١١١٧٧؛ وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه حسين بن الحسن الأشقر وهو ضعيف جداً، مجمع الزوائد ١٠/ ٣٤٦.
(٣) انظر: ص(٦٣٢).
(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط ١/ ٢٧٨، ح٤٥١.
(٥) في صحيحه ٢/ ٧٠٣، ح١٠١٦.
(٦) ص(٦٣٥).
(٧) في صحيحه ٤/ ١٦٣٢، ح٤٢١٧.
(٨) ص(٦٨٣).
(٩) ص(٦٨٣).

وخرّج الترمذي[١] وابن ماجه حديث الرجل الذي ينشر عليه تسعة وتسعون[٢] سجلاً وسيأتي[٣].

وهذا كله من باب العرض على الله. وإذا تتبعت الأحاديث كانت[٤] أكثر من هذا في مواطن مختلفة وأشخاص متباينة والله أعلم. وفي بعض الخبر أنه يتمنى رجال أن يبعث بهم إلى النار ولا تعرض قبائحهم على الله تعالى ولا تكشف مساوئهم على رؤوس الخلائق.

قلت: وأما ما وقع ذكره[٥] في الحديث من[٦] كشف الساق وذكر الصورة فيأتي إيضاحه وكشفه[٧] في حديث أبي هريرة من هذا الكتاب[٨].

وأما ما جاء من طول هذا اليوم ووقوف الخلائق فيه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فقد جاء من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فقلت: ما أطول هذا، فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه أخف[٩] من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا»، ذكره القاسم[١٠] بن أصبغ[١١]، وقيل غير هذا وسيأتي[١٢].

---

(١) في جامعه ٥/ ٢٤، ح٢٦٣٩؛ وابن ماجه في سننه ٢/ ١٤٣٧، ح٤٣٠٠، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٢٨، ح٣٤٦٩.

(٢) في (ظ): وتسعين. (٣) ص(٧٢٨).

(٤) في (الأصل): كان، تصويبه من (ع، ظ).

(٥) في (الأصل): من ذكره، والتصويب من (ع، ظ).

(٦) (الحديث من): ساقطة من (ظ).

(٧) في (ع، ظ): إيضاح ذلك وكشفه، والأصل يتوافق مع (م)، وانظر: ص(٧٤٤) وما بعدها.

(٨) في (ع، ظ): إن شاء الله تعالى، وجملة (في حديث أبي هريرة من هذا الكتاب): ليست في (ظ).

(٩) في (ظ): أخف عليه. (١٠) في (ع، ظ): قاسم.

(١١) وأخرجه ابن حبان في صحيحه ١٦/ ٣٢٩، ح٧٣٣٤؛ وأحمد في مسنده ٣/ ٧٥، ح١١٧٣٥؛ وأبو يعلى في مسنده ٢/ ٥٢٧، ح١٣٩٠؛ قال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى وإسناده حسن على ضعف راويه، مجمع الزوائد ١٠/ ٣٣٧.

(١٢) ص(٦٩٩).

ومنها: يوم الجمع وحقيقته في العربية ضم واحد إلى واحد فيكون شفعاً أو زوجاً إلى زوج فيكون جمعاً، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ [التغابن: ٩]، وقال: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء: ٨٧]، وهو في القرآن كثير.

ومنها: يوم الفرق، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم: ١٤ ـ ١٦] وهو معنى قوله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

ومنها: يوم الصدع، والصدر أيضاً، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ [الزلزلة: ٦]، وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]، ومعناهما معنى الاسم الذي قبله.

ومنها: يوم البعثرة[١]، ومعناه تتبع الشيء المختلط مع غيره حتى يخلص منه، فيخلص الله تعالى الأجساد من التراب، والكافرين من المؤمنين والمنافقين، ثم يخلص المؤمنين من المنافقين كما في الحديث الصحيح: «إن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد»، خرّجه مسلم[٢] من حديث أبي هريرة وسيأتي[٣]، ومنها ما روي: «أنه يخرج عنق من النار فيلتقط الكفار لقط الطائر حب السمسم»[٤]، وهو صحيح أيضاً وسيأتي[٥].

وقال ﷺ: «يؤخذ برجال ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[٦].

ومنها: يوم الفزع، وحقيقته فزع ضعف النفس عن حمل المعاني الطارئة عليها خلاف العادة فإن استمر كان جنباً وعند ذلك تتشوق النفس إلى ما

---

(١) في (الأصل): الفترة، تصويبه من (ع، ظ، م).
(٢) في صحيحه ١/ ١٨٤، ح١٩٤. (٣) ص(٨٦٥).
(٤) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ٢/ ١٠٠٢، ح١١٢٢.
(٥) ص(٥٩٧).
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ١٦٩١، ح٤٣٤٩.

يقويها، فلأجل ذلك قالوا: فزعت[١] من كذا، أي ضعفت عن حمله [٨٨/أ] عند طريانه عليّ، وفزعت إلى كذا أي تشوقت نفسي عند ذلك إلى ما يقويها على إزالة[٢] ما نزل بها، والآخرة كلها خلاف العادة فهي فزع كلها. وفي التنزيل: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] وقد اختلف فيه[٣]، فقيل: هو قوله: ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان:٢٢]، وقيل: إذا طبقت النار على أهلها وذبح الموت بين الجنة والنار. وقال الحسن[٤]: هو وقت يؤمر بالعباد إلى النار، وعنه أن الفزع الأكبر: النفخة الآخرة، وتتلقاهم الملائكة بالبشارة[٥] حين[٦] يخرجون من قبورهم.

ومنها: يوم التناد، بتخفيف الدال من النداء وتشديدها من الندّ[٧] إذا ذهب، وهو قوله: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ [غافر: ٣٣] وهو الذهاب في غير قصد، ورُوي أيضاً عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات والأرض[٨] وهي التي يقول الله: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ۝١٥﴾ [ص: ١٥] فيسيِّر الله الجبال، وتُرج الأرض بأهلها رجّاً، وهي التي يقول الله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝٩﴾ [النازعات: ٦ ـ ٩]، فيميد الناس على ظهرها، فتذهل المراضع، وتضع الحوامل، وتشيب الولدان، ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضاً، وهو الذي يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ التَّنَادِ ۝٣٢ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ [غافر: ٣٢ ـ ٣٣].

---

(١) في (الأصل، ظ): فزعنا، تصويبه من (ع، م)؛ ولأن الضمير ما بعده يدل عليه.

(٢) (إزالة): ليست في (ع، ظ)، والأصل يتوافق مع (م).

(٣) في (ع): فيها.

(٤) لم أقف على من ذكر قوله.

(٥) (بالبشارة): ليست في (ظ).

(٦) في (الأصل، ع): حتى، تصويبه من (ظ، م).

(٧) في (ظ، م): ندّ، وفي (ع): ندا.

(٨) من هذا الموضع إلى قوله: وتشيب الولدان، ليس في (ع، ظ)، والأصل يتوافق مع (م).

قال ابن العربي[(١)]: «وقد رويت[(٢)] في ذلك آثار كثيرة هذا أمثلها، فدعوها، فالمعنى الواحد يكفينا منها ومن هولها، ومن تحقيق المعنى لها».

قلت: قد بينا أقوال العلماء في ذلك عند ذكر حديث أبي هريرة في باب أين يكون الناس، فتأمله[(٣)] هناك.

ومنها: يوم الدعاء، وهو النداء أيضاً، والنداء على ثمانية وجوه في ما ذكر ابن العربي:

الأول: نداء أهل الجنة أهل النار بالتقريع.

الثاني: نداء أهل النار لأهل[(٤)] الجنة بالاستغاثة، كما أخبر الله عنهم.

الثالث: يوم ندعو كل أناس بإمامهم وهو قوله: «لتتبع كل أمة ما كانت تعبد»[(٥)].

قال المؤلف رحمه الله: ويقال بكتابهم، وقيل: بنبيهم.

قال سري السقطي[(٦)]: تدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائها[(٧)] فيقال: يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد، غير المحبين لله فإنهم ينادون يا أولياء الله هلموا إلى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تنخلع فرحاً[(٨)].

---

(١) قاله في سراج المريدين ل٣٥/ب السطر ١٥ من أسفل.
(٢) في (ع، ظ): روي، والأصل يتوافق مع (م).
(٣) في (ع): فتأمل. (٤) في (ع): أهل.
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/١٦٧٢، ح٤٣٠٥ ومسلم في صحيحه ١/١٦٧، ح١٨٣.
(٦) السري بن المُغلّس السقطي، اشتغل بالعبادة، ـ وهو من مشايخ الصوفية ـ روى عنه الجنيد والنوري، مات سنة ٢٥٣هـ، السير ١٢/ ١٨٥.
(٧) في (الأصل): بأنسابها، وتصويبه من (ع، ظ).
(٨) مثل هذا القول لا يقال من جهة الرأي: لأنه من أمور الغيب التي لا تعلم إلا بالوحي، ولم يذكر السقطي سنداً لقوله، وعموم المتصوفة لا يعتنون بدراسة الحديث دراية ورواية، بل لهم منهج يبطلون به علم دراسة الأسانيد وهو قولهم: حدثني قلبي عن ربي.
ثم إنه من المعلوم أن محبة الله تعالى ومحبة رسله واجبة لا يصح الإيمان إلا بها ولا =

الرابع: نداء الملك: «ألا إن فلان بن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن فلان بن فلان قد شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً»[١]، وسيأتي[٢].

الخامس: النداء عند ذبح الموت يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت.

السادس: نداء أهل النار يا حسرتنا، يا ويلتنا.

السابع: قول الأشهاد: ﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

الثامن: نداء الله تعالى أهل[٣] الجنة فيقول: «يا أهل الجنة هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أعطيكم أفضل من ذلك [٨٨/ب]: رضائي»[٤].

قال المؤلف ﷺ: ونداء تاسع، ذكر **أبو نعيم**[٥] عن مروان بن محمد قال: قال أبو حازم الأعرج[٦] يخاطب نفسه: يا أعرج ينادى يوم القيامة: يا أهل خطيئة كذا وكذا فتقوم معهم، ثم ينادى يا أهل خطيئة أخرى فتقوم معهم، فأراك يا أعرج تريد أن تقوم مع أهل كل خطيئة.

وفي التنزيل: ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ[٧]﴾ [الآية: ٦٢]، الآية التي في القصص وحم السجدة[٨]، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ[٩] فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]. والنداء في

= تكون هذه المحبة صادقة إلا بالمتابعة للرسل قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ الآية، أما غير أتباع الرسل فيقال لهم: سحقاً، أي بعداً.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٢٠٩، ح٣٥٤٠٨؛ والطبراني في الأوسط ٣/ ١٨٠، ح٢٨٥٦.

(٢) ص(٦٢٣).

(٣) في (ع، م): لأهل.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٢٣٩٨، ح٦١٨٣؛ ومسلم ٤/ ٢١٧٦، ح٢٨٢٩.

(٥) في الحلية ٣/ ٢٣٠ ـ ٢٣١.

(٦) سلمة بن دينار، المدني المخزومي مولاهم، الأعرج الواعظ الزاهد، مات سنة ١٤٤هـ، السير ٦/ ٩٦.

(٧) في (ع، ظ): ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾.

(٨) الآية ليست في سورة السجدة.

(٩) (﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾): ليست في (ع).

الأخبار كثير يأتي[(١)] بيانها وذكرها في باب من يدخل الجنة بغير حساب.

ومنها: يوم الواقعة: وأصل (وقع) في كلام العرب: كان ووجد، وجاءت الشريعة في تأكيد ذلك بثبوت ما وجد، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢]. والمراد بالقول هنا إخبار الباري عن الساعة وأنها قريبة، ومن أعظم علاماتها الدابة، وسيأتي[(٢)] ذكرها وما للعلماء فيها في[(٣)] الأشراط إن شاء الله تعالى، وقوله: ﴿كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ٢] مصدر كالباقية والعاقبة، أي ليس لوقعتها مقالة كاذبة.

ومنها: الخافضة والرافعة: أي ترفع قوماً في الجنة، وتحط آخرين في النار، والخفض والرفع يستعملان عند العرب في المكان والمكانة، والعز والإهانة، ونسب سبحانه الخفض والرفع للقيامة توسعاً ومجازاً، على عادة العرب في إضافتها الفعل إلى المحل والزمان وغيرهما مما لا يمكن منه الفعل، يقولون: ليل قائم ونهار صائم، وفي التنزيل: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] والخافض والرافع على الحقيقة إنما هو الله تعالى وحده، فرفع[(٤)] أولياءه في أعلى الدرجات وجعل أعداءه في أسفل الدركات[(٥)]، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٥ ـ ٨٦].

قال ﷺ في حديث جابر ﷺ: «نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس»[(٦)].

قال ابن العربي[(٧)]: «وهذا حديث[(٨)] فيه تخليط في كتاب مسلم لم يتقنه رواية[(٩)]، ومعناه أن جميع الخلق على بسيط من الأرض سواء إلا محمداً ﷺ

---

(١) ص(٨٢٣).
(٢) ص(١٢٣١).
(٣) في (ع): من.
(٤) في (ع): يرفع.
(٥) في (الأصل): الدرجات، وتصويبه من (ع، ظ، م).
(٦) أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ٣٤٥، ح١٤٧٦٣؛ والطبراني في الأوسط ٩/ ٣٨، ح٩٠٧٥.
(٧) قاله في سراج المريدين ل٢٧/أ سطر ٨ من أعلى.
(٨) في الأصل: قول، وما أثبته من (ع، ظ، م).
(٩) لم أجد الحديث الذي أشار إليه ابن العربي في صحيح مسلم.

وأمته فإنهم يرفعون جميعهم على شبه من كوم[١]، ويخفض الناس عنهم، وفي رواية: «أكون أنا وأمتي يوم القيامة على تل فيكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فذلك المقام المحمود»[٢].

قلت: وهذا الرفع في المكان بحسب الزيادة في المكانة.

قال ابن العربي[٣]: «وهي أنواع: فرفع محمداً ﷺ بالشفاعة في أول الخلق وبأنه أول من يدخل الجنة ويقرع بابها، ورفع العادلين بالحديث الصحيح: «المقسطون يوم القيامة على منابر من نور على[٤] يمين الرحمن وكلتا يديه يمين»[٥]، ورفع القراء إلى حيث انتهت قراءتهم يقال: «اقرأ ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»[٦] وسيأتي[٧]، ورفع الشهداء[٨] فقال في الحديث الصحيح: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله»[٩] الحديث وسيأتي[١٠]، ورفع كافل اليتيم فقال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وأشار مالك[١١] بالسبابة والوسطى»[١٢] يريد في الجوار، وقال ﷺ [٨٩/أ]: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما

---

(١) في (ع): شبه كوم، وفي (م): شبه من كوم، والأصل يتوافق مع (م).

(٢) رواها ابن حبان في صحيحه ٣٩٩/١٤، ح٦٤٧٨؛ والطبري في تفسيره ١٤٦/١٥ قال الأرنؤوط: إسناده حسن، حاشية صحيح ابن حبان ٣٩٩/١٤.

(٣) قاله في سراج المريدين ل٣٧/أ سطر ١٢ من أعلى.

(٤) في (ع، ابن حبان): عن.

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه ٣٣٦/١٠، ح٤٤٨٤؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٨٧/١٠، ح١٩٩٤٩، صححه الأرنؤوط، انظر: حاشية صحيح ابن حبان ٣٣٦/١٠.

(٦) رواه أبو داود في سننه ٧٣/٢، ح١٤٦٤؛ وابن حبان في صحيحه ٤٣/٣، ح٧٦٦؛ وأحمد في مسنده ١٩٢/٢، ح٦٧٩٩؛ قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد ١٦٢/٧.

(٧) (وسيأتي): ليست في (ع، ظ) وانظر: ص(٩٦١).

(٨) من هذا الموضع إلى قوله: للمجاهدين ساقط من (ع، ظ)، والأصل يتوافق مع (م).

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه ١٠٢٨/٣، ح٢٦٣٧.

(١٠) ص(٩٤٢).

(١١) في (ع): بتلك.

(١٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٢٨٧/٤، ح٢٩٨٣.

يتراءون الكوكب الدري الغابر في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما»[١].

ورفع عائشة على فاطمة ﵄ فإن عائشة مع النبي ﷺ وفاطمة مع علي ﵄.

ومنها يوم الحساب: ومعناه: أن الباري سبحانه يعدد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة ويعدد عليهم نعمه ثم يقابل البعض بالبعض، فما يشف منها على الآخر حكم للمشفوف بحكمه الذي عينه للخير بالخير وللشر بالشر.

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال[٢]: «ما [منكم][٣] من أحدٍ إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان»[٤].

وقيل: إن الله يحاسب المكلفين بنفسه[٥] ويخاطبهم معاً ولا يحاسبهم واحداً بعد واحد، والمحاسبة حكم. فلذلك تضاف إليه كما يضاف الحكم إليه، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ [الأنعام: ٦٢]، وقال: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧].

وفي الخبر: «أنه يوقف شيخ للحساب فيقول الله ﷻ له[٦]: يا شيخ ما أنصفت، غذوتك بالنعم صغيراً فلما كبرتك عصيتني، أما إني لا أكون لك كما كنت لنفسك، اذهب فقد غفرت لك ما كان قبل[٧]، وإنه ليؤتى بالشاب كثير الذنوب فإذا وقف تضعضعت أركانه[٨] واصطكت ركبتاه، فيقول الرب ﷻ: أما[٩] استحييتني، أما راقبتني، أما خشيت نقمتي، أما علمت أني مطلع عليك، خذوه إلى أمه الهاوية»[١٠].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ١١٨٨، ح٣٠٨٣؛ ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٧٧، ح٢٨٣٠، وليس فيهما: وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما، وهي في: جامع الترمذي ٥/ ٦٠٧، ح٣٦٥٨؛ وابن ماجه في سننه ١/ ٣٧، ح٩٦، وصحح الزيادة الألباني، انظر: صحيح ابن ماجه ١/ ٢٣، ح٧٩.

(٢) في (ع، ظ): وفي الخبر عن النبي ﷺ قال.

(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، صحيح مسلم).

(٤) رواه مسلم في صحيحه ٢/ ٧٠٣، ح١٠١٦.

(٥) (بنفسه): ليست في (ظ).

(٦) (له): ليست في (ع، ظ).

(٧) في (ع): فيك، وفي (ظ): منك.

(٨) (أركانه): ليست في (ظ).

(٩) في (ع): ألا.

(١٠) لم أقف عليه.

وقيل: إن الملائكة يحاسبون بأمر الله كما أن الحكام يحكمون بأمر الله[١] وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَـٰنِهِمۡ ثَمَنًا قَلِيلًا ـ إلى قوله ـ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧٧]، وأن من لم يكن بهذه الصفة فإن الله يكلمه فيكلم المؤمنين ويحاسبهم حساباً يسيراً من غير ترجمان إكراماً لهم، كما أكرم موسى ﷺ في الدنيا بالتكليم ولا يكلم الكفار فتحاسبهم الملائكة ويميزهم بذلك عن أهل الكرامة، فتتسع قدرته لمحاسبة الخلق كلهم معاً كما تتسع قدرته لإحداث خلائق كثيرة معاً، قال الله تعالى: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، أي إلا كخلق نفس واحدة.

ويروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسئل عن محاسبة الخلق فقال: كما يرزقهم في غداة واحدة كذلك يحاسبهم في ساعة واحدة[٢].

وفي صحيح مسلم[٣] حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟ قالوا: لا، قال: فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟ قالوا: لا، قال: فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم[٤] إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، قال: فيلقى العبد فيقول: أي فُل[٥] ألم أكرمك وأسوِّدك[٦]، وأزوجك[٧] وأسخّر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع[٨]؟ فيقول: بلى، فيقول له[٩]: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا،

---

(١) (كما أن الحكام يحكمون بأمر الله): ليست في (ظ)، ولفظ الجلالة ساقط من الأصل وإكماله من (ع).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ٤/٢٢٧٩، ح٢٩٦٨.

(٤) في (ع): رؤيتكم.

(٥) في جميع النسخ: أي قل، والتصويب من مصدر المؤلف، والكلمة مرخمة وأصلها: أي فلان.

(٦) أي أجعلك سيداً.

(٧) في (ظ): وأرزقك.

(٨) في (الأصل): ترفع، وفي (ع، ظ): ترتع، وفي كل النسخ حدث تحريف، تصويبه من صحيح مسلم.

(٩) (له): ليست في (ع، مسلم).

فيقول: إني[١] أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيقول له، فيقول[٢] هو مثل ذلك بعينه، ثم يلقى الثالث: فيقول له مثل ذلك، فيقول[٣]: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت[٤] ويثني بخير ما استطاع، قال: فيقول هاهنا إذن ثم يقول: الآن نبعث عليك شاهداً[٥] [٨٩/ب]، فيفكر[٦] في نفسه من ذا الذي يشهد عليّ، فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي[٧] سخط الله عليه».

وقد قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٤] أي حاسباً، فعيلاً بمعنى فاعل، وإذا نظر فيها ورأى أنه[٨] قد هلك فإن أدركته سابقة حسنة وضعت له لا إله إلا الله في كفة فرجحت له السموات والأرض، في[٩] رواية: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، وسيأتي[١٠]، وقال: «من نوقش الحساب عذب»[١١].

ومنها: يوم السؤال، والباري سبحانه يسأل الخلق في الدنيا والآخرة تقريراً لإقامة الحجة وإظهاراً للحكمة، قال الله تعالى: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ [البقرة: ٢١١]، وقال: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [الأعراف: ١٦٣]، وقال: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن[١٢] قَبْلِكَ مِن

---

(١) في (مسلم): فإني.
(٢) في (ع): ويقول.
(٣) في (ع، مسلم): فيقول له.
(٤) في (الأصل): وتصدقت وصمت، وما أثبته من (ع، ظ، مسلم).
(٥) في (ع، ظ): شاهداً عليك وفي (مسلم): شاهدنا عليك.
(٦) في (صحيح مسلم): فيتفكر.
(٧) من هذا الموضع إلى قوله كتابك، بياض في الأصل تكملته من (ع، ظ).
(٨) (فاعل، وإذا نظر فيها ورأى أنه): بياض في (الأصل)، تم توضيحه من باقي النسخ.
(٩) (السموات والأرض، في): بياض في (الأصل)، تم توضيحه من باقي النسخ.
(١٠) ص(٧٢٨).
(١١) أخرجه البخاري ٥/٢٣٩٤، ح٦١٧٠ واللفظ له؛ ومسلم ٤/٢٢٠٤، ح٢٨٧٦.
(١٢) (من): ساقطة من (الأصل).

رُسُلِنَآ﴾ [الزخرف: ٤٥] وهو في القرآن كثير، وقال: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨]، وقال: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾﴾، وقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢ ـ ٩٣] قيل: عن لا إله إلا الله، وقال: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. وقال ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع»[١] الحديث[٢] وسيأتي[٣]، وروي عن ابن عمر[٤] رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع [على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع][٥] على مال سيده، وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[٦].

ومنها: يوم الشهادة، ويوم يقوم الأشهاد، والشهادة على أربعة أنواع، شهادة محمد وأمته تحقيقاً لشهادة الرسل على قومها[٧].

الثاني: شهادة الأرض والأيام والليالي بما عمل فيها وعليها.

الثالث: شهادة الجوارح، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ [النور: ٢٤]، وقال: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١] وذلك بيّن أيضاً في حديث أبي هريرة.

الرابع: حديث أنس رضي الله عنه وفيه: «فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله»[٨]، وسيأتي[٩] بيان هذا الباب[١٠] كله إن شاء الله.

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه ٤/٦١٢، ح٢٤١٧.

(٢) (الحديث): ليست في (ع، ظ). (٣) ص(٦٣٢).

(٤) في (ع، ظ): وروى ابن عمر.

(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، وصحيح البخاري)، وهو سقط من الأصل و(ظ).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ٢/٩٠١، ح٢٤١٦.

(٧) في (ع): أممهم.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٨٠، ح٢٩٦٩.

(٩) ص(٦٧٢). (١٠) (الباب): ليست في (ع، ظ).

ومنها: يوم الجدال:[١] قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ[٢] تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١]، أي تخاصم[٣] وتحاج عن نفسها، وجاء[٤] في الخبر أن كل أحد يقول يوم القيامة: نفسي نفسي من شدة أهوال يوم القيامة سوى محمد ﷺ فإنه يسأل في أمته على ما يأتي[٥].

وفي حديث عمر ﷺ أنه قال لكعب الأحبار: يا كعب خوِّفنا هيِّجنا حدِّثنا نبِّهنا، فقال كعب[٦]: يا أمير المؤمنين، والذي نفسي بيده لو وافيت يوم القيامة بمثل عمل سبعين نبياً لأتت[٧] عليك تارات[٨]، ولا يهمك إلا نفسك، وإن لجهنم زفرة لا يبقى لها[٩] ملك مقرب ولا نبي منتخب إلا وقع جاثياً على ركبتيه حتى إن إبراهيم الخليل ليدلي بالخلة، فيقول: أنا خليلك[١٠] إبراهيم لا أسألك اليوم إلا نفسي، قال: كعب[١١] أين تجد ذلك في كتاب الله؟ قال: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا [١/٩٠] وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾»[١٢].

وقال ابن عباس ﷺ في هذه الآية: ما تزال الخصومة بالناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد، فيقول الروح: رب الروح منك أنت خلقته لم يكن لي يد أبطش بها، ولا رجل أمشي بها، ولا عين أبصر بها، ولا أذن أسمع بها، ولا عقل أعقل به حتى جئت فدخلت في هذا الجسد فضعّف عليه أنواع العذاب ونجني، فيقول الجسد: رب أنت خلقتني بيدك فكنت كالخشبة ليس لي يد أبطش بها، ولا قدم أسعى بها، ولا بصر أبصر به، ولا سمع أسمع به، فجاء هذا كشعاع

---

(١) في هذا الموضع إلى قوله: وجاء في الخبر أن، سقط في (ظ).
(٢) في (الأصل): أمة، تصويبه من (المصحف وبقية النسخ).
(٣) في (ع): تجادل تخاصم. (٤) (جاء): ليست في (ع).
(٥) (على ما يأتي): ليست في (ع، ظ)، وانظر ص(٥٩٩).
(٦) (كعب): ليست في (ظ).
(٧) في (الأصل): لأتيت، والتصويب من (ع، ظ).
(٨) في (ع): ثارات. (٩) (لها): ليست في (ع).
(١٠) في (ع): رب أنا خليلك. (١١) في (ع، ظ): يا كعب.
(١٢) ذكر نحو هذا الأثر ابن المبارك في الزهد له عن كعب الأحبار ص(٥١)، ح١٥٩.

الشمس فيه نطق لساني، وبه أبصر عيني، وبه مشت رجلي، وبه سمعت أذني، فضعف عليه أنواع العذاب ونجني، قال: فيضرب الله لهما مثلاً أعمى ومقعداً دخلا بستاناً فيه ثمار، فالأعمى لا يبصر الثمر والمقعد لا ينالها، فنادى المقعد الأعمى: ائتني، فاحملني، آكل وأطعمك، فدنا منه فحمله، فأصابا من الثمرة، فعلى من يكون العذاب؟ قالا: عليهما، قال: عليكما جميعاً العذاب»[١].

قال **المؤلف** رضي الله عنه وأرضاه: ومن هذا الباب قول الأمم: كيف يشهد علينا من لم يدركنا إلى غير ذلك مما في معناه حسب[٢] ما يأتي[٣].

ومنها: يوم القصاص: وفيه أحاديث كثيرة يأتي ذكرها في بابٍ[٤] إن شاء الله تعالى.

ومنها: يوم الحاقة: وسميت بذلك لأن الأمور تحق فيها، قاله الطبري[٥]، كأنه جعلها من باب ليلٍ قائمٍ كما تقدم[٦]. وقيل: سميت حاقة لأنها كانت من غير شك، وقيل: سميت بذلك لأنها أحقت لأقوام الجنة، وأحقت لأقوام النار.

ومنها: يوم الطامة ومعناها: الغالبة، من قولك: طمّ الشيء إذا علا وغلب، ولما كانت تغلب كل شيء[٧] كان لها هذا الاسم حقيقة دون كل شيء.

قال الحسن: الطامة: النفخة الثانية[٨].

وقيل: هو حين يساق أهل النار إلى النار[٩].

ومنها: يوم الصاخة: قال عكرمة: الصاخة: النفخة الأولى، والطامة: النفخة الثانية[١٠].

---

(١) رواه محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني المتوفى سنة ٢٤٣هـ. في كتابه الإيمان ٢/ ١٢٣.

(٢) في (ع، ظ): وحسب.

(٣) ص(٦٨٤).

(٤) جاءت كلمة (باب) هكذا نكرة في جميع النسخ، وانظر ص(٦٣٩).

(٥) في تفسيره ٢٨/ ٤٧.

(٦) ص(٥٦٠).

(٧) في (ظ): على كل شيء.

(٨) ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٤٤٥.

(٩) ذكره الطبري في تفسيره ٣٠/ ٤٧.

(١٠) لم أقف على من ذكر قول عكرمة.

الطبري: أحسبه من صخَّ فلان فلاناً إذا أصمه[١].

قال ابن العربي[٢]: «الصاخة التي تورث الصمم، فإنها[٣] لَمُسمعة[٤]، وهذا من بديع الفصاحة، حتى لقد قال بعض أحداث الأسنان حديثي[٥] الأزمان:

أصم بك الناعي وإن كنت أسمعا

وقال آخر:

أصَمَّني سرهم[٦] أيام فرقتهم   فهل سمعتم بسر[٧] يورث الصمما[٨]

ولعمرو الله إن صيحة القيامة مسمعة تصم عن الدنيا، وتسمع أمور الآخرة وبهذا كله كان يوماً عظيماً كما قال الله تعالى في وصفه بالعظيم[٩]. وكل شيء كبر في أجزائه فهو عظيم، وكذلك ما كثر في معانيه، وبهذا المعنى[١٠] كان الباري عظيماً لسعة قدرته وعلمه، وكثرة ملكه الذي لا[١١] يحصى، ولما كان أمر الآخرة لا ينحصر كان عظيماً بالإضافة إلى الدنيا ولما كان محدثاً له أوّل [٩٠/ب] صار حقيراً بالإضافة إلى العظيم الذي لا يحده».

ومنها: يوم الوعيد: وهو أن الباري ﷻ أمر ونهى، ووعد وأوعد، فهو أيضاً يوم الوعد، والوعد: للنعيم، والوعيد: للعذاب الأليم، وحقيقة الوعيد هو الخبر عن العقوبة عند المخالفة[١٢]، والوعد: الخبر عن المثوبة عند

(١) ذكره في تفسيره بنحوه ٣٠/ ٦١.
(٢) في سراج المريدين ل٣٨/ب السطر الثاني من أعلى.
(٣) في (ع، ظ): وإنها.
(٤) في (الأصل): المسمعة، وما أثبته من (ع، ظ، سراج المريدين).
(٥) (حديثي): ليست في (ظ).
(٦) في (الأصل): شرهم، وتصويبه من (ع، ظ، سراج المريدين).
(٧) في (الأصل): بشر، والتصويب من (ع، ظ، سراج المريدين).
(٨) ذكره ابن العربي في سراج المريدين كما في الإحالة السابقة.
(٩) في (ع، ظ): التعظيم.
(١٠) (وبهذا المعنى): ليست في (ظ)، وفي (ع): ولهذا المعنى.
(١١) (لا): ليست في (ع).
(١٢) في (الأصل): المخافة، وتصويبه، من (ع، ظ، م).

الموافقة، وقد ضل في هذه المسألة المبتدعة، وقالوا: إن من أذنب ذنباً واحداً فهو مخلد في النار تخليد الكفار[١] أخذاً بظاهر هذا اللفظ في آي، فلم يفهموا العربية، ولا كتاب الله تعالى، وأبطلوا شفاعة رسول الله ﷺ[٢] وسيأتي الرد عليهم في أبواب من هذا الكتاب[٣] إن شاء الله تعالى.

ومنها: يوم الدين: وهو في لسان العرب الجزاء، قال الشاعر[٤]:

حصادك يوماً ما زرعت وإنما ... يدان الفتى فيه[٥] كما هو دائن

وقال آخر[٦]:

واعلم يقيناً أن ملكك زائل ... واعلم بأنك كما تدين تدان

ومنها: يوم الجزاء: قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨]، وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر: ١٧]، وهو أيضاً: يوم الوفاء، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥]، أي حسابهم وجزاءهم، والجنة جزاء الحسنات، والنار جزاء السيئات، قال الله تعالى في المؤمنين[٧]: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢]، ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧، الأحقاف: ١٤، الواقعة: ٢٤]، وقال في جهة الوعيد: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦].

ومنها: يوم الندامة، وذلك، إن المحسن إذا رأى جزاء إحسانه[٨] والكافر[٩] جزاء كفره، ندم المحسن أن لا يكون مستكثراً، وندم المسيئ أن يكون استعتب[١٠]، فإذا صار الكافر إلى عذاب لا نفاد له تحسر؛ فلذلك سمي يوم الحسرة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ[١١]﴾ وذلك عند

---

(١) وهو مذهب الخوارج والمعتزلة.
(٢) في (ع): وأبطلوا شفاعته ﷺ.
(٣) انظر: الرد عليهم ص(٦٠٧).
(٤) لم أعثر عليه.
(٥) في (ع، ظ): يوماً.
(٦) لم أعثر عليه.
(٧) في (ع، ظ): المعنيين.
(٨) في (ع، ظ): حسناته.
(٩) في (ع): والكافر إذا رأى.
(١٠) في (ظ): مستعتباً.
(١١) في (ع): ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٩﴾ [مريم: ٣٩].

ذبح الموت على ما يأتي[١]، ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ يعني الآن عن ذلك اليوم. والحسرة عبارة عن استكشاف[٢] المكروه بعد خفائه[٣].

ومنها: يوم التبديل، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وقد تقدم[٤] القول في ذلك مستوفى.

ومنها: يوم التلاق، قال الله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥][٥]، وهو عبارة عن اتصال المعنيين بسبب من أسباب العلم والجسمين[٦]. وهو أنواع أربعة:

الأول: لقاء الأموات لمن سبقهم إلى الموت[٧] فيسألونهم عن أهل الدنيا كما تقدم[٨].

الثاني: عمله، وقد تقدم[٩].

الثالث: لقاء أهل السموات لأهل الأرض في المحشر، وقد تقدم.

الرابع: لقاء الخلق للباري ﷻ، وذلك يكون في عرصات القيامة وفي الجنة، على ما تقدم[١٠] ويأتي[١١].

ومنها: يوم الآزفة، تقول العرب: أزف كذا أي قرب، قال الشاعر[١٢][٩١/أ]:

---

(١) (وذلك عند ذبح الموت على ما يأتي): ليست في (ع، ظ)، والأصل يتوافق مع (م) وانظر ص(٩٢٤).

(٢) في (الأصل): استنكاف، تصويبه من (ع، ظ)، وفي (م): انكشاف.

(٣) (بعد خفائه): ليست في (ع، ظ)، والأصل يتوافق مع (م).

(٤) ص(٥٠١).

(٥) (قال الله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾): ليست في (ظ).

(٦) في (الأصل): الخمسين، تصويبه من (ع، ظ، م)، كأن هناك محذوف تقديره: واتصال الجسمين، وقد جاء هذا الاتصال مبيناً بالأنواع الأربعة التي ذُكرت بعد ذلك.

(٧) في (ع، ظ، م): الممات.

(٨) ص(٣٦٧).

(٩) تقدم ص(٣٨٣).

(١٠) ص(٧٤٤).

(١١) في (ع): على ما يأتي، وتقدم أيضاً، وانظر: ص(١٠١٦)

(١٢) النابغة الذبياني، وأنشده أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ١١/ ١١؛ وابن منظور في لسان العرب ٣/ ٣٤٦.

أزف الترحل[١] غير أن ركابنا   لما تزل برحالنا وكأن قد[٢]

وهي قريبة جداً، وكل آت قريب وإن بعد مداه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وما يستبعد الرجل من الساعة وموته[٣] ساعته.

ومنها: يوم المآب، ومعناه: الرجوع إلى الله تعالى، ولم يذهب عن الله شيء فيرجع إليه، وإنما حقيقته: أن العبد يخلق الله فيه ما شاء من أفعاله، فلما[٤] خلق فيه علماً وخلق فيه إيثاراً واختياراً ظن الناس أنه شيء، وأن له فعلاً، فإذا أماته وسلبه ما[٥] أعطاه أذعن وآب في وقت لا ينفعه الإياب ولم يزل عن الله تعالى في حال فهو الأواب.

ومنها: يوم المصير، وهو يوم المآب بعينه، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٤٢﴾ [النور: ٤٢]، فالخلق صائرون إلى أمر الله وآخر ذلك دار القرار، وهي الجنة أو النار[٦][٧]، قال الله تعالى في حق الكافرين: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠].

ومنها: يوم القضاء، وهو أيضاً يوم الحكم والفصل، وسيأتي[٨] أن أول ما يقضى فيه الدماء، وقال ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها»[٩] الحديث، وفيه: «كلما بردت أعيدت له[١٠] في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله[١١] بين العباد»، والفصل هو الفرق والقطع،

---

(١) في (ظ): الرحيل.
(٢) هناك جملة محذوفة، تقديرها: أن كأن قد زالت، قاله صاحب اللسان.
(٣) في (الأصل، ظ): مدته، وما أثبته من (ع، م).
(٤) في (الأصل): كما، وتصويبه من (ع، ظ، م).
(٥) في (الأصل): ما كان، وما أثبته من (ع، ظ، م).
(٦) في (الأصل): والنار، والتصويب من (ع، ظ).
(٧) في (الأصل): والنار، والتصويب من (ع، ظ).
(٨) ص(٦٦٣).
(٩) أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ٦٨٠، ح٩٨٧.
(١٠) في (ع): عليه.   (١١) (لفظ الجلالة): ليس في (ع، ظ).

فيفصل يومئذ[١] بين المؤمن والكافر والمسيء والمحسن، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة: ٣] الآية.

وهو يوم الحكم؛ لأن إنفاذ[٢] الحكم هو إنفاذ العلم، قال الله تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [الحج: ٥٦] الآية. وقال: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة: ١٠].

ومنها: يوم الوزن، قال الله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨] الآية[٣]، وسيأتي[٤] الكلام في الميزان ووزن الأعمال فيه في أبواب إن شاء الله تعالى.

ومنها: يوم عقيم[٥]، وهو في اللغة: عبارة عن من لا يكون له ولد، ولما كان الولد يكون من الأبوين[٦] وكانت الأيام تتوالى قبل وبعد، جعل الاتباع بالبعدية[٧] فيه كهيئة الولادة، ولما لم يكن بعد ذلك اليوم يوم وصف بالعقيم.

ومنها: يوم عسير، وهذا في حق الكافرين خاصة، والعسر ضد اليسر، فهو عسير[٨] على الكافرين، لأنهم لا يرون فيه أملاً، ولا يقطعون فيه رجاء، حتى إذا خرج المؤمنون[٩] من النار طلبوا مثل ذلك، فيقال لهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، فحينئذ يكون المنع الصريح على ما يأتي[١٠] بيانه في أبواب النار إن شاء الله. وأما المؤمنون فتنحل عقدهم بيسر إلى يسر،

---

(١) في (ظ): فيفصل يوم القيامة.
(٢) (إنفاذ): ليست في (ع، ظ).
(٣) (الآية): ليست في (ع، ظ).
(٤) ص(٧١٥).
(٥) ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ [الحج: ٥٥].
(٦) في (ع، م): بين الأبوين، وفي (ظ): للأبوين.
(٧) في (الأصل): بالتعدية، وتصويبه من (ع، ظ، م).
(٨) في (الأصل): عسر، وما أثبته من (ع، ظ، م).
(٩) في (ع): حتى إذا خرجوا من النار.
(١٠) ص(٨٩٨).

فينحل طول الوقوف إلى تعجيل الحساب، وتثقيل الموازين وجواز الصراط والظلال بالأعمال، ولا ينحل للكافرين[1] من هذه العقد عقدة واحدة إلا إلى أشد منها حتى إلا جهنم دار القرار.

ومنها: يوم مشهود، و[2]سمي بذلك لأنه يشهده كل مخلوق، وقيل: سمي بذلك؛ لأن الشهداء يشهدون [فيه][3] على ما يأتي[4]، والله أعلم.

ومنها: يوم التغابن، سمي بذلك؛ لأن الناس يتغابنون في المنازل عند الله، فريق في الجنة وفريق في السعير، وحقيقته في لسان العرب: ظهور الفضل في المعاملة لأحد المتعاملين [٩١/ب]، والدنيا والآخرة دار لعملين[5] وحالين وكل واحد منهما لله، ولا يعطى[6] أحدهما إلا لمن ترك نصيبه من الأخرى[7]، قال الله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨]، وقال: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠][8]، ومن أراد الآخرة فسعيه مشكور وحظه في الآخرة موفور.

ومنها: يوم عبوس قمطرير، والقمطرير: الشديد، وقيل: الطويل، وأما

---

(١) في (الأصل): الكافر، وما أثبته من (ع، ظ، م).

(٢) (الواو): ليست في (ع، ظ).

(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م).

(٤) ص(٦٨٣).

(٥) في (الأصل): العملين، تصويبه من (ع، ظ، م).

(٦) (ولا يعطى): ساقطة من (ظ).

(٧) ما ذكره المؤلف هو الزهد الصوفي المنهي عنه، والآيات التي استدل بها هي في الذين أرادوا الدنيا ولذاتها ولم يتخذوها مطية للآخرة، فقد كان من خيار الصحابة من يعمل بالتجارة ويتكسب وينفق في سبيل الله تعالى، فلا يلزم من إرادة الآخرة ترك النصيب من الدنيا بالكلية، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾، والذي يظهر لي أن المؤلف نقل هذا الكلام إما من ابن العربي أو الغزالي أو غيرهما من الصوفية؛ لأن للمؤلف موقفاً جيداً من الفهم الصوفي للزهد، انظر: المقدمة الدراسية ص(٢٩).

(٨) وفي (ع): ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾.

العبوس: فهو الذي يعبس فيه، سمي باسم ما يكون فيه، كما يقال: ليل قائم ونهار صائم، وكلوح الوجه وعبوسه: هو قبض ما بين العينين وتغير السُّحْنَة[١] عن عادتها الطلقة، يقال: يوم طلق إذا كانت شمسه نيرة فاترة، وإذا كانت شمسه مدحية قد غطاها السحاب، قيل: يوم عبوس، وأول العبوس والكلوح عند الخروج من القبور ورؤية الأعمال في الصور القبيحة كما تقدم[٢]، وآخر ذلك كلوح النار، وهو الكلوح[٣] الأعظم يشوي الوجوه ويسقط الجلود على ما يأتي، ومع العبوس تشخص[٤] الأبصار وهي[٥] ثبوتها راكدة على منظر واحد لهول لا[٦] تنتقل منه إلى غيره، كما قال سبحانه: ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

ومنها: يوم تبلى السرائر، ومعناه: إخراج المخبآت بالاختبار بوزن الأعمال في الصحف وبكشف الساق عند السجود على ما تقدم[٧] ويأتي[٨] إن شاء الله تعالى.

ومنها: يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً، وهو مثل قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البقرة: ٤٨]، وقال: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾ [الدخان: ٤١] و﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر: ٣٨] لا يغني أحد عن أحد شيئاً بل ينفصل كل واحد عن أخيه وأبيه، ولذلك كان يوم الفصل، ويوم الفرار، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾﴾ [النبأ: ١٧]، وقال: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧] أما إنه يُجزى، ويُقضى، ويُعطى، ويُغنى بغير اختياره من حسناته ما عليه من الحقوق على ما يأتي[٩] بيانه في حديث المفلس إن شاء الله.

---

(١) سحنة الرجل: حسن شعره ولونه، انظر: لسان العرب ١٣/ ٢٠٤، وفي (ظ): الوجه.
(٢) ص(٣٦٢).
(٣) (الكلوح): ليست في (ع).
(٤) في (ع): شخص.
(٥) في (ع): وهو.
(٦) في (ظ): ما.
(٧) ص(٥٥١).
(٨) ص(٧٤٧).
(٩) ص(٦٤٠).

ومنها: يوم يُدْعون إلى نار جهنم دعًا، والدّع: الدفع، أن يدفعون إلى جهنم ويسحبون فيها[١] على وجوههم كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر: ٤٨].

ومنها: يوم التقلب، وهو التحول، قال الله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [النور: ٣٧] أي قلوب الكفار وأبصارهم، فتقلُّب القلوب انتزاعها من أماكنها إلى الحناجر، فلا هي ترجع إلى أماكنها ولا هي تخرج، وأما تقلب الأبصار فالزرق بعد الكحل، والعمى بعد البصر، وقيل: تتقلب القلوب بين الطمع في النجاة والخوف من الهلاك، والأبصار تنظر من أي ناحية يعطون كتبهم، وإلى أي ناحية يؤخذ بهم، وقيل: إن قلوب الشاكين تتحول عما كانت عليه من الشك، وكذلك أبصارهم لرؤيتهم اليقين إلا أن ذلك لا ينفعهم في الآخرة.

ومنها: يوم الشخوص والإقناع، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، أي لا يغمض فيه من هول ما ترى في ذلك اليوم، قاله الفراء.

وقال ابن عباس[٢] [٩٢/أ] ﷺ: تشخص أبصار الخلائق يومئذ إلى الهواء لشدة الحيرة فلا يرمضون[٣] ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي مديمي النظر، قال مجاهد والضحاك[٤] ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٤٣]، أي رافعي رؤوسهم، وإقناع الرأس: رفعه، قاله ابن عباس[٥] ومجاهد[٦].

وقال الحسن[٧]: وجوه الناس يومئذ إلى السماء، لا ينظر أحد إلى أحد.

---

(١) في (ظ): في النار.

(٢) ذكره الطبري في تفسيره ١٣/ ٢٣٧ نحوه.

(٣) في (ع، ظ): يرتمضون. وفي لسان العرب ٧/ ١٦١: وفي حديث صفية: «تشكّت عينيها حتى كادت ترمضه، فإن من رواها بالضاد أراد حتى تحمى.

(٤) ذكر قوليهما الطبري في تفسيره ١٣/ ٢٣٧.

(٥) ذكره الطبري في تفسيره ١٣/ ٢٣٨.

(٦) ذكره الطبري في تفسيره ١٣/ ٢٣٩.

(٧) ذكره الطبري في تفسيره ١٣/ ٢٣٩.

فإن قيل: فقد قال الله تعالى في غير هذه الآية: ﴿خَشِعَةً[(١)] أَبْصَرُهُمْ﴾ وقال: ﴿خُشَّعًا أَبْصَرُهُمْ﴾ [القمر: ٧]، فكيف يكون الرافع رأسه الناظر نظراً طويلاً حتى إن طرفه لا يرتد إليه خاشع البصر؟

فالجواب: إنهم يخرجون حال المضي إلى الموقف خاشعة أبصارهم، وفي هذه الحال وصفهم الله بخشوع الأبصار، وإذا توافوا وضمهم الموقف وطال القيام عليهم فإنهم يصيرون من الحيرة كأنهم لا قلوب لهم ويرفعون رؤوسهم فينظرون النظر الطويل، ولا يرتد إليهم طرفهم كأنهم قد نسوا الغمض، و[(٢)] جهلوه فهو يعسر[(٣)] عليهم.

ومنها: ﴿يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات: ٣٥ ـ ٣٦] وذلك حين يقال لهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ وتطبق عليهم جهنم على ما يأتي[(٤)] بيانه في أبواب النار.

ومنها: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ [غافر: ٥٢]، وإن أذن لهم بأن يمكنوا منها[(٥)] لا بأن يقال لهم: اعتذروا، كقوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾[(٦)] الآية وكقوله: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا [مِنْهَا][(٧)]﴾ [المؤمنون: ١٠٧] الآية.

ومنها: يوم لا يكتمون الله حديثاً.

ومنها: يوم الفتنة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ[(٨)] عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الذاريات: ١٣] أي يعذبون، من قولك: فتنت الذهب إذا رميت به في النار.

ومنها: يوم ﴿لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٤٣] يريد يوم القيامة، أي لا يرده

---

(١) في (الأصل، ع، ظ): خاشعاً، وتصويبه من المصحف، وهو جزء من سورتين هما سورة القلم من الآية (٤٣)، وسورة المعارج من الآية (٤٤).

(٢) في (ع، ظ): أو.

(٣) في (ع، ظ): تعسير.

(٤) ص(٨٩٨).

(٥) في (ع): بأن يمكنوا فيها، وفي (ظ): بأن يكونوا فيها، والأصل متوافق مع (م).

(٦) في (ع): ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾، [الأحزاب: ٦٧].

(٧) ما بين المعقوفتين من (المصحف، ع، ظ، م) وهو سقط في الأصل.

(٨) في (الأصل، ظ): ﴿يومهم﴾، وما أثبته من (ع، والمصحف).

أحد بعد ما حكم الله به وجعله أجلاً[(١)] ووقتاً.

ومنها: يوم الغاشية، سميت بذلك؛ لأنها تغشى الناس بإفزاعها، أي تعممهم بذلك، ومنه[(٢)] غاشية السرج[(٣)].

ومنها: يوم ﴿لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٦﴾ [الفجر: ٢٥ ـ ٢٦].

ومنها: يوم لا بيع فيه ولا خلال، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ۝٣١﴾ [إبراهيم: ٣١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]. والخلة والخلال: الصداقة، والمودة.

ومنها: يوم لا ريب فيه، وإن وقع ريب الكفار أي شك، فليس فيه ريب لقيام الأدلة الظاهرة عليه، كما قال الله: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠]، فليس في الباري شك[(٤)] لقيام الأدلة عليه، ولشهادة أفعاله ولاقتضاء المحدَث أن يكون له محدِث، ولكن قد شك فيه قوم ونفاه آخرون، ولم يوجب ذلك شكاً فيه؛ لقيام الأدلة، فكذلك يوم القيامة لا ريب فيه، ولا شك فيه مع النظر في الدليل والعلم، فإذا خلق الله تعالى الرَّين على القلب كان الشك، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾ [الحج: ٦ ـ ٧].

ومنها: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وسيأتي[(٥)] بيانه إن شاء الله تعالى.

ومنها: يوم الأذان، دخل طاووس على هشام بن عبد الملك فقال له: اتق الله واحذر يوم [٩٢/ب] الأذان، فقال: وما يوم الأذان؟ قال: قوله تعالى:

---

(١) في (ع): وجعل له أجلا.
(٢) في (ع، ظ): ومنها.
(٣) أي غطاء السرج، انظر: لسان العرب ١٥/١٢٦.
(٤) (فليس في الباري شك): ليست في (ع، ظ).
(٥) ص(٦٢٣).

﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤]، فصَعِق هشام، فقال طاووس: هذا ذل الصفة[١] فكيف ذل المعاينة.

ومنها: يوم الشفاعة، قال الله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾[٢]، وقال: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠﴾ [الشعراء: ١٠٠] وسيأتي[٣] بيانه.

ومنها: يوم الفرق، وسيأتي بيانه في أحاديث في الباب بعد هذا بحول الله وعونه[٤].

ومنها: يوم القلق والجَوَلان، وهو عبارة عن عدم الاستقرار والثبوت، يقال: قلق الرجل قلقاً[٥]، إذا لم يستقر، ومثله: جال يجول إذا لم يثبت.

ومنها: يوم الفرار، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦﴾، فيفر كل واحد من صاحبه حذراً من مطالبته إياه، إما لما بينهم من التبعات أو لئلا يروا ما هو فيه من الشدة.

وقال عبد الله بن طاهر الأبهري[٦]: يفر منهم لما تبين له من عجزهم وقلة حيلتهم، إلى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه، ولو ظهر له ذلك في الدنيا ما اعتمد شيئاً سوى ربه تعالى.

وقال الحسن[٧]: أول من يفر يوم القيامة من أبيه: إبراهيم، وأول من يفر من ابنه: نوح، وأول من يفر من امرأته: لوط، قال: فيرون أن هذه الآية نزلت

---

(١) في (الأصل): الصعقة، وتصويبه من (ع، ظ، م).
(٢) في (ع، ظ): وقال: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣].
(٣) ص(٥٩٧).
(٤) في (ع، ظ): إن شاء الله تعالى.
(٥) في (ع، ظ): قلق الرجل يقلق قلقا.
(٦) صوفي من أقران الشبلي، مات قرب الثلاثين والثلاثمائة، انظر: طبقات الصوفية ص(٢٩٥).
(٧) لم أجد قول الحسن، وقد ذكره المؤلف في تفسيره ١٩/ ٢٢٥.

فيهم، وهذا فرار كثير[١]، نجانا الله من أهوال هذا اليوم بحق محمد[٢] نبي الرحمة وصحبه الكرام البررة، وجعلنا ممن[٣] حشر في زمرتهم ولا خالف بنا عن طريقتهم ومذهبهم بمنه وكرمه آمين، وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه[٤].

قال **المؤلف** ﷺ: وقد سرد تسمية هذه الأيام على التوالي من غير تفسير غير واحد من العلماء منهم ابن نجاح[٥] في سبل الخيرات[٦]، وأبو حامد الغزالي في غير موضع من كتبه كالإحياء[٧]وغيره، والقتبي[٨] في كتاب عيون الأخبار، وهذا تفسيرها حسب ما ذكره القاضي أبو بكر بن العربي في سراج المريدين[٩]، وربما زدنا عليه في ذلك، والحمد لله على ذلك، ولا يمتنع أن تسمى بأسماء غير ما ذكرنا بحسب الأحوال الكائنة فيه[١٠] من الازدحام والتضايق، واختلاف الأقدام، والخزي، والهوان، والذل، والافتقار، والصغار والانكسار، ويوم الميقات[١١] والمرصاد، إلى غير ذلك من الأسماء، وسيأتي[١٢] التنبيه على ذلك إن شاء الله تعالى في الباب بعد هذا.

باب ما يلقى الناس في الموقف من الأهوال العظام والأمور الجسام

قال المحاسبي في كتاب التوهم والأهوال[١٣]: يحشر الله الأمم من الإنس والجن عراة أذلاء، قد نزع الملك من ملوك أهل الأرض ولزمهم

(١) في (ع): فرار التبرؤ، وفي (ظ): التبري.
(٢) سبق التعليق على التوسل بالحق والجاه ص(٣١٥).
(٣) في (ع): فيمن.
(٤) (آمين وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه): ليست في (ع، ظ).
(٥) يحيى بن نجاح القرطبي، أبو الحسين، المعروف بابن الفلاس، له كتاب سبل الخيرات في الرقائق، توفي سنة ٤٢٢هـ، السير ١٧/٤٢٣؛ كشف الظنون ٢/٩٧٨.
(٦) في (ع): تفسير سبل الخيرات.
(٧) ٤/٥١٦.
(٨) في (الأصل): العتبي، والتصويب من (ع، ظ).
(٩) في كتابه سراج المريدين حيث ذكر لها تسعة وخمسين اسماً (من اللوحة ٣١ ـ ٤١).
(١٠) (فيه): ليست في (ظ).
(١١) في (ع): الميثاق.
(١٢) ص(٥٨٠).
(١٣) في كتاب التوهم ص(٤٠).

الصغار بعد عتوهم والذلة بعد تجبرهم على عباد الله في أرضه، ثم أقبلت الوحوش من أماكنها منكسة رؤوسها بعد توحشها من الخلائق وانفرادها [٩٣/أ] ذليلة من هول يوم النشور من غير ريبة، ولا خطيئة أصابتها، حتى وقفت من وراء الخلق بالذلة والانكسار للملك الجبار، وأقبلت الشياطين بعد تمردها وعتوها خاضعة ذليلة للعرض على الديان، حتى إذا تكاملت عدة أهل الأرض من إنسها وجنها وشياطينها ووحوشها(١) وسباعها وأنعامها وهوامها تناثرت نجوم السماء من فوقهم وطمست الشمس والقمر فأظلما عليهم ومارت سماء الدنيا من فوقهم فدارت من فوقهم بعظمها فوق رؤوسهم، وجميع ذلك بعينك وعين أهل الموقف ينظرون إلى هوله ثم انشقت بغلظها فوق رؤوسهم وهي خمسمائة عام، فيا هول صوت انشقاقها في سمعهم، وتمزقت وتفطرت لهول يوم القيامة من عظم يوم الطامة، ثم ذابت حتى صارت مثل الفضة المذابة، كما قال الجبار تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ [الرحمن: ٣٧]، وقال: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾﴾ [المعارج: ٨ ـ ٩] أي كالصوف المنفوش، وهو أضعف الصوف، وهبطت الملائكة من حافاتها(٢) إلى الأرض بالتقديس لربها، فتوهَّم انحدارهم من السماء بعظم أجسامهم وكثرة أخطارهم وهول أصواتهم وشدة فَرَقِهم من خوف ربهم، فتوهم فزعك حينئذ وفزع الخلائق لنزولهم مخافة أن يكونوا قد أمروا بهم، فأخذوا مصافَّهم محدقين بالخلائق منكسي رؤوسهم لعظم هول يومهم، قد تسربلوا أجنحتهم، ونكسوا رؤوسهم بالذلة والخضوع لربهم، وكذلك ملائكة كل سماء إلى السماء السابعة قد أضعف أهل كل سماء على أهل السماء الذين قبلهم في العدة وعظم الأجسام والأصوات حتى إذا وافى الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع(٣) كسيت الشمس حر عشر سنين ثم أدنيت من الخلائق قاب قوسين أو قوسين، فلا ظل ذلك اليوم إلا ظل عرش الرحمن، فمن بين مستظل بظل العرش(٤) وبين مضح بحر الشمس

---

(١) في (الأصل): ووحشها، وما أثبته من (ع، ظ، م، والتوهم).
(٢) في (الأصل): حافتاها، وتصويبه من (ع، ظ، م، مصدر المؤلف).
(٣) (السبع): ليست في (ع).
(٤) في (ع): مستظل بعرش الرحمن.

قد صهرته واشتد فيها كربه وأقلقته، وقد ازدحمت الأمم[١] وتضايقت ودفع بعضهم[٢] بعضاً، واختلفت الأقدام وانقطعت الأعناق من العطش، قد اجتمع عليهم في مقامهم حر الشمس مع وهج أنفاسهم وتزاحم أجسامهم، ففاض العرق منهم على وجه الأرض، ثم على أقدامهم على قدر مراتبهم ومنازلهم عند ربهم من السعادة والشقاء، فمنهم من يبلغ العرق منكبيه[٣] وحقويه ومنهم إلى شحمة أذنيه ومنهم من قد ألجمه العرق وكاد أن يغيب فيه.

قلت: ذكر المحاسبي وغيره أن انفطار السماء وانشقاقها بعد جمع الناس في الموقف، وقد قدمنا أن ذلك يكون قبل ذلك وهو ظاهر القرآن كما ذكرنا والله أعلم. وقد جاء ذلك مرفوعاً في حديث أبي هريرة ﷺ، وقد تقدم[٤]، وما ذكره المحاسبي مروي عن ابن عباس ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وزيد في سعتها كذا وكذا، وجمع الخلائق بصعيد واحد جنّهم وإنسهم، فإذا[٥] كان ذلك قبضت هذه السماء عن أهلها، فينشروا على وجه هذه[٦] الأرض، فلأهل السماء [٩٣/ب] أكثر من جميع أهل الأرض جنهم وإنسهم بالضعف، الحديث بطوله ذكره **ابن المبارك في** رقائقه[٧] قال: أخبرنا عوف عن أبي المنهال سيار بن سلامة الرياحي قال: أخبرنا شهر بن حوشب قال: حدثني ابن عباس فذكره.

قال **ابن المبارك**[٨]: وأخبرني[٩] جويبر عن الضحاك قال: إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشققت بأهلها فتكون الملائكة على حافاتها[١٠]

---

(١) في (ع): ازدحمت الخلائق.
(٢) في (ع، ظ): بعضها، والأصلب يتوافق مع (م).
(٣) في (ع): إلى منكبيه. (٤) ص(٤٨٣).
(٥) في (ع): فإن. (٦) (هذه): ليست في (ظ).
(٧) ص(١٠١)، ح٣٥٣.
(٨) في الزهد والرقائق له (في الزوائد) ص(١٠٣)، ح٣٥٤.
(٩) في (ع، ظ): وأخبرنا.
(١٠) في (الأصل): حافتاها، وتصويبه من (ع، ظ، م، والزهد لابن المبارك).

حتى يأمرهم الرب فينزلون إلى الأرض ويحيطون بالأرض ومن فيها، ثم يأمر السماء[1] التي تليها فينزلون فيكونون صفاً خلف ذلك الصف، ثم السماء الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، فينزل الملك الأعلى في بهائه وجلاله[2] وملكه، ومجنبته اليسرى جهنم، فيسمعون زفيرها وشهيقها، فلا يأتون قطراً من أقطارها إلا وجدوا صفوفاً قياماً من الملائكة، فذلك قوله: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرحمن: ٣٣]، والسلطان[3] العذر، وذلك قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢] ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ [الحاقة: ١٦ ـ ١٧] يعني حافاتها، يعني بأرجائها ما تشقق منها، فبينا هم كذلك إذ سمعوا الصوت فأقبلوا إلى الحساب.

قلت: ولا يصح إسنادهما، فإن شهراً وجويبراً قد تُكلِّم فيهما وضعَّفوهما، قال البخاري في التاريخ[4]: جويبر بن سعيد البلخي عن الضحاك قال [لي علي][5]: قال لي يحيى كنت أعرف جويبراً بحديثين [يعني][6]، ثم أخرج هذه الأحاديث بعد فضعفه. وأما شهر فقال مسلم في صدر كتابه[7]: سئل ابن عون[8] عن حديث شهر وهو قائم على أُسْكُفَّة الباب فقال: إن شهراً تركوه، إن شهراً[9] تركوه، قال مسلم: يقول: أخذته ألسنة الناس، تكلموا فيه، وقال[10] عن شعبة: وقد لقيت شهراً فلم أعتد[11] به.

---

(١) في (ع، ظ): يأمر الله السماء، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.
(٢) (وجلاله): ليست في (ع).
(٣) (والسلطان): ساقطة من (ع).
(٤) في التاريخ الكبير ٢/ ٢٥٧، ح٢٣٨٣.
(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، والتاريخ الكبير).
(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، والتاريخ الكبير).
(٧) أي الصحيح ١/ ١٧.
(٨) في (الأصل): ابن عوف، وتصويبه من (ع، ظ، ومصدر المؤلف).
(٩) في (الأصل): وإن شهراً، والتصويب من (ع، ظ، وصحيح مسلم).
(١٠) أي مسلم.
(١١) في (جميع النسخ): اعتددت، وتصويبه من مصدر المؤلف.

وذكر أبو حامد في كتاب كشف علم الآخرة[١] نحواً مما ذكره[٢] المحاسبي عن ابن عباس والضحاك فقال: إن الخلائق إذا اجتمعوا في صعيد واحد: الأولين والآخرين، أمر الجليل ﷻ ملائكة[٣] سماء الدنيا أن يتولوهم فيأخذ كل واحد منهم إنساناً وشخصاً من المبعوثين إنساً وجناً ووحشاً وطيراً وحولوهم إلى الأرض الثانية وهي أرض بيضاء من فضة نورية وصارت الملائكة من وراء العالمين حلقة واحدة فإذا هم أكثر [من][٤] أهل الأرض بعشر مرات، ثم إن الله سبحانه يأمر ملائكة السماء الثانية فيحدقون[٥] حلقة واحدة فإذا هم مثلهم[٦] عشرون مرة ثم تنزل ملائكة السماء الثالثة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة وإذا هم مثلهم ثلاثون ضعفاً، ثم تنزل ملائكة السماء الرابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة فإذا هم[٧] أكثر منهم بأربعين ضعفاً، ثم تنزل ملائكة السماء الخامسة فيحدقون من ورائهم حلقة واحدة فيكونون مثلهم خمسين[٨] مرة، ثم تنزل ملائكة السماء السادسة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم ستون مرة، ثم تنزل ملائكة السماء السابعة فيحدقون من وراء الكل [٩٤/أ] حلقة واحدة وهم مثلهم سبعون مرة، والخلق تتداخل وتندمج حتى يعلو القدم ألف قدم لشدة الزحام، ويخوض الناس في العرق على أنواع مختلفة إلى الأذقان وإلى الصدر وإلى الحقوين وإلى الركبتين، ومنهم من يصيبه الرشح اليسير كالقاعد في الحمام، ومنهم من تصيبه البلة، كالعاطش إذا شرب الماء، وكيف لا يكون القلق والعرق[٩] والأرق[١٠] وقد قربت الشمس من رؤوسهم

---

(١) ص(٦٦ ـ ٧٢).
(٢) في (ع): مما ذكر.
(٣) في (ع): بملائكة.
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، مصدر المصنف).
(٥) في (ظ): فيتحلقون.
(٦) من هذا الموضع سقط في (ع) إلى قوله: مثلهم ثلاثون.
(٧) (فإذا هم): ليست في (ع).
(٨) في (الأصل): خمسون، وتصويبه من (ع، ظ، كشف علوم الآخرة)؛ لأن موقع الكلمة الأعرابي خبر كان منصوب.
(٩) في (الأصل): الغرق، وتصويبه من (ظ، وكشف علوم الآخرة)، والكلمة ساقطة من (ع).
(١٠) في (الأصل): الأرقت، وتصويبه من (ع، ظ، وكشف علوم الآخرة).

حتى لو مدّ يده لنالها، ويضاعف حرها سبعين مرة، وقال بعض السلف: لو طلعت الشمس على الأرض كهيئتها[(١)] يوم القيامة لاحترقت الأرض وأذابت[(٢)] الصخر وتنشفت الأنهار، فبينما الخلائق[(٣)] يموجون في تلك الأرض البيضاء التي ذكرها الله تعالى [حيث يقول][(٤)]: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] وهم على أنواع في المحشر على ما تقدم[(٥)] في حديث معاذ، والملوك كالذر كما قد روي[(٦)] في الخبر في وصف المتكبرين وليس هم كهيئة الذر غير أن الأقدام علتهم[(٧)] حتى صاروا كالذر في مذلتهم وانخفاضهم، وقوم يشربون ماء بارداً عذباً صافياً؛ لأن الصبيان يطوفون على آبائهم بكؤوس من أنهار الجنة يسقونهم.

وعن بعض السلف: أنه نام فرأى القيامة قد قامت، وكأنه في الموقف عطشان وصبيان صغار يسقون الناس، قال: فناديتهم: ناولوني شربة، فقال لي منهم واحد: ألك فينا ولد؟ فقلت: لا، قال: فلا إذن، ولهذا فضل التزويج[(٨)]، ولهذا الولد الساقي شروط ذكرناها في الإحياء[(٩)]، وقوم[(١٠)] قد مُدّ على رؤوسهم ظل[(١١)] يمنعهم من الحر وهي الصدقة الطيبة لا يزالون كذلك ألف عام، حتى إذا سمعوا نقر الناقور الذي وصفناه في كتاب الإحياء[(١٢)] وهو

---

(١) في (الأصل): هيئتها، وتصويبه من (ع، ظ، كشف علوم الآخرة).
(٢) في (ع، ظ): ذات، والأصل يتوافق مع مصدر المؤلف.
(٣) في (ع): فبينما هم.
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، مصدر المؤلف).
(٥) ص(٥٢٥).
(٦) في (ع): كما ورد، في (كشف علوم الآخرة): كما روي.
(٧) في (ع، وكشف علوم الآخرة): عليهم.
(٨) في (ع، وكشف علوم الآخرة): وفي هذا فضل التزويج.
(٩) ٢/ ٢٧.
(١٠) (وقوم): ليست في (ع).
(١١) في (الأصل): قدموا على رؤوسهم ظلا، وفي (ع، ظ): قد قدموا على رؤوسهم ظلا، والتصويب من مصدر المصنف.
(١٢) ٤/ ٥١٢.

من بعض أسرار القرآن فتوجل له القلوب وتخشع الأبصار لعظيم[١] نقره وتشتاف[٢] الرؤوس من المؤمنين والكافرين يظنون أن ذلك عذاب يزداد[٣] في هول يوم القيامة، فإذا بالعرش يحمله ثمانية أملاك قدم الملك مسيرة عشرين ألف سنة، وأفواج الملائكة وأنواع الغمام بأصوات التسبيح لهم هرج عظيم لا تطيقه العقول، حتى يستقر العرش في تلك الأرض البيضاء التي قد خلقها الله تعالى لهذا الشأن خاصة، فتطرق الرؤوس وتخنس وتشفق البرايا وترغب[٤] الأنبياء، ويخاف العلماء، ويفزع الأولياء والشهداء من عذاب الله سبحانه إذ لا يطيقه[٥] شيء إذ غشاهم نور حتى غلب على نور الشمس التي كانوا في حرها، فلا يزالون يموج[٦] بعضهم في بعض ألف عام، والجليل سبحانه لا يكلمهم[٧] كلمة واحدة، فحينئذ يذهب الناس إلى آدم فيقولون: يا أبا البشر الأمر علينا شديد، وأما الكافر فيقول: يا رب أرحني ولو إلى النار من شدة ما يرى من الهول، يقولون[٨]: أنت الذي خلقك[٩] الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته: اشفع لنا في فصل القضاء[١٠]، وذكر أمر الشفاعة من نبي إلى نبي، وأن ما[١١] بين إتيانهم من نبي إلى نبي ألف عام، حتى تنتهي الشفاعة إلى نبينا[١٢] محمد ﷺ على ما يأتي[١٣] بيانه في[١٤] أمر الشفاعة في أحاديث إن شاء الله تعالى.

ونحو من هذا أيضاً ذكر [٩٤/ب] الفقيه أبو بكر بن برّجان في كتاب

---

(١) في (كشف علوم الآخرة): لعظم.
(٢) في (الأصل ع، ظ): وتساق، والتصويب من مصدر المصنف.
(٣) في (ع): يزاد.
(٤) في (كشف علوم الآخرة): ترعب، وفي (ظ): الغين غير معجمة.
(٥) في (ع، ظ): الذي لا يطيقه، والأصل متوافق مع (مصدر المؤلف).
(٦) في (ع): يموجون.
(٧) في (ع): لا يكلم.
(٨) في (ع، ظ): فيقولون.
(٩) في (ع): خلقه.
(١٠) نهاية النقل من كشف علوم الآخرة.
(١١) في (ما): ليست في (ع).
(١٢) (نبينا): ليست في (ظ).
(١٣) ص(٥٩٨).
(١٤) في (ع): من.

الإرشاد له قال: فإذا كان يومئذ جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد وكورت الشمس، وانكدرت النجوم، ومارت السماء فوق الخلائق موراً، وتفطرت من عظيم[(١)] هول ذلك اليوم، وتشققت بالغمام المنزل عليهن من فوقهن، ثم صارت وردة كالدهان، وكشطن سماء سماء، ونزلت[(٢)] الملائكة تنزيلاً، وقام الخلائق وطال قيامهم أقل ما قيل في قيامهم مقدار أربعين عاماً إلى ثلاثمائة عام، و[(٣)]أيّ ما كان فاليوم يسعه، قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب إبل» الحديث وفيه: «ردت عليه أولاها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة»[(٤)]، وسيأتي[(٥)] بكماله، وهم في قيامهم ذلك في الظلمة دون الحشر كما في صحيح مسلم من حديث ثوبان: «عراة غرلاً»[(٦)]، «أعطش ما كانوا وأجوع ما كانوا قط وأعراه[(٧)]»[(٨)]، فلا يسقى ذلك اليوم إلا من سقى لله ﷻ ولا يطعم إلا من أطعم لله[(٩)]، ولا يكسى يومئذ إلا من كسا لله[(١٠)]، ولا يُكفى إلا من اتكل[(١١)] على الله، ومصداق هذا في كتاب الله ﷻ قوله: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ إلى قوله: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ [الإنسان: ٧، ١١] أي من إزالة الجوع والعطش والعري إلى غير ذلك من أهوال يوم[(١٢)] القيامة وأفزاعها على ما يأتي[(١٣)] بيانه في هذا[(١٤)] الباب [و][(١٥)]الذي يليه.

أبو بكر بن أبي شيبة[(١٦)] عن أبي معاوية عن عاصم عن أبي عثمان عن

---

(١) (عظيم): ليست في (ع).
(٢) في (ع، ظ): نزل.
(٣) (الواو): ليست في (ع، ظ).
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ٦٨٢، ح٩٨٧.
(٥) (وسيأتي): ساقطة من (ظ) وسيأتي ص(٦٩٠).
(٦) في الصحيح ٤/ ٢١٩٤، ح٢٨٥٩.
(٧) في (الأصل): عراة، وما أثبته من (ع، ظ).
(٨) أورد ابن حبان نحوه في الثقات في ترجمة أحمد بن محمد الصفار ٨/ ١٨ رقم ١٢٠٦٨.
(٩) في (ع، ظ): أطعم الله.
(١٠) في (ظ): كسا الله.
(١١) في (ظ): توكل.
(١٢) (يوم): ليست في (ع، ظ).
(١٣) ص(٥٩٣).
(١٤) (هذا): ليست في (ع).
(١٥) ما بين المعقوفتين من (ع).
(١٦) أخرجه في مصنفه ٦/ ٣٠٨، ح٣١٦٧٥.

سلمان قال: تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تدنى من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين، قال: فيعرقون حتى يرشح العرق في الأرض قامة، ثم يرتفع حتى يغرغر الرجل، قال سلمان: حتى يقول[1] الرجل غرغر، فإذا رأوا ما هم فيه قال بعضهم لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه ائتوا أباكم آدم فيشفع لكم الحديث بطوله، وسيأتي[2] مرفوعاً من حديث أبي هريرة.

وأخرجه **ابن المبارك**[3]: أنبأ سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي[4] عن سلمان قال: تدنى الشمس من الناس يوم القيامة حتى تكون من رؤوسهم قاب قوسين أو قوسين[5] فتعطى حر عشر سنين ليس على[6] أحد يومئذ طُخْرُبة[7] ولا يرى فيها[8] عورة مؤمن ولا مؤمنة، ولا يضر حرها يومئذ مؤمناً ولا مؤمنة، وأما الآخرون أو قال: الكفار[9] فتطحنهم، فإنما تقول أجوافهم غق غق، قال نعيم[10]: الطُّخْرُبة: الخرقة[11].

وأخرجه **هناد بن السري**[12]: حدثنا قبيصة عن سفيان عن سليمان التيمي فذكره سواء إلا أنه قال: «لا يجد حرها» بدل «ولا تضر»، قال: «وأما الكفار[13] أو الآخرون فتطحنهم طحناً حتى يسمع لأجوافهم غق غق».

---

(١) (قال سلمان: حتى يقول): ساقطة من (ظ).

(٢) ص(٥٩٧ ـ ٥٩٨).

(٣) في كتابه الزهد والرقائق (في الزوائد) ص(١٠٠)، ح٣٤٧.

(٤) في (الأصل): المهدي، وتصويبه من (ع، ظ، الزهد لابن المبارك).

(٥) هكذا في (الأصل، ع، مصدر المصنف) وفي (ظ): قاب قوس أو قوسين، وهذا الأخير في المناسب.

(٦) في (الأصل): في، وما أثبته من (ع، ظ، والزهد).

(٧) في النهاية في غريب الحديث ٣/١١٦: الطُّخْرُبَة بضم الطاء والراء، وبكسرهما وبالحاء والخاء: اللباس، وقيل: الخرقة. وأكثر ما يستعمل في النفي.

(٨) في (ع): فيه. (٩) في (ظ): الكافرين.

(١٠) في (ع): قال بعضهم: هو نعيم بن حماد كما في زوائد الزهد ص(١٠٠)، ح٣٤٧.

(١١) ذكر قول نعيم ابنُ المبارك في زهده ص(١٠٠).

(١٢) في كتابه الزهد ١/٢٠٢، ح٣٣٢.

(١٣) في (الأصل، ظ): الكافر، وما أثبته من (ع، والزهد لهناد) والسياق يدل عليه.

مسلم(١) عن سليم بن عامر عن المقداد بن الأسود ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُدْنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل»، قال سليم بن عامر: فوالله ما أدري ما يعني بالميل؟ أمسافة الأرض أو الميل الذي تكحل به العين، قال: فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من [٩٥/أ] يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمهم العرق إلجاماً، قال: وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه.

وأخرجه **الترمذي**(٢) وزاد بعد قوله: «تكحل به العين» «فتصهرهم الشمس».

وذكر **ابن المبارك**(٣): أخبرنا مالك بن مغول عن عبيد الله(٤) بن العيزار، قال: إن الأقدام يوم القيامة مثل النبل في القرن، والسعيد الذي يجد لقدميه موضعاً يضعهما(٥) عليه، وإن الشمس تدنى من رؤوسهم حتى لا يكون بينها وبين رؤوسهم(٦) إما قال ميلاً أو ميلين، ثم يزاد في حرها بضعة وستين ضعفاً، وعند الميزان ملك إذا وزن العبد نادى ألا إن فلان ابن فلان قد ثقلت موازينه وسعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً(٧)، ألا إن فلان ابن فلان خفت موازينه وشقي شقاء لا يسعد بعده(٨) أبداً.

مسلم(٩) عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن العرق يوم

---

(١) في صحيحه ٤/ ٢١٩٦، ح٢٨٦٤.

(٢) في جامعه ٤/ ٦١٤، ح٢٤٢١؛ وابن حبان في صحيحه ١٦/ ٣٢٥، ح٧٣٣٠، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٢٩٠، ح١٩٧٣.

(٣) في الزهد (في الزوائد) ص(١١٠)، ح٣٧٢.

(٤) في (ع، ظ): عبد الله، والأصل متوافق مع (م) ومصدر المؤلف والتاريخ الكبير للبخاري ٥/ ٣٩٤ رقم ١٢٧٢.

(٥) في (الأصل): يصفها، والتصويب من (ع، ظ، الزهد).

(٦) (حتى لا يكون بينها وبين رؤوسهم): سقط من (ظ).

(٧) من هذا الموضع إلى قوله: أبدا، ساقط من (ظ).

(٨) هكذا في (الأصل، ظ، مصدر المصنف) وفي (ع): بعدها.

(٩) في صحيحه ٤/ ٢١٩٦ ح٢٨٦٣.

القيامة ليذهب في الأرض سبعين باعاً وإنه ليبلغ إلى أفواه الناس أو إلى آذانهم شك ثور[١] أيهما قال»، أخرجه **البخاري**[٢]. عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «يوم يقوم[٣] الناس لرب العالمين قال: يقوم أحدهم في رشحه إلى نصف أذنيه[٤]»، أخرجه **البخاري**[٥] **والترمذي**[٦]، وقال: حديث حسن صحيح مرفوعاً وموقوفاً.

وروى **هناد بن السري**[٧] قال: حدثنا محمد بن فضيل[٨] عن ضرار بن مرة عن عبد الله المكتب عن عبد الله بن عمر قال: قال له رجل إن أهل المدينة ليوفون الكيل يا أبا عبد الرحمن، قال: وما منعهم[٩] أن يوفوا الكيل؟ وقد قال الله[١٠] تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ حتى بلغ: ﴿يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ١ ـ ٦]، قال: إن العرق ليبلغ انصاف آذانهم من هول يوم القيامة وعظمه.

وخرّج الوائلي من حديث ابن وهب قال: حدثني عبد الرحمن بن ميسرة عن أبي هانئ عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي[١١] عن عبد الله بن عمرو قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾، ثم قال رسول الله ﷺ: «كيف بكم إذا جمعكم الله ﷻ كما يجمع النبل في الكنانة

---

(١) (ثور): ليست في (ظ)، وهو ثور بن زيد الديلي، المدني مولاهم، روى عن الحسن البصري، انظر: تهذيب الكمال ٤/٤١٦، روى عنه مالك، مات سنة ١٥٣هـ، انظر: رجال مسلم للأصبهاني ١/١١١.

(٢) في صحيحه ٢/٥٣٦، ح١٤٠٥.

(٣) في (ع): قال: يقوم.

(٤) في (البخاري): الأذن.

(٥) في صحيحه ٤/١٨٨٤، ح٤٦٥٤.

(٦) في جامعه ٤/٦١٥، ح٢٤٢٢، و٥/٤٣٤، ح٣٣٣٥، وليس في الموضعين قول الترمذي: مرفوعاً وموقوفاً.

(٧) في الزهد له ١/٢٠٠، ح٣٢٨.

(٨) في (ع، والزهد): ابن فضيل.

(٩) في (ع، والزهد): وما يمنعهم.

(١٠) (لفظ الجلالة): ليس في (ع).

(١١) هو عبد الله بن يزيد المعافري، أبو عبد الرحمن الحُبُلي ثقة، من الثالثة، توفي سنة مائة، وفي الأصل: الحيلي، وفي (ع، ظ): الختلي، وكلاهما تصحيف تصويبه من (تقريب التهذيب ١/٣٢٩ رقم ٣٧١٢، وصحيح مسلم ومستدرك الحاكم).

خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم»[١]. قال الوائلي: غريب جيد الإسناد. وقد خرّج مسلم[٢] لابن وهب عن أبي هانئ نفسه عن الحبلي[٣] عن عبد الله أحاديث.

ابن المبارك قال: أخبرنا[٤] الأوزاعي قال: سمعت بلال بن سعد[٥] يقول: إن للناس يوم القيامة جولة وهو قوله ﷻ: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠﴾ [القيامة: ١٠]، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ﴾ [سبأ: ٥١][٦]. وفي حديث جويبر عن الضحاك: فينزل الملك الأعلى في بهائه وملكه، ومجنبته اليسرى جهنم فيسمعون زفيرها وشهيقها فلا يأتون قطراً من أقطارها إلا وجدوا صفوفاً قياماً من الملائكة، فذلك قوله: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ۝٣٣﴾ [الرحمن: ٣٣]، والسلطان: العذر، وقال رسول الله ﷺ: «خوفني جبريل يوم القيامة حتى أبكاني، فقلت: يا جبريل ألم يغفر لي ربي[٧] ما تقدم من ذنبي وما تأخر؟ فقال [٩٥/ب]: يا محمد لتشهدن من هول ذلك اليوم ما ينسيك المغفرة»[٨]. ذكره أبو الفرج ابن الجوزي[٩].

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه ٤/ ٦١٦، ح٨٧٠٧، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٣٥: رواه الطبراني ورجاله ثقات. ا.هـ. ولم أجده في معاجم الطبراني الثلاثة.

(٢) في صحيحه ٣/ ١٥٠١، ح١٨٨٤، و٣/ ١٥١٤، ح١٩٠٦.

(٣) فيه التصحيف السابق نفسه.

(٤) في (الأصل): أخبرني، وما أثبته من (ع، ظ، الزهد).

(٥) في (الأصل، ظ): سعيد، تصويبه من (ع، وتقريب التهذيب ١/ ١٢٩ رقم ٧٨٠، والزهد لابن المبارك في موضع آخر ص(٢٤).

(٦) من هذا الموضع إلى قوله: والسلطان العذر، ليست في (ع، ظ).

(٧) (ربي): ليست في (ع).

(٨) ذكره المؤلف في تفسيره ٦/ ٣٦١.

(٩) لم أجده فيما وقفت عليه من كتب ابن الجوزي.

فصل

قلت: ظاهر ما رواه ابن المبارك عن سليمان: أن الشمس لا يضر حرها مؤمناً ولا مؤمنة، العموم في المؤمنين وليس كذلك، لحديث المقداد المذكور بعده، وإنما المراد [والله أعلم][1] لا يضر مؤمناً كامل الإيمان، أو من استظل بظل عرش الرحمن كما في الحديث الصحيح: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»، الحديث رواه الأئمة مالك[2] وغيره[3]، وسيأتي[4] في الباب بعد هذا إن شاء الله تعالى.

وكذلك ما جاء أن المرء في ظل صدقته[5]، وكذلك الأعمال[6] الصالحة أصحابها في ظلها إن شاء الله. وكل ذلك في ظل العرش، والله أعلم.

وأما غير هؤلاء[7] متفاوتون[8] في العرق على ما دل عليه حديث مسلم.

قال ابن العربي[9]: وكل واحد[10] يقوم عرقه معه فيغرق فيه إلى أنصاف ساقيه وإلى جانبيه مثلاً يمنة من يبلغ كعبيه، ومن الجهة الشُومى[11] من يبلغ ركبتيه، ومن أمامه من يكون عرقه إلى نصفه[12]، ومن خلفه من يبلغ العرق صدره، وهذا خلاف المعتاد[13] في الدنيا، فإن الجماعة إذا وقفوا في الأرض

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ). (٢) في الموطأ ٢/ ٩٥٢، ح١٧٠٩.
(٣) البخاري في صحيحه ١/ ٢٣٤، ح٦٢٩؛ ومسلم في صحيحه ٢/ ٧١٥، ح١٠٣١.
(٤) ص(٥٩٦).
(٥) يشير إلى قوله ﷺ: «كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس...» الحديث رواه ابن خزيمة في صحيحه ٤/ ٩٤، ح٢٤٣١؛ وابن حبان في صحيحه ٨/ ١٠٤، ح٣٣١٠.
(٦) في (ع): إن الأعمال. (٧) في (ع): غيرها.
(٨) في (ع، ظ): فمتفاوتون.
(٩) لم أهتد إلى موضعه فيما وقفت عليه من كتبه.
(١٠) في (ع): أحد.
(١١) قال ابن قتيبة: ويقال لليد اليسرى الشُومى، غريب الحديث له ١/ ٥٢٥.
(١٢) في (ظ): أنصافه. (١٣) في (الأصل): المعتاد، مكررة.

المعتدلة أخذهم الماء أخذاً واحداً ولا يتفاوتون كما ذكرنا مع استواء الأرض [و][١]مجاورة[٢] المحل، وهذا من القدرة التي تخرق العادات في زمن الآيات.

وقال الفقيه أبو بكر بن برجان في كتاب الإرشاد له: ولا يبعدن عليك هذا[٣] يرحمك[٤] الله أن يكون الناس كلهم في صعيد واحد وموقف[٥] سواء يشرب أحدهم أو بعضهم من الحوض ولا يشرب الغير، ويكون النور يسعى بين يدي البعض في الظلمات مع قرب المكان وازدحام الناس، ويكون أحدهم يغرق في عرقه حتى يلجمه أو يبلغ منه عرقه ما شاء الله جزاء لسعيه في الدنيا، والآخر في ظل العرش على قرب المكان والمجاورة كذلك كانوا في الدنيا، يمشي المؤمن بنور إيمانه في الناس والكافر في ظلام كفره، والمؤمن في وقاية الله وكفايته، والكافر والعاصي في خذلان الله لهما، وعدم العصمة، والمؤمن السني يكرع في سنة رسول الله ﷺ ويروى ببرد اليقين ويمشي في سبيل الهداية بحسن الاقتداء، والمبتدع عطشان إلى ما روي المؤمنين به[٦]، حيران لا يشعر، سالك في مسالك ضلالات البدع وهو لا يدري، كذلك في الوجود، الأعمى لا يجد نور بصر البصير ولا ينفعه دواء، وإنما هي بواطن ظهرت، وظواهر بطنت، فتشعر لذلك وتفطَّن، واستعن بالله يُعنك، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وقال أبو حامد[٧]: واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله من حج، وجهاد، وصيام، وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم، وتحمل مشقة في أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، فيستخرجه[٨] الحياء والخوف في صعيد القيامة ويطول فيه الكرب، ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٢) في (الأصل): مجاوزة، وتصويبه من (ع، ظ، م).
(٣) في (ع): هذا عليك.
(٤) في (ع، ظ): رحمك.
(٥) في (ع): وموقف واحد.
(٦) في (ع، ظ): روي المؤمن به.
(٧) في الإحياء ٤/ ٥١٥.
(٨) في (ع): فيخرجه.

العرق[1] في تحمل مصاعب الدنيا أهون أمراً وأقصر زماناً من عرق الكرب والانتظار في القيامة [٩٦/أ] فإنه يوم عظيم شدته، طويل مدته.

وذكر **أبو نعيم**[2] عن أبي حازم أنه قال: لو نادى مناد من السماء: أمِنَ أهل الأرض من دخول النار، لحق عليهم الوجل من هول[3] ذلك الموقف ومعاينة ذلك اليوم.

باب ما ينجي من أهوال يوم القيامة وكربها

مسلم[4] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من نَفَّسَ عن مؤمن[5] كربة من كرب الدنيا نَفَّسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»، وذكر الحديث[6].

وخرج **الترمذي الحكيم** في نوادر الأصول[7] قال: حدثنا أبي ﷺ قال: ثنا عبد الله بن نافع قال: حدثني ابن أبي فديك[8] عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن في مسجد المدينة فقال: إني رأيت البارحة عجباً، رأيت رجلاً من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرده[9] عنه، ورأيت رجلاً من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك، [ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاء ذكر الله فخلصه من بينهم][10]، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب

---

(١) في (الأصل): العارف، وتصويبه من (ع، ظ، ومصدر المصنف).

(٢) في الحلية ٣/ ٢٣٠.

(٣) في (ع، الحلية): حضور.

(٤) في صحيحه ٤/ ٢٠٧٤، ح٢٦٩٩.

(٥) في (ع، ظ): مسلم، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.

(٦) (وذكر الحديث): ليست في (ع، ظ).

(٧) ٣/ ٢٣١؛ قال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف الجامع الصغير ص(٣٠٤)، ح٢٠٨٦.

(٨) هو محمد بن إسماعيل بن مسلم الديلي، مولاهم المدني، حدث عن ابن أبي ذئب، حدث عنه سلمة بن شبيب، توفي سنة ٢٠٠هـ، السير ٩/ ٤٨٦.

(٩) في (ع): فرد.

(١٠) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم، ورأيت رجلاً من أمتي يلهث عطشاً؛ كلما ورد حوضاً منع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه، ورأيت رجلاً من أمتي والنبيون قعود حلقاً حلقاً، كلما دنا لحلقة طردوه[(١)]، فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده في[(٢)] جنبي، ورأيت رجلاً من أمتي بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة، ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة، فهو محير[(٣)] فيها، فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور[(٤)]، ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين[(٥)] فلا يكلموه فجاءته صلة الرحم فقالت: يا معشر المؤمنين كلِّموه فكلَّموه، ورأيت رجلاً من أمتي يتقي وهج النار وشررها بيده[(٦)] عن وجهه فجاءته صدقته فصارت ستراً على وجهه وظلاً على رأسه، ورأيت رجلاً من أمتي قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة، ورأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه، بينه وبين الله حجاب، فجاءه حُسن خلقه فأخذه بيده فأدخله على الله، ورأيت رجلاً من أمتي قد هوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله تعالى فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه، ورأيت رجلاً من أمتي قد خف[(٧)] ميزانه فجاءته أفراطه[(٨)] فثقَّلوا ميزانه، ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على شفير جهنم فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى، ورأيت رجلاً من أمتي هوي في النار فجاءته دموعه التي بكى من [٩٦/ب] خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار، ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة، فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدته ومضى، ورأيت رجلاً من أمتي على الصراط يحبو أحياناً ويتعلق أحياناً[(٩)]

---

(١) في (ع، ظ): طرد.
(٢) في (ع): على.
(٣) في (ع، ظ): متحير.
(٤) في (ظ): في النور.
(٥) في (ع): الناس.
(٦) في (ظ): بيديه.
(٧) في (ع): خفت.
(٨) في (ع): أمراضه.
(٩) في (الأصل): يزحف أحياناً ويحبو أحياناً، وما أثبته من (ع، ظ، ومصدر المؤلف).

فجاءته صلاته عليّ فأخذت بيده فأقامته[١]، ومضى على الصراط، ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة.

قلت: هذا حديث عظيم ذكر فيه أعمالاً خاصة تنجي من أهوال خاصة والله أعلم.

وقد ينجي منها كلها ما ثبت في صحيح **مسلم**[٢] عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء[٣] إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسراً فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال: قال الله ﷻ: أنا أحق بذلك منك تجاوزوا عن عبدي». وخرّج[٤] عن حذيفة[٥] ﷺ عن النبي ﷺ: «أن رجلاً مات فدخل الجنة فقيل له: ما كنت تعمل؟ فقال: أما ذكروا ما ذكر، فقال: إني كنت أبايع الناس فكنت أنظر المعسر وأتجوز في السكة أو في النقد، فغفر له»، وقال ابن مسعود وأنا سمعته من رسول الله ﷺ، رواه مسلم[٦] من طرق، وخرجه **البخاري**[٧].

وروى **مسلم**[٨] عن أبي قتادة ﷺ أنه طلب غريماً له فتوارى عنه ثم وجده، فقال: إني معسر، قال: آلله، قال: آلله[٩]، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر، أو يضع عنه.

وعن أبي اليسر واسمه كعب بن عمرو[١٠] أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) في (الأصل): وأقامته، وما أثبته من (ع، ظ، ومصدر المؤلف).
(٢) ٣/ ١١٩٥، ح١٥٦١.
(٣) في (ع، ظ): فلم يوجد له شيء من الخير، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.
(٤) أي مسلم في صحيحه ٣/ ١١٩٥، ح١٥٦٠.
(٥) في (ظ): عن النبي ﷺ.
(٦) (رواه مسلم): ليست في (ع).
(٧) في صحيحه ٢/ ٨٤٣، ح٢٢٦١.
(٨) في صحيحه ٣/ ١١٩٦، ح١٥٦٣.
(٩) (قال آلله: قال آلله): ليست في (ع).
(١٠) في (الأصل): عمر، وتصويبه من (ع، ظ، تقريب التهذيب ١/ ٤٦١ رقم ٥٦٤٦).

«من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله»، خرجه مسلم[(١)].

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: من أنظر مديوناً فله بكل يوم عند الله وزن أحد ما لم يطلبه[(٢)].

وروى الأئمة[(٣)] عن رسول الله ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق[(٤)] في المساجد[(٥)] ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة[(٦)] ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله ﷻ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت[(٧)] يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه». معنى في ظله، أي في ظل عرشه، وقد جاء هكذا مفسراً في الحديث.

وروى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة قال: حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أشبع جائعاً، أو كسا عارياً، أو آوى مسافراً أعاذه الله من أهوال يوم القيامة»[(٨)].

وخرج الطبراني[(٩)] سليمان بن أحمد عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لقم أخاه لقمة حلواً صرف الله عنه [٩٧/أ] مرارة الموقف يوم القيامة».

وفي التنزيل تحقيقاً لهذا الباب وجامعاً له قوله الحق: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ إلى قوله: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ مع قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾

---

(١) في صحيحه ٢٣٠٢/٤، ح٣٠٠٦.
(٢) ذكر المنذري في الترغيب والترهيب نحوه عن بريدة ٢٢/٢
(٣) تقدم تخريجه ص(٥٩١).
(٤) في (ع): متعلق.
(٥) في (ع، ظ): بالمساجد، والأصل متوافق مع صحيح البخاري.
(٦) (امرأة): ليست في (ع).
(٧) في (ع، ظ): ما ينفق.
(٨) لم أقف عليه، وفيه أبو هدبة متروك.
(٩) لم أجده في معاجم الطبراني الثلاثة ومسند الشاميين له، قال ابن الجوزي في كتابه الموضوعات ١٧٩/٣ ـ ١٨١ بعد أن ذكر عدة روايات للحديث منها رواية أنس التي ذكرها المؤلف: هذه الأحاديث ليس فيها ما يصح، وقال ابن القيم: هذا لا يشبه الوحي فضلاً عن كلام الصحابة، انظر: المنار المنيف ص(٧١، ٧٣)، ح١١٦.

[الكهف: ٣٠] مع قوله في غير موضع بعد ذكر الأعمال الصالحة: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

باب

ذكر **أبو نعيم**[(١)] الحافظ قال: حدثنا سليمان بن أحمد قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن خالد قال: ثنا محمد بن سلام قال: ثنا يحيى بن بكير قال: حدثنا مالك عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة»، قال: وما[(٢)] يكفرها يا رسول الله؟ قال: «الهموم في طلب المعيشة». قال أحمد بن يحيى: فقلت: كيف سمعت هذا من يحيى بن بكير فلم يسمعه أحد غيرك؟ قال: كنت عند يحيى جالساً فجاءه رجل فذكر ضعفه، فقال: قال[(٣)] ابن بكير: حدثنا مالك فذكره[(٤)].

باب في الشفاعة العامة لنبينا[(٥)] ﷺ لأهل المحشر

مسلم[(٦)] عن أبي هريرة ﷺ قال: «أتي رسول الله ﷺ يوماً بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش[(٧)] منها نهشة[(٨)]، فقال: أنا سيد الناس يوم القيامة[(٩)]، وهل تدرون بم ذاك[(١٠)]؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم

---

(١) في الحلية ٦/ ٣٣٥؛ قال الألباني: موضوع، ضعيف الجامع الصغير ص(٢٨٩ ـ ٢٩٠)، ح١٩٩٤.

(٢) في (ع): فما. (٣) في (ع): قال فقال.

(٤) قال أبو نعيم في الحلية: غريب تفرد به محمد بن سلام عن يحيى عن مالك ٦/ ٣٣٥.

(٥) في (ع، ظ): لنبينا محمد.

(٦) في صحيحه ١/ ١٨٤، ح١٩٤، والبخاري في صحيحه ٤/ ١٧٤٥، ح٤٤٣٥.

(٧) في (مسلم): فنهس. (٨) في (مسلم): نهسة.

(٩) في (ع): أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر.

(١٠) في (الأصل): ذلك، وما أثبته من (ع، ظ، صحيح مسلم).

والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون إلى(١) من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم، فيأتون آدم(٢)، فيقولون: يا آدم أنت أبونا أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضباً(٣) لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً فيقولون يا نوح: أنت أول الرسل إلى الأرض وسمَّاك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربنا(٤)، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم نوح: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي(٥) دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم(٦) فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا، فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب [٩٧/ب] اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون يا موسى: أنت رسول الله فضلك الله برسالاته(٧) وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا، فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم(٨) غضباً لم يغضب قبله ولن يغضب بعده مثله وإني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمت الناس في المهد

---

(١) (إلى): ليست في (ع).
(٢) (فيأتون آدم): ليست في (ظ).
(٣) في (ظ): غضباً عظيماً.
(٤) في (ع): ربك.
(٥) في (ع): كانت له.
(٦) في (ظ): إلى إبراهيم.
(٧) في (الأصل) وصحيح البخاري: برسالته، وما أثبته من (ع، ظ، مصدر المصنف).
(٨) (اليوم): ليست في (ع).

وكلمة منه[1] ألقاها إلى مريم وروح منه فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنباً، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتوني[2] فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله[3] عليّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي[4]، ثم قال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تُشفّع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكَمَا بين مكة وهُجر وكما بين مكة وبُصْرى[5]، وفي البخاري: «كما بين مكة وحِمْيَر».

فصل

هذه الشفاعة العامة التي خص بها نبينا محمد ﷺ من بين سائر الأنبياء هي المراد بقوله ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي» رواه الأئمة، **البخاري**[6] **ومسلم**[7] وغيرهما[8].

وهذه الشفاعة العامة لأهل الموقف إنما هي لتعجيل حسابهم ويراحوا من

(١) في (الأصل): وكلمته، وما أثبته من (ع، ظ، مسلم).

(٢) في (ع): فيأتون.

(٣) (لفظ الجلالة): ليس في (ظ).

(٤) في (الأصل): لأحد غيري من قبل، و(من قبل): ليست في (ع، ظ)، وما أثبته من (م، ومسلم).

(٥) تقع بُصرى داخل الحدود السورية على مقربة من الحدود الأردنية، انظر: معجم المعالم الجغرافية لعاتق البلادي ص(٤٣ ـ ٤٤).

(٦) في صحيحه ٥/٢٣٢٣، ح٥٩٤٥.

(٧) في صحيحه ١/١٨٨، ح١٩٨.

(٨) الترمذي في جامعه ٥/٥٨٠، ح٣٦٠٢؛ وابن ماجه في سننه ٢/١٤٤٠، ح٤٣٠٧.

هول الموقف[(١)]، وهي الخاصة به ﷺ، وقوله: «فأقول: يا رب أمتي أمتي» اهتمام[(٢)] بأمر أمته، وإظهار محبته فيهم، وشفقته عليهم، وقوله: «فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه»، يدل على أنه شفع فيما طُلِبَ من تعجيل الحساب لأهل الموقف، فإنه لما أمر بإدخال من لا حساب عليه من أمته فقد شرع في حساب مَنْ عليه حساب مِن أمته[(٣)] وغيرهم وكان طلب هذه الشفاعة من الناس بإلهام من الله تعالى لهم حتى يظهر في ذلك اليوم مقام نبيه محمد ﷺ المحمود الذي وعده، ولذلك قال كل نبي: «لست لها، لست لها» حتى انتهى الأمر إلى محمد ﷺ فقال: «أنا لها».

وروى **مسلم**[(٤)] عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله الناس [٩٨/أ] يوم القيامة فيهتمون لذلك»، وفي رواية: فيلهمون، فيقولون: لو[(٥)] استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، قال: فيأتون آدم، وذكر الحديث.

وذكر أبو حامد[(٦)]: أن بين إتيانهم من آدم إلى نوح ألف عام، وكذا بين كل نبي إلى محمد ﷺ.

وذكر[(٧)] أيضاً أن الناس في الموقف على طبقات مختلفة وأنواع متباينة بحسب خواتمهم[(٨)] كمانع الزكاة، والغادر، والغال على ما يأتي[(٩)] بيانه، وآخرون قد عظمت فروجهم وهي تسيل صديداً يتأذى بنتنها جيرانهم، وآخرون قد صلبوا على جذوع النيران، وآخرون قد خرجت ألسنتهم على صدورهم أقبح

---

(١) في (ع، ظ): موقفهم.
(٢) في (ع، ظ): احتفال، وفي (م) أقرب إليهما.
(٣) تكررت في هذا الموضع في نسخة (ع) جملة: فقد شرع.
(٤) في صحيحه ١/ ١٨٠، ح١٩٣.
(٥) (لو): ساقطة من (ظ).
(٦) في كشف علوم الآخرة ص(٧٣).
(٧) أي أبو حامد في كتابه كشف علوم الآخرة ص(٧٦ ـ ٧٧)، وما ذكره الغزالي لم أقف له على دليل.
(٨) في (ع، ظ): جرانهم.
(٩) ص(٦٩٠).

ما يكون، وهؤلاء المذكورون هم الزناة واللوطية والكذابون، وآخرون قد عظمت بطونهم كالجبال الرواسي وهم آكلوا الربا، وكل ذي ذنب قد بدا سوء ذنبه. قاله في كتاب كشف علم الآخرة. وذكر في آخر[(١)] الكتاب أن الرسل يوم القيامة على المنابر والعلماء والأنبياء[(٢)] على منابر صغار دونهم[(٣)]، ومنبر كل رسول على قدره، والعلماء العاملون على كراسي من نور، والشهداء والصالحون كقراء القرآن والمؤذنون على كثبان من مسك[(٤)]، وهذه الطائفة العاملة أصحاب الكراسي هم الذين يطلبون الشفاعة من آدم ونوح حتى ينتهوا[(٥)] إلى رسول الله ﷺ.

وذكر الفقيه أبو بكر بن برّجان في كتاب الإرشاد له: ويلهم رؤوس المحشر لطلب[(٦)] من[(٧)] يشفع لهم ويريحهم مما هم فيه وهم رؤساء أتباع الرسل فيكون ذلك.

باب ما جاء أن هذه الشفاعة هي المقام[(٨)] المحمود

الترمذي[(٩)] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر»، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، قال: فيفزع الناس ثلاث فزعات، فيأتون آدم فيقولون: أنت أبونا فاشفع لنا إلى ربك، فيقول: إني أذنبت ذنباً فأهبطت به إلى الأرض، ولكن ائتوا نوحاً،

---

(١) في (ع): آخر هذا.
(٢) هكذا في (الأصل) و(ع)، وفي (ظ): والأنبياء والعلماء. وما في (ظ) أليق بمقام النبوة وبتقديم الأنبياء على العلماء.
(٣) في (ع): دونهم ومنبر رسول الله ﷺ.
(٤) في (ع): كثبان المسك.
(٥) في (ع): ينتهي.
(٦) في (ظ): الطلب.
(٧) في (الأصل): ممن، وما أثبته من (ع، ظ).
(٨) في (ظ): في هذه الشفاعة هي أنها المقام المحمود.
(٩) في جامعه ٥/٣٠٨، ح٣١٤٨، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/ ٧٠ ـ ٧١، ح٢٥١٦.

فيقول: إني دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا، ولكن اذهبوا[١] إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقول: إني كذبت ثلاث كذبات، ـ ثم قال رسول الله ﷺ: ما منها كذبة إلا ما[٢] حل بها عن دين الله ـ ولكن ائتوا موسى فيأتون موسى فيقول: قد قتلت نفساً، ولكن ائتوا عيسى فيأتون[٣] عيسى فيقول: إني عُبدت من دون الله، ولكن ائتوا محمداً ﷺ فيأتون[٤] فأنطلق معهم. قال ابن جدعان: قال أنس: وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ قال: «فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها فيقال: من هذا؟ فيقال: محمد، فيفتحون لي ويرحبون، فيقولون: مرحباً، فأخر ساجداً، فيلهمني من الثناء والحمد، فيقال لي: ارفع رأسك وسل تعطه[٥]، واشفع تشفع، وقل يسمع لقولك، وهو المقام المحمود الذي قال الله فيه: ﴿عَسَىٰ [٩٨/ب] أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

قال سفيان: ليس عن أنس إلا هذه الكلمة: «فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها»[٦]، قال الترمذي: حديث حسن.

خرّجه[٧] **أبو داود الطيالسي**[٨] بمعناه عن ابن عباس رضي الله عنهما فقال: حدثنا حماد بن سلمة قال: ثنا علي بن زيد عن أبي نضرة قال: خطبنا ابن عباس رضي الله عنهما على منبر البصرة فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا وله دعوة، كلهم قد تنجّزها في الدنيا، وإني ادّخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، ألا وإني سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد تحته آدم ﷺ ومن دونه ولا فخر، ويشتد كرب ذلك اليوم على الناس فيقولون انطلقوا بنا إلى آدم أبي البشر فيشفع لنا إلى ربنا حتى يقضي بيننا، الحديث، وفيه: «فيأتون عيسى عليه السلام

---

(١) في (ظ): ائتوا.
(٢) (ما): ليست في (ظ).
(٣) (فيأتون): ليست في (ع).
(٤) في (ظ): فيأتوني.
(٥) في (الترمذي): تعط.
(٦) ذكره الترمذي في جامعه ٥/٣٠٨.
(٧) في (ع، ظ): وخرجه.
(٨) في مسنده ص(٣٥٣)، ح٢٧١١؛ وأحمد في مسنده ١/ ٢٨١، ح٢٥٤٦، حسن لغيره انظر: حاشية مسند أحمد ٤/ ٣٣٠ ـ ٣٣٢، ح٢٥٤٦، ط. مؤسسة الرسالة.

فيقولون: اشفع لنا إلى ربنا حتى يقضي بيننا فيقول: إني لست هناكم، إني اتُّخذت وأمي إلهين من دون الله، ولكن أرأيتم لو أن متاعاً[١] في وعاء قد ختم عليه أكان يوصل إلى ما في الوعاء حتى يفض الخاتم؟ فيقولان: لا، فيقول: إن محمداً ﷺ قد خصه[٢] اليوم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال رسول الله ﷺ فيأتيني الناس فيقولون: اشفع لنا إلى ربنا حتى يقضي بيننا، فأقول: أنا لها [أنا لها][٣]، حتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى، فإذا أراد الله يقضي بين خلقه نادى مناد: أين محمد[٤] وأمته[٥]؟ فأقوم وتتبعني أمتي[٦] غراً محجلين من أثر الطهور[٧]. قال رسول الله ﷺ: فنحن الآخرون الأولون، وأول من يحاسب، وتفرج لنا الأمم عن طريقنا، وتقول الأمم: كادت هذه الأمة يكونوا[٨] أنبياء كلها، وذكر الحديث.

وفي **البخاري**[٩] عن ابن عمر ﵄ قال: «إن الناس يصيرون يوم القيامة[١٠] جثاً، كل أمة تتبع نبيها، تقول: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم[١١] يبعثه الله المقام المحمود».

وروى **الترمذي**[١٢] عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾، سئل عنها قال: «هي الشفاعة»، قال: هذا حديث حسن صحيح[١٣].

---

(١) في (ع): لو كان متاعاً.
(٢) في (ع): خص، وفي (الطيالسي): حضر.
(٣) ما بين المعقوفين من (ع، والطيالسي).
(٤) في (الطيالسي): أحمد.
(٥) (وأمته): ليست في (ظ).
(٦) (أمتي): ساقطة من (ظ).
(٧) في (ظ): الطهارة.
(٨) في (ع): كأن يكونوا.
(٩) في صحيحه ٤/١٧٤٨، ح٤٤٤١.
(١٠) في (الأصل): يوم القيامة يصيرون، وما أثبته من (ع، ظ، صحيح البخاري).
(١١) (يوم): ساقطة من (ظ).
(١٢) في جامعه ٥/٣٠٣، ح٣١٣٧؛ وأحمد في مسنده ٢/٤٤٤، ح٩٧٣٣، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/٦٨ ـ ٦٩، ح٢٥٠٨.
(١٣) (صحيح): ليست في (الترمذي).

فصل

قوله: فيفزع الناس ثلاث فزعات، إنما ذلك والله أعلم حين يؤتى بالنار تُجر بأزمّتها، وذلك قبل العرض والحساب على الملك الديان، فإذا نَظَرتْ إلى الخلائق فارتْ وثارتْ وشهقتْ إلى الخلائق وزفرتْ نحوهم، وتوثبتْ عليهم غضباً؛ لغضب ربهم على ما يأتي[١] بيانه في كتاب النار إن شاء الله تعالى. فتتساقط الخلائق حينئذٍ[٢] على ركبهم جثاة حولها[٣] قد أسبلوا الدموع من أعينهم ونادى الظالمون بالويل والثبور، ثم تزفر الثانية فازداد الرعب والخوف في القلوب، ثم تزفر الثالثة فتتساقط الخلق[٤] لوجوههم ويشخصون بأبصارهم وهم[٥] ينظرون من طرف خفي خوفاً أن تبلغهم أو يأخذهم [٩٩/أ] حريقها[٦]. أجارنا الله منها.

فصل

واختلف الناس في المقام المحمود على خمسة أقوال:

الأول: أنه الشفاعة العامة للناس يوم القيامة كما تقدم[٧]، قاله حذيفة[٨] بن اليمان[٩] وابن عمر ﷺ[١٠].

الثاني: أنه إعطاؤه ﷺ لواء الحمد يوم القيامة.

قلت: وهذا القول لا تنافي بينه وبين الأول، فإنه يكون بيده لواء الحمد

---

(١) ص(٩١٦).
(٢) (حينئذٍ): ليست في (ع، ظ).
(٣) (حولها): ليست في (ع، ظ).
(٤) في (ع، ظ): الخلائق.
(٥) (وهم): ليست في (ظ).
(٦) ذكر نحوه ابن رجب في كتابه التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ص(٧٩ ـ ٨٠)، وفي سنده عاصم الكوزي، قال ابن رجب: ضعيف.
(٧) ص(٥٩٩).
(٨) ذكره قوله الطبري في تفسيره ١٥/١٤٤.
(٩) (ابن اليمان): ليست في (ع، ظ)، والأصل يتوافق مع (م).
(١٠) ذكر قوله الطبري في تفسيره ١٥/١٤٦.

ويشفع. روى الترمذي[١] عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا[٢]، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد بيدي، فأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر»، وفي رواية: «أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا شفيعهم إذا أيسوا، وأنا مبشرهم إذا أبلسوا[٣]، لواء الكرم بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي، يطوف علي ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون»[٤].

الثالث: ما حكاه الطبري[٥] عن فرقة منها مجاهد أنها قالت: المقام المحمود هو أن يجلس الله محمداً ﷺ معه على كرسيه[٦]، وروى[٧] في ذلك حديثاً.

قلت: وهذا قول مرغوب عنه، وإن صح فيتأول على أنه يجلسه مع أنبيائه وملائكته.

قال ابن عبد البر [في كتاب التمهيد][٨]: ومجاهد وإن كان أحد الأئمة بتأويل القرآن فإن له قولين مهجورين عند أهل العلم أحدهما هذا، والثاني: في تأويل قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣] قال: تنتظر الثواب ليس من النظر[٩].

---

(١) في جامعه ٥/٥٨٥، ح٣٦١٠، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن الترمذي ص(٤٨٢)، ح٧٤٠.

(٢) من هذا الموضع إلى قوله: إذا بعثوا، ساقط من (ع).

(٣) أبلس: يئس، انظر: الصحاح للجوهري ٣/٩٠٩.

(٤) ذكر نحوها الدارمي في سننه ١/٣٩ ح٤٨.

(٥) في تفسيره ١٥/١٤٧ ـ ١٤٨.

(٦) رواها الطبري في الكبير ١٢/٦١، ح١٢٤٧٤، وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف، إذا لم يتابع، وعطاء بن دينار قيل لم يسمع من سعيد بن جبير، مجمع الزوائد ٧/٥١.

(٧) في (ع، ظ): وروت.

(٨) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ)، وقوله في كتابه التمهيد ٧/١٥٧.

(٩) قال ابن عبد البر: وقول مجاهد هذا مردود بالسنة الثابتة عن النبي ﷺ، وأقاويل الصحابة، وجمهور السلف، وهو قول عند أهل السنة مهجور، التمهيد ٧/١٥٧.

الرابع: إخراجه[١] طائفة من النار، **مسلم**[٢] عن يزيد الفقير[٣] قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج، فخرجنا عن عصابة ذوي عدد نريد الحج ثم نخرج على الناس، فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله ﷺ يحدث القوم إلى سارية عن رسول الله ﷺ قال: وإذا هو قد ذكر الجهنميين قال: فقلت له يا صاحب رسول الله ﷺ ما هذا الذي تحدثون؟ والله تعالى يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢] و﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]، فما هذا[٤] الذي تقولون؟ قال: فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: فهل سمعت بمقام محمد ﷺ يعني الذي يبعثه الله ﷻ فيه، قلت: نعم، قال: فإنه مقام محمد ﷺ الذي يُخرج الله به من يُخرج، وذكر الحديث.

وفي **البخاري**[٥] من حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ وفيه: وقد سمعته يقول: فأخرج فأخرجهم وأدخلهم الجنة حتى ما[٦] يبقى في النار إلا من حبسه القرآن، أي وجب عليه الخلود، قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قال: هو المقام المحمود الذي وعده نبيكم ﷺ.

الخامس: قد روي[٧] أن مقامه المحمود شفاعته رابع أربعة، وسيأتي[٨].

فصل

إذا ثبت أن المقام المحمود هو أمر الشفاعة الذي يتدافعه الأنبياء ﷺ حتى ينتهي الأمر إلى نبينا محمد ﷺ فيشفع [٩٩/ب] هذه الشفاعة العامة لأهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ليراحوا من هول موقفهم فاعلم أن العلماء اختلفوا في شفاعاته[٩] وكم هي؟

---

(١) في (الأصل): إخرجه، والتصويب من (ع، ظ).
(٢) في (ع، ظ): كما روى مسلم، والحديث في صحيحه ١/ ١٧٩، ح١٩١.
(٣) يزيد بن صهيب، أبو عثمان الكوفي الفقير، ثقة مقل، حدث عن ابن عمر، وجابر، وأبو سعيد الخدري، انظر: السير ٥/ ٢٢٧
(٤) (هذا): ليست في (ع).
(٥) في الصحيح ٦/ ٢٧٠٨، ح٧٠٠٢.
(٦) في (ع، ظ): لا، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.
(٧) في (ع، ظ): ما روي.
(٨) ص(٦٠٦).
(٩) في (ظ): شفاعته.

فقال النقاش[(١)]: لرسول الله ثلاث شفاعات: العامة، وشفاعة في السبق إلى الجنة، وشفاعة في أهل الكبائر[(٢)].

وقال ابن عطية[(٣)]: والمشهور أنهما شفاعتان فقط، العامة، وشفاعة في إخراج المذنبين من النار، وهذه الشفاعة الثانية لا يتدافعها الأنبياء بل يشفعون ويشفع العلماء[(٤)].

وقال القاضي عياض[(٥)]: شفاعات نبينا[(٦)] ﷺ يوم القيامة[(٧)] خمس شفاعات:

الأولى: العامة.

الثانية[(٨)]: إدخال قوم الجنة بغير حساب.

الثالثة: في قوم من أمته استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع فيهم نبينا ﷺ، ومن شاء أن يشفع ويدخلون الجنة[(٩)]، وهذه الشفاعة هي التي أنكرتها المبتدعة: الخوارج والمعتزلة[(١٠)]، فمنعتها [على][(١١)] أصولهم الفاسدة وهي الاستحقاق العقلي المبني على التحسين والتقبيح[(١٢)].

---

(١) العلامة المفسر، أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي، النقاش، روى عنه الدارقطني، وابن شاهين، وغيرهما، له مصنفات منها: شفاء الصدور في التفسير، والإشارة في غريب القرآن، وغيرها، توفي سنة ٣٥١هـ، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٧٣.

(٢) ذكر قوله ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز ١٠/ ٣٣٦.

(٣) في (ع، ظ): ابن عطية أبو محمد في تفسيره، والقول في تفسيره المحرر الوجيز ١٠/ ٣٣٦.

(٤) في (الأصل): الأنبياء، وتصويبه من (ع، ظ، م، المحرر الوجيز لابن عطية).

(٥) في كتابه إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم ١/ ٥٦٥ _ ٥٦٦.

(٦) في (ع): نبينا محمد.

(٧) (يوم القيامة): ليست في (ع).

(٨) في (الأصل): الثاني، وتصويبه من (ع، ظ).

(٩) فأهل السنة والجماعة يقرون بشفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر، وشفاعة غيره، لكن لا يشفع أحد حتى يأذن الله له، شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٩٤.

(١٠) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص(٤٧٤).

(١١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(١٢) انظر: بيان هذا الأصل، والمصطلحات التي بُني عليها الكتب التالية: مقالات=

الرابعة: فيمن دخل النار من المذنبين فيخرج بشفاعة نبينا محمد ﷺ وغيره من الأنبياء، والملائكة وإخوانهم المؤمنين.

قلت: وهذه الشفاعة أنكرتها المعتزلة أيضاً. وإذا منعوها فيمن استوجب النار بذنبه [وإن](١) لم يدخلها فأحرى أن يمنعوها فيمن دخلها.

الخامسة: في زيادات(٢) الدرجات في الجنة لأهلها وترفيعها(٣).

قال القاضي عياض: وهذه(٤) لا تنكرها المعتزلة ولا تنكر شفاعة الحشر الأول.

قلت: وشفاعة سادسة(٥) لعمه أبي طالب في التخفيف عنه كما رواه(٦) مسلم(٧) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة(٨) فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه(٩) دماغه.

فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨﴾ [المدثر: ٤٨].

قيل له: لا تنفعه(١٠) في الخروج من النار كعصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة.

= الإسلاميين للأشعري ص(٢٦٧)؛ الفرق بين الفرق للجرجاني ص(٢٥٨ ـ ٢٥٩)؛ وغاية المرام في علم الكلام للآمدي ص(٢٣٣)، والمواقف للإيجي ٣/ ٢٧٥؛ ومجموع الفتاوى ٨/ ٤٣١؛ ومنهاج السنة النبوية ٢/ ٤١٥ كلا الأخيرين لشيخ الإسلام.

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ) وهو سقط في الأصل.
(٢) في (ع): زيادة.
(٣) (الخامسة: في زيادات الدرجات في الجنة لأهلها وترفيعها): ليست في (ظ).
(٤) في (ع، ظ): وهذه الشفاعة.
(٥) وأوصل شارح العقيدة الطحاوية شفاعات النبي ﷺ إلى ثمانية أنواع، انظر: ١/ ٢٨٣ ـ ٢٩٠.
(٦) في (ع، ظ): روى.
(٧) في (صحيحه): ١/ ١٩٥، ح٢١٠.
(٨) (يوم القيامة): ليست في (ع، ظ).
(٩) في (ع، ظ): منها.
(١٠) في (ع، ظ): لا تنفع.

فصل

واختلف العلماء أيضاً هل وقع من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين بعد النبوة صغائر من الذنوب يؤاخذون بها ويعاقبون عليها، ويشفقون على أنفسهم منها أم لا بعد اتفاقهم[١] أنهم معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي تزري بفاعلها، وتحط منزلته، وتسقط مروءته إجماعاً عند القاضي أبي بكر[٢].

«وعند الأستاذ أبي بكر أن ذلك مقتضى دليل المعجزة، وعند المعتزلة: أن ذلك مقتضى دليل العقل[٣] على أصولهم»[٤].

فقال الطبري[٥] وغيره من الفقهاء والمتكلمين والمحدثين: تقع الصغائر منهم خلافاً للرافضة حيث قالوا: إنهم معصومون من جميع ذلك كله، واحتجوا بما وقع من ذلك في التنزيل، وثبت من تنصلهم[٦] من ذلك في الحديث، وهذا ظاهر لا خفاء به.

وقال جمهور من الفقهاء من أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي أنهم معصومون من الصغائر [١٠٠/أ] كلها كعصمتهم من الكبائر أجمعها[٧]، لأنا أُمرنا باتباعهم في أفعالهم، وآثارهم، وسيرهم أمراً مطلقاً من غير التزام قرينة، فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم، إذ ليس كل فعل من أفعالهم يتميز مقصده من القربة والإباحة و[٨]الحظر و[٩]المعصية، ولا يصح أن يؤمر المرء بامتثال أمر لعله معصية لاسيما على من يرى تقديم الفعل على القول إذا تعارضا من الأصوليين.

---

(١) في (ع، ظ): اتفاقهم على.
(٢) ابن الباقلاني.
(٣) في (الأصل): الفعل، والتصويب من (ع، ظ).
(٤) هذا نص كلام أبي العباس القرطبي في كتابه المفهم ١/ ٤٣٤.
(٥) لم أهتد إلى موضع قوله فيما وقفت عليه من كتبه.
(٦) في (ع، ظ): من مثلهم، والأصل متوافق مع (م).
(٧) انظر: نيل الأوطار للشوكاني ٢/ ٣٣٣.
(٨) في (ع، ظ): أو. (٩) في (ع، ظ): أو.

قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني[(١)]: واختلفوا في الصغائر، والذي عليه الأكثر أن ذلك غير جائز عليهم، وصار بعضهم إلى تجويزها ولا أصل لهذه المقالة.

وقال بعض المتأخرين ممن ذهب إلى القول الأول: «والذي ينبغي أن يقال: إن الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب [من][(٢)] بعضهم، ونسبها إليهم، وعاتبهم عليها، وأخبروا بها من نفوسهم وتنصلوا منها واستغفروا منها وتابوا، وكل ذلك ورد في مواضع كثيرة لا يقبل التأويل جملتها وإن قبل ذلك آحادها، وكل ذلك مما لا يزري بمناصبهم وإنما تلك الأمور التي وقعت منهم على جهة[(٣)] الندور، وعلى جهة الخطأ والنسيان أو تأويل دعا إلى ذلك، فهي إلى غيرهم حسنات وفي حقهم سيئات بالنسبة إلى مناصبهم، وعلو أقدارهم؛ إذ قد يؤاخذ الوزير بما يثاب عليه السائس، فأشفقوا من ذلك في موقف القيامة مع علمهم بالأمن والأمان والسلامة.

وهذا هو الحق[(٤)].

ولقد أحسن الجنيد حيث قال: حسنات الأبرار سيئات المقربين[(٥)].

فهم صلوات الله وسلامه عليهم وإن كانوا قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم فلم[(٦)] يخل ذلك بمناصبهم، ولا قدح في رتبتهم[(٧)]، بل قد[(٨)] تلافاهم، واجتباهم، وهداهم، ومدحهم، وزكاهم، واختارهم، واصطفاهم صلوات الله وسلامه عليهم»[(٩)].

---

(١) إبراهيم بن محمد إبراهيم بن مهران، أبو إسحاق الإسفراييني، الأصولي الشافعي، له تصانيف منها: جامع الحلي في أصول الدين والرد على الملحدين)، توفي بنيسابور سنة ٤١٨هـ، السير ١٧/ ٣٥٣.

(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، والمفهم).

(٣) في (ع): وجه.

(٤) في (ع، ظ): قال: وهذا هو الحق.

(٥) ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ٤/ ٢٧١ عن أبي سعيد الخراز.

(٦) في (ع): فلا.

(٧) وإذا وقع منهم خطأ أو صغيرة لم يقروا عليه، ونبهوا عليه وتابوا منه.

(٨) (قد): ليست في (ظ).

(٩) هذا نص كلام أبي العباس القرطبي في كتابه المفهم ١/ ٤٣٥.

باب

ذكر ابن المبارك[١] قال: أخبرنا رشدين بن سعد قال: أخبرني عبد الرحمن بن زياد عن دخين[٢] الحَجْري عن عقبة بن عامر ﷺ عن رسول الله ﷺ وذكر حديث الشفاعة وفيه: «فيقول عيسى ﷺ: أدلكم على النبي الأمي، فيأتوني فيأذن الله لي أن أقوم، فيثور مجلسي من أطيب ريح شمها أحد حتى آتي ربي فيشفعني، ويجعل لي نوراً من شعر رأسي إلى ظفر قدمي، ثم يقول الكافر قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا؟ فيقولون: ما هو غير إبليس، هو الذي أضلنا فيأتونه فيقولون: قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع [لنا][٣]، فإنك أضللتنا، فيقوم فيثور من مجلسه أنتن ريح شمها[٤] أحد ثم يعظم لجهنم ويقول عند ذلك: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢] الآية.

باب من أسعد الناس |١٠٠/ب| بشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة[٥]

البخاري[٦] عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه».

وروى زيد بن أرقم[٧] ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله

---

(١) في كتابه الزهد (في الزوائد) ص(١١١)، ح٣٧٤.

(٢) في (الأصل، ع، ظ): دحين، وتصويبه من (م، والزهد لابن المبارك، وتقريب التهذيب ١/٢٠١ رقم ١٨٢٣).

(٣) ما بين المعقوفين من (ع، ظ، الزهد).

(٤) في (الأصل): شمه، وتصويبه من (ع، ظ، والزهد).

(٥) (يوم القيامة): ليست في (ع).

(٦) في صحيحه ٥/٢٤٠٢، ح٦٢٠١.

(٧) ذكر روايته الطبراني في الأوسط ٢/٥٦، ح١٢٥٧، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفي إسناده محمد بن عبد الرحمن بن غزوان وضّاع، مجمع الزوائد ١/١٨.

مخلصاً دخل الجنة، قيل: يا رسول الله وما إخلاصها؟ قال: أن تحجزه عن محارم الله». خرجه **الترمذي الحكيم** في نوادر الأصول[١].

باب ما جاء في تطاير الصحف عند العرض والحساب وإعطاء الكتب باليمين والشمال، ومن أول من يأخذ كتابه في هذه الأمة بيمينه وفي[٢] كيفية وقوفهم للحساب، وما يقبل منهم من الأعمال ودعائهم[٣] بأسماء آبائهم، وبيان قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] وفي تعظيم خلق الإنسان الذي يدخل الناس به النار أو الجنان [ونكر القاضي العدل][٤] ومن نوقش عذب

قال الترمذي[٥]: ويروى[٦] عن عمر بن الخطاب ﷺ قال[٧]: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وتزينوا للعرض الأكبر، فإنما يخف الحساب على من حاسب نفسه في الدنيا.

وقال عطاء الخراساني[٨]: يحاسب العبد يوم القيامة عند معارفه ليكون أشد عليه. ذكره **أبو نعيم**[٩].

---

(١) ٣/١٦.
(٢) (في): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م).
(٣) في (ع، ظ): وفي دعائهم.
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ)، وليست في الأصل و(م).
(٥) في (ع، ظ): الترمذي أبو عيسى، والأصل متوافق مع (م)، وذكره الترمذي في جامعه ٤/٦٣٨، ح٢٤٥٩؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/٩٦، ح٣٤٤٩.
(٦) في (ع): وروي.
(٧) في (ع، ظ): أنه قال، والأصل متوافق مع (م).
(٨) هو عطاء بن أبي مسلم الخراساني، المحدث، الواعظ، روى عن ابن المسيب، وعطاء بن أبي رباح، وروى عنه سفيان، ومالك، وشعبة، وحماد بن سلمة، وغيرهم، مات سنة ١٣٥هـ، السير ٦/١٤٠.
(٩) في الحلية ٥/١٩٧.

البخاري(١) عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «من حوسب يوم القيامة عذب»، فقلت(٢): يا رسول الله أليس قد قال الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ٨]، فقال: «ليس ذلك الحساب، إنما ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب». أخرجه **مسلم**(٣) **والترمذي**(٤) وقال: حديث حسن صحيح.

أبو داود الطيالسي(٥) قال: ثنا عمر بن العلاء اليشكري قال: حدثني صالح بن سرح(٦) عن عمران بن حطان(٧) قال سمعت عائشة ﵂ تقول: وذكر عندها القضاة فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في تمرة قط».

الترمذي(٨) عن الحسن عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فآخذٌ بيمينه وآخذ بشماله». قال أبو عيسى: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة ﵁. وقد رواه بعضهم عن علي بن علي الرفاعي عن الحسن عن أبي موسى(٩) عن النبي ﷺ.

قلت [١٠١/أ] قوله: وقد رواه بعضهم، هو وكيع بن الجراح ذكره ابن ماجه(١٠).

---

(١) في صحيحه ٥/٢٣٩٥، ح٦١٧٢.

(٢) في (ع، ظ): قالت: فقلت، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.

(٣) في صحيحه ٤/٢٢٠٤، ح٢٨٧٦.

(٤) في جامعه ٥/٤٣٥، ح٣٣٣٧.

(٥) في مسنده ص(٢١)، ح١٥٤٦.

(٦) في (الأصل): تبرج، وفي (مسند الطيالسي): صرح، وتصويبه من (ع، ظ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٨/١١٤).

(٧) في (الأصل): عمر بن الخطاب، وتصويبه من (ع، ظ، الطيالسي، تهذيب التهذيب).

(٨) في جامعه ٤/٦١٧، ح٢٤٢٥؛ وابن ماجه في سننه ٢/١٤٣٠، ح٤٢٧٧، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن الترمذي ص(٢٧٣ ـ ٢٧٤)، ح٤٢٦.

(٩) في (ع): عن أبي موسى الأشعري.

(١٠) في سننه ٢/١٤٣٠، ح٤٢٧٧.

قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: ثنا وكيع عن علي بن علي فذكره.

قال الترمذي[(١)]: وتكلم يحيى بن سعيد القطان في علي بن علي.

وخرجه أبو بكر البزار[(٢)] أيضاً عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال [ومعاذير][(٣)]، وأما الثالثة: فتطاير الكتب[(٤)] يميناً وشمالاً».

ذكره[(٥)] الترمذي الحكيم في الأصل السادس والثمانين[(٦)] قال: فروي[(٧)] لنا عن رسول الله ﷺ أن الناس يعرضون ثلاث عرضات[(٨)]، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما[(٩)] العرضة الثالثة تطاير الصحف، فالجدال: الأعداء[(١٠)] يجادلون لأنهم [لا][(١١)] يعرفون ربهم فيظنون أنهم إذا جادلوه نجوا وقامت حجتهم، والمعاذير لله تعالى يعذر الكريم[(١٢)] إلى آدم وإلى أنبيائه ويقيم حجته عندهم على الأعداء، ثم يبعثهم إلى النار، فإنه يحب أن يكون عذره عند أنبيائه وأوليائه ظاهراً حتى لا تأخذه الحيرة، وكذلك[(١٣)] قيل عن رسول الله ﷺ: لا أحد أحب إليه المدح من الله ولا أحد أحب إليه العذر من الله»[(١٤)]، والعرضة الثالثة للمؤمنين وهو العرض الأكبر يخلو بهم فيعاتبهم في تلك الخلوات من يريد أن يعاتبه حتى يذوق وبال الحياء ويَرْفَضّ[(١٥)] عرقاً بين يديه[(١٦)] ويفيض

(١) في جامعه ٢/ ١٠.
(٢) لم أجده في مسند البزار المطبوع.
(٣) ما بين المعقوفتين من (ع).
(٤) في (ع): الصحف.
(٥) في (ع): وذكره.
(٦) في نوادر الأصول له ١/ ٤١٧.
(٧) في (ع، ظ): روي.
(٨) في (ع، ظ): ثلاث عرضات يوم القيامة.
(٩) في (ع): وفي.
(١٠) هكذا في جميع النسخ، وفي مصدر المصنف: للأعداء، وبه يستقيم المعنى.
(١١) ما بين المعقوفتين من (ع: ظ، نوادر الأصول).
(١٢) في (ع، ظ): يعتذر، وفي نوادر الأصول: والمعاذير لله الكريم يعتذر إلى أنبيائه ﷺ.
(١٣) في (ظ): ولذلك.
(١٤) أخرجه مسلم بأطول من هذا ٤/ ٢١١٤، ح٢٧٦٠.
(١٥) قال الأصمعي: ارْفَضّ يعني أن يسيل ويتفرّق، انظر: الغريب لابن سلام ٤/ ٣٧٥.
(١٦) في (الأصل): يديه مكررة.

العرق منهم على أقدامهم من شدة الحياء، ثم يغفر لهم ويرضى عنهم.

وذكر أبو جعفر العقيلي[١] من حديث يغنم[٢] بن سالم عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: الكتب كلها تحت العرش، فإذا كان الموقف[٣] بعث الله ريحاً فتطيرها بالأيمان و[٤]الشمائل، أول[٥] خط [فيها][٦]: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٤][٧].

أبو داود[٨] عن عائشة ﷺ قالت: «ذكرت النار فبكيت، فقال رسول الله ﷺ ما يبكيك؟ قلت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم[٩] يوم القيامة؟ قال: أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً، عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع[١٠] كتابه في يمينه، أو في شماله، أم وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري[١١] جهنم حتى يجوز».

وذكر أبو بكر أحمد بن ثابت **الخطيب**[١٢] عن زيد بن ثابت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب

---

(١) هو محمد بن عمرو بن موسى، أبو جعفر العُقَيْلِيُّ، مصنف كتاب الضعفاء، توفي سنة ٣٢٢هـ، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٣٦.

(٢) في (جميع النسخ): نعيم، وتصويبه من الضعفاء للعقيلي.

(٣) في (الأصل): يوم الموقف، وما أثبته من (ع، ظ، العقيلي).

(٤) في (ع): أو.

(٥) (أول): ليست في (ظ).

(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، العقيلي).

(٧) في كتابه الضعفاء ٤/ ٤٦٥، وفي سنده يغنم بن سالم، قال فيه العقيلي: منكر الحديث.

(٨) في سننه ٤/ ٢٤٠، ح٤٧٥٥؛ والحاكم في مستدركه ٤/ ٦٢٢، ح٨٧٢٢.

(٩) في (ظ): أهاليكم.

(١٠) في (الأصل، ظ): أن يقع، و(أين يقع): ليست في (ع)، والتصويب من سنن أبي داود و(م).

(١١) في (ظ): يدي.

(١٢) في كتابه: تاريخ بغداد ١١/ ٢٠٢ وفي سنده عمر بن إبراهيم، قال الخطيب: قال البرقاني: ضعيف.

وله شعاع كشعاع الشمس، فقيل له: فأين يكون أبو بكر يا رسول الله؟ قال: هيهات زفته الملائكة إلى الجنان.

وخرجه الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن منده[١] في كتاب التوحيد[٢] له عن معاذ بن جبل ﷺ أن النبي ﷺ قال: إن الله تبارك وتعالى ينادي يوم القيامة بصوت رفيع غير فظيع: «يا عبادي أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين، يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، احضروا حجتكم ويسروا جواباً فإنكم مسؤولون [١٠١/ب] محاسبون، يا ملائكتي أقيموا عبادي صفوفاً على أطراف أنامل[٣] أقدامهم للحساب».

وأسند[٤] عن شمر[٥] بن عطية قال: يؤتى بالرجل يوم القيامة للحساب، وفي صحيفته أمثال الجبال من الحسنات، فيقول رب العزة تبارك وتعالى: صليت يوم كذا وكذا، ليقال: صلى فلان، أنا الله لا إله إلا أنا، لي الدين الخالص، صمت يوم كذا وكذا، ليقال: صام فلان، أنا الله لا إله إلا أنا، لي الدين الخالص، تصدقت يوم كذا وكذا، ليقال: تصدق فلان، أنا الله لا إله إلا أنا، لي الدين الخالص، فما زال يمحى شيء بعد شيء حتى تبقى صحيفته ما

---

(١) في (ع): أبو القاسم عن عبد الرحمن بن منده، وهو خطأ، وفي بقية النسخ بما فيها مسودة المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن منده، ويبدو أن المصنف قد وهم في نسبة كتاب التوحيد لأبي القاسم عبد الرحمن بن منده، فالكتاب لأبيه أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن منده، انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٣، ١٨/ ٣٤٩ وقد ذكر صاحب كشف الظنون ٢/ ١٦٧١ كتاباً لأبي القاسم عبد الرحمن بن منده بعنوان: المستخرج من كتب الناس في الحديث.
وقد سألت شيخنا فضيلة الدكتور علي بن ناصر الفقيهي ـ محقق كتاب التوحيد لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن منده ـ هل لأبي القاسم عبد الرحمن بن منده الابن كتاب في التوحيد، فنفى ـ حفظه الله ـ علمه بذلك.
(٢) لم أجد الحديث في كتاب التوحيد لأبي عبد الله بن منده.
(٣) في (الأصل): على الصراط أطراف وتصويبه من (ع، ظ)، وفي (م): على أطراف أنامل.
(٤) أي ابن منده.
(٥) في (الأصل، ظ): سمرة، وتصويبه من (ع، م، لسان الميزان لابن حجر ٧/ ٢٤٣).

فيها شيء، فيقول ملكاه ألغير الله كنت تعمل؟[١].

قلت: ومثل هذا لا يقال من جهة الرأي، فهو مرفوع، وقد رفع معناه الدارقطني في سننه[٢] من حديث [أنس][٣] بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء يوم القيامة بصحف مختمة[٤]، فتنصب[٥] بين يدي الله ﷻ، فيقول الله تعالى[٦]: ألقوا هذا، واقبلوا هذا، فتقول الملائكة: وعزتك ما رأينا إلا خيراً، فيقول الله ﷻ وهو أعلم: إن هذا كان لغيري، ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما ابتُغي به وجهي»، خرجه مسلم في صحيحه[٧] عن أبي هريرة بمعناه على [ما][٨] يأتي إن شاء الله تعالى بيانه[٩].

الترمذي[١٠] عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ قال: يدعى أحدهم فيعطى[١١] كتابه بيمينه ويمد له [في][١٢] جسمه ستون ذراعاً، ويبيض وجهه، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ، فينطلق على أصحابه فيرونه من بعيد، فيقولون: اللهم آتنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى يأتيهم، ويقول: أبشروا، لكل واحد منكم[١٣] مثل هذا، قال[١٤]: وأما الكافر فيسود وجهه ويمد في جسمه ستون ذراعاً على صورة آدم

(١) لم أجده في كتاب التوحيد لأبي عبد الله بن منده.
(٢) ١/ ٥١، ح٢.
(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٤) في (الأصل): مختومة، وما أثبته من (ع، ظ، الدارقطني).
(٥) في (الأصل): فتفض، وما أثبته من (ع، ظ، الدارقطني).
(٦) في (ع، ظ): للملائكة، وفي (الدارقطني): لملائكته.
(٧) لم أهتد إلى هذا المعنى في صحيحه.
(٨) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٩) ص(٦٦٤).
(١٠) في جامعه ٥/ ٣٠٢، ح٣١٣٦؛ وابن حبان في صحيحه ١٦/ ٣٤٦، ح٧٣٤٩، قال الألباني: ضعيف الإسناد، انظر: ضعيف الترمذي ص(٣٨٩ ـ ٣٩٠)، ح٦١٠.
(١١) في (ع): ليعطى.
(١٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، الترمذي).
(١٣) في (الأصل): مسلم، وما أثبته من (ع، ظ، الترمذي).
(١٤) (قال): ليست في (ع).

ويلبس تاجاً فيراه أصحابه فيقولون: نعوذ بالله من شر هذا، اللهم لا تأتنا بهذا، قال: فيأتيهم، فيقولون: اللهم اخزه، فيقول: أبعدكم الله، فإن لكل رجل منكم مثل هذا. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

وروي أن عيسى ﷺ مر بقبر فوكزه برجله، وقال: يا صحاب القبر قم بإذن الله، فقام إليه الرجل[١] وقال: يا روح الله ما الذي أردت[٢]؟ فإني لقائم في الحساب منذ سبعين سنة حتى أتتني الصيحة الساعة أن أجب روح الله، فقال له عيسى: يا هذا لقد كنت كثير الذنوب والخطايا، ما كان عملك؟ فقال: والله يا روح الله ما كنت إلا حطاباً، أحمل الحطب على رأسي آكل[٣] حلالاً وأتصدق، فقال عيسى: يا سبحان الله حطاباً يحمل الحطب على رأسه، يأكل حلالاً ويتصدق وهو قائم في الحساب منذ سبعين سنة؟ ثم[٤] قال: يا روح الله كان من توبيخ ربي[٥] لي أن قال[٦]: اكتراك عبدي فلان لتحمل له حزمة حطب فأخذت منها عوداً، فتخللت به، وألقيته في غير مكانه امتهاناً[٧] منك بي، وأنت تعلم أني أنا الله المطلع عليك وأراك[٨].

فصل

قال الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣]، قال الزجاج[٩]: ذكر العنق عبارة [١٠٢/أ] عن اللزوم كلزوم القلادة للعنق[١٠].

وقال إبراهيم بن أدهم[١١]: كل آدمي في عنقه قلادة يكتب فيها نسخة

---

(١) في (ظ): الروح.
(٢) في (ع، ظ): أردت مني.
(٣) في (ظ): وآكل.
(٤) (ثم): ليست في (ع).
(٥) في (ع): الله.
(٦) في (ع، ظ): قال لي.
(٧) في (ع): امتهانة.
(٨) لم أقف على هذه الرواية.
(٩) هو إبراهيم بن محمد بن السري، أبو إسحاق الزجاج، البغدادي، نحوي زمانه، صنف كتاب: معاني القرآن، وله كتب أخرى، توفي سنة ٣١١هـ، السير ١٤/ ٣٦٠.
(١٠) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٢٣٠.
(١١) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر، أحد الزهاد، حدث عن أبي إسحاق السبيعي والأعمش وغيرهم، وحدث عنه سفيان الثوري وبقية بن الوليد وغيرهما، توفي ١٦٢هـ، السير ٧/ ٣٨٧.

عمله، فإذا مات طويت، فإذا بعث نشرت، وقيل له: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾[١].

وقال ابن عباس[٢] رضي الله عنهما: طائره: عمله، ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾.

قال الحسن: يقرأ الإنسان كتابه أمياً كان أو غير أمي[٣].

وقال أبو السوار العدوي[٤]: وقرأ هذه الآية: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ قال: هما نشرتان وطية، أما ما حييت يا ابن آدم فصحيفتك المنشورة فأمل[٥] فيها ما شئت، فإذا مت طويت، حتى إذا بعثت نشرت[٦]، ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾، فإذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التي يوثق بها بعد البعث حوسبوا بها، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، فدل أن المحاسبة تكون عند إيتاء الكتب، لأن الناس إذا بعثوا لا يكونون ذاكرين لأعمالهم، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦][٧]. وقد تقدم[٨] القول في محاسبة الله تعالى لخلقه في يوم الحساب من أسماء القيامة، والحمد لله، فإذا بعثوا من قبورهم إلى الموقف فقاموا[٩] فيه ما شاء الله

---

(١) روى نحوه ابن المبارك في زهده عن الحسن البصري ص(٥٤٥)، ح١٥٦٣، وأبو نعيم في الحلية عن الحسن أيضاً ٨/ ٧٠.

(٢) ذكر قوله الطبري في تفسيره ١٥/ ٥١.

(٣) ذكره ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير ٥/ ١٦.

(٤) أبو السوار العدوي البصري، قيل اسمه حسان بن حريث، وقيل بالعكس وقيل حريف آخره وقيل منقذ، وقيل حجير بن الربيع ثقة من الثانية، تقريب التهذيب ١/ ٦٤٦ رقم ٨١٥٢، وذكر قوله أبو نعيم في الحلية ٢/ ٢٥٠.

(٥) في (ظ): فأملا.

(٦) إلى هنا ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ١٦.

(٧) من هذا الموضع إلى قوله: والحمد لله، ليس في (ع، ظ).

(٨) ص(٥٦٢).

(٩) في (ع): قاموا.

تعالى على ما تقدم[١] حفاة، و[٢]عراة، وجاء وقت الحساب الذي يريد الله أن يحاسبهم فيه أمر بالكتب التي كتبها الكرام الكاتبون بذكر أعمال الناس، فأوتوها فمنهم من يؤتى كتابه بيمينه فأولئك هم السعداء، ومنهم من يؤتى كتابه بشماله أو وراء ظهره وهم الأشقياء، فعند ذلك يقرأ كلٌّ كتابه، وأنشدوا[٣]:

مثّل وقوفك يوم العرض عرياناً ... مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهّب من غيظ ومن حنق ... على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهل ... فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته ... إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل: خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبد عصا للنار عطشانا
المشركون غداً في النار يلتهبوا ... والمؤمنون بدار الخلد سكانا

فتوهم نفسك يا أخي[٤] إذا تطايرت الكتب، ونصبت الموازين، وقد نوديت ونوه باسمك على رؤوس الخلائق: أين فلان بن فلان، هلم إلى العرض على الله وقد وكلت الملائكة بأخذك، فقربتك إلى الله، لا يمنعها اشتباه الأسماء باسمك واسم أبيك، إذا عرفت أنك المراد بالدعاء، إذ قرع النداء قلبك فعلمت أنك المطلوب، فارتعدت فرائصك واضطربت جوارحك وتغير لونك، وطار قلبك يخطي بك الصفوف إلى ربك [١٠٢/ب] للعرض عليه، والوقوف بين يديه، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم وأنت في أيديهم وقد طار قلبك، واشتد رعبك لعلمك أين يراد بك[٥].

فتوهم نفسك وأنت بين يدي ربك في يدك صحيفة مخبرة بعملك، لا تغادر بلية كتمتها، ولا مخبأة أسررتها، وأنت تقرأ ما فيها بلسان كليل، وقلب منكسر، والأهوال محدقة بك من بين يديك ومن خلفك، وكم[٦] من بلية قد كنت[٧] نسيتها ذكركها، وكم من سيئة قد كنت أخفيتها قد أظهرها وأبداها،

---

(١) ص(٤٨٤).
(٢) (الواو): ليس في (ع، ظ).
(٣) في (ظ): وأنشد.
(٤) في (ع): يا أخي يا مسكين.
(٥) ذكر هذا التوهم المحاسبي في كتابه التوهم ص(٥٣).
(٦) في (ع، ظ): فكم.
(٧) (كنت نسيتها): ليست في (ع).

وكم من عمل ظننت أنه سلم لك وخلص فرده عليك في ذلك الموقف، وأحبطه بعد أن كان أملك فيه عظيماً، فيا حسرة قلبك، ويا أسفك على ما فرطت فيه من طاعة ربك: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الحاقة: ١٩][١] فيعلم أنه من أهل الجنة، ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾[٢]، وذلك حين يأذن الله فيقرأ كتابه[٣].

فإذا كان الرجل رأساً في الخير يدعو إليه ويأمر به ويكثر تبعه عليه دعي باسمه واسم أبيه فيتقدم[٤]، حتى إذا دنى أخرج له كتاب أبيض بخط أبيض في باطنه السيئات وفي[٥] ظاهره الحسنات، فيبدأ بالسيئات فيقرؤها فيشفق[٦] ويصفر وجهه ويتغير لونه، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه هذه سيئاتك، وقد غفرت لك، فيفرح عند ذلك فرحاً شديداً[٧]، ثم يقلب كتابه فيقرأ حسناته فلا يزداد إلا فرحاً، حتى إذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه حسناتك قد[٨] ضوعفت لك فيبيض وجهه، ويؤتى بتاج فيوضع على رأسه، ويكسى حلتين، ويحلى كل مفصل منه ويطول ستين ذراعاً، وهي قامة آدم ويقال له: انطلق إلى أصحابك فبشرهم وأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا، فإذا أدبر قال: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾، قال الله تعالى: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾ أي مرضية قد رضيها، ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾﴾ في السماء، ﴿قُطُوفُهَا﴾ ثمارها وعناقيدها ﴿دَانِيَةٌ﴾ أدنيت منهم، فيقول لأصحابه: هل تعرفوني؟ فيقولون: قد غمرتك كرامة الله، من أنت؟ فيقول: أنا فلان بن فلان، ليبشر كل رجل منكم بمثل هذا ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾، أي قدمتم في أيام الدنيا.

وإذا[٩] كان الرجل رأساً في الشر يدعو له[١٠] ويأمر به فيكثر تبعه عليه

---

(١) هذه الآية وما بعدها إلى قوله: ﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ١٩ ـ ٣٢].
(٢) في (ع): أي هاكم.
(٣) ذكر هذا التوهم المحاسبي في كتابه التوهم ص(٥٦).
(٤) في (ع): على ما تقدم.
(٥) (في): ليست في (ع).
(٦) (فيشفق): ليست في (ظ).
(٧) في (ع): عظيماً.
(٨) (قد): ليست في (ظ).
(٩) في (ع): فإذا.
(١٠) في (ع، ظ): إليه.

نودي باسمه واسم أبيه فيتقدم إلى حسابه، فيخرج إليه[1] كتاب أسود بخط أسود في باطنه الحسنات وفي ظاهره السيئات، فيبدأ بالحسنات فيقرأها ويظن أنه سينجو، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه هذه حسناتك، وقد ردت عليك، ويسود وجهه ويعلوه الحزن ويقنط من الخير، ثم يقلب كتابه فيقرأ سيئاته فلا يزداد إلا حزناً، ولا يزداد وجهه إلا سواداً، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه هذه سيئاتك وقد ضوعفت عليك، أي يضاعف عليه العذاب، ليس المعنى أنه يزاد عليه ما لم يعمل، قال: فيعظم للنار[2] وتزرق عيناه ويسود وجهه، ويكسى سرابيل القطران [١٠٣/أ] ويقال له: انطلق إلى أصحابك وأخبرهم أن لكل إنسان منهم[3] مثل هذا، فينطلق وهو يقول: ﴿يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ يعني الموت ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ تفسير ابن عباس ﷺ: هلكت عني حجتي، قال الله ﷻ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ الله أعلم بأي ذراع قاله الحسن[4]، وقال ابن عباس[5] ﷺ: سبعون ذراعاً بذراع الملك، وسيأتي[6] في كتاب النار لهذه السلسلة زيادة[7] بيان ﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾ فيها أي تدخل من فيه حتى تخرج من دبره قاله الكلبي[8]، وقيل: بالعكس، وقيل: يدخل عنقه فيها ثم يجر بها، ولو أن حلقة منها وضعت على جبل لذاب، فينادي أصحابه؟ فيقول: هل تعرفوني؟ فيقولون: لا، ولكن قد نرى ما بك من الخزي، فمن أنت؟ فيقول: أنا فلان بن فلان، لكل إنسان منكم مثل هذا.

وأما من أوتي كتابه وراء ظهره تخلع كتفه اليسرى فتجعل يده خلفه، يدخلها، فيأخذ بها كتابه.

---

(١) في (ع): له.
(٢) في (الأصل): إلى النار، وتصويبه من (ع، ظ).
(٣) من هذا الموضع طمس في بعض الكلمات والحروف في الأصل تم توضيحه من (ع، ظ).
(٤) ذكره الطبري في تفسيره ٥/ ١٤٢.
(٥) ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٣٨٩.
(٦) ص(٨٦٧).
(٧) في (ع، ظ): مزيد.
(٨) ذكره الطبري في تفسيره ٢٩/ ٦٤ عن الضحاك.

وقال مجاهد: يحول وجهه في موضع قفاه، فيقرأ كتابه كذلك[١].

فتوهم نفسك إن كنت من السعداء وقد خرجت على الخلائق مسرور الوجه قد حل بك الكمال والحسن والجمال، [و][٢]كتابك[٣] في يمينك، أخذ بضبعيك ملك ينادي على رؤوس الأشهاد هذا فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وأما إن كنت من أهل الشقاء فيسود وجهك وتتخطى الخلائق، وكتابك في شمالك أو من وراء ظهرك تنادي بالويل والثبور، وملك آخذ بضبعيك ينادي على رؤوس الخلائق ألا إن فلان بن فلان قد شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً[٤].

قلت: قوله: ألا إن فلان[٥] بن فلان دليل على [أن][٦] الإنسان يدعى في الآخرة باسمه واسم أبيه، وقد جاء صريحاً من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم»، خرجه **أبو نعيم**[٧] الحافظ قال: ثنا عمرو بن حمدان قال: ثنا الحسن بن سفيان قال: حدثنا زكريا بن يحيى قال: هشيم عن داود بن عمرو عن عبد الله بن أبي زكريا[٨] عن أبي الدرداء، فذكره.

باب في قوله تعالى

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]

الترمذي[٩] عن أبي غالب قال: رأى أبو أمامة رؤوساً منصوبة على برج

---

(١) المشهور عن مجاهد قوله: يجعل شماله وراء ظهره فيأخذ كتابه، انظر تفسيره: ص(٧٤٢)؛ والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٦٤.

(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ط). (٣) في (ط): وكتاب.

(٤) ذكر هذا التوهم المحاسبي في كتابه التوهم ص(٦٠).

(٥) نهاية الطمس الذي في الأصل. (٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ط).

(٧) في كتابه الحلية ٥/ ١٥٢.

(٨) (بن يحيى قال هشيم عن داود بن عمرو عن عبد الله بن أبي زكريا): ليست في (ع).

(٩) في جامعه ٥/ ٢٢٦، ح٣٠٠٠؛ والحاكم في مستدركه ٢/ ١٦٣، ح٢٦٥٥؛ وأبو نعيم في الحلية ٦/ ١٨٢، قال الألباني: حسن صحيح، انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/ ٣٢، ح٢٣٩٨.

دمشق، فقال أبو أمامة: كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتلى من قتلوه. ثم قرأ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ إلى آخر الآية، فقلت لأبي أمامة: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً حتى عدّ سبعاً ما حدثتكموه، قال: هذا[(١)] حديث حسن.

وخرّج أبو بكر أحمد بن علي بن [١٠٣/ب] ثابت الخطيب[(٢)] عن مالك بن سليمان الهروي أخي غسان عن مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال: يعني تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة، قال أبو بكر: منكر من حديث مالك.

قلت: هذا قول ابن عباس[(٣)] وغيره في الآية: تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة.

وقال مالك بن أنس رضي الله عنه: هي في أهل الأهواء[(٤)].

وقال الحسن: هي في المنافقين[(٥)].

قتادة: في المرتدين[(٦)].

أبي بن كعب: في الكفار، وهو اختيار الطبري[(٧)].

اللهم بيض وجوهنا يوم تبيض وجوه أوليائك، ولا تسوّدها[(٨)] يوم تسود وجوه أعدائك، بحق رسلك وأنبيائك وأصفيائك[(٩)] بفضلك يا ذا الفضل العظيم وكرمك يا كريم.

---

(١) (هذا): ليست في (ع).

(٢) خرجه في تاريخ بغداد ٧/ ٣٧٩ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ٣٩١.

(٤) لم أقف على من ذكر قوله.

(٥) ذكره الطبري في تفسيره ٤/ ٤٠ ـ ٤١.

(٦) ذكره الطبري في تفسيره ٤/ ٤٠.

(٧) في تفسيره ٤/ ٤١.

(٨) في (ظ): ولا تسود وجوهنا.

(٩) في (ع، ظ): بحق أنبيائك ورسلك. قال شارح الطحاوية ١/ ٢٩٤: وأما الاستشفاع بالنبي ﷺ وغيره في الدنيا إلى الله تعالى في الدعاء ففيه تفصيل: فإن الداعي تارة يقول: بحق نبيك، أو بحق فلان، يقسم على الله بأحد من مخلوقاته، فهذا محذور من وجهين: =

باب في قوله تعالى
﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ الآية

ابن المبارك[١] قال: أخبرنا الحكم أو أبو الحكم ـ شك نعيم ـ عن إسماعيل بن عبد الرحمن عن رجل[٢] من بني أسد قال: قال عمر لكعب: ويحك يا كعب: حدثنا من حديث الآخرة، قال: نعم يا أمير المؤمنين، إذا كان يوم القيامة رفع اللوح المحفوظ فلم يبق أحد من الخلائق إلا وهو ينظر إلى عمله، قال ثم يؤتى بالصحف التي فيها أعمال العباد فتنثر[٣] حول العرش وذلك قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾.

قال الأسدي: الصغيرة: ما دون الشرك، والكبيرة: الشرك[٤]، ﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ قال كعب: ثم يدعى المؤمن فيعطى كتابه بيمينه فينظر فيه، فحسناته باديات للناس، وهو يقرأ سيئاته[٥]، فذكر معنى ما تقدم[٦].

وكان الفضيل بن عياض: إذا قرأ هذه الآية يقول: يا ويلتاه[٧] ضجوا

= أحدهما: أنه قسم بغير الله.
والثاني: اعتقاده أن لأحد على الله حقاً، ولا يجوز الحلف بغير الله، وليس لأحد على الله حق إلا ما أحقه على نفسه،... أو يقول نتوسل بأنبيائك ورسلك وأوليائك، ومراده: لأن فلاناً عندك ذو وجاهة وشرف ومنزلة فأجب دعاءنا، وهذا أيضاً محذور، فإنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه في حياة النبي ﷺ لفعلوه بعد موته.

(١) في كتابه الزهد (في الزوائد) ص(١١٧)، ح٣٩٦.
(٢) من هذا الموضع إلى قوله: باديات للناس، قطع في بعض الكلمات والأحرف في (ظ).
(٣) في (الزهد): فتنشر.
(٤) يفهم من هذا القول أنه لا كبيرة غير الشرك، وقد سمى النبي ﷺ كبائر أخر غير الشرك ففي صحيح البخاري ٢/ ٩٣٩، ح٢٥١٠ عن أنس ﷺ: «قال سئل النبي ﷺ عن الكبائر قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وشهادة الزور»، وهناك أدلة أخرى على الكبائر غير ما ذكر.
(٥) نهاية النقل من الزهد.
(٦) ص(٦٢٤).
(٧) في (ع): يا ويلنا.

إلى الله من الصغائر قبل الكبائر[١].

وقال ابن عباس رضي الله عنه: الصغيرة: التبسم، والكبيرة: الضحك[٢]، يعني ما كان من ذلك في معصية الله.

وقد روي أن النبي ﷺ ضرب لصغائر الذنوب مثلاً، فقال: «إنما[٣] محقرات الذنوب كمثل قوم قد نزلوا بفلاة من الأرض وحضر صنيع القوم فانطلق كل رجل[٤] منهم يحتطب، فجعل الرجل[٥] يجيء بالعود والآخر بالعودين[٦] حتى جمعوا سواداً وأججوا ناراً فشووا خبزهم، وإن الذنب الصغير يجتمع على صاحبه فيهلكه إلا أن يغفر الله، اتقوا محقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً»[٧]، أنبأنا[٨] الشيخان أبو محمد عبد الوهاب القرشي، والإمام أبو الحسين[٩] الشافعي قالا: أنبأنا السلفي قال: أنا الثقفي، قال: أخبرنا أبو طاهر محمد بن [محمد][١٠] بن أحمد بن مَحْمِش[١١] الزيادي إملاء بنيسابور، قال: أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي، أخبرنا محمد بن حماد[١٢] الأبيوردي [١٠٤/أ] قال: أنا أنس بن عياض الليثي عن أبي حازم، لا أعلمه إلا عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم ومحقرات الذنوب، [فإن مثل محقرات الذنوب][١٣] كمثل قوم نزلوا بطن وادٍ فجاء ذا بعود، وذا[١٤]

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ذكر ابن جرير بعضه في تفسيره ١٥/٢٥٨.

(٣) في (ع): إنما مثل.

(٤) في (ع، ظ): كل واحد.

(٥) في (ظ): فجعل الرجل منهم.

(٦) في (ع، ظ): بالعود، والأصل متوافق مع (م).

(٧) لم أجد هذا الحديث باللفظ الذي ذكره المؤلف هنا، ووجدته باللفظ الذي ذكره بإسناده بعده.

(٨) في (ع، ظ): أنبأناه.

(٩) في (ع): والفقيه الإمام أبو الحسن، وفي (ظ): والفقيه أبو الحسن.

(١٠) ما بين المعقوفتين من (ع، وسير إعلام النبلاء ١٧/٢٧٦).

(١١) في (الأصل): مخمش، والتصويب من (ع، ظ، والسير ١٧/٢٧٦).

(١٢) (الطوسي، أخبرنا محمد بن حماد): سقط من (ظ).

(١٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(١٤) في (ع، ظ، والمسند): وجاء ذا.

يعود حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها، تهلكه»[(١)]. غريب من حديث أبي حازم سملة بن دينار، تفرد به عنه أبو ضمرة أنس بن عياض الليثي، ولقد أحسن القائل[(٢)]:

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماش فوق أر ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

وقال جماعة من العلماء: إن الذنوب كلها كبائر[(٣)].

قال بعضهم: لا تنظر إلى صغير[(٤)] الذنب[(٥)] ولكن انظر من عصيت، فهي من حيث المخالفة كبائر[(٦)].

والصحيح: أن فيها صغائر وكبائر، ليس هذا موضع الكلام في ذلك، وقد بيناه في سورة النساء من كتاب جامع أحكام القرآن[(٧)]، والحمد لله.

باب ما يسأل عنه العبد وكيفية السؤال

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٢٣]، وقال: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن: ٧] أي بما عملتموه، وقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٨]، أي يسأل عن ذلك ويجازى عليه، والآي في هذا المعنى كثيرة.

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٥/٣٣١، ح٢٢٨٦٠؛ قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد ١٠/١٩٠.

(٢) في (ع، ظ): ولقد أحسن من قال. ولم أقف عليه.

(٣) منهم أبو إسحاق الإسفرائيني، قاله ابن حجر في الفتح ١٠/٤٠٩.

(٤) في (ظ): صغر.

(٥) في (ظ): لا تنظرن إلى صغير الذنب.

(٦) انظر: فتح الباري ١٠/٤٠٩.

(٧) ٥/١٥٨.

وقال: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ٨].

الترمذي[١] عن أبي هريرة ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ قال الناس: يا رسول الله عن أي النعيم نسأل؟ فإنما هما الأسودان والعدو[٢] حاضر، وسيوفنا على عواتقنا، قال: إن ذلك سيكون».

وعنه[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «[إن][٤] أول ما يسأل عنه يوم القيامة يعني العبد أن يقال له: ألم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد»؟ قال الترمذي: حديث غريب.

وخرج أبو نعيم[٥] الحافظ من حديث الأعمش عن أبي وائل شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يخطو خطوة إلا سئل عنها ما[٦] أراد بها».

مسلم[٧] عن أبي برزة الأسلمي[٨] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن علمه فيما عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟».

خرجه الترمذي[٩] وقال فيه: حسن صحيح، ورواه عن ابن عمر عن ابن

---

(١) في جامعه ٥/٤٤٨، ح٣٣٥٧؛ وابن ماجه في سننه ٢/١٣٩٢، ح٤١٥٨، حسنه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/١٣٤، ح٢٦٧٣.

(٢) في (الأصل): والعذر، وتصويبه من (ع، ظ، الترمذي).

(٣) أي عن الترمذي في جامعه ٥/٤٤٨، ح٣٣٥٨؛ وابن حبان في صحيحه ١٦/٣٦٤، ح٧٣٦٤، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/١٣٤، ح٢٦٧٤.

(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، الترمذي).

(٥) في الحلية ١/٣٧٦.

(٦) من هذا الموضع طمس في بعض الكلمات والأحرف في الأصل، وتم توضيحه من (ع، ظ، ومصادر المؤلف).

(٧) لم أجده في صحيح مسلم.

(٨) اسمه: نضلة بن عبيد بن الحارث، له صحبة، انظر: الكنى للبخاري ص(٩١) رقم ٩٨٦، وأسماء من يعرف بكنيته للموصلي ص(٣٢) رقم ١٩.

(٩) في جامعه ٤/٦١٢، ح٢٤١٧ صححه الألباني ٢/٥٧٢ ح٢٤١٦.

مسعود عن النبي ﷺ وقال فيه: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ إلا من حديث الحسين بن[١] قيس [١٠٤/ب] والحسين[٢] يضعف في الحديث.

وفي الباب عن أبي برزة وأبي سعيد.

قلت: ومعاذ بن جبل[٣]، أخبرناه الشيخ الراوية أبو محمد عبد الوهاب بثغر الإسكندرية قراءة عليه قال: قرئ على السلفي وأنا أسمع قال: حدثنا الحاجب أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن العلاف ببغداد سنة أربع وسبعين وأربع مائة، قال: أنبأ أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشران العدل قال: ثنا أبو بكر محمد بن الحسين الآجري بمكة في شوال سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، أخبرنا[٤] أبو سعيد الفضيل بن محمد الجندي إملاء في المسجد الحرام سنة تسع وتسعين ومائتين، قال: أنبأ صامت بن معاذ الجندي، أخبرنا عبد الحميد عن شقيق بن سعيد الثوري عن صفوان بن سليم عن عدي بن عدي عن الصنابحي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه».

وخرج **الطبراني**[٥] أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، أخبرنا[٦] أحمد بن خالد الحلبي، أخبرنا يوسف بن يونس الأفطس، أخبرنا سليمان بن بلال عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عباده فيوقفه بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن عمله».

---

(١) نهاية الطمس الذي في الأصل. (٢) في (ع، ظ): حسين.

(٣) أي وفي الباب عن معاذ بن جبل، وقد رواه الطبراني في الكبير ٢٠/ ٦٠، ح١١١.

(٤) في (ع، ظ): قال أخبرنا.

(٥) في المعجم الصغير ١/ ٣٣، ح١٨، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الصغير وفيه يوسف بن يونس أخو أبي مسلم الأفطس، وهو ضعيف جداً، مجمع الزوائد ١٠/ ٣٤٦.

(٦) في (ع، ظ): قال: حدثنا.

مسلم[١] عن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر ﵄: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال: سمعته يقول: «يدني المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: رب أعرف، قال فيقول: فإني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، قال: فيعطى صحيفة حسناته، وأما الكافر[٢] والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله».

أخرجه **البخاري**[٣] وقال في آخره: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

وروي من حديث علي بن أبي طالب ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة خلا الله ﷻ بعبده المؤمن يوقفه على ذنوبه ذنباً ذنباً، ثم يغفر الله[٤] له[٥] لا يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، وستر من ذنوبه عليه ما يكرهه أن يقف عليها، ثم يقول لسيئاته: كوني حسنات»[٦].

قال **المؤلف** ﵀: خرّجه مسلم بمعناه، وسيأتي[٧] آنفاً إن شاء الله تعالى، وخرج **أبو القاسم** إسحاق بن إبراهيم الختلي في كتاب الديباج له[٨]، حدثنا ابن هارون بن عبد الله، قال: ثنا سيار، ثنا جعفر، ثنا أبو عمران الجوني، عن أبي هريرة ﵁ قال: يدني الله العبد منه يوم القيامة ويضع عليه كنفه فيستره من الخلائق كلها ويدفع إليه [١٠٥/أ] كتابه في ذلك الستر، فيقول[٩]: اقرأ يا ابن آدم كتابك، قال: فيمر بالحسنة فيبيض لها وجهه، ويمر بالسيئة فيسود لها وجهه، قال: فيقول الله تعالى: أتعرف يا عبدي، قال: فيقول: نعم يا رب

---

(١) في صحيحه ٤/ ٢١٢٠، ح٢٧٦٨.
(٢) في (ظ): الكفار.
(٣) في صحيحه ٢/ ٨٦٢، ح٢٣٠٩.
(٤) (لفظ الجلالة): ليس في (ع).
(٥) في (ظ): يغفرها الله.
(٦) ذكر نحوه الحارث المحاسبي في التوهم ص(٦١).
(٧) ص(٦٣٠).
(٨) لا يوجد في الديباج المطبوع، وهو ناقص.
(٩) في (ع، ظ): فيقول له.

أعرف، قال: فيقول له[١]: إني أعرف بها منك قد غفرتها لك، فلا تزال حسنة[٢] تقبل فيسجد، وسيئة تغفر فيسجد، فلا ترى الخلائق منه إلا ذلك حتى تنادي الخلائق بعضها بعضاً، طوبى لهذا العبد الذي لم يعص قط، ولا يدرون ما قد لقي فيما بينه وبين الله تعالى مما قد وقفه عليه»[٣].

قلت: نسخه من هنا إلى الفصل قوله: «لا تزول»[٤] أخبرناه[٥] الشيخ الراوية عبد الوهاب[٦] القرشي قراءة عليه بثغر الإسكندرية حماها الله[٧] قال: قرئ على الحافظ السلفي وأنا أسمع قال: ثنا الحاجب أبو الحسن بن العلاف قال: أخبرنا أبو القاسم بن بشران، أنا الآجري حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى السونيطي[٨]، ثنا أحمد بن أبي رجاء المصيصي، ثنا وكيع بن الجراح، حدثنا الأعمش، عن المعرور بن سويد عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: أعرضوا عليه صغار ذنوبه وتخبأ كبارها، فيقال له: عملت يوم كذا وكذا وكذا ثلاث مرات، وهو يقر ليس ينكر قال: وهو مشفق من الكبائر أن تجيء، قال: فإذا أراد الله به خيراً قال: أعطوه مكان كل سيئة حسنة، فيقول حين طمع: يا رب إن لي ذنوباً ما رأيتها هاهنا، قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه[٩] ثم تلا: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾ [الفرقان: ٧٠]، خرجه **مسلم** في

---

(١) (له): ليست في (ع).

(٢) في (الأصل): الحسنة، وما أثبته من (ع، ظ، الزهد لابن أبي عاصم).

(٣) وأخرجه ابن أبي عاصم في كتابه الزهد ٢/ ١٧٢.

(٤) (**قلت**: نسخه من هنا إلى الفصل قوله: «لا تزول»): ليست في (ع، ظ)، ومن هذا الموضع إلى قوله: حدثنا الأعمش فذكره: تأخر في نسخة (ع، ظ) إلى بعد قوله: وقد بيناها في كتاب جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان والحمد لله.

(٥) في (ع): أخبرنا.

(٦) (عبد الوهاب): ليست في (ع، ظ).

(٧) (بثغر الإسكندرية حماها الله): ليست في (ع، ظ).

(٨) في (ظ): السوانيطي.

(٩) إلى هنا أخرجه هناد بن السري في كتابه الزهد ١/ ١٥٥، ح٢١١.

صحيحه[١] عن محمد بن عبد الله بن نمير قال: حدثنا الأعمش فذكره، إلى هنا لم يوجد في بعض النسخ[٢].

فصل

قوله: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة[٣] حتى يسأل» عامٌ لأنه نكرةٌ في سياق النفي لكنه مخصوص بقوله ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب»[٤] على ما يأتي[٥]، وبقوله تعالى لمحمد ﷺ: «أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن»[٦] الحديث، وقد تقدم[٧]، ولقوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ [الرحمن: ٤١][٨].

قوله ﷺ: «وعن علمه ما عمل فيه» **قلت**: هذا مقام مخوف؛ لأنه لم يقل: وعن علمه ما قال فيه، وإنما قال: ما عمل فيه، فلينظر العبد ما عمل فيه عَلِمَهُ[٩]، هل صدق الله في ذلك، وأخلصه حتى يدخل فيمن أثنى الله عليه بقوله: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ﴾ [البقرة: ١٧٧]، أو خالف علمه بفعله فيدخل في قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الأعراف: ١٦٩][١٠] الآية، وقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَۚ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢ ـ ٣]، والأخبار في هذا[١١] المعنى كثيرة، وسيأتي[١٢] ذكرها في أبواب النار [١٠٥/ب] إن شاء الله تعالى.

---

(١) ١/١٧٧، ح١٩٠.
(٢) (إلى هنا لم يوجد في بعض النسخ): ليست في (ع، ظ).
(٣) (يوم القيامة): ليست في (ع، ظ).
(٤) أخرجه البخاري ٥/٢٣٧٥، ح٦١٠٧؛ ومسلم ١/١٩٨، ح٢١٨.
(٥) ص(٨٢٣).
(٦) أخرجه البخاري ٤/١٧٤٦، ح٤٤٣٥؛ ومسلم ١/١٨٤، ح١٩٤.
(٧) ص(٥٩٩).
(٨) وفي (ع، ظ): زيادة: على ما يأتي.
(٩) في (ع): علّمه الله.
(١٠) ليست في (ع).
(١١) في (ع، ظ): بهذا.
(١٢) ص(٨٩٣).

وقوله: «حتى يضع عليه كنفه»، أي ستره ولطفه وإكرامه فيخاطبه خطاب الملاطفة ويناجيه مناجاة المصافاة والمحادثة فيقول: هل تعرف، فيقول: رب أعرف، فيقول الله تعالى ممتنا عليه ومظهراً فضله لديه: فإني قد[1] سترتها عليك في الدنيا أي لم أفضحك بما فيها[2] وأنا أغفرها لك اليوم.

ثم قيل: هذه ذنوب تاب منها كما ذكرها[3] **أبو نعيم**[4] عن الأوزاعي عن هلال بن سعد قال: إن الله يغفر الذنوب، ولكن لا يمحوها من الصحيفة حتى يوقفه عليها يوم القيامة وإن تاب منها.

قال المؤلف: ولا يعارض هذا ما[5] في التنزيل والحديث من أن السيئات تبدل بالتوبة حسنات، فلعل ذلك يكون بعد ما يوقفه عليها، والله أعلم.

وقيل: هي صغائر اقترفها.

وقيل: كبائر بينه وبين الله تعالى اجترحها، وأما ما كان بينه وبين العباد فلا بد فيها من القصاص بالحسنات والسيئات على ما يأتي[6].

وقيل: ما خطر بقلبه ما لم يكن في وسعه، ويدخل تحت كسبه، ويثبت في نفسه وإن لم يعمله، وهذا اختيار الطبري[7] والنحاس[8] وغير واحد من العلماء جعلوا الحديث مفسراً لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، فتكون الآية على هذا محكمة غير منسوخة، والله أعلم، وقد بينا[9] في كتاب جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان[10]، والحمد لله[11].

---

(١) (قد): ليست في (ع، ظ).
(٢) في (ع، ظ): بها.
(٣) في (ع، ظ): ذكر.
(٤) في الحلية ٥/ ٢٢٦.
(٥) (ما): ساقطة من (ظ).
(٦) ص(٦٣٩).
(٧) في تفسيره ٣/ ١٤٧.
(٨) في معاني القرآن له ص(٢٣٦).
(٩) في (ع، ظ): بيناها.
(١٠) ٣/ ٢٧١ فقرة رقم ٤٢١.
(١١) (والحمد لله): ليست في (ع).

وروي عن ابن مسعود أنه قال: ما ستر الله على عبد في الدنيا إلا ستر الله عليه في الآخرة[(١)]، وهذا مأخوذ من حديث النجوى، ومن قوله ﷺ: «لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره يوم القيامة»، خرَّجه **مسلم**[(٢)].

وفي صحيح **مسلم**[(٣)] أيضاً من حديث أبي هريرة: «ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة».

وروي: «من ستر على مسلم عورته ستر الله عورته يوم القيامة»[(٤)].

قال أبو حامد[(٥)]: فهذا إنما يرجوه عبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم، واحتمل في حق نفسه تقصيرهم، ولم يحرك لسانه بذكر مساوي الناس، ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه، [فهذا][(٦)] جدير بأن[(٧)] يجازى بمثله في القيامة.

فصل

وفي قوله: «سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم»، نص منه تعالى على صحة قول أهل السنة في ترك إنفاذ الوعيد على العصاة من المؤمنين، والعرب تفتخر بخلف الوعيد حتى قال قائلهم[(٨)]:

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتي ... ولا أخشى[(٩)] من روعة المتهدد

وإني متى أوعدته أو وعدته ... لمُخلف إيعادي ومنجز موعدي

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٩/ ١٦٠، ح٨٨٠٠؛ والحاكم في مستدركه ٤/ ٤٢٥، ح٨٨٦١.

(٢) في صحيحه ٤/ ٢٠٠٢، ح٢٥٩٠.

(٣) ٤/ ٢٠٧٤، ح٢٦٩٩.

(٤) رواه ابن ماجه في سننه ٢/ ٨٥٠، ح٢٦٩٩، صححه الألباني، صحيح ابن ماجه ٢/ ٧٩، ح٢٠٦٣.

(٥) في الإحياء ٤/ ٥١٩.

(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، الإحياء).

(٧) في (الأصل): بما، وما أثبته من (ع، ظ، الإحياء).

(٨) لعامر بن الطفيل، ذكرها ابن منظور في لسان العرب ١٤/ ٢٢٣.

(٩) في (ظ): يخشى.

قال ابن العربي(١): إنه لكذلك(٢) عند العرب، وأما ملك الملوك القدوس الصادق فلا يقع أبداً خبره إلا على وفق مخبره كان ثواباً أو عقاباً، فالذي قال المحققون في ذلك قول بديع وهو أن الآيات وقعت مطلقة في الوعد والوعيد عامة، فخصصتها الشريعة، وبيّنها الباري تعالى في كتابه [١٠٦/أ] في آيات أخر كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] وكقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦] الآية، وقوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ [غافر: ١ ـ ٣] الآية(٣)، وبالشفاعة التي أكرم الله بها محمداً ﷺ ومن شاء من الخلق بعده(٤).

باب ما جاء أن الله تعالى يكلم العبد ليس بينه ترجمان

مسلم(٥) عن عدي بن حاتم ﷺ قال: قال رسول الله(٦) ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلّا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة». زاد ابن حجر: قال الأعمش: وحدثني عمرو بن مرة عن خيثمة عن عدي مثله وزاد فيه: ولو بكلمة طيبة(٧)، خرجه **البخاري**(٨) **والترمذي**(٩)، وقال: حديث حسن صحيح.

ابن المبارك(١٠) قال: حدثنا إسماعيل بن مسلم عن الحسن وقتادة عن

---

(١) لم أهتد إلى قوله فيما وقفت عليه من كتبه، وربما في الجزء الناقص من سراج المريدين لابن العربي الذي يكثر المؤلف من النقل منه.

(٢) في (ع، ظ): كذلك.

(٣) (الآية): ليست في (ع، ظ)، وفيهما زيادة وهي قوله تعالى: ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾.

(٤) في (ع): الخلق من بعده.

(٥) في صحيحه ٢/ ٧٠٣، ح١٠١٦.

(٦) من هذا الموضع في الأصل يوجد طمس في بعض الكلمات والأحرف، تم إكماله من (ع، ظ، مصادر المصنف).

(٧) نهاية النقل من صحيح مسلم.

(٨) في صحيحه ٥/ ٢٣٩٥، ح٦١٧٤.

(٩) في جامعه ٤/ ٦١١، ح٢٤١٥.

(١٠) في الزهد (في الزوائد) ص(١١٦ ـ ١١٧)، ح٣٩٤.

أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: يجاء بابن آدم يوم القيامة فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول له: أعطيتك، وخولتك، وأنعمت عليك، فماذا صنعت؟ فيقول: يا رب جمعته وثمرته[١] فتركته أكثر ما كان، فأرجعني آتك[٢] به فيقول الله تعالى: أرني ما قدمت، فيقول: يا رب جمعته وثمرته فتركته أكثر ما كان فأرجعني آتك به، فيقول: فإذا عبد لم يقدم خيراً، فيمضى به إلى النار. خرجه ابن العربي في سراج المريدين[٣] وزاد فيه[٤] بعد قوله يوم القيامة: كأنه بَذَجٌ، وقال فيه: حديث صحيح من مراسيل الحسن، وقال الهروي[٥]: كأنه بذج من الذل. قال أبو عبيد[٦]: هو ولد الضأن وجمعه: بذجان، وقال الجوهري:[٧]: البذج من الضأن بمنزلة العتود من أولاد المعز، وأنشدوا[٨]:

قد هلكت جارتنا من الهمج وإن تجع تأكل عتوداً أو بذج

قلت: وقوله: «ما منكم من أحد»، مخصوص بما ذكرناه في الباب قبل، أي ما منكم ممن لا يدخل الجنة بغير حساب، ومن أمتي إلا وسيكلمه الله، والله أعلم.

فتفكر في عظيم حيائك إذا ذكرك ذنوبك شفاهاً؛ إذ يقول: يا عبدي أما استحييت مني فبارزتني بالقبيح، واستحييت من خلقي فأظهرت لهم الجميل، أكنت أهون عليك من سائر عبادي؟ استخففت بنظري إليك فلم تكترث به واستعظمت [١٠٦/ب] نظر غيري، ألم أنعم عليك؟ فماذا غرك بي؟.

وعن ابن مسعود ﷺ قال: ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول: يا ابن آدم ما غرَّك بي؟ يا ابن آدم ماذا

---

(١) في (ظ): أثمرته.
(٢) في (الأصل): آتيك، وتصويبه من (ع، ظ، م، الزهد لابن المبارك).
(٣) لم أهتد إلى موضعه في سراج المريدين المخطوط.
(٤) (وزاد فيه): مكررة في (الأصل).
(٥) في غريب الحديث له ١/ ١٦٤.
(٦) قاله في كتابه الغريبين في الكتاب والسنة ١/ ١٥٩.
(٧) في الصحاح له ١/ ٢٩٩.
(٨) استشهد به الجوهري على المعنى الذي ذكره، والنيسابوري في مجمع الأمثال له ١/ ٢٨٥.

عملت فيما علمت؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين[١]؟ يا ابن آدم ألم أكن رقيباً على عينيك وأنت تنظر بها إلى ما لا يحل لك؟ ألم أكن رقيباً على أذنك؟ وهكذا عن سائر الأعضاء، فكيف ترى حياءك وخجلك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك، وأياديه ومساويك، فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك، فنعوذ بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعضاء، إلا أن الله ﷻ وعد المؤمن أن يستر عليه، ولا يطلع عليه غيره كما ذكرناه، وذلك تفضل منه، وهل[٢] يكلم الكفار عند المحاسبة لهم؟ فيه خلاف تقدم[٣] بيانه في أسماء القيامة، ويأتي[٤] أيضاً في باب ما جاء في شهادة أركان الكافر والمنافق عليهما ولقائهما الله ﷻ مستوفى إن شاء الله تعالى.

فصل

فإن قيل: أخبر الله تعالى عن الناس أنهم مجزون[٥] ومحاسبون، وأخبر أنه يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين، ولم يخبر عن ثواب الجن ولا عن حسابهم بشيء، فما القول في ذلك عندكم؟ وهل يكلمهم الله؟

فالجواب: أن الله تعالى أخبر أن الجن والإنس يسألون، فقال خبراً[٦] عما يقول[٧] لهم: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٠] الآية، وهذا سؤال، وإذا ثبت بعض السؤال ثبت كله، ولما كانت الجن ممن تخاطب وتعقل قال: «منكم»، وإن كانت الرسل من الإنس وغلب الإنس في الخطاب كما يغلب المذكر على المؤنث.

---

(١) إلى هنا أخرجه الطبراني في الكبير ١٨٢/٩، ح٨٨٩٩؛ قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير موقوفاً ورجال الكبير رجال الصحيح غير شريك بن عبد الله فهو ثقة، وفيه ضعف، مجمع الزوائد ٣٤٧/١٠.

(٢) (وهل): ليست في (ظ)، وتصحفت في (ع) إلى: وهو.

(٣) ص(٥٦٣). (٤) ص(٦٧٢).

(٥) في (ع، ظ): مجزيون.

(٦) في (الأصل): خبرنا، وفي (ظ): أخبرنا، والتصويب من (ع).

(٧) في (ظ): يقال.

وأيضاً: لما كان الحساب عليهم دون الخلق قال: «منكم» فصيّر[(١)] (الرسل) في مخرج اللفظ من الجميع؛ لأن الثقلين قد ضمهما عرصة القيامة، فلما صاروا في تلك العرصة في حساب واحد في شأن الثواب والعقاب خوطبوا يومئذ بمخاطبة واحدة كأنهم جماعة واحدة؛ لأنه خلقهم[(٢)] للعبودية كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝﴾ [الذاريات: ٥٦]، والثواب والعقاب على العبودة[(٣)]، إلا أن الجن أصلهم من مارج من نار، وأصلنا من تراب، وخلقهم غير خلقنا، ومنهم كافر ومؤمن[(٤)]، وعدونا إبليس عدو لهم، يعادي مؤمنهم ويوالي كافرهم، وفيهم أهواء شيعية، وقدرية، ومرجئة، وهو معنى قوله: ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: ١١][(٥)].

وقيل: إن الله تعالى لما قال: ﴿وَالَّذِينَ[(٦)] آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢] دخل في الجملة الجن والإنس، فثبت للجن من وعد الجنة[(٧)] بعموم الآية ما ثبت للإنس.

فإن قيل: فما الحكمة في ذكر الجن مع الإنس في الوعيد وترك إفراده الإنس عنهم في الوعد؟

---

(١) في (ع، ظ): فتصير.

(٢) في (ع): بدو خلقهم، وفي (ظ): لأن خلقهم.

(٣) في (ظ): العبودية. (٤) في (ع، ظ): مؤمن وكافر.

(٥) قال الطبري في تفسيره ٢٩/ ١١٢: الطرائق جمع طريقة وهي: طريقة الرجل ومذهبه. والقدد جمع قدة وهي: الضروب والأجناس المختلفة، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.. ثم ذكر منهم ابن عباس رضي الله عنهما، وعكرمة وقتادة.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله تعالى: ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾، أي على مذاهب شتى كما قال العلماء، منهم المسلم، والمشرك، والنصراني، والسني، والبدعي. فتاوى ابن تيمية ١١/ ٣٠٥.

(٦) في (الأصل، ع، ظ): ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ والتصويب من المصحف، وربما اشتبهت بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝﴾ [هود: ٢٣].

(٧) في (الأصل): فثبت للمجرمين وعيد الجنة، والكلام لا يستقيم به، وما أثبته من (ع)، وفي (ظ): فثبت وعد الجنة.

فالجواب: إنهم قد ذكروا أيضاً في الوعد؛ لأنه سبحانه يقول: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ [١٠٧/أ] إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ [الأحقاف: ١٨]، ثم قال: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ [الأنعام: ١٣٢] وإنما أراد: لكل(١) من الإنس والجن، فقد ذكروا في الوعد مع الإنس.

فإن قيل: فقد ذكر تخاطب الجن والإنس في النار؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ [إبراهيم: ٢٢](٢) إلى قوله: ﴿وَلُومُوا أَنفُسَكُم﴾، وقال تعالى: ﴿قَالَ(٣) قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٢٧] ولم يأت عن تفاوض الفريقين(٤) في الجنة خبر.

قيل: إن ما ذكر من تفاوضهم في النار أن الواحد من الإنس يقول للشيطان الذي كان قرينه في الدنيا(٥) أنه أطغاني وأضلني، فيقول له قرينه: ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ ولكنه كان ضالاً(٦) بنفسه، ولا سبب بين الفريقين يدعو أهل الجنة فيها إلى(٧) التفاوض فلذلك سكت عنهما.

وأيضاً: فإن الله تعالى أخبر الناس أن عصاتهم تكون(٨) قرناء الشياطين يتخاصمون في النار ليزجرهم بذلك عن التمرد والعصيان، وهذا المعنى مفقود في الأخيار، فلهذا سكت عن ذلك في الوعد به(٩).

باب القصاص يوم القيامة ممن استطال في حقوق الناس وفي حبسه لهم حتى ينتصفوا منه

مسلم(١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤدنّ الحقوق إلى

---

(١) في (ع، ظ): ولكل.

(٢) وفي (ع): زيادة في الآية قوله: ﴿وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾.

(٣) في (الأصل، ع، ظ): وقال، والتصويب من المصحف.

(٤) في (ع): القرينين.

(٥) (في الدنيا): ليست في (ظ).

(٦) في (ظ): ضلال.

(٧) (إلى): ساقطة من (ظ).

(٨) في (ع): يكونون.

(٩) (به): ليست في (ظ): وفي (ع): الوعيد.

(١٠) في صحيحه ٤/١٩٩٧، ح٢٥٨٢.

أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء[١] من الشاة القرناء».

البخاري[٢] عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه، أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه».

مسلم[٣] عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من[٤] المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل انقضاء ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار».

وخرَّج **ابن ماجه**[٥] قال: أخبرنا محمد بن ثعلبة بن سواء، حدثنا عمي محمد بن سواء عن حسين المعلم عن مطر الوراق عن نافع عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وعليه دينار أو درهم قضي من حسناته، ليس ثم دينار ولا درهم، من ترك ديناً أو ضياعاً فعلى الله ورسوله[٦]».

الحارث بن أبي أسامة عن عبد الله بن أنيس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الله العباد أو قال الناس ـ شك همام ـ وأومأ بيده إلى الشام عراة غرلاً بُهْماً، قال: ما بُهْما؟ [قال][٧]: ليس[٨] معهم [١٠٧/ب]

(١) هي التي لا قرن لها، النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٨٤.

(٢) في صحيحه ٢/ ٨٦٥، ح٢٣١٧.

(٣) في صحيحه ٤/ ١٩٩٧، ح٢٥٨١.

(٤) في (مسلم): ما.

(٥) في سننه ٢/ ٨٠٧، ح٢٤١٤، وصححه الألباني، انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٥٣، ح١٩٥٨.

(٦) (من ترك ديناً أو ضياعاً فعلى الله ورسوله): ليست في (متن حديث ابن ماجه، وإنما هي عنوان الباب الذي يلي الحديث الذي أورده المصنف).

(٧) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م، مسند أحمد)، وفي (بغية الباحث): قال: قلنا ما بهما.

(٨) (ليس): ساقطة من (ظ).

شيء، فيناديهم بصوت[1] يسمعه من بَعُدَ ومن قَرُب: أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد [من أهل الجنة][2] أن يدخل الجنة، وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل [النار وأحد من][3] أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة[4]، قال: قلنا: كيف وإنما نأتي الله عراة حفاة، قال: بالحسنات والسيئات»[5].

قلت: هذا الحديث الذي أراد البخاري بقوله ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد[6].

سفيان بن عيينة عن مسعر عن عمرو بن مرة قال: سمعت الشعبي يقول: حدثني الربيع بن خثيم وكان من معادن الصدق قال: إن أهل الدَّين في الآخرة أشد تقاضياً له منكم في الدنيا يحبس لهم فيأخذونه، فيقول: يا رب ألست تراني حافياً؟ فيقول: خذوا من حسناته بقدر الذي لهم فإن لم يكن له[7] حسنات يقول: زيدوا على سيئاته من سيئاتهم»[8]، وذكر أبو عمر بن عبد البر[9] من حديث البراء ﷺ عن النبي ﷺ قال: «صاحب الدَّين مأسور يوم القيامة بالدَّين».

وروى **أبو نعيم**[10] الحافظ بإسناده عن زاذان أبي عمر قال: دخلت على

---

(١) في (بغية الباحث): ثم يناديهم.

(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م، وبغية الباحث)، وهو قطع في الأصل.

(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م، وبغية الباحث)، وهو قطع في الأصل.

(٤) (حتى اللطمة): ليست في (بغية الباحث).

(٥) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ١/١٨٩، ح٤٤؛ وأخرجه أحمد في مسنده ٣/٤٩٥، ح١٦٠٨٥؛ قال الهيثمي: في سنده، عبد الله بن محمد: ضعيف، مجمع الزوائد ١/١٣٣.

(٦) (واحد): ليست في (ظ).

(٧) في (الأصل، ظ): لهم، وتصويبه من (ع).

(٨) لم أقف على من ذكره.

(٩) في كتابه التمهيد ٢٢/٢٣٨.

(١٠) في الحلية ٤/٢٠٢.

ابن مسعود ﷺ فوجدت أصحاب الخز واليمنة[(١)] قد سبقوني إلى المجلس، فقلت: يا عبد الله من أجل أني رجل أعجمي أدنيت هؤلاء وأقصيتني؟ قال: ادن فدنوت حتى ما كان بيني وبينه جليس، فسمعته يقول: يؤخذ بيد العبد أو الأمة فينصب على رؤوس الأولين والآخرين ثم ينادي منادٍ هذا فلان بن فلان فمن كان له حق فليأت على حقه، فتفرح المرأة أن يدور[(٢)] لها الحق على ابنتها أو أختها أو على ابنها أو على زوجها[(٣)]، ثم قرأ ابن مسعود: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، فيقول الرب تعالى للعبد: ائت هؤلاء حقوقهم، فيقول: يا رب فنيت الدنيا فمن أين أوتيهم، فيقول للملائكة: خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل[(٤)] إنسان بقدر طلبته، فإن كان ولياً لله فضلت من حسناته مثقال حبة من خردل [من خير][(٥)] ضاعفها حتى يدخله بها الجنة، ثم قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٤٠﴾ [النساء: ٤٠]، وإن كان عبداً شقياً، قالت الملائكة: يا رب فنيت حسناته وبقي طالبون، فيقول للملائكة: خذوا من أعمالهم[(٦)] السيئة فأضيفوها إلى سيئاته وصكوا له صكاً [إلى النار][(٧)].

وعنه عن ابن مسعود ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه ليكون للوالدين على ولدهما دَين، فإذا كان يوم القيامة يتعلقان به، فيقول: أنا ولدكما، فيودان أن يتمنيان لو كان أكثر من ذلك»[(٨)].

---

(١) في (الحلية): اليمنية، واليمنة ضرب من برود اليمن، النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٧٥.
(٢) في (الأصل، ظ): يدوب، وتصويبه من (مصدر المصنف)، وفي (ع): يدون.
(٣) في (ع، ظ): ابنها أو أخيها أو على زوجها، وفي (الحلية): ابنها أو أخيها أو على أبيها أو على زوجها.
(٤) في (ظ): لكل.
(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، والحلية).
(٦) في (الأصل): أعماله، وتصويبه من (ع، ظ).
(٧) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، الحلية).
(٨) أخرجه الطبراني في الكبير ١٠/ ٢١٩، ح١٠٥٢٦؛ قال الهيثمي: رواه الطبراني عن عمرو بن مخلد عن زكريا بن يحيى ولم أعرفهما، وبقية رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم، مجمع الزوائد ١٠/ ٣٥٥.

وروى رزين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه، فيقول: ما لك إلي؟ وما بيني وبينك معرفة[١]، فيقول: كنت تراني على الخطايا وعلى المنكر ولا تنهاني»[٢].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: تفرح [١٠٨/أ] المرأة يوم القيامة أن يكون لها حق[٣] على ابنها أو [أبيها][٤] أو أخيها أو أختها أو زوجها[٥]، ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾.

ابن ماجه[٦] عن جابر رضي الله عنه قال: لما رجعت إلى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر، قال: «ألا تحدثوني[٧] بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟ فقال فتية منهم: بلى يا رسول الله، بينما نحن جلوس، مرت بنا عجوز من عجائز رهابينهم[٨] تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلّتها، فلما ارتفعت التفتت إليه، فقالت: سوف تعلم يا غُدَر[٩] إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غداً، قال: يقول رسول الله ﷺ: صدقت، صدقت، كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم.

فصل

أنكر بعض المتغفلة[١٠] الذين اتبعوا أهواءهم بغير هدى من الله إعجاباً

---

(١) (ما لك إلي؟ وما بيني وبينك معرفة): ليست في (ظ).
(٢) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب له ٣/ ١٦٤.
(٣) في (ع): الحق.
(٤) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).
(٥) في (ظ): على أبيها وعلى أخيها وعلى أختها أو على زوجها.
(٦) في سننه ٢/ ١٣٢٩، ح٤٠١٠، حسنه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٣٦٨، ح٣٢٣٩.
(٧) في (ظ): تحدثون.
(٨) كذا في الأصل و(ع، وسنن ابن ماجه)، وفي (ظ): رهبانهم.
(٩) في (ظ): غدار.
(١٠) في (ظ): المتعقلة.

برأيهم وتحكماً على كتاب[١] الله تعالى وسنة رسول الله[٢] ﷺ بعقول ضعيفة وأفهام سخيفة، فقالوا: لا يجوز في حكم الله تعالى وعدله أن يضع سيئات من اكتسبها على من لم[٣] يكسبها، ويؤخذ حسنات من عملها فتعطى لمن لم يعملها، وهذا زعموا جوراً، وأوّلوا قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤، الإسراء: ١٥]، فكيف تصح هذه الأحاديث، وهي تخالف ظاهر الكتاب وتستحيل في العقل[٤]؟

والجواب: إن الله سبحانه لم يبن أمور الدين على عقول العباد، ولم يعد ولم يوعد على ما تحتمله عقولهم ويدركونها بأفهامهم، بل وعد وأوعد[٥] بمشيئته وإرادته وأمر ونهى بحكمته[٦]، ولو كان كلما[٧] لا تدركه العقول[٨] مردوداً لكان أكثر الشرائع مستحيلاً على موضوع عقول العباد؛ وذلك أن الله تعالى أوجب الغسل بخروج المني الذي هو طاهر عند بعض الصحابة وكثير من الأئمة[٩]، وأوجب غسل الأطراف من الغائط الذي لا خلاف بين الأمة وسائر من يقول بالعقل وغيرهما[١٠] في نجاسته وقذارته ونتنه، وأوجب بريح تخرج من موضع الحدث ما أوجب بخروج الغائط الكثير المتفاحش، فبأي عقل يستقيم هذا؟ أو بأي[١١] رأي يجب مساواة ريح ليس لها عين قائمة بما تقوم عينه[١٢]؟ وتزيد[١٣] على الريح نتناً وقذراً، وقد أوجب الله قطع يمين مؤمن[١٤] بعشرة دراهم، وعند بعض الفقهاء بثلاثة دراهم ودون ذلك ثم سوى بين هذا القدر من المال وبين مائة ألف دينار، فيكون القطع فيهما سواء؟ وأعطى الأم

---

(١) (كتاب): ليست في (ظ).
(٢) في (ع): نبيه محمد، وفي (ظ): سنة رسوله.
(٣) في (ع): لا.
(٤) في (ع): العقول.
(٥) في (ع): أوعد ووعد.
(٦) في (ظ): بحكمه.
(٧) في (ع): كل من.
(٨) في (ع): لا يدركه العقل.
(٩) في (ع): من هذه الأمة، وفي (ظ): من الأمة.
(١٠) في (ع): وغيرها.
(١١) في (ع، ظ): وبأي.
(١٢) في (ع): يقوم عليه.
(١٣) في (ع): أو تزيد.
(١٤) (مؤمن): ليست في (ظ).

من ولدها الثلث، ثم إن كان للمتوفى إخوة جعل لها السدس من غير أن يرث الإخوة من ذلك شيئاً. فبأي عقل يدرك هذا؟ لا تسليماً وانقياداً من صاحب الشرع[(١)] إلى غير ذلك، وكذلك[(٢)] القصاص بالحسنات والسيئات. وقد قال تعالى وقوله الحق: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧] الآية، وقال: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ [١٠٨/ب] وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]، وقال: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟[(٣)] أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥]، وهذا يبين معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، أي لا تحمل حاملة فعل[(٤)] أخرى إذا لم تتعد[(٥)]، فإذا تعدت واستطالت بغير ما أمرت فإنها تحمل عليها ويؤخذ منها بغير اختيارها كما تقدم[(٦)] في أسماء القيامة عند قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨].

فصل

وإذا تقرر هذا فيجب على كل مسلم: البدار إلى[(٧)] محاسبة نفسه كما قال عمر بن الخطاب[(٨)] ﷺ: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا. وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحاً، ويتدارك ما فرط من تقصير في فرائض الله ﷻ ويرد المظالم[(٩)] حبة حبة، ويستحل كل[(١٠)] من تعرض له بلسانه ويده وسطوته[(١١)] بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم تقبل عليه فريضة ولا مظلمة، فهذا يدخل الجنة بغير حساب،

---

(١) هكذا في جميع النسخ، ولعل الصواب: تسليماً وانقياداً لصاحب الشرع.
(٢) في (ع): فكذلك.
(٣) في (الأصل): وليحملن، والتصويب من (المصحف، ع، ظ).
(٤) في (ع، ظ): ثقل.
(٥) في (الأصل): فعل أخرى بتعد، والتصويب من (ع، ظ).
(٦) ص(٥٧٤).
(٧) في (ظ): على.
(٨) (ابن الخطاب): ليست في (ع).
(٩) في (ع): إلى أهلها.
(١٠) في (ظ): من كل.
(١١) في (ع): وسوء ظنه.

فإن مات قبل رد المظالم أحاط[١] به خصماؤه، فهذا يأخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته، وهذا يتعلق بلببه[٢] وهذا يقول: ظلمتني، وهذا يقول: شتمتني، وهذا يقول: استهزأت بي، وهذا يقول: ذكرتني في الغيبة بما يسوئني، وهذا يقول: جاورتني فأسأت جواري، وهذا يقول: عاملتني فغششتني، وهذا يقول: بايعتني فأخفيت عني عيب متاعك، وهذا يقول: كذبت في سعر متاعك، وهذا يقول: رأيتني محتاجاً وكنت غنياً فما أطعمتني، وهذا يقول: وجدتني مظلوماً وكنت قادراً على دفع الظلم فداهنت الظالم وما راعيتني، فبينا أنت كذلك وقد أنشب الخصماء فيك مخالبهم وأحكموا في تلابيبك أيديهم وأنت مبهوت[٣] من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته في مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أو جناية أو نظر[٤] بعين استحقار، وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عين[٥] الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم، إذ قرع سمعك نداء الجبار: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧] فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة، وتوقن نفسك بالبوار. وتتذكر ما أنذرك الله به على لسان نبيه محمد[٦] ﷺ حين[٧] قال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢ ـ ٤٣] فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك اليوم[٨] بأعراض الناس، وتناولك أموالهم، وما أشد حسرتك في ذلك اليوم إذا وقف بك على بساط العذاب[٩] وشوفهت بخطاب السيئات وأنت[١٠] فقير عاجز مهين لا تقدر على

---

(١) في (ظ): احتاط.

(٢) (وهذا يتعلق بلببه): ليست في (ظ)، واللَّبَة: هي الهَزْمة التي فَوْق الصَّدْر وفيها تُنْحَر الإبل، انظر: النهاية في غريب الحديث ٤/ ٢٢٣.

(٣) في (ع): مبهوت حائر، وفي (ظ): مبهوت متحير.

(٤) في (ع): نظرة.

(٥) في (ع): عنق.

(٦) في (ع): رسوله.

(٧) (حين): ليست في (ظ)، وفي (ع): حيث.

(٨) (اليوم): ليست في (ظ).

(٩) في (ظ): على بساط العدل.

(١٠) في (ع): وأنت مفلس.

أن ترد حقاً أو تظهر[١] عذراً، فعند ذلك تؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك فتنتقل إلى خصمائك عوضاً[٢] عن حقوقهم، كما ورد في الأحاديث المذكورة في هذا الباب، فانظر إلى مصيبتك في مثل هذا اليوم إذ ليس لك حسنة قد سلمت [١٠٩/أ] من آفات الرياء ومكائد الشيطان، فإن سلمت حسنة[٣] واحدة في ساعة[٤] طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها.

ويقال: لو أن رجلاً له ثواب سبعين نبياً وله خصم بنصف دانق[٥] لم يدخل الجنة حتى يرضى خصمه[٦].

وقيل: يؤخذ بدانق قسط سبع مائة صلاة مقبولة، فتعطى للخصيم[٧]، ذكره القشيري في التحبير له[٨] عند اسمه المقسط الجامع.

قال أبو حامد[٩]: ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت أنه لا ينقضي عليك يوم إلا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك، فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشبهات، والتقصير في الطاعات، وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجمّاء من القرناء؟ ويقول الكافر: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠]، فكيف بك يا مسكين في يوم ترى فيه صحيفتك خالية عن[١٠] حسنات طال فيها تعبك، فتقول: أين حسناتي؟ فيقال: نقلت إلى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات غيرك، فتقول: يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط، فيقال: هذه سيئات الذين اغتبتهم، وشتمتهم، وقصدتهم بالسوء، وظلمتهم في المعاملة، والمبايعة، والمجاورة، والمخاطبة، والمناظرة، والمذاكرة،

(١) في (ظ): ولا تظهر.
(٢) (عوضاً): ليست في (ظ).
(٣) (قد سلمت من آفات الرياء ومكائد الشيطان، فإن سلمت لك حسنة): ليست في (ع).
(٤) في (ع، ظ): مدة.
(٥) الدانق: سدس الدينار، لسان العرب ١٠/ ١٠٥.
(٦) في (ظ): خصماؤه.
(٧) في (ع، ظ): للخصم.
(٨) ص(٨٨).
(٩) في الإحياء ٤/ ٥٢١ ـ ٥٢٢.
(١٠) في (الأصل): من، وما أثبته من (ع، ظ، والمصدر).

والمدارسة وسائر أصناف المعاملة، فاتق الله في مظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وأبشارهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخُلُق في معاشرتهم، فإن ما بين العبد وبين الله خاصة المغفرة إليه أسرع، ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم [فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الإخلاص][(١)] من حيث لا يطلع عليه إلا الله تعالى، فعساه يقربه ذلك إلى الله فينال به لطفه الذي ادخره لأربابه[(٢)] المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم بإرضائه إياهم على ما يأتي[(٣)] بيانه في باب إرضاء الخصوم بعد هذا إن شاء الله تعالى.

فصل

قوله [في الحديث][(٤)]: «فيناديهم بصوت»، استدل به من قال بالحرف والصوت وأن الله يتكلم بذلك ـ تعالى الله عما يقوله المجسمون[(٥)] والجاحدون علواً كبيراً ـ وإنما يحمل النداء المضاف إلى الله تعالى على نداء بعض الملائكة المقربين بإذن الله تعالى وأمره، ومثل ذلك سائغ[(٦)] في الكلام غير مستنكر أن يقول القائل: نادى الأمير وبلغني نداء الأمير كما قال تعالى[(٧)]: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ﴾ [الزخرف: ٥١]، وإنما المراد نادى المنادي عن أمره وأصدر نداءه

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع)، وهو سقط في الأصل و(ظ).

(٢) في (الأصل): لأرباب، وتصويبه من (ع، ظ).

(٣) ص(٦٦٠).

(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٥) قال ابن أبي العز الحنفي: قال خلق كثير من أئمة السلف: علامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة فإنه ما من أحد من نفاة شيء من الأسماء والصفات إلا يسمي المثبت لها مشبهاً، فمن أنكر الصفات وقال إن الله ليس له علم ولا قدرة ولا كلام ولا محبة ولا إرادة قال لمن أثبت الصفات أنه مشبه وأنه مجسم، ولهذا كتبُ نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة ـ والأشاعرة ـ والرافضة ونحوهم كلها مشحونة بتسمية مثبتة الصفات مشبهة ومجسمة.ا.هـ. مختصراً من شرح العقيدة الطحاوية ٨٦/١.

(٦) في (ظ): شائع.

(٧) (كما قال تعالى): ليست في (ع، ظ).

عن إذنه[(١)] وهو كقولهم أيضاً[(٢)]: قتل الأمير فلاناً، وضرب فلاناً، وليس المراد توليه لهذه الأفعال وتصديه لهذه الأعمال، ولكن المقصود صدورها عن أمره، وقد ورد في صحيح الأحاديث: أن الملائكة ينادون على رؤوس الأشهاد ويخاطبون أهل الغي والرشاد: ألا إن فلان بن فلان كما تقدم[(٣)]، ومثله ما جاء في حديث التنزيل مفسراً فيما خرجه **النسائي**[(٤)(٥)] عن أبي هريرة رضي الله عنه وعن أبي سعيد رضي الله عنه قالا: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً[(٦)] يقول: هل من داع يستجاب[(٧)] له؟ هل من [١٠٩/ب] مستغفر يغفر له؟ هل من سائل يعطى»؟ صححه أبو محمد عبد الحق[(٨)].

وكل حديث اشتمل على ذكر الصوت أو النداء فهذا التأويل فيه، وأن ذلك من باب حذف المضاف[(٩)]، والدليل على ذلك ما ثبت من قدم كلام الله تعالى على ما هو مذكور في كتب الديانات.

---

(١) في هذا الموضع من (ع، ظ): وفي التنزيل: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ﴾.

(٢) (أيضاً): ليست في (ع، ظ). (٣) ص(٥٨٨).

(٤) في السنن الكبرى له ٦/ ١٢٤، ح١٠٣١٦، ثم قال النسائي بعد إخراجه للحديث: ذكر الاختلاف على سعيد المقبري في هذا الحديث.

(٥) في هذا الموضع من الأصل تكررت كلمة: مفسراً، ولا يستقيم بها المعنى هنا.

(٦) بل جاء التصريح بنداء الله تعالى، قال الإمام البخاري في صحيحه ٦/ ٢٧٢١: باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة وقال معمر: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: يلقى عليك وتلقاه أنت أي تأخذه عنهم ومثله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾، ثم أورد حديث أبي هريرة رضي الله بسنده قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل إن الله قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه، ثم ينادي جبريل في السماء إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في أهل الأرض».

(٧) في (ع، ظ): فيستجاب، والأصل متوافق مع مصدر المصنف.

(٨) انظر: الأحكام الشرعية الكبرى ٢/ ٣٦٨؛ والأحكام الشرعية الصغرى ١/ ٢٧٨ كلاهما له.

(٩) قال الإمام أبو نصر الوايلي السجزي: وكل ما يتعلق به مخالفونا في هذا الفصل فمن المجاز، وبُنيات الطرق، والعقل والسمع معاً يؤيدان ما نقوله، وبه نطق الكتاب والأثر، وثبت به العرف، فالله سبحانه قد بين في كتابه ما كلامه، وبين ذلك رسول ﷺ، واعترف به الصدر الأول والسلف الصالح وآمنوا به، فقال الله سبحانه: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، وقال: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾، وما سمع مستجير إلا =

فإن قال بعض الأغبياء(١): لا وجه لحمل الحديث على ما ذكرتموه، فإن فيه: (أنا الديان) وليس يصدر هذا القول حقاً وصدقاً إلا من رب العالمين.

قيل له: إن الملك إذا كان يقول عن الله تعالى وينبئ(٢) عنه فالحكم يرجع إلى رب العالمين كما بينت(٣)، والدليل عليه: إن الواحد منا إذا تلا قول الله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠] فليس يرجع إلى القارئ وإنما القارئ ذاكراً لكلام الله(٤) تعالى، ودال عليه بأصواته، وهذا بين، وقد أتينا

= كلاماً ذا حروفٍ وأصواتٍ، ولا قرأ قارئ البتة إلا ذلك، وقد أكد ذلك بذكر الحروف المقطعة في أوائل السور منه مثل ﴿الٓمٓ ۝﴾، ﴿كٓهيٰعٓصٓ ۝﴾، ﴿طه ۝﴾ فمن زعم أنها ليست من القرآن فهو كافر، ومن زعم أنها من القرآن والقرآن ليس بكلام الله فهو كافر، ومن زعم أنها عبارة عن الكلام الذي لا حروف فيه قيل له: هذا جهل وغباء؛ لأن الكلام الذي تزعمه ليس يعرفه سواك، ولا يدري ما هو غيرك، وأنت أيضاً لا تدريه، وإنما تتخبط فيه، والنبي ﷺ يقول: «من قرأ سورة الإخلاص» و«من قرأ آية الكرسي» و«من قرأ حرفاً من القرآن»، فبين أن القرآن سور وآي وحروف، وأما الصوت: فقد زعموا أنه لا يخرج إلا من هواء بين جرمين؛ ولذلك لا يجوز وجوده من ذات الله تعالى. والذي قالوه باطل من وجوه ـ منها ـ: ألا ترى أن النبي ﷺ ذكر سلام الحجر عليه، وعلم تسبيح الحصا في يده، وتسبيح الطعام بين يديه، وحنين الجذع عند مفارقته إياه، وما جاء لشيء من ذلك هواء منخرق بين جرمين، وقبل كل شيء ينبغي أن يعلم اعتمادنا في المعتقدات أجمع على السمع، فإذا ورد السمع بشيء قلنا به، ولم نلتفت إلى شبهة يدعيها مخالف. ا.هـ. كلامه مختصراً، انظر: رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت له، تحقيق د. محمد باكريم، ط. المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية الأولى لسنة ١٤١٣هـ.

(١) الأولى الترفع عن مثل هذه الألفاظ. (٢) في (ظ): ينبئنا.

(٣) (كما بينت): ليست في (ع، ظ).

(٤) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية كلام الإمام أحمد ﷺ في رده على الجهمية الذين أنكروا كلام الله تعالى، حيث قال رحمه الله تعالى: أنكرت الجهمية أن يكون الله كلم موسى، فقلنا: لم أنكرتم ذلك؟ قالوا: إن الله لم يتكلم ولا يتكلم إنما كوّن شيئاً فعبر عن الله وخلق صوتاً فأسمع، وزعموا أن الكلام لا يكون إلا من جوف ولسان وشفتين، فقلنا: فهل يجوز لمكون غير الله أن يقول: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ أو يقول: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ۝﴾، فمن زعم أن ذلك غير الله فقد ادعى الربوبية، ولو كان كما زعم الجهمي أن الله كوّن شيئاً كان يقول ذلك المكوّن: يا موسى أنا الله رب العالمين، لا يجوز له أن يقول: ﴿إِنِّيٓ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَٰلَمِينَ﴾، وقد=

عليه مستوفى في الصفات من كتاب الأسنى في شرح أسماء الحسنى وصفاته العلى(١)، والحمد لله.

فصل

واختلف الناس في حشر البهائم وفي القصاص بعضها من بعض، فروي عن ابن عباس ﷺ: إن حشر الدواب والطير موتها(٢)، وقاله الضحاك(٣).

= قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾، وقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾، وقال: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ فهذا منصوص القرآن، فأما ما قالوا أن الله لا يتكلم، ولا يكلم، فكيف يصنعون بحديث الأعمش عن خيثمة عن عدي بن حاتم الطائي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلم ربه ليس بينه وبينه ترجمان»، وبسط الكلام عليهم إلى أن قال: قد أعظمتم على الله الفرية حين زعمتم أنه لا يتكلم فشبهتموه بالأصنام التي تعبد من دون الله؛ لأن الأصنام لا تتكلم ولا تتحرك ولا تزول من مكان إلى مكان. مجموع الفتاوى ٨/٤١٩ باختصار.

قال شيخ الإسلام: ولهذا قال أئمة السنة: لم يزل الله متكلماً كيف شاء، وبما شاء، كما ذكرت الآثار بهذه المعاني عن ابن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما، هذا وقد أخبر سبحانه عن نفسه بالنداء في أكثر من عشرة مواضع فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾... إلخ، واستفاضت الآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة السنة أنه سبحانه ينادي بصوت، نادى موسى، وينادي عباده يوم القيامة بصوت، ويتكلم بالوحي بصوت، ولم ينقل عن أحد من السلف أنه قال إن الله يتكلم بلا صوت أو بلا حرف، ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوت أو بحرف كما لم يقل أحد منهم إن الصوت الذي سمعه موسى قديم ولا أن ذلك النداء قديم ولا قال أحد منهم أن هذه الأصوات المسموعة من القراء هي الصوت الذي تكلم الله به، بل الآثار مستفيضة عنهم بالفرق بين الصوت الذي يتكلم الله به وبين أصوات العباد، وكان أئمة السنة يعدون من أنكر تكلمه بصوت من الجهمية كما قال الإمام أحمد لما سئل عمن قال: أن الله لا يتكلم بصوت، فقال: هؤلاء جهمية إنما يدورون على التعطيل. انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١٢/٣٠٤ ـ ٣٠٥.

(١) ٢/١٩٥.

(٢) ذكره الطبري في تفسيره ٧/١٨٨.

(٣) هذا القول ذكر معناه منسوباً لابن عباس ﷺ، ولم أقف على من ذكر قول الضحاك، انظر: تفسير الطبري ٣٠/٦٧؛ والبغوي ٤/٤٥١؛ والماوردي ٦/٢١٢.

وروي عن ابن عباس[١] في رواية أخرى: إن البهائم تحشر وتبعث.

وقاله أبو ذر، وأبو هريرة [وعمرو بن العاص[٢]][٣] والحسن [البصري][٤] وغيرهم وهو الصحيح لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝﴾ [التكوير: ٥] وقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، قال أبو هريرة ﷺ: يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم، والطير، والدواب، وكل شيء، فيبلغ من عدل الله يومئذ[٥] أن يأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول: كوني تراباً، فذلك قوله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾، ونحوه عن ابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص[٦].

وفي الخبر: أن البهائم إذا صارت تراباً يوم القيامة حول ذلك التراب في وجوه الكفار، فذلك قوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝﴾ [عبس: ٤٠]، أي غبار[٧].

وقالت طائفة: الحشر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ راجع إلى الكفار. وما يتخلل من قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] كلام معترض، وإقامة حجج. وأما الحديث: فالمقصود منه التمثيل على جهة تعظيم [أمر][٨] الحساب والقصاص والاعتبار فيه[٩] حتى يفهم منه أنه لا بد لكل أحد منه[١٠] وأنه لا

---

(١) لم أقف على من ذكر قول ابن عباس هذا، واستدل النووي على حشر البهائم ثم بعثها بالحديث الصحيح: «يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»، انظر: شرح النووي على مسلم ١٦/١٣٦.

(٢) ذكر قوله نعيم بن حماد في الفتن ٢/٦٢٥.

(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٥) (يومئذ): ليست في (ع، ظ).

(٦) ذكره الطبري في تفسيره ٣٠/٢٦.

(٧) ذكره الطبري في تفسيره ٣٠/٦٣.

(٨) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م).

(٩) في (الأصل): الإعيا فيه، وفي (ع): والإغياء فيه، وفي (م): الأغيا فيه، وتصويبه من (ظ)، ويؤيد ما في (ظ) ما جاء بعد أربعة أسطر من المتن: فيظهر من هذا أن المقصود: التمثيل المفيد للاعتبار والتهويل.

(١٠) في (ع): لكل واحد منهم.

محيص لمخلوق عنه. وعضدوا ذلك بما روي في غير الصحيح عن بعض رواته من الزيادة، فقال: «حتى يقاد للشاة الجلحاء[(١)] من الشاة القرناء، وللحجر لما ركب الحجر، وللعود لما خدش العود»[(٢)]، قالوا[(٣)]: فيظهر[(٤)] من هذا أن المقصود: التمثيل المفيد للاعتبار والتهويل؛ لأن الجمادات لا تعقل خطابها[(٥)] ولا عقابها وثوابها، ولم يصر إليه أحد من العقلاء، ومتخيله من جملة المعتوهين الأغبياء أجاب بعض من قال بالقول الأول[(٦)(٧)] بأن قال: إن من الحكمة الإلهية أن لا يجري أمر من أمور الدنيا والآخرة إلا على سنة مسنونة[(٨)] وحكمة موزونة[(٩)].

ومن قال هنا بما قالته طائفة [١١٠/أ] من المتوسمة بالعلم المتسمة بالفقه والفهم على الزعم: أن الجامد لا يفقه، والحيوان غير الإنساني لا يعقل وإنما هو ميز[(١٠)] في الحيوان ولسان حال في الجامد والنامي، وقال: إن الله تعالى

---

(١) في (ع، ظ): الجماء.

(٢) إلى قوله ﷺ: «القرناء»، أخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٩٩٧، ح٢٥٨٢؛ والترمذي في جامعه ٤/٦١٤، ح٢٤٢٠؛ وأحمد في مسنده ٢/٤١١، ح٩٣٢٢.

(٣) في (ع): وقالوا.

(٤) في (ع، ظ): فظهر.

(٥) في (ع): خطاياها.

(٦) (بالقول الأول): ليست في (ع، ظ).

(٧) جاء في هذا الموضع من (ع، ظ): إنها تحشر وتبعث.

(٨) في (الأصل): منسوبة، وما أثبته من (ع، ظ).

(٩) قال الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال إن الله تعالى أخبر أن كل دابة وطائر محشور إليه، وجائز أن يكون معنياً بذلك حشر القيامة، وجائز أن يكون معنياً به حشر الموت، وجائز أن يكون معنياً به الحشران جميعاً، ولا دلالة في ظاهر التنزيل، ولا في خبر عن النبي ﷺ أي ذلك المراد بقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ إذ كان الحشر في كلام العرب الجمع، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝١٩﴾ يعني مجموعة، فإذا كان الجمع هو الحشر وكان الله تعالى جامعاً خلقه إليه يوم القيامة، وجامعهم بالموت كان أصوب القول في ذلك أن يعم بمعنى الآية ما عمّه الله بظاهرها، وأن يقال: كل دابة وكل طائر محشور إلى الله بعد الفناء وبعد بعث القيامة إذ كان الله تعالى قد عم بقوله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ ولم يخصص به حشراً دون حشر، جامع البيان ٧/١٨٩.

(١٠) في (الأصل): منه، وتصويبه من (ع، ظ).

يقول في الضالين المكذبين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، ولو كان عندها عقل أو فهم ما نزل بالكافر الفاسق إلى درجتها في موضع التقصير والتنقيص[١]، والله سبحانه قد وصفه بالموت والصمم في موضع التبصير والتذكير فقال: ﴿وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾ [النمل: ٨٠، الروم: ٥٢]، وقال: ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ﴾ [الزخرف: ٤٠] [وقال][٢]: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ۝١٨﴾ [البقرة: ١٨][٣]. قيل له: ليس الأمر كما ذكرت، ولا الحق على شيء مما زعمت، وأنه ليس عليك من حق الزعم ورؤية النفس في درجة العلم أبداً من الآية التي وقعت[٤] فيها إلى التي قبلها، إن شئت فارجع ببصرك في[٥] الذي رأيت تجده قد وصفهم ﷻ بالموت والصمم كما وصفهم بالعمي والبكم، وليس[٦] في الحقيقة الظاهرة بموتى ولا صم ولا بعميان، ولا بكم، وإنما هم أموات بالعقول والأذهان عن صفات[٧] الإيمان، وحياة دار الحيوان صم عن كلمة الأحياء، عمي عن النظر في مرآة وجوه الأخلاء، ذلك[٨] وصف الأنعام بضلال وليست في الحقيقة بضلال من حيث شرعتها وحكمتها، وإنما ذلك من حيث فلكنا[٩] وأفقنا، فكيف يكون ذلك والله تعالى يقول: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ - إلى قوله - يُحۡشَرُونَ﴾ فوربك لنحشرهم جميعاً جماً غفيراً، ولنحاسبن[١٠] حساباً يسيراً، ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢]، وأن الله لا يسأل إلا عاقلاً ولا يحاسب إلا مفضولاً[١١] وفاضلاً، وإنما جعل لكل موجود من موجوداته في

---

(١) في (ع، ط): التنقيص والتقصير.

(٢) ما بين المعقوفتين من (ط).

(٣) في (ع، ط): ﴿لَا يَعۡقِلُونَ﴾، وهي في سورة البقرة من الآية (١٧١).

(٤) في (ع): وقفت.

(٥) في (ط): إلى.

(٦) في (ع، ط): وليسوا، ونقدر اسم ليس محذوفاً نحو: ليس الكفارُ في الحقيقة بموتى.

(٧) في (ع، ط): صفة.

(٨) في (ط): ولذلك، وفي (ع): كذلك.

(٩) في (الأصل، ط): فلا كنا، وتصويبه من (ع).

(١٠) في (الأصل): ولمحاسبين، وفي (م): ولنحاسبن، وما أثبته من (ع، ط).

(١١) في (الأصل): معقولاً، وتصويبه من (ع، ط).

أشتات الخلائق وأجناس العوالم دار دنيا ودار أخرى وجعل لها أفلاكاً وآفاقاً[(١)] وظلماً وأضواء، فكل في فلكه واقفة بليله ونهاره، وسمعه وبصره، وعلمه وفهمه، وحاكم من عقله أو جهله، وقائم بنحلته وحكمته وسننه وشرعته فأدنى وأعلى من الروحانية الأقصى إلى الجمادية الأقسى، فالملائكة الروحانية في مصافها ترانا من حيث لا نرى، وتعلم منا[(٢)] أكثر مما نعلم، وإنها لتشاهد من نقصنا وقلة عقلنا في الموضع الذي يجب العلم به وإعمال العقل فيه ما تحكم به علينا أكثر مما يحكم به على الأنعام من قلة العقل وتحقيق المعرفة، فمن نظر إلى الأنعام وجدها من حيث نحن لا من حيث فلكها وأفقها لا تسمع ولا تعقل إلا ميزاً إما[(٣)] قدر ما تتسخر به وتتذلل طبعاً فتلقن[(٤)] المراد منها من هذا الفن خاصة لا غير، وأما ما نحن بسبيله من تصرفات وتعملات فليس لها ذلك من حيث الفلكية التي احتازتها[(٥)] عنا والأفقية[(٦)] التي اقتطعتها منا فهي في طرقاتنا[(٧)] ضلال وبتعملاتنا[(٨)] [١١٠/ب] وأحوال تصرفاتنا جهال، وأما من حيث شرعتها، وباطن رؤيتها فعارفة عقال، قال ﷺ حين أخذ الجمل القضم الذي ند وامتنع بحائط بني النجار، وغلب الخلق عن أخذه والوصول إليه حتى جاء[(٩)] ﷺ فلما مشى إليه ورآه الجمل برك لديه وجعل يمر بمِشْفَره[(١٠)] على الأرض بين يديه تذللاً وتسخيراً، فقال ﷺ: هات الخطام فلما خطمه ورأى

(١) في (ع): وأفقاً.
(٢) في (الأصل): ما، وتصويبه من (ع، ظ).
(٣) في (الأصل): ما، وتصويبه من (ع، ظ)، ويدل عليه أيضاً الجملة التي بعدها، وأما ما نحن...
(٤) في (ع): فتلقى.
(٥) في (الأصل): الذي احتاز بها، ولا يستقيم بها المعنى، وما أثبته من (ع، ظ، م).
(٦) في (الأصل، ظ): الأقضية، وما أثبته من (ع، م) ولمناسبة السياق.
(٧) في (ع): طرقاتها.
(٨) في (ع): وتعملاتها.
(٩) في (ع): جاء رسول الله.
(١٠) في (الأصل): شفره، والتصويب من (ع، ظ، لسان العرب)، والمِشْفَر للبعير كالشفة للإنسان، انظر: لسان العرب ٤١٩/٤.

الناس يتعجبون[١] منه رد[٢] رأسه إليه فقال: «ألا تعجبون[٣]، أو كما قال: إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله غير عاصي الجن والإنس»[٤].

وثبت في الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من دابة إلا وهي مصيخة بأذنها يوم الجمعة تنتظر قيام الساعة»[٥].

وقال ﷺ: «لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر ولا مدر ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة».

قال المؤلف رحمه الله: خرجه **مالك في موطئه**[٦]، **وابن ماجه في سننه**[٧]، واللفظ له من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقد تقدم[٨] أن الميت يسمع صوته كل شيء إلا الإنسان، في رواية: «إلا الثقلين»[٩]، والأخبار في هذا المعنى كثيرة، قد أتينا على جملة منها في هذا الكتاب.

فكل حيوان وجماد محشور لما عنده من الإدراك والمشاهدة والحضور من حيث هي، لا من حيث نحن. قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقال: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۩﴾ [الرعد: ١٥]، وقال عز من قائل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ [الحج: ١٨]

---

(١) في (ع، ط): يعجبون. (٢) (منه رد): طمس في (ع).
(٣) في (ع): لا إله إلا الله تعجبون.
(٤) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣١٠، ح١٤٣٧٢؛ وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله ثقات، وفي بعضهم ضعف، مجمع الزوائد ٩/ ٧.
(٥) أخرجه النسائي في المجتبى ٣/ ١١٤، ح١٤٣٠؛ وابن حبان في صحيحه ٧/ ٧، ح٢٧٧٢؛ وأحمد في مسنده ٥/ ٤٥٣، ح٢٣٤٢؛ ومالك في الموطأ ١/ ١٠٨، ح٢٤١.
(٦) ١/ ٦٩، ح١٥١.
(٧) ١/ ٢٣٩، ح٧٢٣؛ والحديث صححه الألباني، انظر: صحيح سنن ماجه ١/ ١٢٢، ح٥٩١ والحديث في البخاري بمعناه ١/ ٢٢١، ح٥٨٤.
(٨) ص(٢٦٩).
(٩) أخرجها البخاري في صحيحه ١/ ٤٤٨، ح١٢٧٣.

لا يقال: إن هذا السجود والتسبيح لسان حال، ليس بلسان المقال فإن نقول: هذا مجاز[(١)]، والله سبحانه يقضي الحق كما أخبر في كتابه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِى[(٢)] ٱلْحَقَّ﴾[(٣)].

ومن نظر بنور الله حاز العين إلى المعنى وحل الرمز وفك المعمى، وهم إنما ينظرون من حيث هم، ومن حيث العقل البشري، ولم ينظروا الحياة الفلكية من حيث هي، فغابوا عن الحضور وجمدوا[(٤)] على القصور، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

قلت: هذا كله صحيح؛ لحديث أبي سعيد الخدري المذكور وهو صحيح، وكذلك حديث أبي هريرة[(٥)] في شهادة الأرض بما عُمِلَ عليها، وهو صحيح، وكذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في شهادة المال صحيح، وسيأتي[(٦)].

وقد روى ليث بن أبي سليم عن عبد الرحمن بن ثروان عن الهذيل عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه مر بشاتين تنتطحان فقال: ليقضين الله تعالى يوم القيامة لهذه الجلحاء من هذه القرناء[(٧)]»[(٨)].

---

(١) نؤمن بخبر الله تعالى بأن هذه الكائنات تسجد وتسبح لله تعالى كما أخبر تعالى سجوداً وتسبيحاً يليق بما أودعه الله تعالى في كل منها من الطبيعة والخلقة، فعلى المسلم أن لا يتكلف فيما لا علم له به.

(٢) كذا في الأصل، وفي (ع): يقص، قال صاحب إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: واختلف في ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ فنافع وابن كثير وعاصم وكذا أبو جعفر بالصاد المهملة المشددة المرفوعة من قصّ الحديث أو الأثر تتبعه، ووافقهم ابن محيصن، والباقون بقاف ساكنة وضاد معجمة مكسورة من القضاء، ص(٢٠٩)، والآية في سورة الأنعام من الآية (٥٧).

(٣) (كما أخبر في كتابه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾): ليست في (ظ).

(٤) في (الأصل): وجدوا، وتصويبه من (ع، ظ).

(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه ١٦/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠، ح٧٣٥٩.

(٦) ص(٦٧٩).

(٧) في (ع، ظ): ذات القرناء.

(٨) رواها أحمد في مسنده ٥/ ١٦٢، ح٢١٤٧٦، قال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح إلا ليث بن أبي سليم فإنه مدلس، انظر: المجمع ١٠/ ٣٥٢.

وذكر ابن وهب: أخبرني ابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن بكر بن سوادة [١١١/أ] أن أبا سالم الجيشاني حدثه[١] أن ثابت بن طريف استأذن على أبي ذر ﷺ فسمعه رافعاً صوته فقال[٢]: أما والله لولا يوم الخصومة لسؤتك، قال ثابت: فدخلت فقلت: ما شأنك يا أبا ذر؟ قال: هذه، قلت: وما عليك إن رأيتك تضربها؟ قال: والذي نفسي بيده أو نفس محمد بيده ليسئلن الشاة فيما نطحت صاحبتها، وليسألن الجماد فيما نكب إصبع الرجل[٣].

وروى شعبة[٤] عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر ﷺ قال: رأى رسول الله ﷺ شاتين تنتطحان فقال: «يا أبا ذر، تدري فيما تنتطحان؟ قلت: لا يا رسول الله، قال: لكن الله يدري، ويقضي بينهما يوم القيامة»، خرجه **أبو داود الطيالسي**[٥]، فقال: حدثنا شعبة قال: أخبرني الأعمش قال: سمعت منذر الثوري يحدث عن أصحاب له عن أبي ذر بلفظه ومعناه.

وقال عمرو بن العاص: إذا كان يوم القيامة مدت الأرض[٦] مد الأديم، وحشر الجن والإنس والدواب والوحوش، فإذا كان ذلك اليوم جعل الله القصاص بين الدواب حتى يقتص للشاة[٧] الجماء من القرناء بنطحتها، فإذا فرغ الله من القصاص بين الدواب قال لها[٨]: كوني تراباً، فيراها الكافر فيقول: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾.

وذكر الإمام أبو القاسم عبد الكريم[٩] القشيري[١٠] في التحبير له[١١]:

---

(١) (حدثه): ليست في (ظ). (٢) في (ع، ظ): يقول.
(٣) لم أقف على هذا الأثر، وانظر الرواية التي بعده.
(٤) في (ع): عن شعبة.
(٥) في مسنده ص(٦٥)، ح٤٨٠؛ وأحمد في مسنده ٥/ ١٦٢، ح٢١٤٧٦، وسئل الدارقطني في العلل ٦/ ٢٧٢: عن هذا الحديث فقال: لا يثبت.
(٦) (الأرض): ليست في (ظ). (٧) في (ع): تقتص الشاة.
(٨) (لها): ليست في (ظ).
(٩) في (ح): ذكر عبد الكريم الإمام أبو القاسم القشيري.
(١٠) (القشيري): ليست في (ظ). (١١) ص(٨٨).

فقال: وفي خبر الوحوش والبهائم تحشر يوم القيامة[1] فتسجد لله سجدة، فتقول الملائكة ليس هذا يوم سجود، هذا يوم الثواب والعقاب، وتقول البهائم: هذا سجود شكر؛ حيث لم يجعلنا الله تعالى من بني آدم، ويقال: إن الملائكة تقول للبهائم: لم يحشركم الله جل ثناؤه لثواب ولا عقاب، وأنما حشركم تشهدون فضائح بني آدم، ذكره القشيري[2] في اسمه المقسط الجامع، وهذا قول ثابت فتأمله.

فصل

ظن بعض العلماء أن الصيام مختص بصاحبه[3]، موفراً له أجره، لا يؤخذ منه شيء لمظلمة ظلمها، متمسكاً بقوله تعالى: (الصيام لي وأنا أجزي به)، وأحاديث هذا الباب ترد قوله، وأن الحقوق تؤخذ من سائر الأعمال صياماً كان أو غيره، وقيل: إن الصوم إذا لم يكن معلوماً لأحد ولا مكتوباً في الصحف هو الذي يستره الله له ويخبؤه عليهم، حتى يكون له جُنَّة من العذاب، فيطرحون أولئك عليهم سيئاتهم، فتذهب عنهم، ويبقيه الصوم، فلا يضره[4] أصحابها لزوالها عنهم، ولا له؛ لأن الصوم جنته. قاله القاضي أبو بكر بن العربي في سراج المريدين له[5]، وهو تأويل حسن إن شاء الله، [ولا تعارض][6] والحمد لله.

باب

أبو داود[7] عن صفوان بن سليم عن عدة من [أبناء][8] أصحاب النبي ﷺ

---

(١) في (ع): وفي الخبر أن الوحوش يحشر يوم القيامة.

(٢) (القشيري): ليست في (ع).

(٣) في (ع، ظ): بعامله.

(٤) في (ع، ظ): تضر.

(٥) (له): ليست في (ع، ظ).

(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٧) في سننه ٣/ ١٧٠، ح٣٠٥٢؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٢٠٥، ح١٨٥١١، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود ٢/ ٥٩٠، ح٢٦٢٦.

(٨) ما بين المعقوفتين من (ع، سنن أبي داود).

عن آبائهم دِنْيَةً[١] عن رسول الله ﷺ قال[٢]: «ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه من حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه [١١١/ب] شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»، صححه أبو محمد عبد الحق[٣].

باب في إرضاء الله تعالى الخصم في الآخرة[٤]

روينا في الأربعين وذكره ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله تعالى[٥] عن أبي هريرة ﷺ قال: بينما رسول الله ﷺ ذات يوم جالس إذ رأيته ضحك حتى بدت ثناياه فقيل له: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: «رجلان من أمتي جثيا بين يدي ربي ﷻ فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من أخي، فقال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته، فقال: يا رب ما بقي من حسناتي شيء، فقال: يا رب فليحمل[٦] من[٧] أوزاري، وفاضت عينا رسول الله ﷺ، ثم قال[٨]: إن ذلك اليوم ليوم[٩] يحتاج الناس فيه إلى أن تحمل عنهم أوزارهم، ثم قال الله تعالى للطالب حقه: ارفع بصرك فانظر إلى الجنان فرفع رأسه، فرأى ما أعجبه من الخير والنعمة، فقال: لمن هذا يا رب؟ قال: لمن أعطاني[١٠] ثمنه، قال: ومن يملك ثمن ذلك، قال: أنت، قال: بماذا؟ قال بعفوك عن أخيك، قال: يا رب فإني قد عفوت عنه، قال: خذ بيد أخيك

---

(١) أي رحماً أدنى من غيرها، لسان العرب ١٤/ ٢٧٣.
(٢) (قال): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع متن أبي داود.
(٣) انظر: الأحكام الشرعية الصغرى له ٢/ ٥٩٩.
(٤) جملة (الخصم في الآخرة) غير واضحة في (الأصل)، وتوضيحها من (ظ، م) وفي (ع): الخصوم يوم القيامة.
(٥) ص(١١٠)، ح١١٨، والرواية في حسن الظن عن أنس ﷺ؛ وأخرجه الحاكم في مستدركه ٤/ ٦٢٠، ح٨٧١٨، وقال: حديث صحيح ولم يخرجاه.
(٦) في (ظ): فقال الآخر فليحمل، وفي (حسن الظن بالله تعالى): قال أحدهما.
(٧) في (حسن الظن بالله تعالى): عني من.
(٨) في (ع): فقال.
(٩) في (حسن الظن بالله تعالى): ليوم عظيم يوم.
(١٠) في (ظ): أعطى.

فأدخله الجنة، ثم قال رسول الله ﷺ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]، فإن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة».

وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة(١) قال: يجيء المؤمن يوم القيامة قد أخذ صاحب(٢) الدَّين فيقول: ديني على هذا، فيقول الله تعالى: «أنا أحق من قضى من عبدي، قال: فيرضى هذا من دَينه، ويغفر لهذا»(٣).

قال ابن أبي الدنيا(٤): وحدثني عبد الله بن محمد بن إسماعيل قال: بلغني أن الله أوحى إلى بعض أنبيائه: «بعيني ما يتحمل المتحملون من أجلي، وما يكابدون في طلب مرضاتي، أتراني أنسى لهم عملاً، كيف وأنا أرحم(٥) بخلقي لو كنت معاجلاً بالعقوبة أحداً أو كانت العقوبة من شأني لعالجت بها القانطين من رحمتي، ولو يرى عبادي المؤمنون كيف أستوهبهم ممن ظلموه ثم(٦) أحكم لمن وهبهم بالخلد المقيم في جواري إذا ما اتهموا فضلي وكرمي(٧)».

---

(١) هكذا في جميع النسخ بما فيها مسودة المؤلف، وفي (حسن الظن بالله تعالى): ابن أبي بكر، ولم يتبين لي الصواب لوجود عدد من الأعلام بكلا الاسمين، انظر: تقريب التهذيب ١/ ٢٣٧.

(٢) في (ظ): آخذ صاحب الدين بيده.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتابه حسن الظن بالله تعالى ص(١١٠)، ح١١٧، وفي سنده الوليد بن مروان، قال عنه أبو حاتم في الجرح والتعديل ٩/ ١٨: مجهول، وكذا قال ابن حجر في لسان الميزان ٦/ ٢٢٦.

(٤) في كتابه حسن الظن بالله تعالى ص(٩٧)، ح٩٠ فقد ذكره عن شيخه بلاغاً؛ ورواه أبو نعيم في الحلية ٤/ ٦٠ عن وهب بن منبه، وهو ممن يروي الإسرائيليات.

(٥) في (الأصل): وأنا أرحم الراحمين، وما أثبته من (ع، ظ، وحسن الظن، وفي حسن الظن: وأنا الرحيم).

(٦) في (الأصل): حتى، وتصويبه من: (ع، ظ، م حسن الظن بالله تعالى).

(٧) هكذا العبارة في جميع النسخ بما فيها حسن الظن بالله تعالى وكتاب الحلية، الذي يظهر والعلم عند الله تعالى أن المراد: إذا لم يظنوا أني لا أتكرم عليهم بإرضاء خصومهم والعفو عنهم.

فصل

قلت: وهذا لبعض الناس ممن أراد الله أن لا يعذبه، بل يعفو عنه ويغفر له، ويُرضِي عنه خصمَه، وقد يكون هذا في الظالمين الأوابين، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥].

والأواب: الذي أقلع عن الذنب فلم يعد إليه، و[١]كذا تأوله أبو حامد[٢] وهو تأويل حسن، أو يكون ذلك فيمن له خبيئة حسنة من عمل صالح يغفر الله له[٣] به ويرضي[٤] خصماؤه كما تقدم[٥]، وظاهر حديث أنس الخصوص بذينك الرجلين لقوله: «رجلان»، ولفظ التثنية لا يقتضي الجمع إلا ما روي في حديث[٦]: «مثل المنافق كالشاة[٧] العائرة بين الغنمين»، خرّجه [١/١١٢] **مسلم**[٨]، وليس هذا موضعه، ولو كان ذلك في جميع الناس ما دخل أحد النار، وكذلك ما روي عن النبي ﷺ: «ينادي منادٍ من تحت العرش يوم القيامة: يا أمة محمد أما ما كان لي قبلكم فقد وهبت[٩] لكم، وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي»[١٠] ما دخل أحد النار، وهذا واضح فتأمله.

باب أول من يحاسب أمة محمد ﷺ

ابن ماجه[١١] عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «نحن آخر الأمم وأول من يحاسب، يقال: أين الأمة الأمية ونبيها، فنحن الآخرون الأولون»، في رواية ابن عباس[١٢]: «فتفرج لنا الأمم عن طريقنا فنمضي غراً محجلين من

(١) (الواو): ليست في (ع، ظ).
(٢) في كشف علوم الآخرة ص(٩٧).
(٣) (له): ليست في (ع).
(٤) في (ع): يرضى عنه.
(٥) ص(٦٤٨).
(٦) في (ع، ظ): الحديث.
(٧) في (مسلم): كمثل الشاة.
(٨) في صحيحه ٤/٢١٤٦، ح٢٧٨٤.
(٩) هكذا في الأصل و(ظ)، ويخرج على تقدير حذف المفعول، وفي (ع): وهبته.
(١٠) لم أقف على من ذكره.
(١١) في سننه ٢/١٤٣٤، ح٤٢٩٠، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٢٧، ح٣٤٦٣.
(١٢) في (ظ): في رواية عن ابن عباس.

آثار الوضوء، فتقول الأمم: كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها»، خرَّجه **أبو داود** الطيالسي في مسنده[١] بمعناه[٢]، وقد تقدم[٣].

باب أول ما يسأل عنه العبد الصلاة، وأول ما يقضى بين الناس الدماء، وأول من يدعى للخصومة[٤]

مسلم[٥] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»، خرَّجه[٦] **البخاري**[٧] أيضاً، **والنسائي**[٨] **والترمذي**[٩] وقال: هذا حديث حسن صحيح، **وللنسائي**[١٠] أيضاً عنه: «أن رسول الله ﷺ قال: أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة، وأول ما يقضى بين الناس الدماء».

وفي **البخاري**[١١] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال[١٢]: أنا أول من يجثو يوم القيامة بين يدي الرحمن للخصومة، يريد قصته في مبارزته، هو وصاحباه الثلاثة من كفار قريش، قال أبو ذر: [و][١٣]فيهم نزلت: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا

---

(١) ٢/ ٣٥٣، ح٢٧١١؛ وأخرجه أيضاً أحمد ١/ ٢٨١، ح٢٥٤٦؛ وأبو يعلى ٤/ ٢١٦، ح٢٣٢٨ في مسنديهما.

(٢) (بمعناه): ليست في (ظ). (٣) ص(٦٦٢).

(٤) في (ع، ظ): باب أول من يحاسب عليه العبد من عمله الصلاة، وأول ما يقضى فيه بين الناس الدماء، وفي أول من يدعى للخصومة، والأصل متوافق مع مسودة المؤلف عدا عبارة: وفي أول من يدعى للخصومة فليست في (م).

(٥) في صحيحه ٣/ ١٣٠٤، ح١٦٧٨. (٦) في (ع، ظ): أخرجه.

(٧) في صحيحه ٦/ ٢٥١٧، ح٦٤٧١.

(٨) في المجتبى له ٧/ ٨٣، ح٣٩٩٣؛ صححه الألباني، انظر: صحيح سنن النسائي ٣/ ٨٤٠، ح٣٧٢٩.

(٩) في جامعه ٤/ ١٧، ح١٣٩٧؛ صححه الألباني، انظر: صحيح الترمذي ٢/ ٦٥، ح١١٢٧.

(١٠) في المجتبى ٧/ ٨٣، ح٣٩٩١؛ صححه الألباني، انظر: صحيح سنن النسائي ٣/ ٨٣٩، ح٣٧٢٦.

(١١) في صحيحه ٤/ ١٤٥٨، ح٣٧٤٧. (١٢) في (ع، ظ): أنه قال.

(١٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، صحيح البخاري).

فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] الآية، والخبر بهذا مشهور صحيح خرجه **البخاري**[١] **ومسلم**[٢] وغيرهما[٣].

وعن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه: «فيكون أول ما يقضى بينهم في الدماء ويأتي[٤] كل قتيل قتل في سبيل الله فيأمر كل من قُتِلَ فيحمل رأسَه وتشخب أوداجه، فيقول: يا رب سل هذا فيم قتلني، فيقول الله له: ـ وهو أعلم ـ فيم قتلته؟ فيقول: يا رب قتلته لتكون العزة[٥] لك، فيقول الله تعالى: صدقت، فيجعل الله وجهه مثل نور الشمس، ثم تشيعه الملائكة إلى الجنة، ثم يأتي من قتل على غير ذلك، يأتي كل من قتل يحمل رأسه وتشخب أوداجه دماً فيقول: يا رب سل هذا [١١٢/ب] فيم قتلني؟ فيقول له وهو أعلم: لم قتلته؟ فيقول: يا رب قتلته لتكون العزة لي، فيقول الله تعست ثم لا تبقى قتلة إلا قتل بها ولا مظلمة [ظلمها][٦] إلا أخذ بها، وكان في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه، خرجه الغيلاني[٧] أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان عن أبي بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله البزار[٨] المعروف بالشافعي[٩].

(١) في صحيحه ٤/١٧٦٩، ح٤٤٦٧. (٢) في صحيحه ٤/٢٣٢٢، ح٣٠٣٣.

(٣) وأخرجه أيضاً ابن ماجه في سننه ٢/٩٤٦، ح٢٨٣٥؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٣٥٧، ح٣٦٦٨٣؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٣/٢٧٦، ح٥٩١١.

(٤) في (الأصل): ويأتي على، وما أثبته من (ع، ظ، والغيلانيات).

(٥) من هذا الموضع إلى قوله: لتكون العزة لي، قطع في (ظ).

(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، الغيلانيات).

(٧) في الغيلانيات ٢/٤٧٥، ح١١٠٢، قال محقق الكتاب: إسناده ضعيف وله شواهد؛ وهو حديث طويل أخرجه أيضاً بهذا اللفظ إسحاق بن راهويه في مسنده ١/ ٨٥ ـ ٩٢، ح١٠ عن محمد بن كعب القرظي، وأخرجه النسائي في المجتبى ٧/٨٤، ح٣٩٩٧؛ والطبراني في الكبير ١٠/٩٦، ح١٠٠٧٥ عن ابن مسعود ﷺ.

(٨) هكذا في الأصل و(ع)، وفي (سير أعلام النبلاء): البزاز، وفي (ظ): غير معجمة.

(٩) مُسند الوقت الهمداني البغدادي، حدّث عنه الخطيب البغدادي، توفي سنة ٤٤٠هـ، السير ١٧/٥٩٨.

ثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي، حدثنا أبو عاصم الضحاك عن مخلد عن إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب.

وخرّجه إسماعيل بن إسحاق القاضي[١] من حديث نافع بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عباس ﷺ قال: سمعت نبيكم ﷺ يقول: «يأتي المقتول معلق رأسه بإحدى يديه متلبباً قاتله بيده الأخرى، تشخب أوداجه دماً حتى يوقفا، فيقول المقتول لله سبحانه: هذا قتلني، فيقول الله تعالى للقاتل: تعست ويذهب به إلى النار»[٢].

وخرجه **ابن المبارك**[٣] موقوفاً على عبد الله بن مسعود قال: ثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله فذكره بمعناه.

وخرجه **الترمذي في جامعه**[٤] قال: ثنا الحسن بن محمد الزعفراني قال: ثنا شبابة قال: ثنا ورقاء بن عمر[٥] عن عمرو بن دينار عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يجيء المقتول بالقاتل[٦] يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دماً يقول: يا رب قتلني هذا حتى يدنيه من العرش»، قال: هذا حديث حسن غريب.

مالك[٧] عن يحيى بن سعيد قال: بلغني أن أول ما ينظر فيه من عمل المرء الصلاة، فإن قبلت منه نظر فيما بقي من عمله، وإن لم تقبل منه لم ينظر في شيء من عمله.

---

(١) محدث البصرة الحافظ أبو إسحاق قاضي بغداد، له تصانيف منها: المسند، وأحكام القرآن، والموطأ، وغير ذلك، توفي سنة ٢٨٢، السير ١٣/٣٣٩، ولم أقف على مصنف مطبوع له.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١/٣٦٤، ح٣٤٤٥.

(٣) في الزهد له ص(٤٧٨)، ح١٣٥٩.

(٤) ٥/٢٤٠، ح٣٠٢٩، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/٤٠، ح٢٤٢٥.

(٥) (بن عمر): ساقط من (ظ).

(٦) في (الأصل): القاتل بالمقتول، وهو قلب، تصويبه من (ع، ظ).

(٧) في الموطأ ١/١٧٣، ح٤١٨.

قلت: وهذا الحديث وإن كان مرفوعاً بلاغاً، فقد رواه أبو داود[(١)] والترمذي[(٢)] والنسائي[(٣)] مرفوعاً بهذا المعنى عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «أول ما يحاسب به الناس يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، قال: يقول ربنا ﷻ لملائكته انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت تامة[(٤)] وإن كان أنقص منها شيئاً قال: انظروا هل لعبدي من تطوع، فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه ثم تؤخذ الأعمال على ذلك»، لفظ أبي داود، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وخرجه ابن ماجه[(٥)] أيضاً.

فصل

قال علماؤنا[(٦)]: أما إكمال الفريضة من التطوع فإنما يكون ذلك والله أعلم فيمن سهى عن فريضة فلم يأت بها أو لم يحسن ركوعها وسجودها[(٧)] ولم يدر قدر ذلك، وأما من تعمد تركها أو شيء[(٨)] منها ثم ذكرها فلم يأت بها عامداً واشتغل بالتطوع عن أداء فرضه، وهو ذاكر له فلا تكمل فريضته تلك من تطوعه والله أعلم.

وقد روي من حديث الشاميين في هذا الباب حديث منكر يرويه محمد بن حمير عن عمر بن قيس السكري عن عبد الله بن قرط ﷺ عن النبي ﷺ

---

(١) في سننه ١/ ٢٢٩، ح٨٦٤ صححه الألباني، صحيح أبي داود ١/ ١٦٣ ـ ١٦٤ ح٧٧٠.
(٢) في جامعه ٢/ ٢٧٢، ح٤١٣.
(٣) في المجتبى ١/ ٢٣٢، ح٤٦٥.
(٤) في (ع، ظ، أبو داود): كتبت له تامة.
(٥) في سننه ١/ ٤٥٨، ح١٤٢٥.
(٦) في (ع، ظ): قال ابن عبد البر ﷺ، والأصل متوافق مع (م)، والنص لابن عبد البر في كتابه التمهيد ٢٤/ ٨١.
(٧) (وسجودها): ليست في (ظ).
(٨) هكذا في الأصل و(ع) وتكون على تقدير محذوف هو: من تعمد تركها أو ترك شيء منها على أن ترك: اسم وهو مضاف وشيء مضاف إليه، وفي (ظ): شيئاً، وتقدر ب: من تعمد تركها أو ترك شيئاً منها، على أن ترك فعل ماض، وفي (التمهيد): نسي، من النسيان، والتقدير: من تعمد تركها أو نسي، ثم ذكرها. وما في التمهيد أقرب للصواب لأن كلمة: ذكرها تدل على أن الكلمة: نسي، والله تعالى أعلم.

قال: [١١٣/أ]: «من صلى صلاة لم يكمل فيها ركوعه وسجوده وخشوعه زيد فيها من سبحانه[١] حتى تتم»[٢].

قال أبو عمر: وهذا لا يحفظ عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه، وليس بالقوي، وإن كان صح كان معناه: أنه خرج من صلاة قد أتمها عند نفسه وليست في الحكم بتامة، والله أعلم[٣].

قلت: فينبغي للإنسان أن يحافظ على أداء فرضه فيصليه كما أمر من تمام[٤] الركوع والسجود وحضور القلب، فإن غفل عن شيء من ذلك فيجتهد بعد ذلك في نفله ولا يتساهل فيه ولا في تركه، ومن لا يحسن أن يصلي الفرض فأحرى أن لا يحسن النفل، لا جرم، بل تنفل الناس في أشد ما يكون من النقصان والخلل من التمام لخفة النفل عندهم، وتهاونهم به، ولعمر الله لقد يشاهد في الوجود من يشار إليه ويظن به العلم تنفله كذلك بل فرضه أن ينقر نقر الديك فكيف بالجهال الذين لا يعلمون، وإذا كان هذا، فكيف يكمل بهذا التنفل ما نقص من الفرض، هيهات، هيهات. فاعلموا أن الصلاة إذا كانت بهذه الصفة دخل صاحبها في معنى قوله تعالى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ [مريم: ٥٩].

قال جماعة من العلماء[٥]: التضييع للصلاة هو[٦] أن لا يقيم حدودها من مراعاة وقت وطهارة وتمام ركوع وسجود ونحو ذلك، وهو مع ذلك يصليها ولا يمتنع من القيام بها في وقتها وغير وقتها، قالوا: فأما من تركها[٧] أصلاً ولم[٨] يصلها فهو كافر.

---

(١) في (ع، ظ): تسبيحاته، والأصل متوافق مع التمهيد.
(٢) أورده ابن عبد البر في التمهيد ٢٤/٨١، ثم قال: وهذا لا يحفظ عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه، وليس بالقوي.
(٣) في التمهيد ٢٤/٨١.
(٤) في (ظ): إتمام.
(٥) ذكرهم المصنف في تفسيره ١١/٨٢ فقرة ١٢٢ منهم الشافعي وأحمد وإسحاق.
(٦) (هو): ليست في (ع).
(٧) في (ظ): فمن تركها.
(٨) (ولم): ساقطة من (ع، ظ).

روى الترمذي[١] عن أبي مسعود الأنصاري[٢] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجزي صلاة لا يقيم فيها الرجل صلبه في الركوع والسجود»، قال: حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم يرون أن يقيم الرجل صلبه في الركوع والسجود.

قال الشافعي[٣] وأحمد[٤] وإسحاق[٥]: من لم يقم صلبه في الركوع والسجود فصلاته فاسدة لحديث النبي ﷺ: «لا يقيم فيها الرجل صلبه في الركوع والسجود»، وروى **البخاري**[٦] عن زيد بن وهب عن حذيفة ورأى رجلاً لا يتم ركوعه[٧] ولا سجوده فلما قضى صلاته قال له حذيفة: «ما صليت، ولو مت مت على غير سنة محمد ﷺ[٨]». أخرجه[٩] **النسائي**[١٠] أيضاً عنه عن حذيفة أنه رأى رجلاً يطفف فقال له حذيفة: «منذ كم تصلي هذه الصلاة؟ قال: منذ أربعين عاماً، قال: ما صليت ولو مت وأنت تصلي هذه الصلاة لمت على غير فطرة محمد ﷺ، ثم قال: إن الرجل ليخفف الصلاة ويتم ويحسن».

والأخبار في هذا المعنى كثيرة جداً قد أتينا عليها في غير هذا الموضع وهي تبين لك المراد من قوله تعالى: ﴿أَضَاعُواْ الصَّلَوٰةَ﴾.

---

(١) في جامعه ٢/ ٥٢، ح٢٦٥؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٣٠٣، ح٣٦٢٩٥؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٨٨، ح٢٤٠٣، صححه الألباني، انظر: صحيح جامع الترمذي ١/ ٨٤، ح٢١٧.

(٢) هو: عقبة بن عمرو بن ثعلبة، صحابي، مات بعد سنة ٤٠هـ، الإصابة ٤/ ٥٢٤.

(٣) في الأم له ١/ ١١٤.

(٤) انظر: المغني ١/ ٢٩٦.

(٥) لم أقف على من ذكر قوله غير المصنف.

(٦) في صحيحه ١/ ١٥٢، ح٣٨٢.

(٧) في (الأصل): ورأى رجلاً يصلي ورأى رجلاً لا يتم ركوعه، وما أثبته من (ع، ظ، صحيح البخاري).

(٨) في (البخاري): وأحسبه قال: لو مت مت على غير سنة محمد ﷺ.

(٩) في (ع، ظ): وأخرجه.

(١٠) في المجتبى ٣/ ٥٨، ١٣١٢، قال الألباني: صحيح الإسناد، انظر: صحيح النسائي ١/ ٢٨٢، ح١٢٤٤.

وقد(١) روى **النسائي**(٢) عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته، فإن وجدت تامة كتبت تامة، وإن كان انتقص منها شيئاً(٣) قال: انظروا هل تجدون(٤) له من تطوع يكمل له ما ضيع من فريضته من تطوعه؟ ثم سائر الأعمال تجرى على ذلك(٥)»، وهذا نص [١١٣/ب].

وقال عمر: من ضيعها فهو لما سواها أضيع(٦).

قلت: ولا اعتبار بقول من قال: إن الواجب من أركان الصلاة ومن الفصل بين أركانها أقل ما ينطلق عليه الاسم وهو أبو حنيفة، وأشار إلى ذلك القاضي عبد الوهاب في تلقينه(٧)، وهو مروي(٨) عن ابن القاسم، لأن من اقتصر على ذلك صدق عليه أنه نقر الصلاة، فدخل في الذم المرتب على ذلك بقوله ﷺ: «تلك صلاة المنافقين(٩) يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً، لا يذكر فيها الله(١٠) إلا قليلاً»، رواه **مالك**(١١) في موطئه **ومسلم**(١٢) في صحيحه، والأحاديث الثابتة تقضي بفساد صلاته، كما بيناه مع قوله ﷺ: «أما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في

---

(١) (وقد): ليست في (ع، ظ).

(٢) في المجتبى ١/ ٢٣٣، ح٤٦٦، صححه الألباني، انظر: صحيح النسائي ١/ ١٠١ - ١٠٢، ح٤٥٢.

(٣) في (ظ، النسائي): شيء.

(٤) في (الأصل، ع، ظ): هل تجدوا، وما أثبته من (سنن النسائي)، ولأن الفعل المضارع لا ناصب له ولا جازم هنا.

(٥) في (سنن النسائي): على حسن ذلك.

(٦) رواه مالك في الموطأ ١/ ٦، ح٦؛ والبيهقي في السنن الكبرى ١/ ٤٤٥، ح١٩٣٥.

(٧) التلقين في الفروع للقاضي عبد الوهاب بن علي البغدادي المالكي ص(١٠١) ط. مكتبة الباز بمكة.

(٨) في (ظ): يروى.

(٩) في (مسلم): صلاة المنافق.

(١٠) في (ع): الله فيها.

(١١) ١/ ٢٢٠، ح٥١٤، وذكره المؤلف مختصراً.

(١٢) في صحيحه ١/ ٤٣٤، ح٦٢٢.

الدعاء فقمِن أن[١] يستجاب لكم»، خرجه **مسلم**[٢].

وفي **الموطأ**[٣] مالك عن يحيى بن سعيد عن النعمان بن مرة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما ترون في الشارب والسارق والزاني؟ قال: وذلك قبل أن ينزل فيهم، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هن فواحش، وفيهن عقوبة وأسوأ السرقة الذي يسرق صلاته، قالوا: يا رسول الله وكيف يسرق صلاته[٤]؟ قال: لا يتم ركوعها ولا سجودها».

وقد[٥] روى **أبو داود الطيالسي**[٦] قال: ثنا محمد بن مسلم بن أبي الوضاح عن الأحوص بن حكيم عن خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أحسن الرجل الصلاة فأتم ركوعها وسجودها قالت الصلاة: حفظك الله كما حفظتني، فترفع، وإذا أساء الصلاة فلم يتم ركوعها ولا سجودها قالت الصلاة: ضيعك الله كما ضيعتني، فتلف كما يلف الثوب الخلِق، فيضرب بها وجهه، فمن لم يحافظ على أوقات الصلوات لم يحافظ على الصلوات[٧] كما أن من لم يحافظ على وضوئها وركوعها وسجودها فليس بمحافظ عليها، ومن لم يحافظ عليها فقد ضيعها، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، كما أن من حافظ عليها حفظ دينه ولا دين لمن لا صلاة له».

---

(١) (أن): ساقطة من (ظ).

(٢) في صحيحه ١/٣٤٨، ح٤٧٩.

(٣) ١/١٦٧، ح٤٠١؛ وعبد الرزاق في مصنفه ٢/٣٧١، ح٣٧٤٠؛ والبيهقي في الكبرى ٨/٢٠٩، ح١٦٦٧٨.

(٤) (قالوا: يا رسول الله وكيف يسرق صلاته): ساقط من (ظ).

(٥) (قد): ليست في (ع، ظ).

(٦) في مسنده ص(٨٠)، ح٥٨٥؛ والطبراني في الأوسط ٣/٢٦٣، ح٣٠٩٥؛ قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه: عباد بن كثير، وقد أجمعوا على ضعفه، مجمع الزوائد ١/٣٠٢.

(٧) في (ظ): لم يحافظ عليها.

باب منه

ابن ماجه(١) عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول له: ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره، فإذا لقن الله عبداً حجته قال: يا رب رجوتك وفرقت من الناس».

ورواه القرماني عن سفيان عن زيد عن عمرو بن مرة عن أبي البحتري عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحقرن أحدكم نفسه إذا رأى أمر الله عليه فيه مقال فلا يقول فيه فيقال له(٢) يوم القيامة: ما منعك إذا رأيت كذا وكذا أن تقول فيه، فيقول له: أي رب خفت الناس، فيقال(٣): إياي كنت أحق أن تخاف، قال الوائلي أبو نصر: ورواه أحمد بن عبد الله بن يونس أبو عبد الله اليربوعي الكوفي، قال: ثنا زهير قال: حدثنا عمر [١١٤/أ] بن قيس عن عمرو بن مرة، المعنى واحد، وهذا محفوظ من الطريقين عن عمرو بن مرة، مخرجه(٤) من الكوفة.

باب منه

ذكر **أبو نعيم**(٥) الحافظ: ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر من أصل كتابه ثنا عبد الله بن محمد بن زكريا قال: ثنا إسماعيل بن عمرو قال: ثنا مندل عن أسد بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا

(١) في سننه ٢/١٣٣٢، ح٤٠١٧؛ والبيهقي في شعب الإيمان ٦/٩١، ح٧٥٧٥، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/٣٧٠، ح٣٢٤٤.
(٢) (له): ليست في (ع، ظ).
(٣) في (ع): فيقول.
(٤) في (ع، ظ): ومخرجه.
(٥) في الحلية ٣/٣٤٥؛ وأخرجه الطبراني في الكبير ١١/٢٦٠، ح١١٦٧٥، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفيه أسد بن عطاء الأزدي مجهول، ومندل وثقه أبو حاتم وغيره، وضعفه أحمد وغيره، وبقية رجاله ثقات، مجمع الزوائد ٦/٢٨٤.

يقفن[(١)] أحدكم على رجل يضرب[(٢)] ظلماً، فإن اللعنة تنزل من السماء على من حضره [إذا لم يدفعوا عنه][(٣)]، ولا يقف[(٤)] أحدكم على رجل يقتل ظلماً فإن اللعنة تنزل من السماء على من حضره[(٥)]، هذا حديث غريب من حديث أسد، وعكرمة لم يروه عنه فيما أعلم إلا مندل بن علي العنزي[(٦)] رضي الله عنه.

باب ما جاء في شهادة أركان الكافر والمنافق عليهما ولقائهما الله عز وجل

قال الله عز وجل: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ [يس: ٦٥]، وقال: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ [النور: ٢٤]، وقال: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١] الآية.

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة[(٧)] من حديث معاوية بن حيدة[(٨)] النميري[(٩)] أن النبي ﷺ قال: «تجيئون يوم القيامة على أفواهكم الفدام، وأول من يتكلم من الإنسان فخذه وكفه»، وقد تقدم[(١٠)].

مسلم[(١١)] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «هل تدرون مما أضحك؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: من مخاطبة

---

(١) في (الحلية): يقف. (٢) في (الحلية): يظلم.

(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، الحلية).

(٤) في (ع): ولا يقفن، والأصل متوافق مع الحلية.

(٥) من (ولا يقف أحدكم) الثانية: ليست في (ظ).

(٦) في (الأصل، ظ): الغنوي، وفي (الحلية): العتبري، والتصويب من (ع، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٦/ ٤٥٥ رقم ١٩٣٦.

(٧) في مصنفه ٧/ ٢٧٥، ح٣٦٠٣٧.

(٨) هكذا في جميع النسخ، وفي (مصنف ابن أبي شيبة): حكيم بن معاوية. قال ابن حجر: هذا الحديث معروف من رواية معاوية بن حيدة رواه عنه ابنه حكيم بن معاوية، انظر: الإصابة ٢/ ١٤٨.

(٩) في (جميع النسخ): القشيري. ولم يرد منسوباً في المصنف، والتصويب من الاستيعاب لابن عبد البر ١/ ٣٦٤؛ والإصابة لابن حجر ٢/ ٢١٥

(١٠) ص(٥٣١). (١١) في صحيحه ٤/ ٢٢٨٠، ح٢٩٦٩.

العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول بلى، قال: فيقول فإني لا[1] أجيز على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول[2]: كفى بنفسك عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيختم على فيه فيقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام قال: فيقول بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل».

الترمذي[3] عن أبي سعيد وأبي هريرة ﷺ قالا: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول[4]: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً؟ وسخرت لك الأنعام والحرث وتركتك ترأس وتربع[5]، فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا؟ فيقول: لا، فيقول: اليوم أنساك كما نسيتني»، قال: هذا حديث صحيح غريب.

وأخرجه مسلم عن أبي هريرة بأطول من هذا وقد تقدم[6].

البخاري[7] عن أنس بن مالك ﷺ أن نبي الله ﷺ قال: «يجاء بالكافر يوم القيامة، فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك».

وأخرجه **مسلم**[8] وقال بدل «قد كنت»: «كذبت قد سئلت ما هو أيسر من ذلك».

فصل [١١٤/ب]

قوله ﷺ: «فأول ما يتكلم من الإنسان فخذه» يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون ذلك زيادة في الفضيحة والخزي على ما نطق به

---

(١) (لا): ساقطة من (ع).
(٢) (فيقول): ليست في (ع).
(٣) في جامعه ٤/ ٦١٩، ح٢٤٢٨؛ وابن حبان في صحيحه ١٠/ ٤٩٩، ح٤٦٤٢، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٢٩٢، ح١٩٧٨.
(٤) في (ع، الترمذي): فيقول الله.
(٥) في (الأصل): وترفع، وتصويبه من (ع، ظ، الترمذي).
(٦) ص(٥٥٢).
(٧) في صحيحه ٥/ ٢٣٩٥، ح٦١٧٣.
(٨) في صحيحه ٤/ ٢١٦١، ح٢٨٠٥.

الكتاب في قوله: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ [الجاثية: ٢٩] لأنه كان في الدنيا يجاهر بالفواحش ويخلو قلبه عندها من ذكر الله تعالى، فلا يفعل ما يفعل خائفاً مشفقاً فيجزيه الله بمجاهرته والإشارة بفحشه على رؤوس الأشهاد.

والوجه الآخر: أن يكون هذا فيمن يقرأ كتابه فلا يعترف بما ينطق به بل يجحد فيختم الله على فيه عند ذلك وتنطق منه الجوارح التي لم تكن ناطقة في الدنيا فتشهد عليه بسيئاته. وهذا أظهر الوجهين يدل عليه أنهم يقولون لجلودهم أي لفروجهم[١] في قول زيد بن أسلم: لم شهدتم علينا، فتمردوا في الجحود فاستحقوا من الله الفضح والإخزاء[٢] نعوذ بالله منهما.

[فصل][٣]

معنى ترأس وتربع: ترأس على قومك أي تكون رئيساً عليهم وتأخذ الربع مما يحصل لهم من الغنائم والكسب وكانت عادتهم أن أمراءهم كانوا[٤] يأخذون من الغنائم الربع ويسمونه المرباع، قال شاعرهم[٥]:

لك المرباع منا والصفايا ... وحكمك والنشيطة والفضول

وقال آخر[٦]:

منا الذي ربع الجيوش لصلبه ... عشرون وهو يعد في الأحياء

يقال: ربع الجيش يربعه رباعة: إذا أخذ ربع الغنيمة.

---

(١) ذكره ابن جرير في تفسيره ٢٤/١٠٦، ولم ينسبه لأحد.

(٢) في (ظ): الخزي.

(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م)، وقوله: «وتركتك ترأس وتربع»، أي ترأس على قومك.

(٤) (كانوا): ليست في (ع).

(٥) أورده ابن سلام في غريب الحديث له ٣/٨٨، ونسبه إلى الشمّاخ، وأورده ابن منظور في لسان العرب ١١/٥٢٦، وقال: قاله ابن عَنَمة.

(٦) ذكره محمد بن سلام الجمحي في طبقات فحول الشعراء ٢/٧٥١، قال: وأنشد أبو النجم في مجلس سليمان بن عبد الله، فذكره.

قال الأصمعي: ربع في الجاهلية وخمس في الإسلام[١].

ومعنى[٢] قوله: «اليوم أنساك كما نسيتني»، أتركك[٣] في العذاب كما تركت عبادتي ومعرفتي.

فإن قيل: فهل يلقى الكافر ربه[٤] ويسأله؟ قلنا: نعم، بدليل ما ذكرنا، وقد قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ٦] في أحد التأويلين[٥]، وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٣٠]، وقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ[٦]﴾ [هود: ١٨]، وقال: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: ٤٨] الآيتين، وقال: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾[٧]﴾ [الغاشية: ٢٥ ـ ٢٦]، وقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٢ ـ ١٣] والآي في هذا المعنى كثير[٨].

فإن قيل: فقد قال الله[٩] تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ [الرحمن: ٤١] وقال ﷺ: «يخرج عنق من النار فيقول: وكلت بثلاث، بكل جبار عنيد وكل من جعل مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين»[١٠].

قلنا: هذا يحتمل أن يكون بعد الوزن والحساب وتطاير الكتب في اليمين والشمال، وتعظيم الخلق كما تقدم[١١].

---

(١) لم أقف على من ذكر قوله. (٢) (معنى): ليست في (ع، ظ).
(٣) في (ع): أي أتركك، وهو من معاني النسيان وهو اللائق بالله تعالى.
(٤) في (الأصل): فهل يلقى الكافر من ربه، والتصويب من (ع، ظ).
(٥) (في أحد التأويلين): ليست في (ع، ظ).
(٦) (وقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾): ليست في (ع).
(٧) (﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾): ليست في (ظ).
(٨) في (الأصل): كثيرة، وتصويبه من (ع، ظ).
(٩) (لفظ الجلالة): ليس في (ع).
(١٠) خرجه الترمذي في جامعه ٤/٧٠١، ح٢٥٧٤؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/٥١، ح٣٤١٤١، صححه الألباني، انظر: صحيح جامع الترمذي ٢/٣٢٠، ح٢٠٨٣.
(١١) ص(٥٥٦).

ويدل على هذا[١] قوله: وبالمصورين فإنهم وإن كانوا موحدين فلا بد لهم من سؤال وحساب، وبعده يكون[٢] أشد الناس عذاباً، وإن كانوا كافرين مشركين فيكون ذكرهم تكراراً في الكلام.

على أنا نقول: قال بعض العلماء: ذكر الله الحساب جملة وجاءت الأخبار [١١٥/أ] بذلك وفي بعضها ما يدل على أن كثيراً من المؤمنين يدخلون الجنة بغير حساب، فصار الناس إذن ثلاث فرق، فرقة لا يحاسبون أصلاً، وفرقة تحاسب[٣] حساباً يسيراً، وهما من المؤمنين، وفرقة تحاسب حساباً شديداً: يكون منها مسلم وكافر، وإذا كان[٤] من المؤمنين من يكون أدنى إلى رحمة الله فلا يبعد أن يكون من الكفار من هو أدنى إلى غضب الله فيدخله إلى النار بغير حساب[٥].

فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥]، وقال: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨]، وقال: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [البقرة: ١٧٤] وهذا يتناول بعمومه جميع الكفار.

قلنا: القيامة مواطن: فموطن يكون فيه سؤال وكلام، وموطن لا يكون فيه ذلك فلا تتناقض الآي والأخبار، والله المستعان.

وقال عكرمة: القيامة مواطن يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها[٦].

وقال ابن عباس ﷺ: لا يسألون سؤال شفاء وراحة وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ: لم عملتم كذا وكذا[٧]. والقاطع لهذا قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ

---

(١) في (ع، ظ): ويدل عليه.
(٢) في (ع): يكونون.
(٣) في (ع): يحاسبون.
(٤) قوله: (وفرقة تحاسب حساباً شديداً: يكون منها مسلم وكافر وإذا كان): ليست في (ظ).
(٥) جاء في هذا الموضع في (ع، ظ): وذكر ابن المبارك في رقائقه عن شهر بن حوشب عن ابن عباس ﷺ: «أن بعد أخذ النار هؤلاء الثلاثة تنشر الصحف وتوضع الموازين ويدعى الخلائق للحساب». وتأخر في الأصل بعد عدة أسطر.
(٦) ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٢٧٢.
(٧) ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٢٧٢.

﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢ ـ ٩٣]، قال أهل التأويل: عن لا إله إلا الله[(١)].

وقد قيل: إن الكفار يحاسبون بالكفر بالله الذي كان طول العمر شعارهم ودثارهم وكل دلالة من دلائل الإيمان خالفوها وعاندوها فإنهم يبكتون[(٢)] ويسألون عنها ويسألون عن الرسل وتكذيبهم[(٣)] إياه[(٤)] لقيام الدلائل على صدقهم[(٥)].

[(٦)]وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝﴾ [العنكبوت: ١٢ ـ ١٣] والآي في هذا المعنى كثيرة، ومن تأمل آخر سورة المؤمنين: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [المؤمنون: ١٠١] إلى آخرها يتبين له الصواب في ذلك والحمد لله على ذلك.

وذكر **ابن المبارك**[(٧)] عن شهر بن حوشب عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن بعد أخذ النار هؤلاء الثلاثة تنشر الصحف وتوضع الموازين ويدعى الخلائق للحساب، وشهر: ضعفه مسلم في كتابه[(٨)] وغيره[(٩)].

وذكر اللالكائي[(١٠)][(١١)] عن عائشة رضي الله عنها قالت: لا يحاسب رجل يوم

---

(١) ذكره ابن جرير في تفسيره ١٤/٦٧.
(٢) في (ع، ظ): يبكتون عليها.
(٣) في (ع): تكذيبهم بهم.
(٤) (إياه): ليست في (ظ).
(٥) جاء في هذا الموضع في (ع، ظ): وذكر اللالكائي عن عائشة رضي الله عنها قالت: لا يحاسب رجل يوم القيامة إلا دخل الجنة. وقد تأخر في الأصل بعد عدة أسطر.
(٦) من هذا الموضع... إلى قوله: والحمد لله على ذلك ليس في (ع، ظ).
(٧) في الزهد (الزوائد) ص(١٠١ ـ ١٠٣)، ح٣٥٣.
(٨) في صحيحه ١/١٧.
(٩) النسائي في الضعفاء والمتروكين ص(٥٦) رقم ٢٩٤؛ وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ٤/٣٧؛ والعقيلي في الضعفاء ٢/١٩١.
(١٠) الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، اللالكائي، الشافعي، قال الخطيب: صنف كتاباً في السنة ـ وهو شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ـ توفي سنة ٤١٨هـ، السير ١٧/٤١٩.
(١١) في (ع، ظ): في سننه.

القيامة إلا دخل الجنة[١].

قالوا: ولأن الحساب إنما يراد للثواب والجزاء ولا حسنات للكافر فيجازى عليها بحسابه، ولأن المحاسب له هو الله تعالى وقد قال: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

قلنا: ما روي عن عائشة ﵂ وخالفها غيره في ذلك للآيات والأحاديث في ذلك، وهو الصحيح، ومعنى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ أي بما يحبونه، قاله الطبري[٢].

وفي التنزيل: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، وقد قيل: إن معنى قوله: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨] و﴿لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩][٣] سؤال التعرف ليميز المؤمنين من الكافرين، أي: أن الملائكة لا تحتاج أن تسأل أحداً يوم القيامة، أن يقال: ما كان دينك وما كنت تصنع[٤] في الدنيا حتى يبين له بأخباره عن نفسه إنه كان مؤمناً أو كان كافراً، ولكن المؤمنين ناضري الوجوه منشرحي [١١٥/ب] الصدور ويكون المشركون سود الوجوه زرقاً مكروبين، فهم إذا كلفوا سَوْقَ[٥] المجرمين إلى النار أو تمييزهم في الموقف، أغنتهم[٦] مناظرهم من تعرف أديانهم، ومن قال هذا فيحتمل أن يقول إن الأمر يوم القيامة يكون بخلاف ما كان[٧] قبله على ما

---

(١) لم أجده في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة له، قال ابن حجر: وقع في رواية لابن مردويه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعاً: «لا يحاسب رجل يوم القيامة إلا دخل الجنة»، وظاهره يعارض حديثها المذكور في الباب ـ «من نوقش الحساب عذب» ـ وطريق الجمع بينهما أن الحديثين معاً في الحق المؤمن ولا منافاة بين التعذيب ودخول الجنة؛ لأن الموحد وإن قضي عليه بالتعذيب فإنه لا بد أن يخرج من النار بالشفاعة، أو بعموم الرحمة، فتح الباري ١١/ ٤٠٣.

(٢) في تفسيره ٣/ ٣٢٠.

(٣) وفي (ظ): وقال: ﴿لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾.

(٤) في (ع): تعمل.

(٥) في (ظ): بسوق.

(٦) في (ع، ظ): كفتهم، وفي الأصل أقرب إلى: أغنتهم، ويدل عليه ما جاء بعده بعدة أسطر: لاستغنائهم بمناظرهم.

(٧) في (ع، ظ): ما هو كائن.

وردت به الأخبار من سؤال الملكين الميت إذا دفن وانصرف الناس عنه: عن ربه ودينه ونبيه، أي إذا كان يوم القيامة لم تسأل الملائكة عند الحاجة إلى تمييز فريق من هذا لاستغنائهم بمناظرهم عما وراءها، ومن قاله يحتج بقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أخبر أنه يسألهم عن أعمالهم، وهذه الآية في الكافرين، ومن قال[1]: يسألهم عن أصل كفرهم ثم[2] عن تجديدهم إياه كل وقت باستهزائهم بآيات الله ورسله فقد سألهم عما كانوا يعملون، وذلك هو المراد.

باب ما جاء في شهادة الأرض والليالي والأيام بما عمل فيها وعليها، وفي شهادة المال على صاحبه وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾

الترمذي[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾ [الزلزلة: ٤] قال: «أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن[4] أخبارها أن تشهد على كل عبد، أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول: عمل يوم كذا كذا وكذا، قال: فهذه أخبارها»، حديث حسن صحيح غريب[5].

أبو نعيم[6] عن معاوية بن مرة عن معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليس من يوم يأتي على ابن آدم إلا ينادي فيه: يا ابن آدم أنا خلق جديد، وأنا فيما تعمل عليك غداً[7] شهيد، فاعمل فيّ خيراً أشهد لك به غداً فإني لو قد

---

(١) (قال): ليست في (ظ). (٢) (ثم): ليست في (ع).

(٣) في جامعه ٥/٤٤٦، ح٣٣٥٣؛ والنسائي في الكبرى ٦/٥٢٠، ح١١٦٩٣؛ والحاكم في مستدركه ٢/٢٨١، ح٣٠١٢ وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه؛ قال الألباني: ضعيف الإسناد، انظر: ضعيف سنن الترمذي ص(٢٧٥)، ح٤٢٨.

(٤) (فإن): ليست في (ظ). (٥) (غريب): ليست في (الترمذي).

(٦) في الحلية ٢/٣٠٣.

(٧) في (الأصل): غداً عليك، وما أثبته من (ع، ظ، الحلية).

مضيت لم تراني[١] أبداً، ويقول الليل مثل ذلك»، غريب من حديث معاوية، تفرد به عنه زيد العمي، ولا أعلمه مرفوعاً عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد.

ابن المبارك[٢] عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «من سجد في موضع عند حجر أو شجر شهد عند الله يوم القيامة».

وأخبرنا[٣] ابن أبي خالد قال: سمعت أبا عيسى يحيى بن رافع يقول: سمعت عثمان بن عفان ﷺ يقول[٤]: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۝﴾ [ق: ٢١] قال: سائق يسوقها إلى أمر الله، وشاهد يشهد عليها بما عملت[٥].

وخرّج **مسلم**[٦] من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ وفيه: «وأن هذا المال خضر حلو، ونعم صاحب المسلم هو إن[٧] أعطى منه المسكين واليتيم، وابن السبيل، أو كما قال رسول الله[٨] ﷺ، وأنه من يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع ويكون عليه شهيداً[٩] يوم القيامة. وقد تقدم[١٠] أنه «لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس [١١٦/أ] ولا شجر، ولا حجر، ولا مدر، ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة». رواه أبو سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ أخرجه[١١] الأئمة **مالك**[١٢] وغيره[١٣].

وقال المؤلف: فتفكر يا أخي وإن كنت شاهداً عدلاً بأنك مشهود عليك

---

(١) في الأصل: لن ترني، وما أثبته من (ع، ظ، الحلية).
(٢) في الزهد له ص(١١٤)، ح٣٨٤.
(٣) الإسناد لابن المبارك.
(٤) في (ظ): يقرأ.
(٥) رواه ابن المبارك في الزهد له ص(١٠٦)، ح٣٦٥؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٢٢١، ح٣٥٤٢١؛ والطبري في تفسيره ٢٦/ ١٦١.
(٦) في صحيحه ٣/ ٧٢٨، ١٠٥٢.
(٧) في (ع): لمن هو، وفي (ظ): وهو لمن، وفي مسلم: هو لمن.
(٨) (رسول الله): ليست في (ع).
(٩) في (ظ): شاهداً.
(١٠) ص(٦٥٦).
(١١) في (ع، ظ): رواه.
(١٢) في الموطأ ١/ ٦٩، ح١٥١.
(١٣) ابن ماجه في سننه ١/ ٢٣٩، ح٧٢٣؛ وابن خزيمة في صحيحه ١/ ٢٠٣، ح٣٨٩؛ وأحمد في مسنده ٣/ ٦، ح١١٠٤٥؛ وعبد الرزاق في مصنفه ١/ ٤٨٥، ح١٨٦٥ صححه الألباني، صحيح ابن ماجه ١/ ١٢٢ ح٥٩١.

في كل أحوالك، من فعلك ومقالك، وأعظم الشهود لديك المطلع[١] عليك الذي لا تخفى عليه خائنة الأعين[٢] ولا يغيب عنه زمان ولا أين، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١]، فاعمل عمل من يعلم أنه راجع إليه، وقادم عليه يجازي على الصغير والكبير، والقليل والكثير، سبحانه لا إله إلا هو.

باب لا يشهد عبد على شهادة في الدنيا إلا شهد به[٣] يوم القيامة

ابن المبارك[٤] قال: أخبرنا رشدين[٥] بن سعد عن عمرو بن الحارث عن سعد بن أبي هلال عن سليمان بن راشد أنه بلغه أن امرأ لا يشهد على شهادة في الدنيا إلا شهد بها يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، ولا يمتدح عبداً في الدنيا إلا امتدحه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد[٦].

قلت: هذا صحيح يدل على صحته من الكتاب قوله الحق: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨] والله أعلم.

باب ما جاء في سؤال الله تعالى الأنبياء وفي شهادة هذه الأمة للأنبياء تعلى أممهم

قال الله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأعراف: ٦ ـ ٧]، وقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ

(١) في (ظ): ربك المطلع.
(٢) في (ع): خائنة عين.
(٣) في (ظ): بها.
(٤) في الزهد (الزوائد) ص(١١٨)، ح٣٩٧.
(٥) في (الأصل، ع): رشيد، والتصويب من (ظ، ومصدر المصنف).
(٦) قوله: (ولا يمتدح عبداً في الدنيا إلا امتدحه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد): ليس في (ظ).

أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: ٩٢] فيبدأ بالأنبياء ﷺ ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٩] قيل في تفسيره: ما كانوا[1] قد علموا[2] لكن دهشت[3] عقولهم، وعزبت أفهامهم، ونسوا من شدة الهول، وعظم الخطب، وصعوبة الأمر[4]، فقالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]، ثم يقربهم الله تعالى فيدعى نوح ﷺ ويقال: إن الهيبة تأخذ بمجامع قلوبهم فيذهلون عن الجواب، ثم إن الله يثبتهم ويحدث لهم ذكراً فيشهدون بما أجابت به أممهم، ويقال: إنما قالوا ذلك تسليماً، كما فعل[5] المسيح ﷺ في قوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ والأول أصح، لأن الرسل يتفاضلون والمسيح من أجلّهم لأنه كلمة الله وروحه، قاله[6] أبو حامد[7].

وخرج **ابن ماجه**[8]: ثنا أبو كريب[9] وأحمد بن سنان قالا: حدثنا أبو معاوية[10] عن الأعمش عن ابن أبي صالح[11] عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يجيء النبي يوم القيامة ومعه [١٦٦/ب] الرجل، ويجيء النبي ومعه الرجلان ويجيء النبي ومعه الثلاثة، وأكثر من ذلك،

---

(١) في (ع، ظ): قيل في تفسيرها كانوا.
(٢) في (الأصل): ما كانوا قد عملوا، وتصويبه من (ع، ظ).
(٣) في (ع، ظ): ذهبت.
(٤) في (الأصل): الأمن، وتصويبه من (ع، ظ).
(٥) في (ظ): فعله.
(٦) في (الأصل): قال، وتصويبه من (ع، ظ).
(٧) في كشف علوم الآخرة له ص(٩٠).
(٨) في سننه ٢/ ١٤٣٢، ح٤٢٨٤، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٢٥، ح٣٤٥٧.
(٩) محمد بن العلاء الهمداني، الكوفي، روى عنه الستة، مات سنة ٢٤٨، السير ١١/ ٣٩٤.
(١٠) شيبان بن عبد الرحمن النحوي، أبو معاوية البصري، المؤدب، روى عن الحسن البصري والأعمش، انظر: تهذيب الكمال ١٢/ ٥٩٢ ـ ٥٩٣.
(١١) في (الأصل): الأعمش بن صالح، وفي (ع): الأعمش عن صالح، وكلاهما خطأ، تصويبه من (ظ، وابن ماجه)، والذي في تهذيب الكمال أن الراوي عن أبي سعيد الخدري هو أبو صالح ذكوان السمان، والد ابن أبي صالح المذكور ١٠/ ٢٩٨، وأبو صالح له عدد من الأبناء رواة الحديث، فلم أستطع تعيين المراد.

فيقول له[١]: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه فيقال: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتدعى أمة محمد ﷺ فيقال: هل بلغ هذا؟ فيقولون: نعم، فيقول: وما أعلمكم[٢] بذلك؟ فيقولون: أخبرنا نبينا ﷺ بذلك، أن الرسل قد بلغوا فصدقناه، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وذكر[٣] **البخاري**[٤] أيضاً بمعناه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ، ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، فذلك قوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٥]، أخرجه **ابن المبارك**[٦] بأطول[٧] من هذا فقال: أخبرنا رشدين بن سعد قال: أخبرنا ابن أنعم المعافري[٨] عن حبان بن أبي جبلة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله العباد يوم القيامة كان أول من يدعى إسرافيل عليه السلام فيقول له ربه: ما فعلت في عهدي؟ هل بلغت عهدي؟ فيقول: نعم رب[٩]، قد بلغته جبريل، فيدعى جبريل عليه السلام فيقول: هل بلغك إسرافيل عهدي؟ فيقول: نعم رب[١٠] قد بلغني، فيخلى عن إسرافيل، ويقال لجبريل: هل بلغت عهدي؟ فيقول جبريل: نعم، قد بلغت الرسل، فيدعى الرسل فيقول: هل بلغكم جبريل عهدي؟

---

(١) في (ع، ابن ماجه): فيقال له.
(٢) في (ظ، ابن ماجه): ما علمكم.
(٣) في (ع): وذكره.
(٤) في صحيحه ٤/١٦٣٢، ح٤٢١٧.
(٥) قوله: فذلك قوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ ليس في (ع، ظ).
(٦) في الزهد ص(٥٥٧)، ح١٥٩٨.
(٧) في (ع، ظ): مرسلاً بأطول.
(٨) هكذا ورد في جميع النسخ، وهو ابن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي، انظر: تهذيب الكمال ٥/٣٣٢، ولم أقف على من نسبه إلى معافر.
(٩) في (ظ): يا رب.
(١٠) في (ظ): يا رب.

فيقولون: نعم، فيخلى عن جبريل، ثم يقال للرسل: هل بلغتم عهدي؟ فيقولون: قد بلغنا أممنا، فتدعى الأمم فيقال لهم: هل بلغكم[١] الرسل عهدي؟ فمنهم المصدق ومنهم المكذب، فتقول الرسل: إن لنا عليهم شهداء يشهدون أن قد بلغنا مع شهادتك، فيقول: من يشهد لكم؟ فيقولون: محمد وأمته، فتدعى أمة أحمد ﷺ ويقول: تشهدون أن رسلي[٢] هؤلاء قد بلغوا عهدي إلى مَنْ أرسلوا إليه؟ فيقولون: نعم رب، شهدنا أن قد بلغوا، فتقول تلك الأمم: كيف يشهد علينا من لم يدركنا، فيقول لهم الرب: كيف تشهدون على من لم تدركوا؟ فيقولون: ربنا بعثت إلينا رسولاً وأنزلت إلينا عهدك، وكتابك وقصصك علينا أنهم قد[٣] بلغوا، فشهدنا بما عهدت إلينا، فيقول الرب: صدقوا[٤]، فذلك قوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ والوسط: العدل، ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

قال ابن أنعم[٥]: فبلغني أنه تشهد يومئذ أمة محمد إلا من كان في قلبه حِنَةٌ[٦] على أخيه.

قلت: وذكر هذا الخبر أبو محمد عبد [١١٧/أ] الحق[٧] في كتاب العاقبة له[٨]، فذكر بعد قوله: والوسط: العدل، ثم يدعى غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، ثم ينادى كل إنسان باسمه واحداً، واحداً، ويسألون واحداً[٩]، واحداً، وتعرض أعمالهم على رب العزة ﷻ، قليلها وكثيرها، حسنها وقبيحها.

---

(١) في (ع، والزهد): بلغتكم.
(٢) في (الأصل): رسل، وما أثبته من (ع، ظ) وفي (الزهد): الرسل.
(٣) (قد): ليست في (ظ).
(٤) في (ع): صدقت، وليس في الزهد شيء من الكلمتين.
(٥) لعله: عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الافريقي، انظر: تاريخ أسماء الثقات ص(١٤٧)، رقم ٨٠٦.
(٦) في (الأصل): خفة، والتصويب من (ع، ظ)، قال الجوهري: يقال في صدره عليّ إحْنَةٌ أي حقد، ولا تقل: حِنَةٌ، والجمع: إحَنٌ، الصحاح ٥/٢٠٦٨.
(٧) (عبد الحق): ليست في (ع، ظ).
(٨) ص(٣٠٢).
(٩) (ويسألون واحداً): ليس في (ظ).

قال المؤلف: وذكر أبو حامد في كتاب كشف علم الآخرة[١]: أن هذا يكون بعد ما يحكم الله تعالى بين البهائم، ويقتص للجماء من القرناء ويفصل بين الوحوش والطير ثم يقول لهم: كوني[٢] تراباً، فتسوى بهم الأرض، وحينئذٍ ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ [النساء: ٤٢] ويتمنى الكافر فيقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [النبأ: ٤٠]، ثم يخرج النداء من قبل الله تعالى: أين اللوح المحفوظ؟ فيؤتى به، له هرج عظيم، فيقول الله تعالى: أين ما سطرت فيك من توراة وزبور وإنجيل وفرقان[٣]؟ فيقول: يا رب نقله مني الروح الأمين، فيؤتى به ترعد وتصطك ركبتاه، فيقول الله: يا جبريل هذا اللوح يزعم أنك نقلت منه كلامي ووحيي، أصدق؟ قال: نعم يا رب، قال: فما فعلت فيه؟ قال: أنهيت التوراة إلى موسى، وأنهيت الزبور إلى داود، وأنهيت الإنجيل إلى عيسى وأنهيت الفرقان إلى محمد ﷺ وأنهيت إلى كل رسول رسالته، وإلى أهل الصحف صحائفهم، فإذا النداء يا نوح، فيؤتى به ترعد وتصطك فرائصه، فيقول له: يا نوح زعم جبريل أنك من المرسلين، قال: صدق، فقيل له[٤]: ما فعلت مع قومك؟ قال: دعوتهم ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائي إلى فراراً. فإذا النداء: يا قوم نوح، فيؤتى بهم زمرة واحدة فيقال: هذا أخوكم نوح يزعم أنه بلغكم الرسالة فيقولون: يا ربنا كذب، ما بلغنا من شيء، وينكرون الرسالة، فيقول الله: يا نوح ألك بينة؟ فيقول: نعم يا رب[٥]، بينتي عليهم محمد وأمته، فيقولون له: كيف ونحن أول الأمم وهم آخر الأمم، فيؤتى بالنبي ﷺ فيقول: يا محمد هذا نوح يستشهدك فيشهد له بتبليغ الرسالة، فيقرأ ﷺ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [نوح: ١] إلى آخر السورة، فيقول الجليل ﷻ: قد وجب عليكم الحق، ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١]، فيؤمر بهم زمرة واحدة إلى النار من غير وزن عمل ولا حساب،

(١) ص(٨٢ ـ ٩١) (٦١٦).
(٢) في (ع، كشف علوم): كونوا.
(٣) في (الأصل): وفرقان وإنجيل، وهو قلب، تصويبه من (ع، ظ، كشف علوم الآخرة).
(٤) في (ظ): فيقول.
(٥) (يا رب): ليست في (ظ).

ثم ينادي: أين عاد؟ فيفعل مع هود[١] كما فعل قوم نوح مع نوح، فيشهد عليهم النبي ﷺ وخيار أمته فيتلو: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الشعراء: ١٢٣] فيؤمر بهم إلى النار مثل أمة نوح، ثم ينادي يا صالح ويا ثمود، فيأتون، فيشهد صالح عند ما ينكرون، فيتلو النبي ﷺ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الشعراء: ١٤١] إلى آخر القصة، فيفعل بهم مثلهم، ولا تزال تخرج أمة بعد أمة قد أخبر عنهم القرآن بياناً، وذكرهم فيه إشارة، كقوله تعالى: ﴿وَقُرُونًۢا [١١٧/ب] بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨]، وقوله: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا﴾[المؤمنون: ٤٤] وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [إبراهيم: ٩]، وفي ذلك تنبيه على أولئك القرون الطاغية كقوم تارح وتارخ، ودوحا، وأسرا وما أشبه ذلك حتى ينتهي النداء إلى أصحاب الرس، وتبّع، وقوم إبراهيم وفي ذلك لا يرفع لهم ميزان ولا يوضع لهم حساب، وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون، والترجمان يكلمهم، لأن الرب تعالى من نظر إليه وكلمه لم يعذبه.

ثم ينادي بموسى بن عمران فيأتي وهو كأنه ورقة في ريح عاصف قد اصفر لونه واصطكت ركبتاه، فيقول له يا ابن عمران جبريل يزعم أنه بلغك الرسالة والتوراة فتشهد له بالبلاغ، قال: نعم، قال: فارجع إلى منبرك، واتل ما أوحي إليك من ربك، فيرقى المنبر ثم يقرأ فينصت له كل من في الموقف، فيأتي بالتوراة غضة طرية على حسنها يوم أنزلت حتى تتوهم الأحبار أنهم ما عرفوها يوماً.

ثم ينادي يا داود فيأتي وهو يرعد كأنه ورقة في ريح عاصف تصطك ركبتاه ويصفر لونه، فيقول الله جل ثناؤه: يا داود زعم جبريل أنه بلغك الزبور، فتشهد له بالبلاغ؟ فيقول: نعم يا رب، فيقال له: ارجع إلى منبرك واتل ما أوحي إليك، فيرقى ثم يقرأ وهو أحسن الناس صوتاً، وفي الصحيح: إنه صاحب المزامير.

---

(١) في جميع النسخ: ثم ينادي أين هود فيفعلون قوم هود، والتصويب من (كشف علوم الآخرة).

ثم ينادي المنادي: أين عيسى بن مريم؟ فيؤتى به على باب المرسلين، فيقول: ﴿ءَأَنتَ(١) قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾(٢)، ثم يحمد تحميداً ما شاء الله ويثني عليه كثيراً ثم يعطف على نفسه بالذم والاحتقار ويقول: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾، فيضحك الله سبحانه ويقول: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩] يا عيسى ارجع إلى منبرك واتل الإنجيل الذي بلغك جبريل، فيقول: نعم ثم يرقى ويقرأ(٣) فتشخص إليه الرؤوس لحسن ترديده وترجيعه فإنه أحكم الناس به رواية، فيأتي به غضاً طرياً حتى يظن الرهبان أنهم ما عملوا به قط، ثم تنقسم النصارى فرقتين: المجرمون مع المجرمين، والمؤمنون مع المؤمنين.

ثم يخرج النداء: أين محمد فيؤتى به ﷺ فيقول: يا محمد هذا جبريل يزعم أنه بلغك القرآن فيقول: نعم يا رب، فيقال له: ارجع إلى منبرك واقرأ فيتلو ﷺ القرآن فيأتي به غضاً طرياً له حلاوة وعليه طلاوة يستبشر به المتقون وإذا وجوههم ضاحكة مستبشرة والمجرمون وجوههم مغبرة مقترة(٤)، فإذا تلا النبي ﷺ القرآن توهمت الأمة أنهم ما سمعوه قط.

وقد قالوا للأصمعي(٥): تزعم أنك أحفظهم لكتاب الله تعالى [١١٩/أ] فقال: يا ابن أخي يوم أسمعه(٦) من رسول الله ﷺ كأني ما سمعته(٧).

فإذا فرغت قراءة الكتب خرج النداء من قبل سرادقات الجلال: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ۝٥٩﴾ [يس: ٥٩] فيرتج الموقف، ويقوم فيه روع عظيم

---

(١) في جميع النسخ: أنت، والتصويب من المصحف.
(٢) هذه الآية وإلى قوله تعالى: ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ من سورة المائدة (١١٦).
(٣) في (الأصل): يقرأ ويرقى، وما أثبته من (ع، ظ، كشف علوم الآخرة).
(٤) في (ع): قترة.
(٥) حجة الأدب، لسان العرب، أبو سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك بن علي بن أصْمَع، البصري، اللغوي الأخباري، مات سنة ٢١٦هـ، السير ١٠/ ١٧٥.
(٦) أي يوم القيامة.
(٧) في (ع، كشف علوم الآخرة): كأني ما سمعته قط.

والملائكة قد امتزجت بالجن والجن ببني آدم والكل لجة واحدة، ثم يخرج النداء: يا آدم ابعث بعث النار فيقول: كم يا رب؟ فيقال[١] له: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين إلى النار، وواحد في الجنة على ما يأتي[٢] بيانه، فلا يزال يستخرج من سائر الملحدين والغافلين والفاسقين حتى لا يبقى إلا قدر حفنة الرب[٣] كما قال الصديق[٤]: نحن حفنات لحفنات الرب[٥] سبحانه على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

باب ما جاء في الشهداء عند الحساب

قال العلماء[٦]: وتكون المحاسبة بمشهد من[٧] النبيين وغيرهم، قال الله تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الزمر: ٦٩]، وقال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١] وشهيد كل أمة نبيها، وقيل: إنهم كتبة الأعمال، وهو الأظهر، تحضر[٨] الأمة ورسولها فيقال للقوم: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]؟ ويقول للمرسلين: ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾؟ فتقول الرسل: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [المائدة: ١٠٩] على ما تقدم في الباب قبل[٩]، ثم يدعى كل واحد على الانفراد، فالشاهد عليه صحيفة عمله وكاتباه[١٠]؛ فإنه قد أخبر في الدنيا أن عليه ملكين[١١] يحفظان عمله وينسخانه[١٢].

وذكر أبو حامد في كتاب كشف علم الآخرة[١٣]: إن المنادي ينادي من قبل الله: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧]، فيُستخرج لهم

---

(١) في (ع): فيقول.
(٢) ص(٨٣٠).
(٣) في (كشف علوم الآخرة): حفنة من حفنات الرب.
(٤) لم أقف على مصدر ذكر قوله ﷺ.
(٥) نهاية النقل من كشف علوم الآخرة.
(٦) لم أقف على من قال به.
(٧) (من): ليست في (ظ).
(٨) في (ع، ظ): فتحضر.
(٩) ص(٦٨٢).
(١٠) في (ع): وكاتباها.
(١١) في (الأصل، ظ): ملكان، والتصويب من (ع) لأنها: اسم إن متأخر.
(١٢) في (ع، ظ): وينسخانها.
(١٣) ص(٩١ ـ ٩٢).

كتاب عظيم يسد ما بين المشرق والمغرب، فيه جميع أعمال الخلائق، فما من صغيرة أو كبيرة إلا أحصاها، ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وذلك: أن أعمال الخلائق تعرض على الله تعالى في كل يوم فيأمر الكرام البررة أن ينسخوها في ذلك الكتاب العظيم، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]، ثم يُنادى بهم فرداً فرداً فيحاسب كل واحد، فإذا الأقدام تشهد واليدان، وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤].

وقد جاء في الخبر أن رجلاً منهم يقف[(١)] بين يدي الله تعالى فيقول له: يا عبد السوء[(٢)] كنت مجرماً عاصياً، فيقول: ما فعلت، فيقال له: عليك بينة، فيؤتى بحفظته فيقول: كذبوا عليّ، فتشهد جوارحه عليه، فيؤمر به إلى النار، فيجعل يلوم جوارحه، فتقول له: ليس عن اختيارنا، أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، وقد تقدم هذا المعنى مستوفى[(٣)]، وتقدم[(٤)] أن الأرض والأيام [١١٨/ب] والليالي والمال ممن يشهد، وإذا قال الكافر لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني ختم[(٥)] على فيه فتشهد أركانه، كما تقدم[(٦)].

باب ما جاء في شهادة النبي ﷺ على[(٧)] أمته

ابن المبارك[(٨)] قال: أخبرنا رجل من الأنصار عن المنهال بن عمرو حدثه أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: ليس من يوم إلا تعرض على النبي ﷺ أمته غدوة وعشية، فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم، فلذلك يشهد عليهم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١].

---

(١) في (ع، الكشف): يوقف.

(٢) ينزه الله تبارك وتعالى عن مثل هذا، وهي رواية لا أصل لها فلا توجد في شيء من دواوين السنة لا الصحيحة منها ولا الضعيفة.

(٣) ص(٦٧٢).

(٤) ص(٦٧٩).

(٥) في (ع): يختم.

(٦) ص(٦٧٢).

(٧) في (ظ): في.

(٨) في كتابه الزهد (في الزوائد) ص(٤٢)، ح١٦٦.

فصل

قلت: قد تقدم[(١)] أن الأعمال تعرض على الله تعالى يوم الخميس ويوم الاثنين وعلى الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة[(٢)]، ولا تعارض فإنه يحتمل أن يخص نبينا ﷺ بالعرض كل يوم، ويوم الجمعة مع الأنبياء، والله أعلم.

باب ما جاء في عقوبة مانع[(٣)] الزكاة وفضيحة الغادر والغال في الموقف وقت الحساب

مسلم[(٤)] عن أبي هريرة[(٥)] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار، قيل: يا رسول الله فالإبل؟ قال: ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها، ومن حقها[(٦)] حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت، لا يَفقد منها فصيلاً[(٧)] واحداً تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار، قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال: ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها[(٨)] إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً ليس فيها عقصاء[(٩)] ولا جلحاء[(١٠)] ولا عضباء[(١١)] تنطحه بقرونها

---

(١) ص(٢٣٣).
(٢) وقد تقدم أن هذا الحديث موضوع.
(٣) في (ع، ظ): مانعي.
(٤) في صحيحه ٢/ ٦٨٠، ح٩٨٧.
(٥) في (ع، ظ): عن ابن عمر، والأصل متوافق مع صحيح مسلم.
(٦) (ومن حقها): ليست في (ظ).
(٧) في (ظ): فصيل.
(٨) في (ظ): حقها منها.
(٩) هي الملتوية القرن، النهاية في غريب الأثر ٣/ ٢٧٥.
(١٠) التي لا قرن لها، النهاية في غريب الأثر ١/ ٢٨٤.
(١١) العضباء: هي مكسورة القرن، النهاية في غريب الأثر ٣/ ٢٥١.

وتطؤه بأظلافها، كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى [١١٩/أ] الجنة وإما إلى النار. وذكر الحديث. أخرجه **البخاري**(١) بمعناه.

وروى **مالك**(٢) موقوفاً **والنسائي**(٣) **والبخاري**(٤) مرفوعاً عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثل له يوم القيامة شجاع أقرع له زبيبتان(٥) يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه، ثم يقول: أنا مالُكَ أنا كنزك، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٠] الآية.

وذكر **مسلم**(٦) من حديث جابر ﷺ قال: ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعاً أقرع يتبعه فاتحاً فاه، فإذا أتاه فر منه، فيناديه خذ كنزك الذي خبأته، فإنه عنه غني(٧)، فإذا رأى أن لا بد له منه سلك يده في فيه فيقضمها قضم الفحل». وذكر الحديث.

عن أبي هريرة ﷺ قال: «قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول وعظّم أمره، ثم قال: لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك(٨)، لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك(٩)، لا ألفينّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نَفْسٌ لها

---

(١) في صحيحه ٥٠٨/٢، ح١٣٣٧.
(٢) في الموطأ ٢٥٦/١، ح٥٩٨.
(٣) في المجتبى ٢٨/٥، ح٢٤٥٤.
(٤) في صحيحه ٥٠٨/٢، ح١٣٣٨.
(٥) هما نكتتان سوداوان فوق عينيه. الصحاح ١٤٢/١.
(٦) في صحيحه ٦٨٤/٢، ح٩٨٨.
(٧) في (الأصل، ع): فأنا عنه غني، وتصويبه من (ظ، مسلم).
(٨) في (الأصل): بلغتك، وما أثبته من (ع، ظ، صحيح مسلم).
(٩) قوله: لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء فيقول: يا رسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئاً أقد أبلغتك، ساقط من (ع).

صياح، فيقول[١] يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت[٢] فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً[٣] قد أبلغتك»[٤]، أخرجه **البخاري**[٥] أيضاً.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل[٦] غادر لواء يوم القيامة فيقال: هذه غدرة فلان بن فلان»[٧].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدرته، ألا ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة»[٨]، وفي رواية: «لكل غادر لواء عند أسته يوم القيامة[٩]».

وذكر **أبو داود الطيالسي**[١٠] قال: ثنا مرة بن خالد عن عبد الملك بن عمير عن رافع[١١] بن شداد عن عمر بن الحمق الخزاعي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا أمن الرجل الرجل على دمه ثم قتله رفع له لواء غدر يوم القيامة».

(١) في (الأصل): فأقول، والتصويب من (ع، ظ، صحيح مسلم).
(٢) الذهب والفضة، النهاية في غريب الأثر ٣/ ٥١.
(٣) في (ع، ظ): لا أملك لك من الله شيئاً، والأصل متوافق مع صحيح مسلم.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٤٦١، ح١٨٣١.
(٥) في صحيحه ٣/ ١١١٨، ح٢٩٠٨.
(٦) في (الأصل): لك، وتصويبه من (ع، ظ، مسلم).
(٧) أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٣٥٩، ح١٧٣٥ واللفظ له؛ وأخرجه البخاري أيضاً في صحيحه ٥/ ٢٢٨٥، ح٥٨٢٣.
(٨) أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٣٦١، وأخرج مسلم أيضاً الرواية التي بعدها في نفس الجزء والصفحة.
(٩) (يوم القيامة): ليست في (ظ).
(١٠) في مسنده ص(١٨١)، ح١٧٣٨؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٩/ ١٤٢، ح١٨٢٠٤.
(١١) في (الأصل): عبد الله بن عمر عن نافع بن شداد، وتصويبه من (ع، ظ، الطيالسي).

فصل

قال علماؤنا(١) رحمة الله عليهم في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١] إن ذلك على الحقيقة كما بينه رسول الله ﷺ، أي يأتي [١١٩/ب] به حاملاً له على ظهره ورقبته، معذباً بحمله وثقله، ومرعوباً بصوته وموبخاً بإظهار خيانته على رؤوس الأشهاد، وكذا مانع الزكاة كما في صحيح الحديث.

قال أبو حامد(٢): «فمانع زكاة الإبل يحمل بعيراً على كاهله له رغاء وثقل يعدل الجبل العظيم، ومانع زكاة البقر يحمل ثوراً على كاهله له خوار وثقل يعدل الجبل العظيم، [ومانع زكاة الغنم يحمل شاة لها ثغاء وثقل يعدل الجبل العظيم](٣) والرغاء والخوار والثغاء كالرعد القاصف، ومانع زكاة الزرع يحمل على كاهله أعدالاً [قد ملئت](٤) من الجنس الذي كان قد يبخل به بُرّاً كان أو شعيراً أثقل ما يكون ينادي تحته(٥) بالويل والثبور، ومانع زكاة المال يحمل شجاعاً أقرع له زبيبتان وذنبه قد انساب في منخره(٦) واستدارت بجيده وثقل على كاهله كأنه طُوِّق بكل رحى في الأرض، وكل واحد ينادي مثل هذا، فتقول الملائكة هذا ما بخلتم به في الدنيا رغبة فيه وشحاً عليه، وهو قوله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠]».

قلت: وهذه الفضيحة التي يوقعها الله تعالى بالغال ومانع(٧) الزكاة نظير الفضيحة التي يوقعها بالغادر، وجعل الله تعالى هذه(٨) المعاقبات حسب ما يعهده البشر ويفهمونه، ألا ترى إلى قول شاعرهم(٩):

---

(١) لم أتعرف على القائل.

(٢) في كتاب كشف علوم الآخرة ص(٧٦ ـ ٧٧).

(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، وكشف علوم الآخرة).

(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، وكشف علوم الآخرة).

(٥) في (الأصل): تحت، وتصويبه من (ع، وكشف علوم الآخرة).

(٦) في (ع): منخريه.

(٧) في (ع): مانعي.

(٨) في (الأصل): هذا، وتصويبه من (ع).

(٩) لم أقف على القائل.

اسمي ويحك[١] هل سمعت بغدرة ... رفع اللواء لنا بها في المجمع

وكانت العرب ترفع للغادر لواء في المحافل[٢]، وكذلك يطاف بالجاني مع جنايته، وذهب بعض العلماء إلى أن ما يجيء به الغال يحمله: عبارة عن وزر ذلك، وشهرة الأمر أن يأتي يوم القيامة قد شهر الله تعالى أمره، كما يشهر لو حمل بعيراً له رغاء أو فرساً له حمحمة.

قلت: وهذا عدول في[٣] الحقيقة إلى المجاز والتشبيه، وقد أخبر النبي ﷺ بالحقيقة فهو أولى، وقد روى **أبو داود**[٤] عن سمرة بن جندب[٥] ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أصاب غنيمة أمر بلالاً فنادى في الناس فيجيئون بغنائمهم[٦] فيخمسه ويقسمه، فجاءه[٧] رجل يوماً بعد النداء بزمام من شعر، فقال: يا رسول الله هذا كان فيما أصبناه من الغنيمة، فقال: أسمعت بلالاً ينادي ثلاثاً؟ قال: نعم، قال: فما منعك أن تجيء به؟ فاعتذر إليه، فقال: كلا، أن تجيء به يوم القيامة فلن أقبله منك[٨]».

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الحجر ليزن سبع خَلِفَات[٩] ليلقى في جهنم فيهوي فيها سبعين خريفاً، ويؤتى بالغلول فيلقى معه، ثم يكلف صاحبه أن يأتي به، قال: فهو قول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ

---

(١) في (ع): ويل، وتحتمل: ويك.
(٢) في (ع): في المحافل ومواسم الحج.
(٣) في (ع): عن، وما في (ع) أصوب.
(٤) في سننه ٣/٦٨، ح٢٧١٢؛ وابن حبان في صحيحه ١١/١٣٨، ح٤٨٠٩، حسنه الألباني، انظر: صحيح أبي داود ٢/١٥٩، ح٢٧١٢.
(٥) في (سنن أبي داود، وصحيح ابن حبان): عن عبد الله بن عمرو بن العاص.
(٦) في (ع): بمغانمهم.
(٧) في (ع، ظ): فجاء.
(٨) في (أبي داود، وابن حبان): كن أن تجيء به يوم القيامة فلن أقبله عنك، وفي (ابن حبان): فلن أقبله منك.
(٩) الخَلِفَة بفتح الخاء، وكسر اللام: الحامل من النوق، وتجمع على خلفات وخلائف، النهاية في غريب الحديث ٢/٦٨.

ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ ذكره علي بن سليمان[(١)] في الأربعين له.

فصل

قوله: ويرفع لكل غادر لواء يوم القيامة، دليل على أن في الآخرة للناس ألوية، فمنها ألوية خزي [١٢٠/أ] وفضيحة يعرف بها أهلها، ومنها ألوية حمد وثناء وتشريف وتكريم، قال ﷺ: «لواء الحمد بيدي»، ويروى[(٢)]: «لواء الكرم»، وقد تقدم[(٣)].

وروى الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار»[(٤)]، فعلى هذا من كان إماماً ورأساً في أمر ما معروفاً به فله لواء يعرف به خيراً كان أو شراً، وقد يجوز أن يكون للصالحين والأولياء ألوية يعرفون بها إكراماً لهم[(٥)]، والله أعلم، وإن كانوا معروفين، قال ﷺ: «رُبَّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره»، وقال: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي»، أخرجهما **مسلم**[(٦)].

وقال أبو حامد في كتاب كشف علم الآخرة[(٧)]: «وفي الحديث الصحيح أن أول ما يقضي الله تعالى فيه في الدماء، وأول ما يعطي الله أجورهم الذين ذهبت أبصارهم ينادى يوم القيامة بالمكفوفين فيقال لهم: أنتم أحرى أي أحق من ينظر إلينا، ثم يستحي الله تعالى منهم ويقول: اذهبوا [إلى][(٨)] ذات اليمين

---

(١) لعله علي بن سليمان الواعظ الشهير بالأمناكي، له كتاب مقامات العشاق، رتبه على أربعين مقامة في التفسير والحديث والوعظ، انظر: كشف الظنون ١٧٨٦/٢.

(٢) في (ع): روي.

(٣) ص(٦٠١).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٢٢٨/٢، ح٧١٢٧؛ ونحوه الديلمي في الفردوس ٢٤٦/٢، ح٣١٥٩؛ قال الهيثمي: رواه أحمد والبزار، وفي إسناده أبو الجهيم، شيخ هشيم بن بشير، لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح، انظر: المجمع ١١٩/٨.

(٥) في (ع، ظ): يعرفون به تنويهاً بهم وإكراماً لهم.

(٦) في صحيحه الحديث الأول في ٢٠٢٤/٤، ح٢٦٢٢، والثاني ٢٢٧٧/٤، ح٢٩٦٥.

(٧) ص(٩٧ ـ ١٠٣).

(٨) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، كشف علوم الآخرة).

وتعقد لهم راية وتجعل بيد شعيب ﷺ فيصير أمامهم ومعهم ملائكة النور ما لا[١] يُحصي عددهم إلا الله تعالى يزفونهم كما تزف العروس، فيمر بهم على الصراط كالبرق الخاطف وصفة أحدهم الصبر والحلم كابن عباس ومن ضاهاه من الأمة، ثم ينادي أين أهل البلاء ويريد المجذومين فيؤتى بهم ويحييهم الله بتحية طيبة بالغة، فيؤمر بهم إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية خضراء وتجعل بيد أيوب ﷺ فيصير أمامهم ذات اليمين، وصفة المبتلى صبر وحلم وعلم[٢] كعقيل بن أبي طالب ومن ضاهاه من الأمة، ثم ينادي: أين الشباب المتعففون؟ فيؤتى بهم إلى الله فيرحب بهم نحماً، ويقول: ما شاء الله أن يقول ثم يؤمر بهم ذات اليمين، وتعقد لهم راية خضراء ثم تجعل في يد يوسف ﷺ ويصير إمامهم إلى ذات اليمين، وصفة الشباب[٣] صبر وحلم وعلم كراشد بن سليمان[٤] ومن ضاهاه من الأمة، ثم يخرج النداء: أين المتحابون في الله؟ فيؤتى بهم إلى الله تعالى فيرحب بهم ويقول ما شاء الله أن يقول، ثم يأمر[٥] بهم إلى ذات اليمين، وصفة المتحاب في الله صبر وحلم وعلم[٦]، ولا يسخط ولا يسبئ من رضي الأحوال الدنيوية[٧] كأبي تراب، أعني: علي بن أبي طالب ﷺ ومن ضاهاه من الأمة، ثم يخرج النداء: أين الباكون؟ فيؤتى بهم إلى الله ﷻ فتوزن دموعهم ودم الشهداء ومداد العلماء فيرجح الدمع، فيؤمر بهم إلى ذات اليمين وتعقد لهم راية ملونة لأنهم بكوا في أنواع مختلفة، هذا بكى خوفاً، وهذا بكى ندماً، وهذا بكى طمعاً[٨]، وتجعل بيد نوح ﷺ،

(١) (لا): ليست في (ظ).
(٢) في (ع): علم وحلم، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.
(٣) في (ع، ظ): الشاب، متوافق مع مصدر المؤلف، و(ع، ظ) متوافقتان مع نسخة مصدر المؤلف.
(٤) لم أقف على من ترجم له أو ذكره.
(٥) في (الأصل): يؤمر، وما أثبته من (ع، ظ، كشف علوم الآخرة).
(٦) في (ع، كشف علوم الآخرة): علم وحلم.
(٧) في (ظ): الدنياوية.
(٨) في (ع): وهذا بكى طمعاً وهذا بكى ندماً.

فيهم العلماء بالتقدم عليهم، ويقولون: عِلْمُنا [١٢٠/ب] أبكاهم، فإذا النداء على رسلك يا نوح، فتوقف الزمرة ثم يوزن مداد العلماء فيرجح دم الشهداء فيؤمر بهم إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية مزعفرة وتجعل في يد يحيى ﷺ ثم ينطلق أمامهم فيهم العلماء بالتقديم[١] عليهم، ويقولون: عن علمنا قاتلوا، فنحن أحق بالتقدم[٢]، فيضحك لهم الجليل ﷻ ويقول لهم: أنتم عندي كأنبيائي، اشفعوا فيمن تشاؤون[٣]، فيشفع العالم في جيرانه وإخوانه، ويأمر كل واحد منهم ملكاً ينادي في الناس: ألا إن فلاناً العالم قد أمر له أن يشفع فيمن قضى له حاجةً، أو أطعمه لقمةً حين جاع أو سقاه شربةَ ماءٍ حين عطش، فليقم إليه فإنه يشفع له[٤].

وفي الصحيح[٥]: أن أول من يشفع المرسلون ثم النبيون ثم العلماء، وتعقد[٦] لهم راية بيضاء وتجعل بيد[٧] إبراهيم ﷺ فإنه أشد المرسلين مكاشفة، ثم ينادي: أين الفقراء فيؤتى بهم إلى الله ﷻ فيقول لهم[٨]: مرحباً بمن كانت الدنيا سجنهم ثم يؤمر[٩] بهم إلى ذات اليمين وتعقد لهم راية صفراء وتجعل في يد عيسى ابن مريم ﷺ ويصير أمامهم إلى[١٠] ذات اليمين، ثم ينادي أين الأغنياء؟ فيؤتى بهم إلى الله ﷻ فيعدد عليهم ما خولهم خمسمائة عام ثم يؤمر بهم إلى ذات اليمين وتعقد لهم راية ملونة وتجعل بيد سليمان ﷺ

---

(١) في (ع): بالتقدم.

(٢) في (ظ): بالتقدم عليهم، وفي (كشف علوم الآخرة): فنحن أحق منهم بالتقدم.

(٣) في (ظ): فيمن شئتم وقبل فيمن تشاؤون.

(٤) تلك الأمور التي ذكرها أبو حامد عبارة عن تفصيل لما يجري في اليوم الآخر، وهي من الغيب الذي لا يعلم إلا بالخبر الصادق عن المعصوم ﷺ، ولم أجد في شيء من كتب السنة ما يدل على ثبوتها.

(٥) هذا من كلام الغزالي في كتابه كشف علوم الآخرة ص(٩٦) ولم أقف عليه في شيء من كتب السنة فضلاً عن الصحيحة.

(٦) في (ظ): وتجعل.

(٧) في (ع): في يد.

(٨) (لهم): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.

(٩) في (ظ): يأمر.

(١٠) (إلى): ليست في (ظ).

ويصير أمامهم في ذات اليمين، وفي الحديث: [إن][(١)] أربعة يستشهد عليهم بأربعة: ينادى بالأغنياء وأهل الغبطة فيقال لهم: ما شغلكم عن عبادة الله ﷻ؟ فيقولون: أعطانا الله ملكاً وغبطة[(٢)] شغلنا عن القيام بحقه في دار الدنيا، فيقال: من أعظم ملكاً أنتم أم سليمان؟ فيقولون: بل سليمان، فيقال لهم: ما شغله ذلك عن القيام بحق الله والدأب في ذكره، ثم يقال: أين أهل البلاء؟ فيؤتى بهم أنواعاً[(٣)]، فيقال لهم: أي شيء شغلكم عن عبادة الله؟ فيقولون: ابتلانا الله في دار الدنيا بأنواع من الآفات والعاهات، شغلنا عن ذكره والقيام بحقه، فيقال لهم: من أشد بلاء؟ أنتم أم أيوب؟ فيقولون: بل أيوب، فيقول لهم: ما شغله ذلك عن حقنا والدأب لذكرنا، وينادون[(٤)] أين الشباب العطرة والمماليك؟ فيقول الشباب: أعطانا الله جمالاً وحسناً فتنا به فكنا مشغولين عن القيام بحقه، وكذلك المماليك فيقولون: شغلنا رق العبودية في الدنيا، فيقال لهم: أنتم أكثر جمالاً أم يوسف ﵇؟ فلقد كان في رق العبودية ما شغله ذلك عن القيام بحقنا والدأب[(٥)] لذكرنا، ثم ينادي أين الفقراء؟ فيؤتي بهم أنواعاً[(٦)]، فيقال لهم: ما شغلكم عن عبادة الله؟ فيقولون؟ ابتلانا الله في دار الدنيا بفقر مدقع شغلنا، فيقال لهم: من أشد فقراً أنتم[(٧)] أم عيسى ﵇؟ فيقولون: بل عيسى بن مريم، [١٢١/أ] فيقول[(٨)] لهم: ما شغله ذلك عن القيام بحقنا والدأب لذكرنا، فمن بلي بشيء من هذه الأربع فليذكر صاحبه»[(٩)].

فصل

وقوله: «هذه[(١٠)] غدرة فلان بن فلان»، دليل على أن الناس يدعون[(١١)]

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، كشف علوم الآخرة).
(٢) (وغبطة): ليست في (ظ).
(٣) في (ظ): أفواجاً.
(٤) في (ع): ثم ينادي.
(٥) في (ظ): ولا عن الدأب.
(٦) في (ظ): أفواجاً.
(٧) (أنتم): ساقطة من (ظ).
(٨) في (ع): فيقال.
(٩) هذا الحديث كسابقه فيما يأتي به الغزالي من الأمور الغيبية التي لا دليل عليها.
(١٠) (هذه): ليست في (ظ).
(١١) في (ع): يدعون في الآخرة.

بأسمائهم وأسماء آبائهم، وقد تقدم هذا في غير موضع[١]، وفي هذا رد على من قال: إنما يدعون بأسماء أمهاتهم، لأن في[٢] ذلك ستراً على آبائهم، وهذا الحديث خلاف قولهم، خرجه البخاري ومسلم[٣] وحسبك.

فصل

قوله[٤]: «فيكوى بها جنبه» الحديث، إنما خص الجنب والجبين والظهر بالكي لشهرته في الوجه وشناعته، وفي الجنب والظهر؛ لأنه آلم وأوجع، وقيل: خص الوجه لتقبطه في وجه السائل أولاً، وفي الجنب لازوراره عن السائل ثانياً، والظهر؛ لانصرافه إذا زاد[٥] في السؤال، وأكثر منه، فرتب الله هذه العقوبات في هذه الأعضاء لأجل ذلك، والله أعلم.

وقالت الصوفية: لما طلبوا المال والجاه شان الله وجوههم، ولما طووا كشحاً عن الفقير إذا جالسهم كويت جنوبهم، ولما أسندوا[٦] ظهورهم إلى أموالهم ثقة بها واعتماداً عليها كويت ظهورهم.

فصل

قوله[٧]: في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، قيل: معناه: لو حاسب فيه غير الله تعالى، وإنما هو سبحانه يفرغ منه[٨] في مقدار نصف نهار من أيام الدنيا[٩]، وقيل: قدر مواقفهم للحساب عن الحسن، وقال ابن اليمان: كل موقف منها ألف سنة، وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: والذي نفسي بيده إنه ليخفف[١٠] عن المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة،

---

(١) ص(٦٩٠).
(٢) (في): ليست في (ظ).
(٣) تقدم تخريجه ص(٦٩٠).
(٤) في (ع): وقوله.
(٥) (زاد): ساقطة من (ظ).
(٦) في (الأصل): أشدوا، وتصويبه من (ع، ظ).
(٧) في (ع، ظ): وقوله.
(٨) في (ظ): منهم.
(٩) بل أقل من ذلك لو أراده ﷻ.
(١٠) في (ع): ليخف.

وقد تقدم[١] من حديث أبي سعيد الخدري.

وذكر **ابن المبارك**[٢] قال: أخبرنا معمر عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن أبي هريرة ﷺ قال: «يقصر يومئذ على المؤمن حتى يكون كوقت الصلاة»، وفي الحديث: «لا ينتصف النهار حتى يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار»، ذكره ابن عزير[٣] في غريب القرآن له.

وبطح: «ألقي على وجهه»، قاله بعض المفسرين.

وقاله أهل اللغة: البطح: «هو البسط كيف ما كان على الوجه[٤]، ومنه سميت بطحاء مكة لانبساطها».

وبقاع قرقر: أي بموضع مستوٍ، وأصل القاع: الموضع المنخفض الذي يستقر فيه الماء، وجمعه: قيعان.

والعقصاء: الملتوية القرن.

والجلحاء: التي لا قرن لها.

والعضباء: المكسورة داخلة القرن، يريد: أنها كلها ذوات قرون صحاح معتدلة[٥]، يمكن بها النطح والطعن حتى يكون أشد لألمه وأبلغ في عذابه، والله أعلم.

---

(١) ص(٦٩٩).

(٢) في الزهد (الزوائد) ص(١٠٠)، ح٣٤٨.

(٣) في (الأصل، ع): عزيز، وفي (ظ) غير معجمة، والصحيح أنها عزير بالراء كما نص على ذلك الذهبي في ترجمته. فهو: أبو بكر محمد بن عُزير، السجستاني، المفسر، صاحب غريب القرآن، روى عنه أبو عبد الله بن بطة، توفي سنة ٣٣٣هـ. سير أعلام النبلاء ١٥/٢١٦؛ وكشف الظنون ٢/١١٤٠ وانظر: ص(٦٣).

(٤) في (ع، ظ): على الوجه أو غير الوجه.

(٥) (معتدلة): ليست في (ع، ظ).

باب منه وذكر الولاة [١٢١/ب]

ذكر الغيلاني[١] أبو طالب[٢]: أخبرنا أبو بكر الشافعي، أخبرنا محمد بن غالب قال: أخبرنا أمية بن بسطام قال: أخبرنا يزيد بن زريع قال: أخبرنا روح بن القاسم عن ابن عجلان[٣] عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة حتى يفكه[٤] الله بعدله أو يوبقه بجرمه».

وقال عمر لأبي ذر ﵄: حدثني بحديث سمعته من النبي ﷺ[٥] فقال: سمعته يقول: «يجاء بالوالي يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل إلا زال عن مكانه، فإن كان مطيعاً لله في عمله مضى فيه، وإن كان عاصياً لله انخرق[٦] به الجسر فهوى به في جهنم مقدار خمسين عاماً»[٧]، فقال عمر ﷺ: من يطلب العمل بعد هذا يا أبا ذر؟ قال: من سلت الله أنفه[٨] وألصق خده بالتراب، ذكره أبو الفرج الجوزي[٩].

وروى الأئمة[١٠] عن أبي حميد الساعدي[١١] ﷺ عن النبي ﷺ أنه

---

(١) في كتابه الفوائد (الغيلانيات) ٢/ ٨١١ _ ٨١٢، ح١١٢٠؛ ورواه باختلاف يسير الدارمي في سننه ٢/ ٣١٣، ح٢٥١٤؛ وبن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ٤٢١، ح٣٢٥٥٦؛ وأحمد في مسنده ٢/ ٤٣١، ح٩٥٧٠؛ قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد ٤/ ١٩٢ _ ١٩٣.

(٢) في (الأصل): أبي طالب، وتصويبه من (ع، ظ).

(٣) في (الأصل): عن عجلان، وفي (ع، ظ): عن أبي عجلان، وما أثبته من مصدر المؤلف.

(٤) في (الأصل): يكفه، وتصويبه من (ع، ظ، مصدر المؤلف).

(٥) في (ع، ظ): من رسول الله ﷺ.

(٦) في (الأصل): انحرف، وتصويبه من (ع، ظ، والكبائر للذهبي، والتخويف من النار لابن رجب).

(٧) أورده الذهبي في الكبائر ص(٧٦)؛ وابن رجب الحنبلي في التخويف من النار ٢/ ٥٥.

(٨) أي جدعه، الصحاح ١/ ٢٥٣.

(٩) هكذا ورد اسمه في جميع النسخ.

(١٠) في الصحيحين: البخاري ٦/ ٢٦٢٤، ح٦٧٥٣؛ ومسلم ٣/ ١٤٦٣، ح١٨٣٢.

(١١) هو عبد الرحمن بن سعد، صحابي مشهور، توفي في آخر خلافة معاوية ﷺ، الإصابة ٧/ ٩٤.

استعمل رجلاً من الأسد، يقال له ابن اللتبيَّة[١]، على الصدقة، فجاء فقال: هذا لكم، وهذا أهدي لي، فقام النبي ﷺ على المنبر[٢] فحمد الله وأثنى عليه وقال: ما بال العامل نبعثه فيجيء فيقول: هذا لكم، وهذا أهدي لي، أفلا جلس[٣] في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى إليه أم لا، لا[٤] يأتي أحد منكم[٥] بشيء من ذلك إلا جاء به يوم القيامة إن كان بعيراً فله رغاء وإن كان بقرة فلها خوار أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رأينا عُفْرَتي[٦] إبطيه، ثم قال: اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت»؟.

وروى أبو داود[٧] عن بريدة ﷺ عن النبي[٨] ﷺ قال: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول».

باب ما جاء في حوض النبي ﷺ في الموقف وسعته وكثرة أوانيه وذكر أركانه ومن عليها

ذهب صاحب القوت[٩] وغيره إلى أن حوض النبي ﷺ إنما هو بعد الصراط، والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين: أحدهما: في الموقف قبل الصراط، والثاني في الجنة[١٠]، وكلاهما يسمى كوثراً، على ما يأتي[١١]، والكوثر في كلام العرب: الخير الكثير.

---

(١) اسمه عبد الله، واللتبية أمه، انظر: فتح الباري ١٣/ ١٦٥.

(٢) (على المنبر): ليست في (ظ).

(٣) في (ع، ظ): يجلس، والأصل متوافق مع البخاري.

(٤) (لا): ساقطة من (ظ).

(٥) في (ظ): أحدكم.

(٦) العُفْرَة: بياض وليس بالبياض الناصع، النهاية ٤/ ٥٨٥.

(٧) في سننه ٣/ ١٣٤، ح١٩٤٣؛ وابن خزيمة في صحيحه ٤/ ٧٠، ح٢٣٦٩؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٦/ ٣٥٥، ح١٢٧٩٩، صححه الألباني، انظر: صحيح أبي داود ٢/ ٢٣٠، ح٢٩٤٣.

(٨) (عن النبي): ساقطة من (ظ).

(٩) يبدو أنه غير قوت القلوب لأبي طالب المكي؛ لأنه ليس فيه.

(١٠) جملة: أحدهما: في الموقف قبل الصراط، والثاني في الجنة، ساقطة من (ع، ظ).

(١١) ص(٧٠٢).

واختلف في الميزان والحوض أيهما قبل الآخر؟ فقيل: الميزان قبل، وقيل: الحوض، قال أبو الحسن القابسي: والصحيح: أن الحوض قبلُ.

قلت: والمعنى يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم كما تقدم[1]، فيقدم قبل الميزان والصراط[2]، والله أعلم.

وقال أبو حامد في كتاب كشف علم الآخرة[3]: «وحكى بعض السلف من أهل التصنيف: أن الحوض يورد بعد الصراط، وهو غلط من قائله».

قال المؤلف: هو كما قال، وقد روى **البخاري**[4] عن أبي هريرة ﷺ أن رسول [١٢٢/أ] الله ﷺ قال: «بينا أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم قد ارتدوا على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة أخرى حتى إذا عرفتهم خرج من بيني وبينهم رجل، فقال لهم: هلم، فقلت: إلى أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم فلا أراه يخلص[5] منهم إلا مثل همل النعم».

قلت: فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط؛ لأن الصراط[6] إنما هو جسر على جهنم ممدود يجاز عليه، فمن جاز عليه سلم من النار، وكذا حياض الأنبياء ﷺ تكون أيضاً في الموقف على ما يأتي[7].

وروي عن ابن عباس ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدي رب العالمين هل فيه ماء؟ قال: «إي والذي نفسي بيده إن فيه لماء، وأن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء، ويبعث الله سبعين ألف ملك بأيديهم عصي

---

(١) ص(٥٨٦).
(٢) في (ع، ظ): قبل الصراط والميزان.
(٣) ص(١١٧).
(٤) في صحيحه ٥/٢٤٠٧، ح٦٢١٥.
(٥) في (الأصل): مخلص، وتصويبه من (ع، ظ، وصحيح البخاري).
(٦) (لأن الصراط): ساقطة من (ظ).
(٧) ص(٧٠٣).

من نار يذودون الكفار عن حياض الأنبياء»[١] صلوات الله عليهم أجمعين[٢].

مسلم[٣] عن أبي ذر ﷺ قال: قلت[٤]: يا رسول الله ما آنية الحوض[٥]؟ قال: والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألا في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ، آخر ما عليه يشخب[٦] فيه ميزابان من الجنة، من شرب منها لم يظمأ[٧]، عرضه مثل[٨] طوله، ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل».

وعن ثوبان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إني لَبِعُقْرِ حوضي[٩] أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفَضَّ[١٠] عليهم، فسئل عن عرضه فقال: من مقامي إلى عمان، وسئل عن شرابه فقال: أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل، يغث فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما: من ذهب، والآخر: من وَرِق».

في غير كتاب مسلم: «يغث[١١] فيه ميزابان من الكوثر»[١٢] الحديث[١٣]. وفي أخرى: «ما يبسط أحد منكم يده إلا وقع عليه قدح»[١٤].

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢/١٢٦ وعزاه لابن مردويه.
(٢) (صلوات الله عليهم أجمعين): ليست في (ع، ظ).
(٣) في صحيحه ٤/١٧٩٨، ح٢٣٠٠.
(٤) (قلت): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.
(٥) في (ع، ظ): الجنة، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.
(٦) في (الأصل): شخب، وتصويبه من (ع، ومصدر المؤلف).
(٧) جملة: آخر ما عليه يشخب، فيه ميزابان من الجنة، من شرب منها لم يظمأ، ساقطة من (ظ).
(٨) (مثل): ساقطة من (ع).
(٩) قال الزمخشري في الفائق ٣/١٣: أعقار الحوض مآخيره، والواحد عُقْر، والمعنى: أذودهم لأجل أن يَرِدَ أهل اليمن.
(١٠) الارفضاض: التكسر والتفرق، انظر: الفائق ٣/١٣.
(١١) في (ظ): يغب، والغث: المد، انظر: الصحاح ١/٢٨٨.
(١٢) ذكره الغزالي في الإحياء ١/٩٢.
(١٣) (الحديث): ليست في (ع، ظ).
(١٤) لم أقف عليه.

مسلم(١) عن أنس(٢) ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: نزلت علي آنفاً سورة، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: يا رب إنه من أمتي، فيقال: ما تدري ما أحدثت بعدك».

وفي رواية أخرى: «ما أحدث بعدك»(٣).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء(٤)، وماؤه أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك، كيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه(٥) شربة لم يظمأ بعده أبداً»(٦) [١٢٢/ب]، أخرجه **البخاري**(٧).

وعن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن أمامكم حوضاً كما بين جربا وأذرح(٨)، فيه أباريق كنجوم السماء من ورد(٩) فشرب منه لم يظمأ بعدها أبداً»(١٠)، «قال عبيد الله فسألته، فقال: قريتين بالشام بينهما مسيرة ثلاث»، أخرجه **البخاري**(١١).

---

(١) في صحيحه ١/ ٣٠٠، ح٤٠٠.

(٢) في (ظ): عن أنس بن مالك.

(٣) ذكرها مسلم بعد الرواية السابقة.

(٤) في (ظ): سواء بسواء.

(٥) في (ع، ظ): من ورد فشرب منه، والأصل متوافق مع صحيح مسلم.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له ٤/ ١٧٩٣، ح٢٢٩٢.

(٧) في صحيحه ٥/ ٢٤٠٥، ح٦٢٠٨.

(٨) في (الأصل): أدرج، تصويبه من (ظ، ومسلم).

(٩) في (مسلم): من ورده.

(١٠) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٩٨، ح٢٢٩٩، الرواية التي بعدها ذكرها مسلم قبل هذه.

(١١) هذا الحديث لم أجده في البخاري بهذا اللفظ، وكذا الزيادة في الرواية التي عن عبيد الله.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن حوضي أبعد من أيلة من[١] عدن، لهو أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم وإني لأصد الناس [عنه][٢] كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه، قالوا: يا رسول الله أتعرفنا يومئذ؟ قال: نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم، تردون عليّ غراً محجلين من أثر الوضوء»[٣].

ابن ماجه[٤] عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إني لي حوضاً ما بين الكعبة وبيت المقدس، أبيض مثل اللبن، آنيته عدد النجوم وإني لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة».

فصل

ظن بعض الناس أن هذه التحديدات في أحاديث الحوض اضطراب اختلاف، وليس كذلك، وإنما تحدث النبي ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة، وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة مخاطباً لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها، فيقول لأهل الشام: ما بين أذرح وجربا، ولأهل اليمن: من صنعاء إلى عدن، وهكذا، وتارة أخرى يقدر[٥] بالزمان فيقول: مسيرة شهر، والمعنى المقصود أنه حوض كبير متسع الجوانب والزوايا، فكان ذلك بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهات، فخاطب[٦] كل قوم بالجهة التي يعرفونها، والله أعلم.

ولا يخطر ببالك أو يذهب وهمك إلى أن الحوض يكون على وجه هذه الأرض، وإنما يكون وجوده في الأرض المبدلة على مسافة[٧] هذه الأقطار أو

---

(١) في (ع، ظ): إلى، والأصل متوافق مع صحيح مسلم.
(٢) ما بين المعقوفتين من (ظ، مسلم).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٢١٧/١، ح٢٤٧.
(٤) في سننه ١٤٣٨/٢، ح٤٣٠١؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٣٠٩/٦، ح٣١٦٨١، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٤٢٨/٢، ح٣٤٧٠.
(٥) في (ظ): أو بأن تقدر.
(٦) في (ع): فيخاطب.
(٧) في (الأصل): مسامة، وتصويبه من (ع، ظ).

في الموضع التي يكون بدلاً من هذه المواضع إلى هذه الأرض على أرض بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم، ولم يظلم على ظهرها أحد قط، كما تقدم[١]، تطهر لنزول الجبار ﷻ لفصل القضاء.

ويغث: معناه: يصب.

يشخب: أي يسيل.

والعُقْرُ: «مؤخر الحوض حيث تقف الإبل إذا وردته، وتُسَكَّنُ قافُهُ وتضم، فتقول: عقْر، وعقُر كعُسْر[٢] وعُسُر»، قاله[٣] في الصحاح.

والهمل من النعم؟ «الضوال من الإبل، واحدها: هامل»، قاله الهروي[٤]، والمعنى أن الناجي منهم قليل كهمل النعم.

ويقال: إن على أحد أركانه أبا بكر رضي الله عنه، وعلى الثاني: عمر رضي الله عنه، وعلى الثالث[٥]: عثمان رضي الله عنه، وعلى الرابع: علياً رضي الله عنه.

قلت: هذا[٦] لا يقال من جهة الرأي، فهو مرفوع، وقد رفعه صاحب الغيلانيات[٧] من حديث حميد عن أنس رضي الله عنه قال: [قال][٨] رسول الله ﷺ: «إن على حوضي أربعة أركان، فأول ركن منها في يد أبي بكر رضي الله عنه، والركن الثاني في يد عمر رضي الله عنه، والركن الثالث: في يد عثمان رضي الله عنه، والركن الرابع: في يد علي رضي الله عنه [١٢٣/أ]، فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر، ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر، ومن أحب عثمان وأبغض علياً لم يسقه عثمان، ومن أحب علياً وأبغض عثمان لم يسقه علي» وذكر الحديث.

---

(١) ص(٥٠٦).
(٢) في (الأصل): كعشر، وتصويبه من (ع، ظ، والصحاح)، وفي الصحاح: مثل عسر.
(٣) أي الجوهري ٢/ ٧٥٥.
(٤) لم أجده في كتاب الغريبين له.
(٥) في (الأصل): الثاني، وتصويبه من (ع، ظ).
(٦) في (ع): فهذا.
(٧) في كتابه الفوائد الشهير بالغيلانيات ١/ ١٠٦، ح٦٣.
(٨) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، وكتاب الفوائد).

ذكر **أبو داود الطيالسي**(١) قال: ثنا شعبة قال: أخبرني عمرو بن مرة قال: سمعت أبا حمزة عن زيد بن أرقم ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ما أنتم بجزء من مائة ألف جزء أو سبعين جزء ممن يرد علي الحوض، وكانوا يومئذ ثمان مائة أو تسعمائة».

باب فقراء المهاجرين أول الناس وروداً الحوض على النبي ﷺ

ابن ماجه(٢) عن الصُنابح(٣) الأحمسي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا وإني فرطكم على الحوض، وإني مكاثر بكم الأمم فلا تقتلن(٤) بعدي».

وخرّج(٥) عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: «إن حوضي ما بين عدن إلى أيلة، أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، أكاويبه كعدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، وأول من يرد على حوضي(٦) فقراء المهاجرين، الدُنس ثياباً، الشُعث رؤوساً الذين لا ينكحون المنعمات، ولا تفتح لهم أبواب السدد»، قال: فبكى عمر(٧) حتى اخضلّت لحيته، فقال: «لكني نكحت المنعمات(٨) وفتحت لي أبواب السدد، لا جرم أن لا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي(٩) حتى يتسخ ولا أدهن رأسي حتى يشعث»، خرّجه

---

(١) في مسنده ص(٩٣)، ح٦٧٧؛ وبنحوه أحمد في مسنده ٤/ ٣٦٧، ح١٩٢٨٧؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ٣١٠، ح٣١٦٨٧.

(٢) في سننه ٢/ ١٣٠٠، ح٣٩٤٤؛ وابن حبان في صحيحه ١٣/ ٣٢٤، ح٥٩٨٥، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٣٥٠، ح٣١٨٧.

(٣) في (جميع النسخ): الصنابحي، والتصويب من (ابن ماجه والتقريب)، قال ابن حجر: الصنابح بضم أوله ثم النون بن الأعسر الأحمسي صحابي سكن الكوفة، ومن قال فيه الصنابحي فقد وهم، التقريب ١/ ٢٧٨، رقم ٢٩٥٣.

(٤) في (ع، ظ): تقتتلن، والأصل متوافق مع ابن ماجه.

(٥) أي ابن ماجه في سننه ٢/ ١٤٣٨، ح٤٣٠٣، قال الألباني: صحيح المرفوع منه، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٢٩، ح٣٤٧٢.

(٦) في (ع، ظ): على الحوض، وفي (ابن ماجه): وأول من يرده على فقراء المهاجرين.

(٧) وعمر هنا هو عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى كما في رواية الترمذي.

(٨) يعني ﷺ: فاطمة بنت عبد الملك. (٩) في (ظ): جسمي.

الترمذي[١] عن أبي سلام الحبشي[٢] قال: بعث إليّ عمر بن عبد العزيز فحملت على البريد[٣]، قال: فلما دخل عليه[٤] قال: يا أمير المؤمنين لقد شق مركبي البريد[٥]، فقال: يا أبا سلام ما أردت أن أشق عليك، ولكن بلغني عنك حديث تحدثه عن ثوبان عن النبي ﷺ في الحوض فأحببت أن تشافهني به، فقال أبو سلام: حدثني ثوبان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «حوضي من عدن إلى عمان البلقاء، ماؤه أشد[٦]» فذكره بمعناه أيضاً. وقال: هذا حديث غريب.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: «أول من يرد الحوض على رسول الله ﷺ الذابلون، الناحلون، السائحون، الذين إذا جنّهم الليل استقبلوه بالحزن[٧]»[٨].

باب ذكر من يطرد عن الحوض

البخاري[٩] عن النبي[١٠] ﷺ قال: «ليردن علي ناس من أصحابِ[١١] الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول: أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «يرد علي الحوض رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض فأقول [١٢٣/ب]: يا رب

---

(١) في جامعه ٤/٦٢٩، ح٢٤٤٤؛ والحاكم في مستدركه ٤/٢٠٤، ح٣٧٤، قال الألباني: صحيح المرفوع منه، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/٢٩٦، ح١٩٨٩.
(٢) ممطور أبو سلام الحبشي الأسود، حدث عن حذيفة وعلي وأبي ذر رضي الله عنهم، توفي سنة نيف ومائة، انظر: السير ٤/٣٥٥.
(٣) جملة: عن أبي سلام الحبشي قال: بعث إلي عمر بن عبد العزيز فحملت على البريد، ساقطة من (ظ).
(٤) في (ظ): أدخلت عليه.
(٥) هكذا في جميع النسخ بما فيها مصدر المصنف.
(٦) في (ظ): أشد بياضاً. (٧) في (ع): بحزن.
(٨) لم أقف على من ذكره.
(٩) في صحيحه ٥/٢٤٠٦، ح٦٢١١؛ ومسلم أيضاً في صحيحه ٤/١٨٠٠، ح٢٣٠٤.
(١٠) في (ع، ظ): عن أنس عن النبي ﷺ.
(١١) هكذا في الأصل بكسر الباء، وفي (ع، ظ): أصحابي، وفي (البخاري): أصيحابي.

أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا[١] على أدبارهم القهقرى»[٢].

مسلم[٣] عن أسماء بنت أبي بكر ﵄ قال رسول الله ﷺ: «إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم، وسيؤخذ ناس دوني فأقول: يا رب مني ومن أمتي، فيقال: أما شعرت ما عملوا بعدك، والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم».

وفي حديث أنس فيختلج العبد منهم فأقول: «يا رب أنه[٤] من أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»، وقد تقدم[٥].

وكذلك حديث البخاري[٦]: «إذا زمرة حتى إذا عرفتهم»، تقدم أيضاً.

وفي **الموطأ**[٧] وغيره[٨] من حديث أبي هريرة ﵁ قالوا: «كيف تعرف من[٩] يأتي بعدك من أمتك يا رسول الله؟ الحديث، وفيه قال: فإنهم يأتون غراً محجلين من أثر الوضوء».

فصل

قال علماؤنا[١٠] رحمة الله عليهم: وكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض، المبعدين عنه، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين، وفارق سبيلهم كالخوارج

---

(١) في (ع): إنهم قد ارتدوا.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٥/٢٤٠٧، ح٦٢١٣.
(٣) في صحيحه ٤/١٧٩٤، ح٢٢٩٣؛ والبخاري في صحيحه ٦/٢٤٣٢، ح٦٢٢٠.
(٤) (إنه): ليست في (ظ).
(٥) ص(٥٣١).
(٦) هذه الجملة: يا رب من أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، وقد تقدم وكذلك حديث البخاري، ساقطة من (ع).
(٧) ١/٢٨ ـ ٢٩، ح٥٨.
(٨) في صحيح مسلم ١/٢١٨، ح٢٤٩.
(٩) في (الأصل): ما، وتصويبه من (ع، ظ، والموطأ).
(١٠) لم أقف على القائل.

على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم[(١)] مبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وتطميس الحق، وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المُسْتَخِفُّونَ بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والبدع والأهواء[(٢)].

ثم البعد قد يكون في حال ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل[(٣)] في الأعمال ولم يكن في العقائد، وعلى هذا التقرير يكون نور الوضوء يعرفون به ثم يقال لهم: فسحقاً، وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يظهرون الإيمان ويسترون[(٤)] الكفر فيأخذهم بالظاهر ثم يكشف لهم الغطاء، فيقول: فسحقاً فسحقاً، ولا يخلد في النار إلا كافر جاحد مبطل ليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان.

وقد يقال: إن من أنفذ الله عليه وعيده من أهل الكبائر أنه وإن ورد الحوض وشرب منه فإنه [إذا][(٥)] دخل النار بمشيئة الله تعالى لا يعذب بعطش، والله أعلم.

وروى **الترمذي**[(٦)] عن كعب بن عجرة ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أعيذك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء تكون[(٧)] بعدي، فمن غشي أبوابهم فصدقهم في كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، ولا يرد علي الحوض، ومن غشي أبوابهم ولم يصدقهم في كذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه، وسيرد علي الحوض، يا كعب بن عجرة: الصلاة برهان، والصبر جُنة حصينة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، يا كعب بن عجرة: إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به»، قال

---

(١) (كلهم): ليست في (ظ).
(٢) في (ع): الأهواء والبدع.
(٣) في (الأصل): التبدل، وما أثبته من (ع، ظ).
(٤) في (ع): ويسرون.
(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٦) في جامعه ٢/ ٩٣، ح٦١٤؛ وابن حبان في صحيحه ٥/ ٩، ح١٧٢٣، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ١/ ١٨٩، ح٥٠١.
(٧) في (ع، الترمذي): يكونون.

أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب»، وخرجه[١] أيضاً في كتاب الفتن وصححه.

وخرّج الأوزاعي[٢] أبو عمرو[٣] في مسنده[٤] قال: حدثني عمرو بن سعد قال: حدثني يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «حوضي ما بين مكة [١٢٤/أ] وأيلة[٥]، أباريقه كنجوم السماء[٦]، له ميزابان من الجنة، كلما نضب أمداه، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، وسيأتيه قوم ذابلة شفاههم، لا يطعمون منه قطرة واحدة، من كذَّب به اليوم لم يصب منه الشرب يومئذ»[٧].

وخرج الترمذي الحكيم في نوادر الأصول[٨] من حديث عثمان بن مظعون ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال ـ في آخره ـ: «يا عثمان لا ترغب عن سنتي، فمن رغب عن سنتي ثم مات قبل أن يتوب ضربت الملائكة وجهه عن حوضي يوم القيامة»، وقد ذكرناه بكماله في آخر كتاب قمع الحرص بالزهد والقناعة[٩].

---

(١) أي الترمذي في جامعه ٤/٥٢٥، ح٢٢٥٩.

(٢) عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمَد، عالم أهل الشام، أبو عمرو الأوزاعي، روى عنه شعبة والثوري وابن المبارك وغيرهم، مات سنة ١٥٧هـ، السير ٧/١٠٧.

(٣) (أبو عمرو): ليست في (ظ).

(٤) ليس له مسند مطبوع فيما أعلم، وهناك كتاب بعنوان: سنن الأوزاعي أحاديث وآثار وفتاوى مطبوع، انظر: ص(٦٤).

(٥) في (ظ): ما بين أيلة إلى مكة.

(٦) في (ع، ظ): كنجوم السماء أو كعدد نجوم السماء.

(٧) أورد هذا الحديث ابن حجر في فتح الباري ١١/٤٦٨ وقال فيه: «أخرجه البيهقي ـ ولم أجده فيما وقفت عليه من كتب البيهقي ـ من طريق يزيد الرقاشي عن أنس... ويزيد ضعيف لكن يقويه ما مضى ـ يشير ابن حجر إلى أحاديث الحوض ـ ويشبه أن يكون الكلام الأخير من قول أنس».

(٨) ٤/٩.

(٩) جملة: وقد ذكرناه بكماله في آخر كتاب قمع الحرص بالزهد والقناعة، ليست في (ع)، والنص في كتاب قمع الحرص ص(٢٠٢ ـ ٢٠٣).

باب ما جاء أن لكل نبي حوضاً

الترمذي[١] عن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي حوضاً وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة»، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب، رواه قتادة عن الحسن عن سمرة، وقد رواه الأشعث بن عبد الملك عن الحسن[٢] ﷺ عن النبي ﷺ ولم يذكر فيه عن سمرة[٣]».

وقال البكري المعروف بابن الواسطي[٤]: ولكل نبي حوض[٥] إلا صالح فإن حوضه ضرع ناقته[٦].

باب ما جاء في الكوثر الذي أعطيه النبي ﷺ في الجنة

البخاري[٧] عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «بينا أسير في الجنة إذا أنا بنهر في الجنة حافتاه قباب[٨] الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طيبه أو طينه مسك أذفر»، ـ شك هدبة ـ خرّجه أبو عيسى **الترمذي**[٩] بمعناه، وزاد: «ثم رفعت لي سدرة المنتهى فرأيت عندها نوراً عظيماً». قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح».

---

(١) في جامعه ٤/٦٢٨، ح٢٤٤٣، صححه الألباني، انظر: صحيح الترمذي ٢/٢٩٥، ح١٩٨٨.
(٢) في (الترمذي): عن الحسن مرسلاً.
(٣) في (الترمذي): ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح.
(٤) لم أقف له على ترجمة أو ذكر.
(٥) في (ظ): وإن لكل نبي حوضاً.
(٦) في (ع، ظ): والله أعلم.
(٧) في صحيحه ٥/٢٤٠٦، ح٦٢١٠.
(٨) (قباب): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع البخاري.
(٩) في جامعه ٥/٤٤٩، ح٣٣٦٠، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/١٣٥، ح٢٦٧٧.

وخرجه ابن وهب قال: أخبرني شبيب عن أبان عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حين عرج بي[1] إلى السماء قال: رأيت نهراً عجاجاً مثل السهم يطرد أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، حافتاه قباب من در مجوف، فقلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا نهر الكوثر الذي أعطاكه ربك، قال: فضربت بيدي إلى حمأته فإذا هو مسك ذفرة، ثم ضربت [بيدي][2] إلى رضراضه فإذا هو در»[3].

الترمذي[4] عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر[5]، والياقوت، تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج، قال: هذا حديث حسن صحيح [١٢٤/ب][6].

○○○○○

---

(١) في (ع): به.
(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٣) لم أجد هذه الرواية.
(٤) في جامعه ٤٤٩/٥، ح٣٣٦١، صححه الألباني، انظر: صحيح جامع الترمذي ٣/ ١٣٥، ح٢٦٧٧.
(٥) في (ظ): من الدر.
(٦) هنا مكتوب في هامش الأصل (آخر الجزء الأول، يتلوه الجزء الثاني).

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلا بالله[(١)]

أبواب الميزان

باب ما جاء[(٢)] في الميزان وأنه حق

قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا[(٣)]﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦ [فهو][(٤)] فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة: ٦ ـ ٩].

وقال العلماء: إذا[(٥)] انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها، قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ الآية.

وقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝٧﴾، وأما من خفت موازينه: ﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف: ٩] الآيتين في الأعراف والمؤمنون، وهذه الآيات إخبار لوزن أعمال الكفار، لأن عامة المعنيين بقوله: ﴿خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ في هذه الآيات تهم الكفار، وقال في سورة المؤمنين ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٥]، وفي الأعراف: ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩]، وقال: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾، وهذا الوعيد بإطلاقه للكفار، وإذا جمع بينه وبين قوله: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ

---

(١) جملة: بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلا بالله، ليست في (ط)، وفي (ع) بياض يحتملها.

(٢) (جاء): ليست في (ط).

(٣) في (ع): زيادة ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ﴾.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من الأصل، والإكمال من المصحف و(ع، ط).

(٥) في (ع): وإذا.

بِنَا حَٰسِبِينَ(١)﴾ [الأنبياء: ٤٧] ثبت أن الكفار يسألون عما خالفوا فيه الحق من أصل الدين وفروعه إذا(٢) لم يسألوا عما خالفوا فيه أصل دينهم من ضروب تعاطيهم ولم يحاسبوا به ولم يعتد بها في الوزن(٣) أيضاً، فإذا كانت موزونة دل على أنهم يحاسبون بها وقت الحساب، وفي القرآن ما يدل على أنهم مخاطبون بها، مسؤولون عنها، محاسبون بها، مجزيون على الإخلال بها، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت: ٦ ـ ٧] فتوعدهم على منعهم الزكاة وأخبر عن المجرمين أنه يقال لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢] الآية، فبان بهذا أن المشركين مخاطبون بالإيمان بالبعث وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأنهم مسؤولون(٤) عنها محاسبون بها مجزيون على الإخلال بها.

وفي **البخاري**(٥) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال(٦): «ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، واقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

قال العلماء: معنى هذا(٧) الحديث أنه لا ثواب لهم وأعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم(٨) توزن في موازين القيامة، ومن لا حسنة له فهو في النار.

وقال أبو سعيد الخدري ﷺ: يؤتى بأعمال كجبال تهامة فلا تزن شيئاً(٩).

وقيل: يحتمل أن يريد(١٠) المجاز والاستعارة، كأنه قال: فلا قدر لهم عندنا يومئذ، والله أعلم.

---

(١) ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾: ليست في (ع). (٢) في (ع): إذ.
(٣) في (ع): الميزان.
(٤) في (الأصل): مسلون، وتصويبه من (ع، ظ).
(٥) في صحيحه ١٧٥٩/٤، ح٤٤٥٢. (٦) في (ظ، والبخاري): قال إنه.
(٧) (هذا): ليست في (ظ).
(٨) في (الأصل): له، وتصويبه من (ع، ظ).
(٩) روى نحوه ابن الأعرابي في كتابه الزهد وصفة الزاهدين ص(٦٩)، مرفوعاً من حديث أنس ﷺ.
(١٠) في (ع): يراد.

وفيه من الفقه ذم السمين[1] لمن تكلفه؛ لما في ذلك من تكلف المطاعم والاشتغال بها عن المكارم، بل يدل على تحريم كثرة [١٢٥/أ] الأكل الزائد على قدر الكفاية المبتغى به الترفه والسمن، وقد قال ﷺ[2]: «إن أبغض الرجال إلى الله الحَبْرُ[3] السمين»[4].

باب منه وبيان كيفية الميزان ووزن الأعمال فيه ومن قضى لأخيه حاجة

الترمذي[5] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فَيُنْشَرُ عليه تسعة وتسعون[6] سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول[7]: لا يا رب، فيقول: أفلك[8] عذر؟ فقال[9]: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة وأنه لا ظلم عليك اليوم، فَيُخْرَجُ له بطاقة فيها، أشهد أن لا إلا الله وأشهد أن محمداً عبده[10] ورسوله، فيقول: أحضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال[11]: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة

---

(١) هكذا في الأصل و(ظ)، وفي (ع): السمن، وما فيها هو المناسب للسياق.

(٢) في (ظ): رسول الله ﷺ.

(٣) كلمة تقال للرجل العالِم، انظر: غريب الحديث لابن سلام ١/ ٨٧.

(٤) رواه الطبري في تفسيره ٧/ ٢٦٧.

(٥) في جامعه ٥/ ٢٤، ح٢٦٣٩؛ وابن حبان في صحيحه ١/ ٤٦١، ح٢٢٥، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣٣٣ - ٣٣٤، ح٢١٢٧.

(٦) في (ع، الترمذي): وتسعين، فعلى ما في الأصل و(ظ) يكون الفعل مبنياً للمعلوم، وعلى ما في المصدر و(ع) يكون مبنياً للمجهول.

(٧) في (ظ): قال.

(٨) في (الأصل): ألك، وما أثبته من (ع، ظ، الترمذي).

(٩) في (ع، الترمذي): فيقول.

(١٠) (عبده): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.

(١١) في (ظ): فيقال.

في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع الله شيء»[١]. قال: «حديث حسن غريب»

وأخرجه ابن ماجه[٢] في سننه وقال بدل قوله في أول الحديث: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق[٣] يوم القيامة: «يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق» وذكر الحديث.

وقال: قال محمد بن يحيى[٤]: «البطاقة الرقعة، أهل مصر[٥] يقولون للرقعة: بطاقة[٦]».

وفي الخبر: «إذا خفت حسنات المؤمن أخرج رسول الله ﷺ بطاقة كالأنملة فيلقيها في كفة الميزان اليمنى[٧] التي فيها حسناته، فترجح الحسنات، فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي ﷺ: بأبي أنت وأمي ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك فمن أنت؟ فيقول: أنا نبيك محمد وهذه صلواتك علي التي كنت تصلي[٨] علي، قد وفيتك إياها أحوج ما تكون إليها»، ذكره القشيري في تفسيره[٩].

وذكر أبو نعيم[١٠] الحافظ[١١] بإسناده من حديث مالك بن أنس العمري عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قضى لأخيه حاجة كنت واقفاً عند ميزانه فإن رجح وإلا شفعت».

---

(١) في (ع، والترمذي): مع اسم الله شيء.
(٢) في سننه ٢/ ١٣٤٧، ح٤٣٠٠؛ والحاكم في مستدركه ١/ ٧١٠، ح١٩٣٧؛ وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٢٨، ح٣٤٦٩.
(٣) في (ع): الخلق.
(٤) لعله: محمد بن يحيى بن عمر بن لُبابة، أبو عبد الله القرطبي، شيخ المالكية في زمانه، توفي سنة ٣١٤هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٩٥.
(٥) (مصر): ساقطة من (ظ).
(٦) في (ع): البطاقة.
(٧) (اليمنى): ليست في (ع، ظ).
(٨) في (ع): تصليها.
(٩) لا يوجد في لطائف الإشارات له، ولم أقف على من ذكره من أهل العلم، ومن علامات الوضع في الحديث أن تخلو منه دواوين السنة المشهورة.
(١٠) في الحلية ٦/ ٣٥٣، وقال أبو نعيم: غريب من حديث مالك، تفرد به الغفاري.
(١١) (الحافظ): ليست في (ظ).

فصل

قال المؤلف: الميزان حق، ولا يكون في حق كل أحد؛ بدليل قوله ﷺ: فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه الحديث. وقوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ [الرحمن: ٤١] الآية. وإنما يكون لمن بقي من أهل المحشر ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً من المؤمنين، وقد يكون للكافرين على ما ذكرنا، ويأتي[١].

وقال أبو حامد[٢]: والسبعون الألف[٣] الذين يدخلون الجنة بلا حساب لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون [١٢٥/ب] صحفاً وإنما هي براءات[٤] مكتوبة[٥] لا إله إلا الله محمد رسول الله، هذه براءة فلان بن فلان قد غفر وسعد سعادة لا شقاء بعدها أبداً، فما مر عليه شيء أسر[٦] من ذلك المقام.

قلت: فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تنصب الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين[٧]، ويؤتى بأهل الصيام فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان، ويصب عليهم الأجر صباً بغير حساب»، ذكره القاضي منذر بن سعيد البلوطي رحمه الله، وخرجه **أبو نعيم**[٨] الحافظ بمعناه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «يؤتى بالشهيد يوم القيامة فينصب للحساب ويؤتى بالمتصدق فينصب للحساب، ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان فيصب لهم الأجر صباً حتى إن أهل العافية ليتمنون في

---

(١) ص(٧٨٠ ـ ٧٨١).
(٢) في كشف علوم الآخرة ص(١١٨)، ولا دليل على ما قصله.
(٣) في (ع، ظ): ألف.
(٤) في جميع النسخ: بروات، وما أثبته من مصدر المصنف.
(٥) في (ظ): مكتوبة فيه.
(٦) في (ع): أيسر.
(٧) (بالموازين): ليست في (ظ).
(٨) في الحلية ٣/٩١؛ والطبراني في الكبير ١٢/١٨٢، ح١٢٨٢٩.

الموقف أن أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله ﷻ لهم»، هذا حديث غريب من حديث[١] جابر الجعفي وقتادة وتفرد به عن قتادة عن جابر عن ابن عباس مجاعة بن الزبير.

وروى الحسين بن علي رضي الله عنهما قال: قال لي جدي ﷺ: «يا بُني عليك بالقناعة تكن أغنى[٢] الناس، وأد الفرائض تكن من أعبد الناس، يا بني إن في الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة[٣] فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان، يصب عليهم الأجر صباً، وقرأ رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. ذكره أبو الفرج ابن الجوزي[٤] في كتاب روضة المشتاق[٥].

فصل

فإن قيل: فأما وزن أعمال المؤمنين فظاهر وجهه فتقابل الحسنات بالسيئات، فتوجد حقيقة الوزن، والكافر لا يكون له حسنات فما الذي يقابل بكفره وسيئاته وأنى يتحقق في أعماله الوزن؟

فالجواب: إن هذا[٦] على وجهين:

أحدهما: أن الكافر يحضر له ميزان فيوضع كفره أو كفره وسيئاته في إحدى كفتيه[٧] ثم يقال له: هل لك[٨] من طاعة نضعها على الكفة الأخرى؟ فلا يجدها، فيشال الميزان فترتفع الكفة الفارغة وتقع الكفة المشغولة فذلك خفة ميزانه، وهذا ظاهر الآية، لأن الله تعالى وصف الميزان بالخفة لا الموزون، وإذا كان فارغاً فهو خفيف.

---

(١) (حديث): ليست في (ظ). (٢) في (ظ): من أغنى.
(٣) (يوم القيامة): ليست في (ع، ظ).
(٤) في (الأصل، ظ): أبو الفرج الجوزي، وتصويبه من (ع).
(٥) وأخرجه الطبراني في الكبير ٣/ ٩٢، ح٢٧٦٠، وانظر: ص(٦٠).
(٦) في (ظ): ذلك.
(٧) في (الأصل): كفه، وتصويبه من (ع، ظ).
(٨) (لك): ليست في (ظ).

والوجه الآخر: أن الكافر يكون منه صلة الأرحام ومواساة الناس وعتق المملوك ونحوها مما لو كانت من المسلم لكانت قربة وطاعة، فمن كانت له مثل هذه الخيرات من الكفار فإنها تجمع وتوضع في [١٢٦/أ] ميزانه غير أن الكفر إذا قابلها رجح بها ولم يخل أن[1] يكون الجانب الذي فيه الخيرات من ميزانه خفيفاً ولو لم يكن فيه إلا خير واحد أو حسنة واحدة لأحضرت ووزنت كما ذكرنا.

فإن قيل[2]: لو احتسبت خيراته حتى توزن لجوزي بها جزاء مثلها وليس له منها جزاء، لأن رسول الله ﷺ سئل عن عبد الله بن جدعان وقيل له: إنه كان يقري الضيف ويصل الرحم ويعين في النوائب، فهل ينفعه ذلك؟ فقال: «لا؛ إنه[3] لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»[4]. وسأله عدي بن حاتم عن أبيه مثل ذلك فقال: «إن أباك طلب أمراً فأدركه»[5] يعني الذكر، فدل أن[6] الخيرات من الكافر ليست بخيرات وأن وجودها وعدمها بمنزلة واحدة سواء.

والجواب: أن الله تعالى قال: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ ولم يفصل بين نفس ونفس، فخيرات الكافر توزن ويجزى بها إلا أن الله حرم عليه الجنة فجزاه[7] أن يخفف عنه بدليل حديث أبي طالب[8] فإنه قيل: يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه[9] ذلك[10]؟ فقال: «نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح»[11]، «ولولا

---

(١) في (ع): من أن.
(٢) في (ظ): فإن قيل لنا.
(٣) في (ع): لأنه.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ١/١٩٦، ح٢١٤.
(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٤/٣٧٩، ح١٩٤٠٥؛ والبيهقي في شعب الإيمان واللفظ له ١/٢٦٠.
(٦) في (ظ): على أن.
(٧) في (ظ): فجزاؤه.
(٨) ما فعله النبي ﷺ مع عمه أبي طالب كان خصوصية للنبي ﷺ، ولم يفعله غيره من الصحابة والسلف الصالح.
(٩) في (ظ): ينفعه.
(١٠) إن ما حدث لأبي طالب خصوصية للنبي ﷺ وليس أي كافر أو مشرك يعمل معروفاً في الدنيا يجازى به في الآخرة.
(١١) أخرجه مسلم في صحيحه ١/١٩٥، ح٢٠٩.

أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»[١].

وما قاله ﷺ في ابن جدعان وحاتم[٢] إنما هو في أنهما لا يدخلان الجنة ولا يتنعمان بشيء من نعيمها، والله أعلم.

فصل

وأصل ميزان موزان قلب الواو بالكسرة ما قبلها.

قال ابن فورك[٣]: وقد أنكرت المعتزلة الميزان[٤] بناء منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها؛ إذ لا تقوم بأنفسها، ومن المتكلمين من يقوله، وروي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما إن الله يقلب الأعراض أجساماً فيزنها يوم القيامة، وقد تقدم[٥] هذا المعنى.

والصحيح أن الموازين تثقل بالكتب فيها الأعمال مكتوبة، وبها يخف كما دل عليها الحديث والكتاب العزيز، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١١] وهذا نص.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: توزن صحائف الأعمال[٦].

وإذا ثبت هذا فالصحف أجسام، فيجعل الله تعالى رجحان إحدى الكفتين على الآخر دليلاً على كثرة أعماله بإدخاله الجنة أو النار[٧].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٩٤، ح٢٠٩.

(٢) في (الأصل) و(ع): عدي، وتصويبه من (ظ).

(٣) أبو بكر، محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، الأصولي، الأشعري، توفي سنة ٤٠٦هـ، السير ١٧/ ٢١٤.

(٤) وقد ذكر إنكار المعتزلة للميزان أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين ص(٤٧٣)؛ وابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/ ٥٤، وانظر: الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص(٦١١، ٦٢٤).

(٥) ص(٣٨٥ ـ ٣٨٦).

(٦) ذكره الثعالبي ٢/ ٣٥٢، وأبو السعود ٣/ ٢١٢ في التفسير من غير نسبته لابن عمر رضي الله عنهما.

(٧) قال ابن كثير في تفسيره ٢/ ٢٠٣: الذي يوضع في الميزان يوم القيامة: قيل: الأعمال وإن كانت أعراضاً إلا أن الله تعالى يقلبها يوم القيامة أجساماً، قال البغوي: يروى=

وروي عن مجاهد(١) والضحاك والأعمش(٢) أن الميزان هنا بمعنى العدل والقضاء، وذكر الوزن والميزان ضرب مثل، كما تقول هذا الكلام في وزن هذا وفي وزانه(٣): أي يعادله ويساويه وإن لم يكن هناك وزن.

قلت: وهذا القول مجاز، وليس بشيء وإن كان سائغاً في اللغة للسنة الثابتة في الميزان الحقيقي ووصفه بكفة(٤) ولسان، وإن كل كفة منها طباق

= نحو هذا عن ابن عباس كما جاء في الصحيح من أن البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، ومن ذلك في الصحيح قصة القرآن وإنه يأتي على صاحبه في صورة شاب شاحب اللون فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك، وفي حديث البراء في قصة سؤال القبر فيأتي المؤمن شاب حسن اللون طيب الريح فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح، وذكر عكسه في شأن الكافر والمنافق، وقيل: يوزن كتاب الأعمال كما جاء في حديث البطاقة في الرجل الذي يؤتى به ويوضع له في كفه تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر ثم يؤتى بتلك البطاقة فيها لا إله إلا الله فيقول: يا رب وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول الله تعالى: إنك لا تظلم، فتوضع تلك البطاقة في كفة الميزان، قال رسول الله ﷺ: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، رواه الترمذي بنحو من هذا وصححه، وقيل: يوزن صاحب العمل كما في الحديث: «يؤتى يوم القيامة بالرجل السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة ثم قرأ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً»، وفي مناقب عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: أتعجبون من دقة ساقيه؟ والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أحد، **وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار** بأن يكون ذلك كله صحيحاً فتارة توزن الأعمال وتارة توزن محالها وتارة يوزن فاعلها والله أعلم.اهـ. باختصار.

وقال ابن أبي العز بعد أن ذكر الأدلة: فثبت وزن الأعمال، والعامل، وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات، فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبر الصادق ﷺ من غير زيادة ولا نقصان.اهـ. انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٦١٣.

(١) ذكر الطبري قوله في تفسيره ٢٥/ ٢٠.

(٢) لم أقف على من ذكر قولي الضحاك والأعمش، وذكر ابن جرير هذا المعنى عن مجاهد وقتادة، انظر: تفسير ابن جرير ٢٥/ ٢٠.

(٣) في (الأصل، ظ): في رواية، تصويبه من (ع، وتفسير القرطبي ٧/ ١٠٧ فقرة رقم ١٦٥).

(٤) في (ظ): بكفتين.

السموات والأرض، وقد[1] جاء أن كفة الحسنات[2] من نور والأخرى من ظلام، فالكفة النيرة للحسنات والكفة المظلمة للسيئات، وجاء في الخبر أن الجنة توضع عن [١٢٦/ب] يمين العرش والنار عن يسار العرش ويؤتى بالميزان فينصب بين يدي الله تعالى، كفة الحسنات عن يمين العرش مقابل الجنة وكفة السيئات عن يسار العرش مقابل النار، ذكره **الترمذي الحكيم** في نوادر الأصول[3].

وروي عن سلمان الفارسي أنه قال: «توضع الموازين يوم القيامة، فلو وضعت فيهن السموات والأرض لوسعتهن، فتقول الملائكة: يا رب[4] ما هذا؟ فيقول: أزن به لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة عند ذلك: ربنا ما عبدناك حق عبادتك»[5].

وقال ابن عباس ﷺ: توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان[6].

قال علماؤنا[7]: ولو جاز حمل الميزان على ما ذكره[8] لجاز حمل الميزان على الدين الحق، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد[9] من الأحزان والأفراح، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة، وهذا كله فاسد؛ لما جاء به الصادق[10].

---

(١) في هذا الموضع إلى قوله: نوادر الأصول، تأخر في (ع، ظ) إلى ما بعد عبارة: ما عبدناك حق عبادتك.

(٢) في (ظ): الميزان.

(٣) ١/ ٨٠.

(٤) في (ع، ظ): يا ربنا.

(٥) رواه ابن المبارك في الزهد له ص(٤٧٨)، ح١٣٥٧ واللفظ له؛ ورواه الحاكم في مستدركه ٤/ ٦٢٩، ح٨٧٣٩.

(٦) ذكر قوله البيهقي في شعب الإيمان ١/ ٢٦٣.

(٧) عزاه القرطبي في تفسيره إلى القشيري، انظر: ٧/ ١٠٧، فقرة ١٦٥.

(٨) في (ع، ظ): ذكروه.

(٩) في (ظ): الأجسام.

(١٠) في (ع): لأنه رد لما جاء به الصادق، في (ظ): لأنه رد على ما جاء به الصادق.

سئل **شيخ الإسلام** ابن تيمية: عن الميزان هل هو عبارة عن العدل أم له كفتان؟=

وفي الصحيحين[1]: «فيعطى صحيفة حسناته».

وقوله: «فيخرج له بطاقة».

وذلك يدل على الميزان الحقيقي[2]، وأن الموزون صحف الأعمال كما بينا وبالله توفيقنا. ولقد أحسن من قال[3]:

تذكر يوم[4] تأتي الله فرداً ... وقد نصبت موازين القضاء

وهتكت[5] الستور عن المعاصي ... وجاء الذنب مكشوف الغطاء

فصل[6]

قال علماؤنا[7] رحمة الله عليهم: الناس في الآخرة ثلاث طبقات[8]: متقون[9] لا كبائر لهم، ومخلِّطون وهم الذين يوافون[10] بالفواحش والكبائر، والثالث: الكفار.

«فأما المتقون فإن حسناتهم توضع في الكفة النيرة وصغائرهم إن كانت لهم[11] في الكفة الأخرى فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزناً وتثقل الكفة النيرة

= فأجاب: الميزان هو ما يوزن به الأعمال، وهو غير العدل كما دل على ذلك الكتاب والسنة مثل قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾، وقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»، وهذا وأمثاله مما يبين أن الأعمال توزن بموازين يتبين بها رجحان الحسنات على السيئات، وبالعكس فهو ما به تبين العدل، والمقصود بالوزن العدل كموازين الدنيا، وأما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة كيفية سائر ما أخبرنا به من الغيب. فتاوى ابن تيمية ج٤/٣٠٢.

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري ٤/١٧٢٥، ح٤٤٠٨؛ ومسلم ٤/٢١٢٠، ح٢٧٦٨.

(٢) (الحقيقي): ليست في (ظ).

(٣) لم أقف على القائل.

(٤) في (ظ): يوماً.

(٥) في (ع): وهتك.

(٦) كلمة: (فصل): ليست في (ظ).

(٧) لم أقف على القائل.

(٨) في (ع): طباق.

(٩) في (ظ): ثلاث طبقات، طبقات متقون.

(١٠) في (ع): يؤتون.

(١١) (لهم): ليست في (ع).

حتى لا تبرح وترتفع المظلمة ارتفاع الفارغ الخالي»[١]. وأما المخلّطون فحسناتهم توضع في الكفة النيرة وسيئاتهم في الكفة المظلمة فيكون لكبائرهم ثقل، فإن كانت الحسنات أثقل ولو بصؤابة[٢] دخل الجنة، وإن كانت السيئات أثقل ولو بصؤابة دخل النار إلا أن يعفو الله، وإن تساويا كان من أصحاب الأعراف على ما يأتي[٣]، هذا إن كانت الكبائر فيما بينه وبين الله تعالى، وأما إن كانت عليه تبعات وكانت له حسنات كثيرة فإنه ينقص من ثواب حسناته بقدر جزاء السيئات لكثرة ما عليه من التبعات فيحمل عليه من أوزار من ظلمه ثم يعذب على الجميع هذا[٤] ما تقتضيه الأخبار على ما تقدم ويأتي[٥].

وقال أحمد بن حرب[٦]: «يبعث الناس يوم القيامة على ثلاث فرق، فرقة: أغنياء بالأعمال الصالحة، وفرقة: فقراء، وفرقة أغنياء ثم يصيرون فقراء مفاليس في شأن التبعات»[٧].

وقال سفيان الثوري: إنك [١٢٧/أ] أن تلقى الله بسبعين ذنباً فيما بينك وبين الله[٨] أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد[٩].

قلت: هذا[١٠] صحيح، لأن الله غني كريم، وابن آدم فقير مسكين يحتاج في ذلك اليوم إلى حسنة يدفع بها سيئة إن كانت عليه حتى يرجح ميزانه فيكثر خيره وثوابه.

---

(١) هذا نص كلام البيهقي في شعب الإيمان ١/ ٢٦٢.

(٢) في (الأصل، ع): صوابة، وفي (ظ): ضوابة، والتصويب من تفسير ابن عطية ٧/ ٦٧ الذي ذكر الحديث، قال الجوهري: الصؤابة بالهمز: بيضة القمل، والجمع الصُّؤاب، الصحاح ١/ ١٦٠.

(٣) ص(٧٣٣). (٤) في (ظ): وهذا.

(٥) تقدم ص(٦٣٩ ـ ٦٤٠) ويأتي ص(٧٩٤).

(٦) أحمد بن حرب بن فيروز، أبو عبد الله النيسابوري الزاهد، سمع من سفيان بن عيينة وطبقته، صنف كتاب: الزهد، والدعاء، والتكسب، وغيرها، توفي سنة ٢٤٣هـ، السير ١١/ ٣٢.

(٧) لم أقف على من ذكر قوله. (٨) في (ع): فيما بينك وبينه.

(٩) لم أقف على من ذكر قول سفيان. (١٠) في (ع): وهذا.

وأما الكافر فإنه يوضع كفره في الكفة المظلمة ولا توجد له حسنة توضع في الكفة الأخرى، فتبقى فارغة لفراغها وخلوها عن الخير، فيأمر الله تعالى بهم إلى النار، ويعذب كل واحد منهم بقدر أوزاره وآثامه(١).

وأما المتقون فإن صغائرهم تكفر باجتنابهم الكبائر ويؤمر بهم إلى الجنة ويثاب كل واحد منهم بقدر حسناته وطاعاته، فهذان الصنفان هم المذكوران في القرآن في آيات الوزن؛ لأن الله تعالى لم يذكر إلا من ثقلت موازينه ومن خفت موازينه وقطع لمن ثقلت موازينه بالإفلاح والعيشة الراضية، ومن خفت موازينه بالخلود في النار بعد أن وصفه بالكفر، وبقي الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، بينهم(٢) النبي ﷺ حسب ما ذكرنا.

وإنما توزن أعمال المؤمن التقي(٣) لإظهار فضله كما توزن أعمال الكافر لخزيه وذله، فإن أعماله توزن تبكيتاً له على فراغه وخلوه عن كل خير، فكذلك توزن أعمال التقي تحسيناً لحاله وإشارة [لخلوه](٤) من كل شيء، وتزييناً لأمره على رؤوس الأشهاد، وأما المخلط السيء بالصالح؛ فإن دخل النار فيخرج بالشفاعة على ما يأتي(٥).

فصل

فإن قيل: أخبر الله تعالى عن الناس أنهم محاسبون مجزيون وأخبر أنه يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين ولم يخبر عن ثواب الجن ولا عن حسابهم بشيء، فما القول في ذلك عندكم؟ وهل توزن أعمالهم؟

فالجواب: إنه قد قيل: إن الله تعالى لما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ(٦) ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنه لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم وتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون بها، انظر: مجموع الفتاوى ٣/١٤٦.

(٢) في (ع): فبينهم.

(٣) في (ع، ظ): المتقي.

(٤) ما بين المعقوفتين من (ع).

(٥) ص(٩١٣ ـ ٩١٤).

(٦) في (جميع النسخ): إن الذين، وهو خطأ، تصويبه من المصحف.

الصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢] دخل في الجملة الإنس والجن، فثبت للجن من وعد الجنة بعموم الآية ما ثبت للإنس. وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأحقاف: ١٨]، ثم قال: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٣٢]، وإنما أراد: ولكل من الجن والإنس، فقد ذكروا في الوعد والوعيد مع الإنس وأخبر تعالى أن الجن يسألون، فقال خبراً عما يقال لهم: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٠] الآية[١]. وهذا سؤال، وإذا ثبت بعض السؤال ثبت كله، وقد تقدم[٢] هذا، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ إلى قوله[٣]: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩ ـ ٣٢]، وهذا يدل صريحاً على أن [١٢٧/ب] حكمهم في الآخرة كالمؤمنين، وقال حكاية عنهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ﴾ [الجن: ١٤] الآيتين، ولما جعل النبي[٤] ﷺ زادهم[٥] كل عظم وعلف دوابهم كل روثة قال: «فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم»[٦]، فجعلهم إخواننا، وإذا كان كذلك فحكمهم حكمنا في الآخرة سواء، والله أعلم. وقد تقدمت[٧] الإشارة إلى هذا في باب ما جاء أن الله يكلم العبد ليس بينه وبينه ترجمان.

فصل

قوله[٨]: «فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله»، ليست هذه شهادة التوحيد؛ لأن من شأن الميزان أن يوضع في

---

(١) كلمة: (الآية): ليست في (ع). (٢) ص(٦٣٧).
(٣) في (ع): جاء إكمال الآيات كتابة من غير اختصار.
(٤) في (ع، ظ): رسول الله. (٥) في (ظ): أن زادهم.
(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٣٣٢، ح٤٥٠.
(٧) ص(٦٣٦).
(٨) في (ع): قوله في الحديث.

كفه[١] شيء وفي الأخرى[٢] ضده، فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة[٣]، فهذا غير مستحيل؛ لأن العبد قد يأتي بهما جميعاً[٤]، ويستحيل أن يأتي بالكفر والإيمان جميعاً عبد واحد، حتى يوضع الإيمان في كفة والكفر في كفة، فكذلك استحال أن توضع شهادة التوحيد في الميزان، وأما بعد ما آمن العبد فإن النطق منه بلا إله إلا الله حسنة توضع في الميزان، مع سائر الحسنات، قاله الترمذي الحكيم[٥] رَحِمَهُ اللهُ.

قال غيره: إن النطق بها زيادة ذكر على حسن نية وتكون طاعة مقبولة قالها على خلوة وخفية من المخلوقين فتكون له عند الله تبارك وتعالى وديعة يردها عليه في ذلك اليوم فعظم قدرها، ويحل موقعها وترجح بخطاياه وإن كثرت، وبذنوبه وإن عظمت، ولله الفضل على عباده ويتفضل على من يشاء بما شاء[٦].

قلت: ويدل على هذا قوله في الحديث فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، ولم يقل: إن لك عندنا إيماناً، وقد سئل رسول الله ﷺ عن لا إله إلا الله أمن الحسنات هي؟ فقال: «من أعظم الحسنات»، خرجه البيهقي[٧] وغيره[٨].

ويجوز أن تكون هذه الكلمة هي آخر كلامه في الدنيا كما في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله

---

(١) في (ظ): كفته. (٢) في (ع): والآخر.
(٣) من هذا الموضع إلى قوله: فكذلك استحال، ساقط من (ظ).
(٤) في (ع): أن العبد يأتي بهما جميعاً.
(٥) في (ظ): قاله الترمذي الحكيم في نوادر الأصول.
(٦) من قوله: وقال غيره: أن النطق.. إلى هذا الموضع، لا يوجد في (ع، ظ).
(٧) لم أجده فيما وقفت عليه من كتب البيهقي.
(٨) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٥/١٦٩، ح٢١٥٢٥؛ وابن أبي عاصم في الزهد ٢/٢٧؛ والطبراني في الدعاء ص(٤٣٩)، ح١٤٩٩؛ قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله ثقات، إلا شمر بن عطية حدث عن أشياخه عن أبي ذر ولم يسم أحداً منهم، مجمع الزوائد ١٠/٨١.

وجبت له الجنة»، رواه صالح بن أبي غريب عن كثير بن مرة عن معاذ، وقد تقدم أول الكتاب[١].

وقد قيل: إنه[٢] يجوز حمل هذه الشهادة على الشهادة التي هي الإيمان ويكون ذلك في كل مؤمن، وكل مؤمن ترجح حسناته ويوزن إيمانه كما توزن سائر[٣] حسناته، وإيمانه يرجح بسيئاته كما في هذا الحديث ويدخله النار بعد ذلك فيطهره من ذنوبه، ويدخله الجنة بعد ذلك. وهذا مذهب قوم يقولون إن كل مؤمن يعطى كتابه بيمينه، وكل مؤمن يثقل ميزانه ويتأولون قوله تعالى[٤]: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨]، أي الناجون من الخلود، وفي قوله: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾ يوماً ما، وكذلك في قول النبي ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا [١٢٨/أ] الله وجبت له الجنة»[٥]، أنه صائر إليها لا[٦] محالة أصابه قبل ذلك ما أصابه.

قلت: هذا تأويل فيه نظر، يحتاج إلى دليل من خارج ينص عليه، والذي يدل[٧] عليه الآي والأخبار إن من ثقل ميزانه فقد نجا وسلم، وبالجنة أيقن، وعلم أنه لا[٨] يدخل النار بعد ذلك والله أعلم.

وقال ﷺ ما شيء يوضع في الميزان أثقل من خلق حسن، خرجه **الترمذي**[٩] عن أبي الدرداء وقال[١٠]: حديث حسن صحيح، وقد تقدم[١١] من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قوله ﷺ: «ورأيت رجلاً من أمتي قد خف ميزانه

---

(١) ص(١٧٨).
(٢) (إنه): ليست في (ع، ظ).
(٣) (سائر): ليست في (ع، ظ).
(٤) في (ع، ظ): قول الله تعالى.
(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ٢٣٣، ح٢٢٠٨٧؛ والطبراني في الكبير ٦/ ٧٤، ح٥٥٥٥؛ قال الهيثمي: رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد ١/ ٨١.
(٦) في (ع): بلا.
(٧) في (ع): تدل.
(٨) في (الأصل): لا أنه، والتصويب من (ع، ظ).
(٩) في جامعه ٤/ ٣٦٣، ح٢٠٠٣؛ وأبو داود في سننه ٤/ ٢٥٣، ح٤٧٩٩، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ١٩٤، ح١٦٢٩.
(١٠) في (ع): وقال فيه.
(١١) ص(٥٩٣).

فجاء أفراطه فثقلوا ميزانه»، وكذلك الأعمال الصالحة إن شاء الله، دليله[١] على فضل الصلاة على النبي ﷺ وذكر القشيري في التحبير له: «يحكى عن بعضهم أنه قال: رأيت بعضهم في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: وزنت حسناتي فرجحت السيئات على الحسنات، فجاء صرة من السماء وسقطت في كفة الحسنات فرجحت فحللت الصرة فإذا فيها كف تراب ألقيته في قبر مسلم».

وذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب جامع بيان العلم[٢] بإسناده عن حماد بن زيد عن أبي حنيفة عن حماد بن[٣] إبراهيم في قوله ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قال: يجاء بعمل الرجل فيوضع في كفة ميزانه [يوم القيامة فيخف، فيجاء بشيء أمثال الغمام أو قال مثل السحاب فيوضع في ميزانه][٤] فيرجح فيقال له: أتدري ما هذا؟ فيقول: لا، فيقولون[٥] له: هذا فضل العلم الذي كنت تعلمه[٦] الناس أو نحو هذا.

باب منه

الترمذي[٧] عن عائشة ﵂ أن رجلاً قعد بين يدي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن لي مملوكين يكذبونني، ويخونونني، ويعصونني، وأشتمهم، وأضربهم، فكيف أنا منهم؟ قال: «بحسب[٨] ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل»، قال: فتنحى الرجل فجعل يبكي

(١) هكذا في الأصل و(ع)، في (ظ): دليل.
(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٤٦.
(٣) في (ع، ظ): عن إبراهيم، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، ومصدر المؤلف).
(٥) في (ع، ومصدر المؤلف): فيقال. (٦) في (ظ): تعلم.
(٧) في جامعه ٥/ ٣٢٠، ح٣١٦٥، قال الألباني: صحيح الإسناد، انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/ ٧٧، ح٢٥٣١.
(٨) في (الترمذي): يحسب، وفي (ظ): تحسب، وفي (ع) غير معجمة.

ويهتف، فقال رسول الله ﷺ: أما تقرأ كتاب الله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ الآية، فقال الرجل: والله يا رسول الله ما أجدني[١] ولهؤلاء خيراً من مفارقتهم[٢]، أشهدك أنهم أحرار كلهم، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن غزوان. وقد روى أحمد بن حنبل[٣] عن عبد الرحمن بن غزوان[٤] هذا الحديث.

وعن وهب بن منبه في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قال: إنما يوزن من الأعمال خواتيمها، وإذا أراد الله بعبد خيراً ختم له بخير، وإذا أراد الله به شراً[٥] [١٢٨/ب] ختم له بشر عمله، ذكره **أبو نعيم**[٦].

قال المؤلف: هذا صحيح، يدل عليه قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالخواتيم»[٧].

باب منه وذكر أصحاب الأعراف

ذكر خيثمة[٨] بن سليمان في مسنده[٩] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «توضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات،

(١) في (الأصل): ما أجدك، وتصويبه من (ع، ظ، الترمذي).
(٢) في (ظ، الترمذي): ولهؤلاء شيئاً خيراً من مفارقتهم.
(٣) في مسنده ٦/ ٢٨٠، ح٢٦٤٤٤، وليس في سنده عبد الرحمن بن غزوان؛ قال الهيثمي: رواه الترمذي وأحمد وفي إسنادهما الصحابي الذي لم يسم راوٍ، وبقية رجالهما رجال الصحيح، مجمع الزوائد ١٠/ ٣٥٢.
(٤) (وقد روى أحمد بن حنبل عن عبد الرحمن بن غزوان): ليست في (ظ).
(٥) في (الأصل، ظ): وإذا أراد الله فيه بشر، وما أثبته من (ع، ومصدر المصنف).
(٦) في الحلية ٤/ ٣٣.
(٧) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٢٤٣٦، ح٦٢٣٣؛ وأحمد في مسنده واللفظ له ٥/ ٣٣٥، ح٢٢٨٨٦.
(٨) في (الأصل): أبو خيثمة، والتصويب من (ع، ظ، وسير أعلام النبلاء)، وهو: خيثمة بن سليمان بن حيدرة، القرشي، الشامي، الأطرابلسي، أبو الحسن، مصنف فضائل الصحابة، توفي سنة ٣٤٣هـ، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤١٢.
(٩) في (سبل السلام للصنعاني ٤/ ٢٢٥): في فوائده.

فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صؤابة[1] دخل لجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صؤابة دخل النار، قيل: يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته؟ قال: أولئك أصحاب الأعراف ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾» [الأعراف: ٤٦].

وذكر **ابن المبارك**[2] قال: أخبرنا أبو بكر الهذلي عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار، ثم قرأ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف: ٨ ـ ٩]، ثم قال: إن الميزان يخف بمثقال حبة أو يرجح، قال: ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف وذكر الحديث.

وقال كعب الأحبار[3]: «إن الرجلين كانا صديقين في الدنيا فيمر أحدهما بصاحبه وهو يجر إلى النار، فيقول له أخوه: والله ما بقي لي إلا حسنة أنجو بها، خذها أنت يا أخي فتنجوا بها مما أرى وأبقى أنا وإياك من أصحاب الأعراف، قال: فيأمر الله بهما جميعاً فيدخلان الجنة».

وذكر أبو حامد في كتاب كشف علم الآخرة[4]: «أنه يؤتى برجل يوم القيامة فما يجد حسنة يرجح بها ميزانه، وقد اعتدلت بالسوية، فيقول الله تعالى[5] رحمة منه: اذهب في الناس فالتمس من يعطيك حسنة أدخلك بها الجنة، فيصير يجوس خلال العالمين[6]، فما يجد أحداً يكلمه في ذلك الأمر إلا يقول له: خِفْتُ أن يخف ميزاني فأنا أحوج إليك منك إليها، فييأس[7]،

---

(١) في (جميع النسخ): صوابة، وقد تقدم شرح الكلمة وتصويبها ص(٧٢٦).
(٢) في الزهد له ص(١٢٣ ـ ١٢٤)، ح٤١١؛ والطبري في تفسيره ٨/ ١٩٠ ـ ١٩١.
(٣) لم أقف على من ذكر قوله.
(٤) ص (١٠٧ ـ ١٠٩).
(٥) في (ع): فيقول الله تعالى له.
(٦) في (ع): الناس.
(٧) هكذا بالأصل، ولعله: ييأس.

فيقول له رجل: ما الذي تطلب؟ فيقول: حسنة واحدة فلقد مررت بقوم لهم منها آلاف، فبخلوا علي، فيقول له الرجل: لقد لقيت الله تعالى فما وجدت في صحيفتي إلا حسنة واحدة وما أظنها تغني[١] عني شيئاً، خذها هبة مني إليك، فينطلق بها فرحاً مسروراً، فيقول المَلِكُ[٢] له: ما بالك؟ وهو أعلم، فيقول: يا رب أنفق من أمري كيت وكيت[٣]، ثم ينادي [١٢٩/أ] سبحانه بصاحبه الذي وهبه الحسنة فيقول له سبحانه: كرمي أوسع من كرمك، خذ بيد أخيك وانطلقا إلى الجنة، وكذا تسوى كفتا الميزان لرجل، فيقول الله تعالى له: لست من أهل الجنة ولا من أهل النار، فيأتي المَلك بصحيفته فيضعها في كفة الميزان فيه مكتوب «أفٍ» فترجح على الحسنات؛ لأنها كلمة عقوق ترجح بها جبال الدنيا، فيؤمر به إلى النار، قال: فيطلب الرجل أن يرده الله تعالى، فيقول: ردوه، فيقول له: أيها العبد العاق: لأي شيء تطلب الرد إليَّ؟ فيقول: إلهي رأيت أني سائر إلى النار، وإذ لا بد لي منها وكنت عاقاً لأبي وهو سائر إلى النار مثلي، فضعِّف علي به عذابي وأنقذه منها، قال: فيضحك الله تعالى ويقول: عققته في الدنيا وبررته في الآخرة، خذ بيد أبيك وانطلقا إلى الجنة»[٤].

فصل

ذكر الله تعالى الميزان في كتابه بلفظ الجمع وجاءت السنة بلفظ الإفراد والجمع، فقيل: يجوز أن يكون هناك موازين للعامل الواحد، يوزن بكل

---

(١) في (ظ): أغنت.

(٢) في (ع، كشف علوم الآخرة): فيقول الله.

(٣) في (كشف علوم الآخرة): كان من أمري كذا وكذا.

(٤) ما أورده المصنف من نصوص يفهم منها أن بعض الأشخاص يعملون أعمالاً بعد البعث والنشور ووقت الحساب يجزيهم بها الله تعالى الجنة، خلاف المعلوم من أحوال الآخرة، فالآخرة ليست دار تكليف وإنما هي دار جزاء وحساب، وإنما تنفع الأعمال الصالحة من بر ونحوه في دار الدنيا.

ميزان منها صنف من أعماله كما قال مالك[(١)]:

تقوم الحادثات بعدله ... فكل[(٢)] حادثة لها ميزان
تنصرف الأشياء في ملكوته ... فلكل شيء مدة وأوان

ويمكن أن يكون ميزاناً واحداً عبر عنه بلفظ الجمع، كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الشعراء: ١٢٣] [﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥]][(٣)]، وإنما هو رسول واحد.

وقيل: أراد بالموازين: جمع موزون، أي الأعمال الموزونة لا جمع ميزان.

وخرّج اللالكائي في سننه[(٤)] عن أنس ﷺ رفعه: «أن ملكاً موكل بالميزان، فيؤتى بابن آدم فيوقف بين كفتي[(٥)] الميزان، فإن رجح نادى الملك بصوت يُسْمِعُ الخلائقَ كلها: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خف[(٦)] نادى الملك: شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً[(٧)]»[(٨)].

وخرّج عن حذيفة قال: «صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام»[(٩)].

فصل

وأما أصحاب الأعراف فيقال: إنهم مساكين أهل الجنة.

---

(١) لم أقف عليه.
(٢) في (ع، ظ): فلكل.
(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٤) لا يوجد في شرح أصول اعتقاد أهل السنة له.
(٥) في (ع، ظ): يدي.
(٦) في (ع): خفت.
(٧) (وإن خف نادى الملك: شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً): ليست في (ظ).
(٨) قال الهيثمي: رواه البزار وفيه صالح المري، وهو مجمع على تضعيفه، مجمع الزوائد ١٠/ ٣٥٠.
(٩) لم أجده في شرح أصول اعتقاد أهل السنة له، ذكره ابن حجر في: فتح الباري ١١/ ٣٩٧، وعزاه لابن أبي الدنيا.

ذكر هناد بن السري[١] قال: حدثنا وكيع عن سفيان عن مجاهد عن حبيب عن عبد الله بن الحارث قال: «أصحاب الأعراف ينتهى بهم إلى نهر يقال له الحياة، حافتاه قصب الذهب، قال: أراه مكلل باللؤلؤ، فيغتسلون منه اغتسالة، فيبدو في نحورهم شامة بيضاء، ثم يعودون فيغتسلون، كلما اغتسلوا زادت بياضاً، فقال لهم: تمنوا فيتمنون ما شاؤوا. قال: فيقال لهم: لكم ما تمنيتم وسبعين ضعفاً، قالوا[٢]: فهم مساكين أهل الجنة».

في رواية[٣]: «فإذا دخلوا الجنة وفي [١٢٩/ب] نحورهم تلك الشامة البيضاء فيعرفون بها. قال: فهم يسمون في الجنة مساكين أهل الجنة».

واختلف العلماء في تعيينهم على اثني عشر قولاً:

الأولى: ما تقدم ذكره في الحديث، وهو قول ابن مسعود وكعب الأحبار كما ذكرنا، وذكره ابن وهب عن بن عباس.

الثاني: قوم صالحون فقهاء علماء، قاله مجاهد[٤].

الثالث: هم الشهداء، ذكره المهدوي[٥].

الرابع: هم فضلاء المؤمنين والشهداء فرغوا من شغل أنفسهم وتفرغوا لمطالعة أحوال الناس، ذكره أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري[٦].

الخامس: المستشهدون[٧] في سبيل الله الذين خرجوا عصاة لآبائهم، قاله شرحبيل بن سعد[٨]، وذكر الطبري[٩] في ذلك حديثاً عن النبي ﷺ وأنه تعادل عقوقهم واستشهادهم.

---

(١) في الزهد له ١/ ١٥٠، ح١٩٨؛ وابن المبارك في زهده ص(٤٨٢)، ح١٣٦٨؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٤٠، ح٣٤٠٤١.

(٢) في (ع): قال.

(٣) رواها هناد في زهده ١/ ١٥١، ح٢٠٠.

(٤) ذكره الطبري في تفسيره ٨/ ١٩٣؛ وابن عطية في تفسيره ٧/ ٦٧.

(٥) ذكره ابن عطية في تفسيره ٧/ ٦٧.

(٦) في تفسيره لطائف الإشارات ٢/ ٢٣٢.

(٧) في (ظ): هم المستشهدون.

(٨) ذكره ابن عطية في تفسيره ٧/ ٦٧.

(٩) في تفسيره ٨/ ١٩٢.

السادس: هم العباس وحمزة وعلي بن أبي طالب وجعفر ذو الجناحين ﷺ يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه[(١)]، ذكره الثعلبي عن ابن عباس ﷺ.

السابع: هم عدول القيامة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم، وهم في كل أمة، ذكره الزهراوي[(٢)] واختاره النحاس[(٣)].

الثامن: هم قوم أنبياء، قاله الزجاج[(٤)].

التاسع: هم قوم كانت لهم صغائر، لم تكفر عنهم بالآلام والمصائب في الدنيا وليست لهم كبائر فيحبسون عن الجنة لينالهم بذلك غم، فيقع في مقابلة صغائرهم، حكاه ابن عطية[(٥)] في تفسيره[(٦)].

العاشر: ذكر[(٧)] ابن وهب عن ابن عباس ﷺ قال: أصحاب الأعراف الذين ذكر الله في القرآن أصحاب الذنوب العظام من أهل القبلة[(٨)].

وذكر[(٩)] **ابن المبارك**[(١٠)] قال: ثنا جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ﷺ قال: أصحاب الأعراف رجال كانت لهم ذنوب عظام وكان جسيم أمرهم لله[(١١)]، فأقيموا ذلك المقام، إذا نظروا إلى أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه، قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٧]، وإذا نظروا إلى أهل الجنة عرفوهم ببياض الوجوه.

---

(١) هذا القول تفسير يخدم معتقد الشيعة.

(٢) محدِّث الأندلس مع ابن عبد البر، عمر بن عبيد الله بن يوسف الذهلي، القرطبي، الزهراوي، أبو حفص، توفي سنة ٤٥٤هـ، السير ١٨/ ٢١٩، وذكر قوله ابن عطية في تفسيره ٧/ ٦٧.

(٣) لم أقف على اختيار النحاس في معاني القرآن له.

(٤) ذكره في معاني القرآن له ٢/ ٣٤٣، تحقيق د. عادل شلبي، عالم الكتب بيروت.

(٥) في (ع، ظ): ابن عطية القاضي أبو محمد.

(٦) ٧/ ٦٧.

(٧) في (ع، ظ): ذكره.

(٨) ذكره الطبري في تفسيره ٨/ ١٩٥.

(٩) في (ع، ظ): وذكره.

(١٠) في الزهد (الزوائد) ص(١٢٠)، ح٤٠٢؛ والطبري بسنده في تفسيره ٨/ ١٩٥.

(١١) وذلك بقتلهم فيه ﷺ.

وقال ابن عباس[١] ﷺ: أدخل أصحاب الأعراف الجنة.

وفي رواية سعيد بن جبير عن عبد الله بن مسعود ﷺ: وكانوا آخر أهل الجنة دخولاً الجنة[٢].

قال ابن عطية[٣]: «وتمنى سالم مولى أبي حذيفة أن يكون من أصحاب الأعراف؛ لأن مذهبه أنهم مذنبون».

الحادي عشر: أنهم أولاد الزنا، ذكره القشيري أبو نصر عن ابن عباس ﷺ.

الثاني عشر: هم ملائكة موكلون بهذا السور يميزون الكافرين من المؤمنين قبل إدخالهم الجنة والنار، قاله أبو مجلز لاحق بن حميد[٤]، فقيل له: لا يقال للملائكة رجال، فقال: إنهم ذكور وليسوا بإناث فلا يبعد [١٣٠/أ] إيقاع لفظ الرجال عليهم كما وقع على الجن في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾[٥].

والأعراف: سور بين الجنة والنار، قيل: هو جبل أحد يوضع هناك، روي عن النبي ﷺ من طريق أنس وغيره فيما[٦] ذكره ابن عبد البر[٧] وغيره حسب ما ذكرناه في كتاب جامع أحكام القرآن[٨] من سورة الأعراف[٩].

حكاية عن[١٠] بعض الصالحين أنه قال: أخذتني ذات ليلة سنة، فنمت،

---

(١) ذكره الطبري قوله في تفسيره ٨/ ١٩٨. (٢) انظر: تفسير الطبري ٨/ ١٩٤.

(٣) في تفسيره المحرر الوجيز ٧/ ٧١. (٤) ذكره الطبري في تفسيره ٨/ ١٩٢.

(٥) قال أبو جعفر الطبري في تفسيره ٨/ ١٩٤: والصواب من القول في أصحاب الأعراف أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فيهم: هم رجال يعرفون كلاً من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم ولا خبر عن رسول الله يصح سنده ولا أنه متفق على تأويلها ولا إجماع من الأمة على أنهم ملائكة. فإذا كان ذلك كذلك وكان ذلك لا يدرك قياساً وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أن الرجال اسم يجمع ذكور بني آدم دون إناثهم ودون سائر الخلق غيرهم كان بيناً أن ما قاله أبو مجلز من أنهم ملائكة قول لا معنى له.

(٦) (فيما): ليست في (ع، ظ). (٧) في التمهيد ٢٢/ ٣٣٠.

(٨) ٧/ ١٣٦، فقرة ٢١٣.

(٩) في (ع، ظ): من سورة الأعراف والحمد لله.

(١٠) في (ظ): حكاية روي عن.

فرأيت في منامي كأن القيامة قد قامت، وكأن الناس يحاسبون، فقوم يُمضى بهم إلى الجنة، وقوم يمضى بهم إلى النار، قال: فأتيت إلى الجنة فناديت: يا أهل الجنة بماذا نلتم سكنى الجنان في محل الرضوان؟ فقالوا لي: بطاعة الرحمن ومخالفة الشيطان، ثم أتيت إلى باب النار فناديت: يا أهل النار بماذا نلتم النار؟ قالوا: بطاعة الشيطان ومخالفة الرحمن، قال: فنظرت فإذا قوم موقوفون بين الجنة والنار فقلت لهم: ما بالكم[1] موقوفون بين الجنة والنار، فقالوا لي: لنا ذنوب جَلّتْ وحسنات قلّتْ، فالسيئات تمنعنا من دخول الجنة والحسنات تمنعنا دخول النار. وأنشدوا[2]:

نحن قوم لنا ذنوب كبار ... منعتنا من الوصول إليه
تركتنا مذبذبين حيارى ... مسكتنا من القدوم عليه

باب إذا كان يوم القيامة تتبع كل أمة ما كانت تعبد فإذا بقي في هذه الأمة منافقوها امتحنوا وضرب الصراط

الترمذي[3] عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد، ثم يطلع عليهم رب العالمين[4] فيقول: ألا ليتبع كل إنسان ما كان يعبد، فيمثل لصاحب الصليب صليبه، ولصاحب التصاوير تصاويره، ولصاحب النار ناره، فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقى المسلمون..»، وذكر الحديث بطوله.

وخرّج **مسلم**[5] عنه أنا ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارُّون في القمر ليلة البدر؟

(١) في (ع): ما لكم. (٢) لم أقف على القائل.
(٣) في جامعه ٤/٦٩٣، ح٢٥٥٧؛ وأحمد في مسنده ٢/٣٦٨، ح٨٨٠٣، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/٣١٦ ـ ٣١٧، ح٢٠٧٢.
(٤) في (ظ): العرش.
(٥) في صحيحه ١/١٦٤ ـ ١٦٥، ح١٨٢؛ والبخاري في صحيحه ١/٢٧٧ ـ ٢٧٨، ح٧٧٣.

قالوا: لا يا رسول الله، قال[١]: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب، قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت[٢]، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم [١٣٠/ب] الله في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بعمله، ومنهم المجازى حتى يُنَجَّا»، وذكر الحديث وسيأتي[٣].

فصل

ذكر الفقيه أبو بكر بن برَّجان في كتاب الإرشاد بعد قوله: ويلهم رؤوس المحشر لطلب من يشفع لهم ويريحهم مما هم فيه، وهم رؤساء أتباع الرسل فيكون[٤] ذلك، ثم يؤمر آدم ﷺ بأن يخرج بعث النار من ذريته، وهم سبعة أصناف، البعثان الأولان يلتقطهم عنق النار من بين الخلائق[٥] لقط الحمام حب[٦] السمسم، وهم أهل الكفر بالله جحداً وعتواً وأهل الكفر بالله إعراضاً وجهلاً، ثم يقال لهم[٧]: أين ما كنتم تعبدون من دون الله؟ لتتبع كل أمة ما

(١) (هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال): ساقطة من (ع).
(٢) (الطواغيت): ساقطة من (ظ).
(٣) ص(٩٧٣).
(٤) في (الأصل): فيأبون، والتصويب من (ع، ظ).
(٥) (من بين الخلائق): ليست في (ع).
(٦) في (ظ): كحب.
(٧) في (ع): ثم يقال لأهل الجمع.

كانت تعبد، فمن كان يعبد من دون الله شيئاً اتبعه، حتى يقذف في جهنم[١]. قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يونس: ٣٠]، فقال: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الشعراء: ٩٤ ـ ٩٥].

قال رسول الله ﷺ: «تمد الأرض مد الأديم يوم القيامة لعظمة الله ﷻ ثم[٢] لا يكون لبشر من بني آدم فيها إلا موضع قدميه ثم أدعى أنا أول الناس فأخر ساجداً ثم يؤذن لي فأقول: يا رب خبرني هذا جبريل ﷺ وهو عن يمين الرحمن[٣] تبارك وتعالى، أنك أرسلته إليّ وجبريل ساكت لا يتكلم حتى يقول الله ﷻ صدق، ثم يؤذن لي في الشفاعة فأقول يا رب عبادك عبدوك في أقطار الأرض فذلك المقام المحمود»[٤]، ثم يبعث البعث الرابع وهم قوم وحدوا الله وكذبوا المرسلين جهلوا صفات الله ﷻ وردوا عليه كتبه ورسله، ثم يبعث البعث الخامس والسادس وهم أهل الكتابين يأتون بهم[٥] عطاشاً يقال لهم: ما لكم ما تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيقال لهم: ألا تردون فيسار بهم إلى جهنم، كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيردونها سقوطاً فيها ثم تقع المحنة بالمنافقين والمؤمنين في معرفة ربهم وتمييزه من المعبودات من دونه فيذهب الله المنافقين ويثبت المؤمنين، ثم ينصب الصراط مجازاً[٦] على متن جهنم أعاذنا الله منها أرق من الشعر[٧] وأحدّ من الموسى كما وصفه [١٣١/أ] رسول الله ﷺ فيسقط أهل البدع في الباب السادس منه أو الخامس، وأهل الكتاب[٨] في السابع أو السادس، وإنما يسقط الساقط بعد ما يعجز عمله

---

(١) في (ع): به في جهنم.
(٢) (ثم): ليست في (ظ).
(٣) في (ع): العرش.
(٤) إلى هذا الموضع أخرجه الحاكم في مستدركه ٦١٤/٤، ح٨٧٠٠؛ والحارث في مسنده ١٠٠٨/٢، ح١١٣١.
(٥) في (ع): يأتون ربهم.
(٦) في (ع): مجازة، والمراد بقوله: مجازاً، أي معبراً.
(٧) في (ظ): أدق من الشعرة.
(٨) في (ع): الكتابين.

ويخلص المؤمنين[١] على درجاتهم في تفاوتهم في التجاوز[٢] ويحبسون على قنطرة بين الجنة والنار يتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا صُفُّوا وهُذبوا أدخلوا الجنة، ومن ذلك المقام يوقف أصحاب الأعراف.

قال المؤلف: هكذا[٣] ذكر[٤] هذا الترتيب وهو ترتيب حسن، وسيأتي[٥] له مزيد بيان والحمد لله تعالى[٦].

فصل

قوله: لا تضارون، يروى بضم التاء وفتحها وتشديد الراء وتخفيفها، وضم التاء وتشديد الراء أكثر، وأصله: تضاررون[٧]: أسكنت الراء الأولى وأدغمت في الثانية، وماضيه: ضورر[٨] على ما لم يسم فاعله، ويجوز أن يكون مبنياً للفاعل بمعنى تضاررون[٩] بكسر الراء إلا أنها سكنت الراء وأدغمت وكله من الضر المشدد، وأما التخفيف فهو من ضاره يضيره ويضوره مخففاً.

والمعنى: أن أهل الجنة إذا امتن الله تعالى عليهم برؤيته ﷻ تجلى لهم ظاهراً بحيث لا يحجب بعضهم بعضاً، ولا يضره ولا يزاحمه ولا يجادله كما يفعل عند رؤية الهلال[١٠] بل كالحال عند رؤية الشمس والقمر ليلة تمامه.

وقد روي: تضامون من المضامة، وهي الازدحام أيضاً: أي لا تزدحمون عند رؤيته تعالى كما تزدحمون عند رؤية الأهلة، وروي تضامون بتخفيف الميم من الضيم الذي هو الذل أي لا يذل بعضكم[١١] بعضاً بالمزاحمة والمنافسة والمنازعة، وسيأتي[١٢] هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ في أبواب الجنة إن شاء الله تعالى.

---

(١) في (ع): المؤمنون.
(٢) في (ظ): النجاة.
(٣) في (الأصل): هذا، وتصويبه من (ع، ظ).
(٤) أي ابن برجان.
(٥) ص(٧٣٣).
(٦) في (ع): سيأتي له مزيد بيان إن شاء الله تعالى.
(٧) في (ع): تضارون.
(٨) في (ع): ضور.
(٩) في (ع): تضارون.
(١٠) في (ظ): الأهلة.
(١١) في (ع): بعضهم.
(١٢) ص(٧٤٢).

وقوله: «فإنكم ترونه كذلك»، هذا تشبيه للرؤية وبحالة الرائي لا المرئي لأن الله سبحانه لا يحاط به وليس كمثله شيء، ولا يشبهه شيء.

وقوله: «فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون»، هذا موضع الامتحان لتمييز[1] المحق من المبطل، «وذلك أنه لما بقي المنافقون والمراؤون متلبسين[2] بالمؤمنين والمخلصين زاعمين[3] أنهم منهم وأنهم عملوا مثل أعمالهم وعرفوا الله مثل معرفتهم امتحنهم الله[4] بأن أتاهم بصورة قال[5] للجميع: أنا ربكم، فأجاب المؤمنون بإنكار ذلك، والتعوذ منه لما سبق لهم من معرفتهم بالله ﷻ في ديار الدنيا[6]، وأنه منزه عن صفات هذه الصورة، إذ سماتها سمات المحدثات، ولهذا قال في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً، مرتين أو ثلاثاً، حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب»[7].

قال بعض علمائنا[8]: «وهذا[9] لم يكن له رسوخ العلماء، ولعلهم[10] الذين اعتقدوا الحق وجزموا عليه[11] من غير تبصرة، ولذلك كان اعتقادهم قابلاً للانقلاب[12]»، والله أعلم.

قلت: ويحتمل أن يكون[13] المنافقون [١٣١/ب] والمراءون، وهو أشبه والله أعلم؛ لأن في الامتحان الثاني يتحقق ذلك، لأن في حديث أبي

---

(١) في (ع): ليميز.
(٢) في (الأصل): متلبسون، وما أثبته من (ع، ظ، والمفهم لأبي العباس القرطبي).
(٣) في (الأصل): زاعمون، والتصويب من (ع، ظ) ولأن موقع الكلمة حال.
(٤) في (الأصل): عملوا مثل أعمالهم وعرفهم امتحنهم الله، وتصويب الجملة من (ع، ظ).
(٥) في (ع): قالت.
(٦) (في ديار الدنيا): ليست في (ع).
(٧) ما بين أقواس التنصيص هو نص كلام أبي العباس القرطبي في كتابه المفهم ١/ ٤١٦ ـ ٤١٧.
(٨) في (ع، ظ): قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر في كتاب المفهم في شرح اختصار كتاب مسلم، وهو في كتابه المفهم ١/ ٤١٧.
(٩) في (ظ): وهذا لمن.
(١٠) في (ع): أو لعلهم.
(١١) في (ع): وجزموا به.
(١٢) في (ظ): قابلاً للانقلاب عليهم.
(١٣) في (ظ): أن يكونوا.

سعيد ﷺ بعد قوله: «حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما[١] أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في الصورة التي رأوه فيها أول مرة[٢]، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة» الحديث[٣] وسيأتي[٤].

وقوله: «فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون»، أي يتجلى لهم في صفته التي هو عليها من الجلال والكمال والتعالي والجمال بعد أن رفع الموانع عن أبصارهم.

وقوله: «فيتبعونه»، «أي يتبعون أمره، أو ملائكته ورسله[٥] الذين[٦] يسوقونهم إلى الجنة»[٧]، والله أعلم.

والدعوى: الدعاء، قال سبحانه: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ[٨]﴾ [يونس: ١٠]، أي دعاويهم.

والكلاليب: جمع كَلُّوب، والسعدان: نبت كثير الشوك، شوكه كالخطاطيف والمحاجن، ترعاه الإبل فيطيب لبنها، تقول العرب: مرعى ولا كالسعدان.

---

(١) في (ع): وكلما.
(٢) (أول مرة): ليست في (ع).
(٣) (الحديث): ليست في (ظ).
(٤) ص(٧٥٤).
(٥) في (الأصل): ورسوله، والسياق لا يدل عليه، وتصويبه من (ع).
(٦) (وقوله: فيتبعونه أي يتبعون أمره، أو ملائكته ورسوله الذين): ساقطة من (ظ).
(٧) هذا نص كلام أبي العباس القرطبي في المفهم ١/٤١٨ ـ ٤١٩، وتأويله الاتباع باتباع الأمر أو الملائكة أو الرسل يجري على قاعدة الأشاعرة في تأويل صفة المجيء والنزول، ونحوه، ولا يثبتونه على ما يليق بجلال الله تعالى.
(٨) (﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾): ليست في (ع، ظ).

والموبق: المهلك، أوبقه ذنبه[١]: أهلكه، وقوله تعالى: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾ [الزخرف: ٣٤]، ومنه الحديث: «اجتنبوا السبع الموبقات»[٢]، [٣].

والمجازي[٤]: الذي جوزي بعمله.

وكشف الساق: عبارة عن معظم[٥] الأمر وشدته.

ذكر ابن المبارك[٦]: أخبرنا أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] قال: يوم كرب وشدة.

قال: وأخبرنا ابن جريج عن مجاهد قال: شدة الأمر وجده[٧].

قال مجاهد: وقال ابن عباس: هي أشد ساعة في القيامة[٨].

وقيل: غير هذا، والله أعلم[٩].

وقال أبو عبيدة[١٠]: إذا اشتد الأمر أو الحرب قيل كشف الأمر عن ساقه، والأصل فيه أن من وقع في شيء يحتاج إلى الجد شمر عن ساقه فاستعير الساق والكشف عنها[١١] في موضع الشدة، وكذا قال العتبي، قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ هذا من الاستعارة فسمى الشدة ساقاً، لأن الرجل إذا وقع في الشدة شمر عن ساقه فاستعيرت في موضع شدة[١٢].

---

(١) في (ع، ظ): أي أوبقه ذنبه.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/١٠١٧، ح٢٦١٥؛ ومسلم في صحيحه ١/٩٢، ح٨٩.
(٣) في (الأصل): ومنه الحديث قوله تعالى: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾ وفي الحديث: «اجتنبوا السبع الموبقات»، وفيه تقديم وتأخير غير مناسب، ويبدو أنه من تصرف الناسخ، والتصويب من (ع، ظ).
(٤) في (الأصل): المجاز، والتصويب من (ع، ظ).
(٥) هكذا في جميع النسخ، ولعل الصواب: عظم الأمر، والله أعلم.
(٦) في الزهد (الزوائد) ص(١٠٥)، ح٣٦١.
(٧) ذكره ابن المبارك في الزهد له ص(١٠٥)، رقم ٣٦٢.
(٨) ذكره بن المبارك في الزهد ص(١٠٥)، رقم ٣٦٢.
(٩) (وقيل: غير هذا، والله أعلم): ليست في (ع، ظ).
(١٠) في مجاز القرآن له ٢/٢٦٦.
(١١) (فاستعير الساق والكشف عنها): ليست في (ع).
(١٢) في (ظ): الشدة.

قال:

وكنت إذا جاري دعا لمضوفة ... أشمر حتى ينصف الساق مئزري[١]

وقال آخر[٢]:

فتى الحرب إن عضّت به الحرب عضّها ... وإن شمَّرت عن ساقها الحرب شمَّرا

وقال آخر يصف سنة شديدة [١٣٢/أ]: في سنة قد شمرت عن ساقها[٣].

وقال آخر[٤]:

كشفت لهم عن ساقها[٥] ... وبدا من الشر الصراح[٦]

وقال آخر[٧]:

أيسر بحقاق أنه شرٌّ باق
قد سن لي قومك ضرب الأعناق[٨]
وقامت الحرب بنا على ساق[٩]

والشعر في هذا المعنى كثير.

وقيل: يكشف عن ساق جهنم.

وقيل: عن ساق العرش.

فأما ما روي أن الله تعالى: «يكشف عن ساقه يوم القيامة فيسجد له كل

---

(١) ذكره ابن قتيبة في غريب الحديث له ٢/ ١١٣ وقال: قال الهذلي، ثم ذكر البيت، وذكره أبو العباس القرطبي في كتابه المفهم ١/ ٤١٧.

(٢) لم أقف على القائل.

(٣) في (ع): في سنة قد شمرت عن ساقها وبدا من الشرح البراح.

(٤) لم أقف على القائل.

(٥) في (ع): كشفت لهم عن ساقها الأعناق وقامت بنا الحرب على ساق.

(٦) في (الأصل، ع): البراح، والتصويب من تفسير الطبري حيث ذكر البيت ٢٨/ ٤٢. من قوله: وقال آخر: فتى الحرب. . . إلى قوله: وقامت بنا الحرب على ساق، ليس في (ظ).

(٧) لم أقف على القائل.

(٨) (أيسر بحقاق أنه شر باق قد سن لي قومك ضرب الأعناق) ليس في (ع).

(٩) ذكره الخطابي في أعلام الحديث ٣/ ١٩٣٠.

مؤمن ومؤمنة» كما في صحيح البخاري[١]، فإنه يتعالى عن التبعيض والأعضاء، وأن ينكشف ويتغطى، ومعناه: أن يكشف عن العظيم من أمره[٢].

---

(١) ٤/١٨٧١، ح٤٦٣٥.

(٢) سلك المصنف في نفي صفة الساق مسلك الأشاعرة في تشبيه صفات الله تعالى أولاً بصفات خلقه ثم تأويلها ثانياً، حيث لم يفهم منهم الأشاعرة غير ما ذكر المصنف في هذه الصفة أو غيرها من الصفات الخبرية الذاتية كالوجه واليدين، والقاعدة عند السلف رحمهم الله تعالى في مثل هذه الصفات إثباتها لله تعالى على الوجه اللائق به ﷻ، ولا يلزم من ذلك أن تكون كما حكاه المصنف أبعاضاً؛ لأنه لا يعلم كنه هذه الصفات إلا الله تعالى، فلا نتجرأ وننفي عن الله تعالى ما أثبته لنفسه بغير علم، ولا تشبه صفاته بصفات خلقه، بل نثبتها كما أثبتها سبحانه لنفسه أو أثبتها له رسوله ﷺ على مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ. أما صفة الساق على وجه الخصوص فلم ترد في القرآن إلا في موضع واحد هو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، وما ذكره المصنف من قول ابن عباس ﵄ وغيره في تفسيرها بالشدة يرجع إلى تنكير كلمة (ساق) دون أن تضاف إلى الله تعالى بخلاف الصفات الأخرى التي جاءت مضافة إلى الله تعالى ومختصة به، فهذا التنكير هو الذي جعل الصحابة والتابعين يختلفون في المراد بالساق هل هو صفة من صفات الله تعالى كالوجه واليدين أم لها معنى آخر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رووه من الحديث، ووقفت على ما شاء الله من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير فلم أجد إلى ساعتي هذه عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئاً من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف، بل عنهم تقرير ذلك وتثبيته... وتمام هذا أني لم أجدهم تنازعوا إلا في مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، فروي عن ابن عباس وطائفة أن المراد الشدة في الآخرة، وعن أبي سعيد ـ الخدري ـ وطائفة أنهم عدوها في الصفات للحديث الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين، ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات فإنه قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ نكرة في الإثبات لم يضفها إلى الله، ولم يقل عن ساقه، فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر» مجموع الفتاوى ٦/٣٩٤ ـ ٣٩٥.

وقد جاء الدليل الآخر وهو حديث أبي سعيد الخدري ﵁.

قال ابن القيم: «والذين أثبتوا ذلك صفة كاليدين لم يأخذوا ذلك من ظاهر القرآن إنما أثبتوه بحديث أبي سعيد الخدري المتفق على صحته، وهو حديث الشفاعة الطويل، وفيه: «فيكشف الرب عن ساقه» الحديث، ومن حمل الآية على ذلك قال قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ مطابقاً لقوله ﷺ: «فيكشف عن ساقه» وتنكيره للتعظيم والتفخيم، كأنه قال: يكشف عن ساقٍ عظيمة، قالوا: وحمل الآية على الشدة لا يصح=

وقال الخطابي[١]: «إنما جاء ذكر الكشف عن الساق على معنى الشدة، فيحتمل أن يكون معنى الحديث: أنه يبرز من أهوال يوم القيامة وشدتها لما[٢] يرتفع معه سواتر الامتحان فيميز عند ذلك أهل اليقين والإخلاص، فيؤذن لهم في السجود ويكشف[٣] الغطاء عن أهل النفاق فتعود ظهورهم طبقاً واحداً لا يستطيعون السجود. قال: وقد تأوله بعض الناس فقال: لا ينكر أن يكون الله سبحانه قد يكشف لهم عن ساق لبعض المخلوقين من ملائكته[٤] أو غيرهم فيجعل ذلك سبباً لما شاء في حكمه[٥] في أهل الإيمان والنفاق».

قال الخطابي[٦]: «وفيه وجه آخر لم أسمعه من قدوة وقد يحتمله معنى اللغة: سمعت أبا عمر يذكر عن أبي العباس أحمد بن يحيى النحوي فيما عده

= بوجه فإن لغة القوم أن يقال: كُشفت الشدة عن القوم، لا كشفت عنها، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ﴾ فالعذاب هو المكشوف لا المكشوف عنه، وأيضاً هناك شدة لا تزول إلا بدخول الجنة، وهنا لا يدعون إلى السجود، وإنما يدعون إليه أشد ما كانت الشدة» مختصر الصواعق المرسلة ص(٢٦ ـ ٢٧).

قال القاضي أبو يعلى: «فإن قيل: المراد بذكر الساق ها هنا: شدة الأمر، قيل هذا غلط من وجوه:

أحدها: أنه قال: «فيتمثل لهم لرب وقد كشف عن ساقه»، والشدائد لا تُسمى رَبّاً.

الثاني: إنهم التمسوه ليتبعوه لينجوا من الأهوال والشدائد التي وقع فيها من كان يعبد غيره، وإذا كان كذلك لم يجز أن يلتمسوه على صفة تلحقهم فيها الشدة والأهوال.

الثالث: أنه قال: «فيخرون سجداً» والسجود لا يكون للشدائد. انظر: إبطال التأويلات لأخبار الصفات ١/١٥٩ ـ ١٦٠، تحقيق محمد النجدي، مكتبة دار الإمام الذهبي، ط. الأولى ١٤١٠هـ.

وعلى كل حال فإن تفسير ابن عباس رضي الله عنهما للساق إن ثبت عنه فإنه ليس من قبيل تأويلات الأشاعرة التي يصرفون بها نصوص الصفات عن ظاهرها وإنما فسرها بمقتضى اللغة، وربما لم يبلغه حديث أبي سعيد الخدري، قال شيخ الإسلام بن تيمية في تفسير ابن عباس للآية: «ومثل هذا ليس بتأويل، إنما التأويل صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف» مجموع الفتاوى ٦/٣٩٤.

(١) في أعلام الحديث له ٣/١٩٣٣. (٢) في (ع، ظ): ما.

(٣) في (ع، ظ): وينكشف. (٤) في (ظ): كملائكته.

(٥) في (ع، ظ): فيجعل ذلك سبباً لما شاء الله في حكمه.

(٦) في أعلام الحديث ٣/١٩٣٣.

من المعاني المختلفة الواقعة تحت هذا الاسم، قال: والساق: النفس، ومنه قول علي رضي الله عنه حين راجعه أصحابه في قتال الخوارج: (فقال: والله لأقاتلنهم ولو تلفت ساقي) يريد نفسه».

قال أبي سليمان[١]: «فقد يحتمل على هذا أن يكون المراد: التجلي لهم وكشف الحجب عن أبصارهم حتى إذا رأوه سجدوا له، قال: ولست أقطع به القول، ولا أراه واجباً فيما أذهب إليه من ذلك».

قال المؤلف: هذا القول[٢] أحسن الأقوال إن شاء الله، وقد جاء فيه حديث حسن[٣] ذكره أبو الليث السمرقندي[٤] في تفسير سورة ن والقلم[٥] فقال: حدثنا الخليل بن أحمد قال: حدثنا ابن منيع قال: حدثنا هدبة قال: حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمارة القرشي عن أبي بردة بن أبي موسى قال: حدثني أبي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة مُثّل لكل قوم [١٣٢/ب] ما كانوا يعبدون في الدنيا فيذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، ويبقى أهل التوحيد فيقال لهم: ما تنتظرون وقد ذهب الناس؟ فيقولون: إن لنا رباً كنا نعبده في الدنيا ولم نره، قال: وتعرفونه إذا رأيتموه؟ فيقولون: نعم، فيقال: فكيف تعرفونه ولم تروه؟ قالوا: إنه لا شبيه له، فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فيخرون له سجداً ويبقى أقوام ظهورهم مثل صياصي البقر فيريدون السجود فلا يستطيعون، فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾، فيقول الله تعالى: عبادي[٦] ارفعوا رؤوسكم فقد جعلت بدل كل رجل منكم من اليهود والنصارى في النار»[٧].

---

(١) أي الخطابي، في أعلام الحديث ٣/ ١٩٢٣.
(٢) (القول): ليست في (ظ). (٣) (حسن): ليست في (ع).
(٤) المحدث الزاهد، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، الحنفي، السير ١٦/ ٣٢٢.
(٥) انظر تفسيره المسمى: بحر العلوم ٣/ ٣٩٥.
(٦) في (ع): يا عبادي.
(٧) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة له بنحوه ١/ ٢٨٠؛ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد=

قال أبو بردة: فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال: آلله الذي لا إله إلا هو فحدثك أبوك بهذا الحديث؟ فحلف له ثلاث أيمان فقال عمر: ما سمعت من أهل التوحيد حديثاً هو أحب إلي من هذا.

قال المؤلف: فهذا الحديث يبين لك معنى كشف الساق وأنه عبارة عن رؤيته سبحانه وهو معنى ما في صحيح مسلم، والحديث يفسر بعضه بعضاً، فلا إشكال والحمد لله.

وقد ذكر **البيهقي**[١] عن روح بن جناح عن مولى لعمر بن عبد العزيز عن أبي بردة بن أبي موسى[٢] عن أبيه عن النبي ﷺ قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: عن نور عظيم يخرون له سجداً، تفرد به روح بن جناح، وهو شامي يأتي بأحاديث منكرة لا يتابع عليها وموالي[٣] عمر بن عبد العزيز فيهم كثرة.

قال المؤلف: الحديث الذي قبله أبين وأصح إسناداً فليعول عليه. وقد هاب الإمام أبو حامد القول فيه وأشفق من تأويله، فقال في كتاب كشف علم الآخرة[٤]: «يكشف الجليل عن ساقه فيسجد الناس كلهم تعظيماً له وتواضعاً إلا الكفار الذين أشركوا به أيام حياتهم وعبدوا الحجارة والخشب وما لم ينزل به سلطاناً، فإن صياصي أصلابهم تعود حديداً فلا يقدرون على السجود، وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾. وروى[٥]

= أهل السنة والجماعة ٣/ ٤٨٠؛ والآجري في التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة ١/ ٥٥، إسناده حسن، انظر: تعليق الألباني على السنة لابن أبي عاصم ١/ ٤٩٦، ح٧٤٩.

(١) في الأسماء والصفات له ٢/ ١٨٧ ـ ١٨٨، ح٧٥٢، والحديث رواه أبو يعلى في مسنده ١٣/ ٢٧٠، ح٧٢٨٣؛ والطبري في تفسيره ٢٨/ ٤٢، قال الهيثمي: رواه أبو يعلى وفيه: روح بن جناح وثقه دحيم، وقال فيه: ليس بالقوي، وبقية رجاله ثقات، مجمع الزوائد ٧/ ١٢٨.

(٢) في (الأصل، ظ): عن أبي موسى، والتصويب من (ع، ومصدر المصنف) ويدل عليه ما بعده: عن أبيه.

(٣) في (جميع النسخ): ومولى، والتصويب من مصدر المصنف.

(٤) ص(٨١).

(٥) في (ع): وقد روى.

البخاري في تفسيره مسنداً إلى رسول الله ﷺ قال: «يكشف الله عن ساقه يوم القيامة فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة»[(١)]، وقد أشفقت من تأويل الحديث، وعدلت عن منكريه، وكذا أشفقت من صفة الميزان وزيفت قول واصفيه وجعلته متحيزاً إلى العالم الملكوتي، فإن الحسنات والسيئات أعراض ولا يصح وزن الأعراض إلا بميزان ملكوتي».

[قال المؤلف][(٢)]: [١٣٣/أ] قد ذكرنا الميزان وبينا القول فيه، وفي الأعمال الموزونة غاية البيان بالأخبار الصحيحة والحسان، وبينا القول هنا في كشف الساق بحيث لم يبق فيه لأحد ريب ولا مخالفة ولا شقاق. والحمد لله[(٣)] على ما به أنعم وفهم وعلم.

باب[(٤)] كيفية[(٥)] الجواز على الصراط وصفته ومن يحبس عليه ويزل وفي شفقة النبي ﷺ على أمته عند ذلك، وفي ذكر القناطر قبله والسؤال عليها وبيان قوله تعالى[(٦)]: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]

روي عن بعض أهل العلم[(٧)] أنه قال: «لن يجوز أحد الصراط حتى يسأل في سبع قناطر، فأما القنطرة الأولى: فيسأل عن الإيمان بالله وهي شهادة أن لا إله إلا الله، فإن جاء بها مخلصاً ـ والإخلاص قول وعمل ـ جاز، ثم يسأل على[(٨)] القنطرة الثانية عن الصلاة فإن جاء بها تامة جاز، ثم يسأل على القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان فإن جاء به تاماً جاز، ثم يسأل في الرابعة عن

---

(١) تقدم تخريجه ص(٧٤٤).

(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ)، بياض في الأصل.

(٣) في (ع، ظ): فلله الحمد.

(٤) جاء في (ع) قبل كلمة: باب، بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين.

(٥) (كيفية): ليست في (ظ)، وفي (ع): كيف.

(٦) في (ظ): قول الله تعالى.

(٧) لم أقف على القائل.

(٨) في (الأصل، ع): عن، وتصويبه من (ظ).

الزكاة فإن جاء بها تامة جاز، ثم يسأل في الخامسة عن الحج والعمرة، فإن جاء بهما تامتين جاز إلى القنطرة السادسة فيسأل عن الغسل والوضوء فإن جاء بهما تامتين جاز، ثم يسأل في السابعة وليس في القناطر أصعب منها فيسأل عن ظلامات الناس».

وذكر أبو حامد في كتاب[1] كشف علم الآخرة[2]: «أنه إذا لم يبق في الموقف إلا المؤمنون، والمسلمون، والمحسنون، والعارفون، والصديقون، والشهداء، والصالحون، والمرسلون، ليس فيهم مرتاب ولا منافق ولا زنديق، فيقول الله تعالى: يا أهل الموقف، من ربكم؟ فيقولون: الله، فيقول لهم: أتعرفونه؟ فيقولون: نعم، فيتجلى لهم ملك عن يسار العرش لو جعلت البحار السبع في نقرة إبهامه ما ظهرت، فيقول لهم بأمر الله أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك، فيتجلى لهم ملك عن يمين العرش لو جعلت البحار الأربعة عشر في نقرة إبهامه لما ظهرت، فيقول لهم: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، فيتجلى لهم الرب ﷻ في صورة غير صورته [التي يعرفونه عليها][3] [فيقول لهم أنا ربكم فيتعوذون بالله ﷻ منه[4] ثم يتجلى لهم الرب ﷻ[5] في الصورة][6] التي كانوا يعرفونه [فيها][7] ويسمعونه[8] وهو يضحك فيسجدون له جميعهم، فيقول أهلاً بكم ثم ينطلق بهم سبحانه إلى الجنة، فيتبعونه، فيمر بهم على الصراط والناس أفواج، المرسلون، ثم النبيون، ثم الصديقون، ثم المحسنون، ثم الشهداء، ثم المؤمنون، ثم العارفون، ويبقى[9] المسلمون منهم المكبوب على وجهه[10] ومنهم المحبوس في الأعراف ومنهم قوم قصروا عن تمام الإيمان [١٣٣/ب]

---

(١) (كتاب): ليست في (ع). (٢) ص(٩٣ ـ ٩٤).
(٣) ما بين المعقوفتين من (كشف علوم الآخرة).
(٤) في (ع، ظ): فيقولون نعوذ بالله منك. (٥) (ﷻ): ليست في (ع، ظ).
(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، كشف علوم الآخرة).
(٧) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، كشف علوم الآخرة).
(٨) في (الأصل): ويسمعوا، والتصويب من (ع، ظ، كشف علوم الآخرة).
(٩) في (الأصل): ثم يبقى، وما أثبته من (ع، ظ).
(١٠) في (الأصل، ظ): لوجهه، والتصويب من (ع، كشف علوم الآخرة).

فمنهم من يجوز على الصراط على مائة عام وآخر يجوزه على ألف عام [و][١] مع ذلك كله لن تحرق النار من رأى ربه عياناً لا يضام في رؤيته».

فتوهم نفسك يا أخي إذا صرت على الصراط ونظرت إلى جهنم تحتك سوداء مدلهمة، قد لظى سعيرها وعلا لهيبها، وأنت تمشي أحياناً وترجف أخرى.

قال[٢]:

أبت نفسي تتوب فما احتيالي ... إذا برز العباد لذي الجلال
وقاموا من قبورهم سكارى ... بأوزار كأمثال الجبال
وقد نُصب الصراط لكي يجوزوا ... فمنهم من يكب على الشمال
ومنهم من يسير لدار عدن ... تلقاه العرائس بالغوال
يقول له المهيمن يا وليي ... غفرت لك الذنوب فلا تبالي

وقال آخر[٣]:

إذا مُد الصراط على جحيم ... تصول على العصاة وتستطيل
فقوم في الجحيم لهم ثبور ... وقوم في الجنان لهم مقيل
وبان الحق وانكشف الغطا[٤] ... وطال الويل واتصل العويل

ذكر مسلم[٥] من حديث أبي هريرة ﷺ وفيه: «فيأتون محمداً ﷺ فيقوم ويؤذن له وترسل الأمانة والرحم فيقومان بجنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولهم كالبرق الخاطف، قال: قلت بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق؟ قال: ألم تر إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم ﷺ قائم على الصراط يقول: رب[٦]

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، كشف علوم الآخرة).

(٢) لم أقف على القائل.

(٣) لم أقف على القائل.

(٤) في (ظ): المغطى.

(٥) في صحيحه ١/١٨٦ ـ ١٨٧، ح١٩٥.

(٦) في (ع، ظ): يا رب، والأصل متوافق مع صحيح مسلم.

سلِّم، سلِّم، حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا[(١)] يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت بأخذه، فمخدوش ناج، ومكردس[(٢)] في النار، والذي نفس محمد بيده: إن قعر جهنم لسبعين خريفاً».

وروي أيضاً من حديث حذيفة[(٣)]. وذكر **مسلم**[(٤)] أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه: «ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة ويقولون: الله سلم، اللهم سلم [سلم][(٥)]، وقيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكردس في [١٣٤/أ] نار جهنم..» الحديث، وسيأتي[(٦)] تمامه إن شاء الله تعالى.

وفي رواية قال أبو سعيد: «بلغني أن الجسر أدق من الشعر وأحدّ من السيف»[(٧)].

وفي رواية: «أرق من الشعر»، رواها مسلم[(٨)].

وخرّج **ابن ماجه**[(٩)] حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت

---

(١) في (الأصل، ع): ولا، وما أثبته من (ظ، وصحيح مسلم).

(٢) المكردس هو الذي جمعت يداه ورجلاه وألقي إلى موضع، النهاية في غريب الحديث ٤/١٦٢.

(٣) ذكره البزار في مسنده ٧/٢٦١.

(٤) في صحيحه ١/١٦٧ ـ ١٦٩، ح١٨٣.

(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، صحيح مسلم).

(٦) الذي يبدو أن هذه الإحالة غير صحيحة لعدم عثوري على تمام الحديث بعدها ص(٧٧٨).

(٧) رواها مسلم في صحيحه ١/١٧٠ ضمن الرواية التي تحمل الرقم ١٨٣.

(٨) لم أجد في صحيح مسلم رواية بعبارة: أرق من الشعر.

(٩) في سننه ٢/١٤٣٠، ح٤٢٨٠؛ والحاكم في مستدركه ٤/٦٢٨، ح٨٧٣٨؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/٥٨، ح٣٤١٩٢، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/٤٢٤، ح٣٤٥٣.

رسول الله ﷺ يقول: «يوضع الصراط بين ظهراني جهنم على حسك كحسك السعدان، ثم يستجيز الناس فناج مسلم ومخدوج[١] به ثم ناج، ومحتبس به ومنكوس فيها».

وذكر **ابن المبارك**[٢] قال: حدثنا هشام بن حسان عن موسى بن أنس عن عبيد بن عمير: «إن الصراط مثل السيف على جسر جهنم وأن لجنبيه كلاليب وحسكاً، والذي نفسي بيده إنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر».

قال[٣]: وأخبرنا رشدين بن سعد[٤] عن عمر بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال قال: بلغنا أن الصراط يوم القيامة يكون على بعض الناس أدق من الشعر وعلى بعض مثل الوادي الواسع.

قال[٥]: وأخبرنا عوف عن عبد الله بن سفيان العقيلي قال: يجوز الناس يوم القيامة الصراط على قدر إيمانهم وأعمالهم، فيجوز الرجل كالطرف في السرعة وكالسهم المرمي وكالطير السريع الطيران، وكالفرس الجواد المضمر، ويجوز الرجل يعدو عدواً، والرجل يمشي مشياً، حتى يكون آخر من ينجو[٦] يحبو حبواً.

وذكر **هناد بن السري**[٧] قال: حدثنا عبد الله بن نمير، حدثنا: سفيان، قال: حدثنا سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء قال: قال عبد الله: يأمر الله بالصراط فيضرب على جهنم [قال][٨] فيمر الناس على قدر أعمالهم، أولهم كلمح البرق ثم كمر الريح، ثم كأسرع البهائم، ثم كذلك حتى يمر الرجل سعياً، حتى يمر الرجل ماشياً، ثم يكون آخرهم يتلبط[٩] على بطنه، ثم يقول:

---

(١) هو الناقص، لسان العرب ٢/ ٢٤٨.
(٢) في الزهد (في الزوائد) ص(١٢٠)، ح٤٠٣.
(٣) أي ابن المبارك في الزهد ص(١٢٢)؛ ح٤٠٦.
(٤) في (الأصل): رشيد بن سعد، والتصويب من (ع، ظ، الزهد لابن المبارك).
(٥) أي ابن المبارك في الزهد له ص(١٢٢)، ح٤٠٨.
(٦) في (الزهد لابن المبارك): يجوز.
(٧) في الزهد له ١/ ١٩٨، ح٣٢٢.
(٨) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، الزهد لهناد).
(٩) قال الجوهري: لَبِطَ به يُلْبَطُ لَبْطاً إذا سقط من قيام، وكذلك إذا صُرِع. الصحاح ٣/ ١١٥٥.

يا رب لِمَ أبطأتَ بي؟ فيقول: لم أبطئ بك إنما أبطأ بك عملك.

قال[١]: وثنا أبو معاوية عن إسماعيل بن[٢] مسلم عن قتادة قال: قال عبد الله بن مسعود: تجوزون على الصراط بعفو الله وتدخلون الجنة برحمة الله، وتقتسمون المنازل بأعمالكم.

أبو داود[٣] عن معاذ بن أنس الجهني ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من حمى مؤمناً من منافق ـ أراه قال ـ بعث الله ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مسلماً[٤] بشيء يريد شينه حبسه الله ﷻ على جسر جهنم حتى يخرج مما قال».

وقال رسول الله ﷺ: «الزالون على الصراط كثير، وأكثر من يزل عنه النساء». وذكره أبو الفرج الجوزي»[٥].

وقال المصطفى ﷺ: «فإذا صار الناس على طرف الصراط نادى ملك من تحت العرش: يا فطرة الملك الجبار جوزوا على الصراط وليقف كل عاص منكم وظالم، فيا لها من ساعة ما أعظم خوفها وما أشد حرها، يتقدم فيها من كان في الدنيا [١٣٤/ب] ضعيفاً مهيناً ويتأخر عنها من كان في الدنيا عظيماً مكيناً، ثم يؤذن لهم بعد ذلك بالجواز على الصراط على قدر أعمالهم في ظلمتهم وأنوارهم، فإذا عصف الصراط بأمتي نادوا وا محمداه وا محمداه[٦]،

---

(١) أي هناد في الزهد له ١/١٩٨، ذكر ضمن الرواية السابقة.

(٢) في (الأصل): ابن وهو خطأ.

(٣) في سننه ٤/٢٧٠، ح٤٨٨٣؛ وأحمد في مسنده ٣/٤٤١، ح١٥٦٨٧؛ والطبراني في الكبير ٢٠/١٩٤، ح٤٣٣ حسنه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود ٣/١٩٨، ح٤٨٨٣.

(٤) في (ع): مؤمناً، والأصل متوافق مع سنن أبي داود.

(٥) هكذا في الأصل و(ع)، وفي (ظ): أبو الفرج، والصواب كما في ترجمته: أبو الفرج ابن الجوزي.

(٦) (وا محمداه) الثانية: ليست في (ظ)، وجملة: وا محمده لم ترد في الروايات الصحيحة.

فأبادر من شدة إشفاقي عليهم وجبريل آخذ بحجزتي فأنادي رافعاً صوتي: يا رب أمتي أمتي، لا أسألك اليوم نفسي ولا فاطمة ابنتي، والملائكة قيام على يمين الصراط ويساره وهم ينادون[١]: رب سلم سلم، وقد عظمت الأهوال واشتدت الأوجال، والعصاة يتساقطون عن اليمين والشمال والزبانية يتلقونهم بالسلاسل والأغلال وينادونهم: أما نهيتم عن كسب الأوزار؟ أما خوفتم من عذاب النار[٢]؟ أما أنذرتم كل الإنذار؟ أما جاءكم النبي المختار»، ذكره أبو الفرج الجوزي[٣] أيضاً في كتاب روضة المشتاق والطريق إلى الملك الخلاق[٤].

فتفكر الآن فيما يحل بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها، وقد كلفت أنك تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك من المشي على بساط الأرض فضلاً على حدة الصراط، وكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك فأحسست بحدته واضطررت إلى أن ترفع القدم الثاني والخلائق بين يديك يزلون ويعثرون وتتناولهم زبانية النار[٥] بالخطاطيف والكلاليب وأنت تنظر إليهم كيف ينكسون فتستفل[٦] إلى جهة النار وجوههم[٧]، وتعلو أرجلهم، فيا له من منظر ما أفظعه، ومرتقى ما أصعبه، ومجازاً ما أضيقه.

فصل

ذهب بعض من تكلم على أحاديث هذا[٨] الباب في وصف الصراط بأنه

---

(١) في (ع): وينادون.
(٢) في (ع، ظ): أما خوفتم عذاب النار.
(٣) هكذا في (الأصل) و(ع)، وفي (ظ): ذكره أبو الفرج، وسبق التنبيه قريباً على أنه خطأ.
(٤) (والطريق إلى الملك الخلاق): ليست في (ع، ظ).
(٥) في (ع): زبانية العذاب.
(٦) في (ع، ظ): فتسفل.
(٧) في (ع): رؤوسهم.
(٨) (هذا): ليست في (ظ).

أدق من الشعر وأحد من السيف أن ذلك راجع إلى يسره وعسره على قدر الطاعات والمعاصي ولا يعلم حدود[1] ذلك إلا الله تعالى لخفائها وغموضها، وقد جرت العادة بتسمية الغامض الخفي دقيقاً، وضرب المثل له[2] لدقة الشعر فهذا والله أعلم من هذا الباب.

ومعنى قوله: وأحد من السيف: أن الأمر الدقيق الذي يصعد من عند الله تعالى إلى الملائكة في إجازة الناس على الصراط يكون في نفاذ حد السيف ومضيه إسراعاً منهم إلى طاعته وامتثاله. ولا يكون له مرد، كما أن السيف إذا نفذ بحدةٍ وقوةٍ ضاربةٍ في شيء لم يكن له بعد ذلك مرد.

وإما أن يقال: إن الصراط نفسه أحد من السيف وأدق من الشعر، فذلك مدفوع بما وصف من أن الملائكة يقومون بجنبيه وأن فيه كلاليب وحسكاً، وأن من يمر عليه يقع على بطنه، ومنهم من يزل ثم يقوم، وفيه: أن من الذين يمرون عليه من يعطى النور بقدر موضع قدميه وفي ذلك إشارة: أن للمارين عليه مواطئ [١٣٥/أ] الأقدام، ومعلوم أن دقة الشعر لا يحتمل هذا كله.

وقال بعض الحفاظ[3]: إن هذه اللفظة ليست بثابتة.

قال المؤلف: ما ذكره هذا القائل مردود بما ذكرناه من الأخبار وأن الإيمان يجب بذلك، وأن القادر على إمساك الطير في الهوى[4] قادر على أن يمسك عليه المؤمن[5] فيجريه أو يمشيه ولا يُعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند الاستحالة[6]، ولا استحالة في ذلك للآثار الواردة في ذلك، وثباتها بنقل الأئمة العدول، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

---

(١) في (ع): حد.
(٢) في (ع): وضرب المثل به.
(٣) لم أتعرف على القائل.
(٤) هكذا في جميع النسخ، ولعل الصواب: الهواء.
(٥) في (الأصل): الموسر، وهو تصحيف، تصويبه من (ع، ظ).
(٦) هذا الكلام الأخير فيه نظر؛ لأن الحقيقة والمجاز من المصطلحات المحدثة، والاستحالة أمر نسبي ظني، فلا يبنى على ذلك نتائج، وإنما المعول على ظواهر النصوص مقيدةً بفهم السلف الصالح لها.

وعن يحيى بن اليمان[١] أنه قال[٢]: «رأيت رجلاً نام وهو أسود الرأس واللحية شاب يملأ العين، فرأى في منامه كأن الناس قد حشروا وإذا بنهر من نار وبجسر[٣] يمر الناس عليه فدعي فدخل الجسر فإذا هو كحد السيف يمور به يميناً وشمالاً فأصبح أبيض الرأس واللحية».

فصل

أحاديث هذا الباب تبين لك معنى الورود المذكور في القرآن في قوله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.

روي عن ابن عباس[٤] وابن مسعود[٥] وكعب الأحبار[٦] أنهم قالوا: الورود: الممر على الصراط. ورواه السدي عن ابن مسعود[٧] ﷺ عن النبي ﷺ.

وذكره[٨] أبو بكر النجاد سليمان قال: ثنا أبو الحسن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبده السليطي قال: ثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجي قال: حدثنا سليم بن منصور بن عمار قال: حدثني منصور بن عمار[٩] قال: حدثني بشير بن طلحة الحزامي عن خالد بن الدريك عن يعلى بن منبه عن رسول الله ﷺ قال: «تقول النار للمؤمن[١٠] يوم القيامة: جُز يا مؤمن، فقد أطفأ نورك لهبي»[١١].

---

(١) يحيى بن اليمان العجلي الكوفي، سمع سفيان الثوري، انظر: التاريخ الكبير للبخاري ٨/٣١٣، رقم ٣١٤٢؛ والكامل في الضعفاء ٧/٢٣٥، رقم ٢١٣٧.

(٢) (أنه قال): ليست في (ع). (٣) في (ظ): وجسر.

(٤) المشهور عن ابن عباس أنه قال: الورود بمعنى الدخول، انظر: تفسير الطبري ١٦/١١٠.

(٥) ذكر قوله السيوطي في الدر المنثور ٤/٢٨١.

(٦) لم أقف على من ذكر قول كعب، وهذا المعنى ورد عن قتادة، انظر: تفسير الطبري ١٦/١١٠.

(٧) لم أقف على من ذكر هذه الرواية. (٨) في (ع، ظ): وذكر.

(٩) في (ع): حدثني أبي منصور بن عمار.

(١٠) في (الأصل): للمؤمنين، والتصويب من (ع، ظ).

(١١) رواه الطبراني في الكبير ٢٢/٢٥٨، ح٦٦٨، قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه سليم بن منصور بن عمار وهو ضعيف، مجمع الزوائد ١٠/٣٦.

وقيل: الورود: الدخول، روي عن ابن عباس[١] وابن مسعود[٢] أيضاً وخالد بن معدان[٣] وابن جريج[٤] وغيرهم. وحديث أبي سعيد المذكور نص في ذلك على ما يأتي[٥]، فيدخلها العصاة بجرائمهم، والأولياء بشفاعتهم[٦].

وروى جابر بن عبد الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الورود: الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾ [مريم: ٧٢]»[٧].

وذكر **ابن المبارك**[٨] قال: أخبرنا سفيان عن رجل عن خالد بن معدان قال: قالوا ألم يعدنا ربنا أنا نرد النار؟ فقال: إنكم مررتم بها وهي خامدة.

قال **ابن المبارك**[٩] وأخبرنا سعيد الجريري عن أبي السليل عن غنيم عن أبي العوام عن كعب أنه تلا هذه الآية: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، قال: هل تدرون ما ورودها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم [١٣٥/ب]، قال: فإن ورودها أن يجاء بجهنم وتمسك للناس كأنها متن إهالة حتى إذا استقرت عليها أقدام الخلق برهم وفاجرهم ناداها منادٍ[١٠]: أن خذي أصحابك وذري أصحابي. فتخسف بكل ولي لها. لهي أعلم بهم من الوالد بولده وينجو المؤمنون[١١].

وقال مجاهد[١٢]: ورود المؤمنين هو الحمى التي[١٣] تصيب المؤمن في دار الدنيا، وهي حظ المؤمن من النار فلا يردها.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ١٢/ ١١٠. (٢) رواه الطبري أيضاً ١٦/ ١١٠.
(٣) ذكر قوله ابن عطية في تفسيره ١١/ ٤٨.
(٤) ذكر الطبري قول ابن جريج في تفسيره ١٦/ ١٠٩.
(٥) ص(٧٦٨). (٦) هكذا في جميع النسخ.
(٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٨٠.
(٨) في الزهد (الزوائد) ص(١٢٢)، ح٤٠٧؛ وذكره الطبري في تفسيره ١٦/ ١٠٩.
(٩) في الزهد (الزوائد) ص(١٢١ ـ ١٢٢)، ح٤٠٥.
(١٠) في (ع): نادى منادٍ.
(١١) في (الأصل): من الوالد من ولده وينجوا المؤمنين، وتصويبه من (ع، ظ، الزهد).
(١٢) ذكره الطبري في تفسيره ١٦/ ١١١.
(١٣) في (الأصل، ظ): الذي، وهو خطأ، والتصويب من (ع، وتفسير الطبري).

وأسند **أبو عمر** ابن عبد البر في ذلك حديثاً في التمهيد[١] عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ عاد مريضاً من وَعْكٍ به، فقال النبي ﷺ: «أبشر، فإن الله تبارك وتعالى يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار».

وقالت فرقة[٢]: الورود: النظر إليها في القبر فينجي منها الفائز، ويصلاها من قدر عليه دخولها، ثم يخرج منها بالشفاعة أو بغيرها من رحمه الله، واحتجوا بحديث ابن عمر ﷺ: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي» الحديث[٣].

وقيل[٤]: المراد بالورود: الإشراف على جهنم والاطلاع عليها والقرب منها، وذلك أنهم يحضرون موضع الحساب، وهو بقرب جهنم فيرونها وينظرون إليها في حالة الحساب، ثم ينجي الله الذين اتقوا مما نظروا إليه، ويصار بهم إلى الجنة ونذر الظالمين أي يؤمر بهم إلى النار، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣] أي أشرف عليه[٥] لا أنه دخله.

وروت حفصة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: لا يدخل النار أحد من أهل بدر والحديبية، قالت: فقلت: يا رسول الله وأين قول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾؟ فقال رسول الله ﷺ: [وقد قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾][٦]، أخرجه **مسلم**[٧] من حدث أم مبشر[٨] ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة الحديث.

---

(١) ٦/ ٣٥٩؛ والطبري في تفسيره ١٦/ ١١١.

(٢) في (ع، ظ): طائفة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٤٦٤، ح١٣١٣؛ ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٩٩، ح٢٨٦٦.

(٤) ذكره ابن عطية في تفسيره ١١/ ٤٩. (٥) في (ع، ظ): عليها.

(٦) ما بين المعقوفتين من (صحيح مسلم). وفي (الأصل، ظ): ثم ينجي الله الذين اتقوا. وفي (ع): ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾.

(٧) في صحيحه ٤/ ١٩٤٢، ح٢٤٩٦.

(٨) أم مبشر الأنصارية، امرأة زيد بن حارثة، يقال: اسمها حميمة بنت صيفي بن صخر، صحابية مشهورة، انظر: تقريب التهذيب ص(٧٥٨)، رقم ٨٧٦٤.

وقيل: الخطاب للكفار في قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[(١)].

روى وكيع عن شعبة عن عبد الله بن السائب عن رجل عن ابن عباس ﵄: أنه قال في قول الله ﷿: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال: هذا خطاب للكفار[(٢)]. وروي عنه أنه كان يقرأ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾[(٣)] رداً على الآيات التي قبلها في الكفار قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ﴾ [مريم: ٦٨] و﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ [مريم: ٦٩] ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۝٧٠﴾ [مريم: ٧٠] ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ وكذلك قرأ عكرمة وجماعة[(٤)].

قالت فرقة[(٥)]: المراد منكم الكفرة، والمعنى: قل لهم يا محمد ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ﴾.

وقال الجمهور[(٦)]: المخاطب العالم كله، ولا بد من ورود الجميع، وعليه نشأ الخلاف في الورود كما ذكرنا.

والصحيح: أن الورود الدخول[(٧)]؛ لحديث أبي سعيد كما ذكرنا.

في مسند الدارمي[(٨)] أبي محمد عن [١٣٦/أ] عبد الله بن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «يرد الناس النار[(٩)] ثم يصدرون[(١٠)] عنها بأعمالهم

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره ١٦/ ١١١ من قول عكرمة.

(٢) ذكره الطبري في تفسيره ١٦/ ١١١ عن عكرمة.

(٣) ذكر ذلك ابن عطية تفسيره ١١/ ٤٨.

(٤) ذكرها ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز ١١/ ٤٨.

(٥) ذكره ابن عطية في تفسيره ١١/ ٤٨.

(٦) ذكره الطبري في تفسيره ١٦/ ١١١.

(٧) قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: يردها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون، فينجيهم الله ويهوي فيه الكفار وورودها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم فناج مسلم ومكردس فيها. تفسير الطبري ١٦/ ١١٢.

(٨) ٢/ ٤٢٤، ح٢٨١٠؛ والترمذي في جامعه ٥/ ٣١٧، ح٣١٥٩، صححه الألباني، انظر: صحيح جامع الترمذي ٣/ ٧٥، ح٢٥٢٦.

(٩) (النار): ليست في (ظ).

(١٠) في (ع، سنن الدارمي): يصدون، والأصل متوافق مع (ظ) وجامع الترمذي.

أولهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كَحُضْرِ الفَرَسِ[١]، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرجل في مشيه».

وقال ﷺ: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم»، خرجه الأئمة[٢].

قال الزهري: كأنه يريد هذه الآية: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، ذكره أبو داود الطيالسي في مسنده[٣]. وهذا بيِّن لما ذكرناه[٤]؛ لأن المسيس حقيقة في اللغة المماسة، إلا أنها تكون برداً وسلاماً على المؤمنين وينجون منها سالمين.

قال خالد بن معدان[٥]: إذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا: ألم يقل ربنا إنا نرد النار؟ فيقال: قد وردتموها فألفيتموها رماداً[٦].

قلت: والذي يجمع شتات الأقوال أن يقال: إن من وردها ولم تؤذه بلهبها وحرها فقد أُبعد عنها ونُجي منها، نجانا الله منها بفضله وكرمه، وجعلنا ممن وردها فدخلها[٧] سالماً، وخرج منها غانماً.

وروى ابن جريج عن عطاء قال: قال أبو راشد الحروري لابن عباس ﷺ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: ١٠٢]، فقال له[٨] ابن عباس: أمجنون أنت؟ فأين قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ وقوله: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: ٩٨] وقوله: ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦]، ولقد كان دعاء من مضى: اللهم أخرجني من النار سالماً، وأدخلني الجنة فائزاً[٩].

وقد أشفق كثير من العلماء من تحقق الورود، والجهل بالصدر،

---

(١) أي كَعْدو ـ جري ـ الفرس، النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٩٨.
(٢) مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٢٨، ح٢٣٠٤؛ والترمذي في جامعه ٣/ ٣٧٤، ح١٠٦٠؛ والنسائي في المجتبى ٤/ ٢٥، ح١٨٧٥.
(٣) ص(٣٠٤)، ح٢٣٠٤.
(٤) في (ع، ظ): يبين لك ما ذكرناه.
(٥) ذكر قوله النحاس في معاني القرآن له ٤/ ٣٩٤.
(٦) في (معاني القرآن): وردتموها وهي جامدة.
(٧) (فدخلها): ليست في (ع، ظ).
(٨) (له): ليست في (ع).
(٩) ذكره الطبري في تفسيره ١٦/ ١٠٩.

[و][(١)]كان [أبو ميسرة][(٢)] إذا أوى إلى فراشه يقول: ليت أمي لم تلدني، فتقول له امرأته: يا أبا ميسرة، إن الله أحسن إليك، وهداك للإسلام، قال: أجل، ولكن الله قد بين لنا أنّا واردو النار ولم يبين لنا أنّا صادرون[(٣)].

وعن الحسن قال: قال رجل لأخيه: أي أخي، هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم، قال: فهل أتاك أنك خارج منها؟ قال: لا، قال: ففيم الضحك إذاً؟ قال: فما رؤي ضاحكاً حتى مات[(٤)].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في هذه المسألة لنافع الأزرق الخارجي: أما أنا وأنت فلا بد أن نردها، فأما أنا فينجيني الله منها، وأما أنت فما أظنه ينجيك[(٥)].

وذكر ابن المبارك قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: بكى ابن رواحة فبكت امرأته، فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: بكيت حين رأيتك تبكي. فقال عبد الله: إني قد علمت أني وارد النار فما أدري أناج منها أم لا[(٦)]؟.

وفي معناه قيل:

وقد أتانا ورود النار صاحبه[(٧)] حقاً يقيناً ولم يأتنا الصدر

[١٣٦/ب].

[[باب ما جاء في شعار المؤمنين على الصراط[(٨)]

الترمذي[(٩)] عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله ﷺ: «شعار

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ). (٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٣) ذكره الطبري في تفسيره ١٦/ ١١٠. (٤) ذكره الطبري في تفسيره ١٦/ ١١٢.
(٥) ذكرها الطبري في تفسيره ١٦/ ١٠٨؛ وهناد بن السري في الزهد له ١/ ١٦٤، ح٢٢٩.
(٦) في الزهد له ص(١٠٤)، ح٣٠٩؛ والطبري في تفسيره ١٦/ ١١٠.
(٧) في (ع، ظ): ضاحية.
(٨) (المؤمنين): بياض في (ع).
(٩) في جامعه ٤/ ٦٢١، ح٢٤٣٢، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن الترمذي ص(٢٧٥)، ح٤٢٩.

المؤمنين[١] على الصراط: سلِّم، سلِّم». قال: حديث غريب.

وفي صحيح مسلم: ونبيكم ﷺ قائم على الصراط يقول: «رب[٢] سلم، سلم». وقد تقدم[٣].

باب فيمن لا يوقف على الصراط طرفة عين

ذكر الوائلي أبو نصر في كتاب الإبانة: أخبرنا محمد بن محمد ابن الحاج قال: أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الربعي، حدثنا علي بن الحسين أبو عبيد قال: حدثنا زكريا بن يحيى أبو السكين قال: حدثني عبد الله بن صالح الهماني قال: حدثني أبو همام القرشي عن سليمان بن المغيرة عن قيس بن مسلم عن طاووس عن أبي هريرة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «عَلِّم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك، وإن أحببت أن لا توقف[٤] على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة فلا تحدث في دين الله حديثاً برأيك. قال: وهذا غريب الإسناد والمتن حسن.

باب منه

أبو نعيم[٥] قال: حدثنا سليمان بن أحمد، قال: حدثنا حر بن عرفة قال: حدثنا هانئ بن المتوكل قال: حدثنا أبو ربيعة سليمان بن ربيعة عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من أحسن الصدقة في الدنيا جاز على الصراط، ألا ومن قضى حاجة أرملة أخلف الله في تركته. قال: هذا حديث غريب من حديث محمد، تفرد به سليمان عن موسى.

وذكر الختلي أبو القاسم: حدثنا عثمان بن سعيد أبو عمرو الأنطاكي، حدثنا علي بن الهيثم، حدثنا إبراهيم بن بشار، حدثني شيخ يكنى أبا جعفر قال: رأيت في منامي كأني واقف على قناطر جهنم فنظرت إلى هول عظيم

(١) في (الترمذي): شعار المؤمن.
(٢) في (ظ): يا رب.
(٣) ص(٧٥٣).
(٤) في (ظ): لا تقف.
(٥) في حلية الأولياء ٣/ ٢٢٠.

فجعلت أفكر في نفسي كيف العبور على هذه، فإذا قائل يقول من خلفي: يا عبد الله ضع حملك واعبر، فقلت: وما حملي؟ قال: دع الدنيا واعبر.

قال: وحدثني أبو بكر خليفة بن الحارث بن خليفة قال: حدثنا عمرو بن جرير، حدثني: إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: سمعت أبا الدرداء يقول لابنه: يا بني لا يكن بيتك إلا المسجد، فإن المساجد بيوت المتقين، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يكن المسجد بيته ضمن الله له بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى الجنة»[١].

قال الشيخ رحمه الله: وهذا الحديث يصحح ما ذكرناه من الرؤيا، فإن من سكن المسجد واتخذه بيتاً أعرض عن الدنيا وأهلها وأقبل على الآخرة وعمل لها.

باب ثلاثة مواطن لا يخطئها النبي ﷺ لعظم الأمر فيها وشدته[٢]

الترمذي[٣] عن أنس قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة قال: أنا فاعل إن شاء الله تعالى، قال: فأين أطلبك؟ قال: «أول ما تطلبني على الصراط، قلت: فإن لم ألقك؟ قال: فاطلبني عند الميزان، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن. قال: هذا حديث حسن، وقد تقدم[٤] من حديث عائشة أنه عليه الصلاة والسلام قال: «أما ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً، عند الميزان وعند تطاير الصحف وعند الصراط».

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/١١٤، ح٣٤٦١٠؛ وهناد بن السري في الزهد له ٢/٤٧١، ح٩٥١.

(٢) في (ظ): وشدتها.

(٣) في جامعه ٤/٦٢١، ح٢٤٣٣؛ وأحمد في مسنده ٣/١٧٨، ح١٢٨٤٨؛ والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ٧/٢٤٦، ح٢٦٩١، صححه الألباني، انظر: صحيح الترمذي ٢/٢٩٣، ح١٩٨١.

(٤) ص(٧٦٦).

باب في تلقي الملائكة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام[١] وأممهم بعد الصراط وفي هلاك أعدائهم

ابن المبارك[٢] عن عبد الله بن سلام قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأنبياء نبياً نبياً، وأمة أمة، حتى يكون آخرهم مركزاً محمد وأمته، ويضرب الجسر على جهنم وينادي منادٍ: أين محمد[٣] وأمته؟ فيقوم نبي الله ﷺ وتتبعه أمته برها وفاجرها، حتى إذا كان على الصراط طمس الله أبصار أعدائه فتهافتوا في النار يميناً وشمالاً، ويمضي النبي ﷺ والصالحون معه، فتلقاهم[٤] الملائكة رتبا فيدلونهم على طريق الجنة على يمينك على شمالك حتى ينتهي إلى ربه فيوضع له كرسي عن يمين الرحمن، ثم يتبعه عيسى ﷺ على مثل سبيله ويتبعه برها وفاجرها حتى إذا كانوا على الصراط طمس الله أبصار أعدائه فتهافتوا في النار يميناً وشمالاً ويمضي النبي ﷺ والصالحون فتلقاهم الملائكة رتباً يدلونهم على طريق الجنة على يمينك على شمالك حتى ينتهي إلى ربه، فيوضع له كرسي من الجانب الآخر ثم يدعى نبي نبي وأمة وأمة حتى يكون آخرهم نوحاً ﷺ، رحم الله نوحاً.

باب ذكر الصراط الثاني وهو القنطرة التي بين]][٥] الجنة والنار

اعلم رحمك الله أن في الآخرة صراطين، أحدهما: مجاز لأهل المحشر[٦] كلهم ثقيلهم وخفيفهم إلا من دخل الجنة بغير حساب، أو يلتقطه عنق النار، فإذا خلص من خلص من هذا الصراط الأكبر الذي ذكرناه ولا يخلص منه إلا المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفد حسناتهم، حبسوا على صراط آخر خاص لهم ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد إن

---

(١) (عليهم الصلاة والسلام): ليست في (ع).
(٢) في الزهد (الزوائد) ص(١١٨ ـ ١١٩)، ح٣٩٨.
(٣) في (ظ): أين أحمد. (٤) في (ظ): فتلقهم.
(٥) ما بين المعقوفتين المزدوجتين ساقط من الأصل، وإكماله من (ع، ظ).
(٦) في (ع): الحشر.

شاء الله؛ لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب[١] على متن جهنم الذي يسقط فيها من أوبقه ذنبه وأربى على الحسنات بالقصاص جرمه[٢].

روى **البخاري**[٣] عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة بمنزله كان في الدنيا».

فصل

قلت: معنى يخلص المؤمنون من النار: أي يخلصون من الصراط المضروب على النار، ودل هذا[٤] على أن المؤمنين في الآخرة مختلفو الحال.

قال مقاتل[٥]: إذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا وطيبوا[٦] قال لهم رضوان وأصحابه: سلام عليكم بمعنى التحية: ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وقد ذكر الدارقطني[٧] حديثاً ذكر فيه أن الجنة بعد الصراط.

قلت: ولعله أراد بعد القنطرة بدليل حديث البخاري والله أعلم، أو يكون ذلك في حق من دخل النار وخرج بالشفاعة، فهؤلاء لا يحبسون بل إذا أخرجوا[٨] بثوا على أنهار الجنة على ما يأتي[٩] بيانه في الباب بعد هذا إن شاء الله تعالى.

وقد صح عنه ﷺ أنه قال: أصحاب الجنة محبوسون على قنطرة[١٠] بين

---

(١) في (ع): والمضروب.
(٢) (جرمه): ساقطة من (ع).
(٣) في صحيحه ٥/ ٢٣٩٤، ح٦١٧٠.
(٤) في (ظ): ودل هذا الحديث.
(٥) ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٨٩ عن قتادة.
(٦) في (ظ): وطابوا.
(٧) لم أجده في سننه.
(٨) في (ع): خرجوا.
(٩) ص(٩١٧).
(١٠) (على قنطرة): ليست في (ع، ظ).

الجنة والنار يسألون عن فضول أموال كانت بأيديهم. ولا تعارض بين هذا الحديث وحديث البخاري؛ فإن الحديثين مختلفا[١] المعنى لاختلاف أحوال الناس، وكذلك لا تعارض بين قوله ﷺ: لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة وبين قول عبد الله بن سلام: إن الملائكة تدلهم على طريق الجنة يميناً وشمالاً، فإن هذا يكون فيمن لم يحبس على قنطرة ولم يدخل النار فيخرج منها فيطرح على باب الجنة. وقد يحتمل أن يكون ذلك في الجميع فإذا وصلت بهم الملائكة إلى باب الجنة كان كل أحد[٢] منهم أعرف بمنزله في الجنة وموضعه فيها بمنزله [١٣٧/أ] كان في الدنيا والله أعلم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝﴾ [محمد: ٦]، قال أكثر أهل التفسير[٣]: إذا دخل أهل الجنة الجنة يقال لهم: تفرقوا[٤] إلى منازلكم فهم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم. وقيل: إن هذا التعريف إلى المنازل بدليل وهو أن[٥] الملك الموكل بعمل العبد يمشي بين يديه، وحديث أبي سعيد الخدري يرده، والله أعلم.

باب من دخل النار من الموحدين مات واحترق ثم يخرجون بالشفاعة

مسلم[٦] عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس[٧] أصابتهم النار بذنوبهم أو قال: بخطاياهم فأماتهم الله إماتة حتى إذا كانوا فحماً أذن لهم في الشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل: يا أهل

---

(١) في (الأصل): مختلفي، والتصويب من (ع، ظ)؛ ولأن موقع الكلمة خبر إن مرفوع بالألف لأنه مثنى.
(٢) في (ع): كان كل واحد.
(٣) هو قول مجاهد وقتادة، تفسير الطبري ٢٦/٤٤، وقول السدي، تفسير الطبري ٢٤/٣٦.
(٤) في (ظ): تعرفوا.
(٥) (أن): ليست في (ع، ظ).
(٦) في صحيحه ١/١٧٢، ح١٨٥.
(٧) في (ظ): أناس.

الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل»، فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان يرعى(١) بالبادية.

فصل

هذه الموتة للعصاة موتة حقيقية؛ لأنه(٢) أكدها بالمصدر وذلك تكريماً لهم حتى لا يحسوا ألم العذاب بعد الاحتراق بخلاف الحي الذي هو من أهلها ومخلد فيها: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

وقد قيل: يجوز أن يكون أماتهم(٣) عبارة عن تغييبه إياهم عن آلامها بالنوم ولا يكون ذلك موتاً على الحقيقة، فإن النوم قد يغيب عن كثير من الآلام والملاذ، وقد سماه الله تعالى موتاً(٤)، فقال: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، فهو وفاة وليس بالموت على الحقيقة الذي هو خروج الروح من البدن، فكذلك الصعقة، وقد عبر الله عنها بالموت في قوله تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] وأخبر عن موسى ﷺ أنه خرّ صعقاً، ولم يكن ذلك موتاً على الحقيقة غير أنه لما غيب عن أحوال المشاهدة من الملاذ والآلام جاز أن يكون(٥) موتاً، فكذلك يجوز أن يكون أماتهم غيبهم عن الآلام وهم أحياء بلطيفة يحدثها الله فيهم كما غيب النسوة(٦) اللاتي قطعن أيديهن بشاهد ظهر لهن فغبن فيه عن آلامهن، والتأويل الأول أصح لما ذكرناه من تأكيده بالمصدر ولقوله في نفس الحديث: حتى إذا كانوا فحماً فهم أموات على الحقيقة، كما أن أهلها أحياء على الحقيقة وليسوا بأموات [١٣٧/ب].

فإن قيل: فما معنى إدخالهم النار وهم فيها غير عالمين؟

---

(١) في (ظ): (يرعى): ليست في (مسلم).
(٢) في (الأصل): لأنها، والتصويب من (ع، ظ).
(٣) في (ع): إماتتهم.
(٤) في (ع، ظ): وفاة.
(٥) في (ع، ظ): أن يسمى.
(٦) في (ع): كما غيب عن النسوة.

قيل: يجوز أن يدخلهم تأديباً لهم وإن لم يعذبهم فيها، ويكون صرف نعيم الجنة عنهم مدة كونهم[1] فيها عقوبة لهم كالمحبوس[2] في السجون، فإن الحبس عقوبة لهم[3] وإن لم يكن معه غل ولا قيد، والله أعلم، وسيأتي[4] لهذا مزيد بيان في أبواب النار إن شاء الله تعالى.

وقوله: ضبائر، ضبائر: معناه، جماعات جماعات، الواحدة: ضبارة بكسر الضاد وهي الجماعة من الناس.

وبثوا: فرقوا.

والحِبة: بكسر الحاء، بذر[5] البقول[6].

وحميل السيل: ما احتمله من غثاء وطين. وسيأتي[7] بيانه إن شاء الله تعالى.

باب فيمن يُشفعُ لهم قبل دخولهم[8] النار من أجل أعمالهم الصالحة للصالحين[9] وهم أهل الفضل في الدنيا

ذكر أبو عبد الله محمد بن مرة الحيلي القرطبي[10] في كتاب التبيين له، روى أبي وابن وضاح من حديث أنس يرفعه قال: «يصف أهل النار فيقربون، فيمر بهم الرجل من أهل الجنة، فيقول الرجل منهم: يا فلان أما تذكر رجلاً سقاك شربة ماء يوم[11] كذا وكذا؟ فيقول: إنك لأنت هو، قال: فيقول: نعم،

---

(١) (كونهم): ليست في (ع).
(٢) في (ظ): كالمحبوسين.
(٣) (لهم): ليست في (ظ).
(٤) ص(٧٧٩).
(٥) (بذر): ليست في (ع).
(٦) في غريب الحديث ١/٣٢٦: الحِبة بكسر الحاء بذور البقول والرياحين، وقيل: نبت صغير ينبت في الحشيش، فأما الحَبة بفتح الحاء فهي: الحنطة والشعير ونحوهما.
(٧) ص(٧٧٩).
(٨) في (ظ): دخول.
(٩) هكذا في الأصل و(ظ)، وفي (ع): والصالحين: وهذا الباب لا يوجد في (م)، ولعل المراد يُشفع لهؤلاء من أجل أعمالهم الصالحة التي قدموها في الدنيا من سقاية الماء، أو إطعام الطعام، وهؤلاء الصالحون: هم أهل الفضل في الدنيا.
(١٠) لم أقف على من ترجم له أو ذكره أو ذكر كتابه.
(١١) (يوم): ساقطة من (ع).

قال: فيشفع فيه فيشفع، ويقول الرجل منهم: يا فلان ـ لرجل من أهل الجنة ـ أما تذكر رجلاً وهب لك وضوءاً يوم كذ وكذا، فيقول: نعم فيشفع له ويشفع فيه».

قلت: خرّجه **ابن ماجه** في سننه[١] بمعناه قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير وعلي بن محمد قالا: حدثنا الأعمش عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يصف الناس يوم القيامة[٢] صفوفاً، وقال ابن نمير: أهل الجنة، فيمر الرجل من أهل النار على الرجل فيقول: يا فلان أما تذكر يوم استسقيتني فسقيتك شربة[٣]؟ قال: فيشفع له، ويمر الرجل على الرجل فيقول[٤]: أما تذكر يوم ناولتك طهوراً؟ فيشفع له، قال ابن نمير: ويقول: يا فلان أما تذكر يوم بعثتني لحاجة كذا وكذا فذهبت لك؟ فيشفع له»؟.

وخرج **أبو نعيم**[٥] الحافظ بإسناده عن الثوري: ثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله، قال: أجورهم: يدخلهم الجنة، ويزيدهم من فضله[٦]: الشفاعة لمن وجبت له[٧] النار ممن صنع إليه المعروف[٨] في الدنيا».

وذكر أبو جعفر الطحاوي[٩] أيضاً عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل [١٣٨/أ] الجنة صفوفاً وأهل النار صفوفاً، فينظر الرجل من صفوف أهل النار إلى الرجل من صفوف أهل

---

(١) ١٢١٥/٢، ح٣٦٨٥؛ وبنحوه خرجه أبو يعلى في مسنده ٧٩/٧، ح٤٠٠٦؛ وضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن أبي ماجه ص(٢٩٧ ـ ٢٩٨)، ح٨٠٥.
(٢) (يوم القيامة): ليست في (ع، ظ).
(٣) في (ظ): شربة ماء.
(٤) في (ع): فيقول له.
(٥) في (الحلية) ١٠٨/٤، وقال أبو نعيم بعده: غريب من حديث الأعمش.
(٦) (يدخلهم الجنة، ويزيدهم من فضله): ساقطة من (ع).
(٧) في (ظ): لهم.
(٨) في (الحلية): ممن صنع إليهم المعروف.
(٩) لم أجده في شرح مشكل الآثار له، وكذلك في الحاوي في بيان آثار الطحاوي لابن أبي الوفاء الحنفي، ط. دار الكتب العلمية بيروت.

الجنة فيقول له: يا فلان تذكر يوم اصطنعتك معروفاً إليك[(١)]؟ فيقول: اللهم هذا[(٢)] اصطنع إلي في الدنيا معروفاً، قال: فيقال له: خذ بيده وأدخله الجنة برحمة الله ﷺ»[(٣)]. قال أنس رضي الله عنه: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله.

قال أبو عبد الله محمد بن ميسرة[(٤)]: رأيت في الكتاب الذي يذكر أنه الزبور: إني أدعو عبادي الزاهدين يوم القيامة فأقول لهم عبادي: إني لم أزو عنكم الدنيا لهوانكم علي، ولكن أردت أن تستوفوا نصيبكم موفراً اليوم، فتخللوا الصفوف، فمن أحببتموه في الدنيا أو قضى لكم حاجة أو رد عنكم غيبة أو أطعمكم لقمة ابتغاء وجهي وطلب مرضاتي فخذوا بيده وأدخلوه الجنة.

فصل

وذكر أبو حامد في كتاب الإحياء[(٥)]: قال أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إن رجلاً من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول: يا فلان هل تعرفني؟ فيقول: لا والله ما أعرفك، من أنت؟ فيقول: أنا الذي مررت بي في الدنيا يوماً فاستسقيتني شربة ماء فسقيتك، قال: قد عرفت، قال: فاشفع لي بها عند ربك، فيسأل الله تعالى ويقول: إني أشرفت على النار فناداني رجل من أهلها، فقال: هل تعرفني؟ فقلت: لا، من أنت؟ قال: أنا الذي استسقيتني في الدنيا، فسقيتك فاشفع لي بها، فشفعني، فيشفعه الله فيؤمر به فيخرج من النار.

---

(١) (إليك): ليست في (ظ). وفي (قضاء الحوائج): اصطنعت إليك في الدنيا معروفاً.
(٢) في (ع): اللهم إن هذا.
(٣) وأخرجه بن أبي الدنيا في كتاب قضاء الحوائج ص(٣٣)، ح١٩.
(٤) انظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم ٨/ ٨٩.
(٥) في (ع، ظ): في آخر كتاب الإحياء، والنص في آخر كتاب الإحياء ٤/ ٥٢٨؛ قال الحافظ العراقي: أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف، المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، بهامش كتاب الإحياء ٤/ ٤٦٠ طبعة دار الكتب العلمية بيروت الأولى لسنة ١٤١٩هـ.

باب في الشافعين لمن دخل النار وما جاء أن النبي ﷺ يشفع رابع أربعة وذِكْر من يبقى في جهنم بعد ذلك

ابن ماجه[١] عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يشفع يوم القيامة ثلاثة، الأنبياء العلماء ثم الشهداء».

وذكر ابن السَّمَّاك أبو عمرو عثمان بن أحمد[٢] قال: ثنا يحيى بن جعفر بن الزبرقان قال: أخبرنا علي بن عاصم قال: ثنا خالد الحذاء عن سلمة بن كهيل عن أبيه عن أبي الزعراء قال: قال عبد الله بن مسعود: يشفع نبيكم رابع أربعة: جبريل، ثم إبراهيم، ثم موسى أو عيسى، ثم نبيكم ﷺ، ثم الملائكة، ثم النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ويبقى قوم في جهنم فيقال لـــهـــم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۝٤٤﴾ إلى قوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ۝٤٨﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٨] [١٣٨/ب]، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: فهؤلاء الذين يبقون في جهنم.

قال المؤلف رحمه الله: وقيل: إن هذا هو المقام المحمود لنبينا ﷺ، خرجه **أبو داود الطيالسي**[٣] قال: ثنا يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن أبي الزعراء عن عبد الله قال: ثم يأذن الله عز وجل في الشفاعة، فيقوم روح القدس جبريل عليه السلام ثم يقوم إبراهيم خليل الله[٤] عليه السلام ثم يقوم عيسى أو موسى عليهما السلام. قال أبو الزعراء: لا أدري أيهما قال، ثم يقوم نبيكم ﷺ رابعاً فيشفع، لا يشفع لأحد بعده في أكثر مما يشفع وهو المقام المحمود الذي قال الله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩][٥].

---

(١) في سننه ٢/١٤٤٣، ح٤٣١٣، قال الألباني: موضوع، انظر: ضعيف سنن ابن ماجه ص(٣٥٢)، ح٩٣٩.

(٢) البغدادي الدقاق، مسند العراق، حدث عنه الدارقطني: والحاكم، وابن منده وغيرهم، توفي سنة ٣٤٤هـ، سير أعلام النبلاء ١٥/٤٤٤.

(٣) في مسنده ص(٥١)، ح٣٨٩.

(٤) (خليل الله): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.

(٥) قال ابن حجر: هذا الحديث لم يصرح برفعه، وقد ضعفه البخاري، وقال المشهور=

ابن ماجه[١] عن عبد الله بن أبي الجدعاء ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم، قالوا: يا رسول الله، سواك؟ قال: سواي»، قلت: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: أنا سمعته. أخرجه الترمذي[٢] وقال: حديث حسن صحيح غريب[٣]، ولا يعرف لابن أبي الجدعاء غير هذا الحديث الواحد.

قال المؤلف ﷺ: وخرجه البيهقي في دلائل النبوة[٤]، وقال في آخره: قال عبد الوهاب الثقفي: قال هشام بن حيان: كان الحسن يقول: إنه أويس القرني.

وخرّج ابن السَّمَّاك قال: ثنا يحيى بن جعفر قال: ثنا شبابة بن سوار قال: ثنا جرير بن عثمان عن عبد الله بن ميسرة[٥] وحبيب بن عدي الرحبي عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل بشفاعة رجل من أمتي الجنة مثل أحد الحيين: ربيعة ومضر، قال: قيل: يا رسول الله وما ربيعة من مضر؟ قال: إنما أقول ما أقول»[٦]. قال: فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان ﷺ.

الترمذي[٧] عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «من أمتي[٨] من يشفع للفئام، ومنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة»، قال: حديث حسن.

= قوله ﷺ: «أنا أول شافع»، قلت: وعلى تقدير ثبوته فليس في شيء من طرقه التصريح بأنه المقام المحمود. فتح الباري ١١/ ٤٢٧.

(١) في سننه ٢/ ١٤٤٣، ح٤٣١٦؛ والدارمي في سننه ٢/ ٤٢٣، ح٢٨٠٨؛ والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ٩/ ١٤٠، ح١٢١، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٣٣، ح٣٤٨٤.

(٢) في جامعه ٤/ ٦٢٦، ح٢٤٨٣.

(٣) في (الأصل): حسن غريب صحيح، والتصويب من (ع، ظ، الترمذي).

(٤) ٦/ ٣٧٨.

(٥) في (مسند أحمد): عبد الرحمن بن ميسرة.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ٢٥٧، ح٢٢٢٦٩.

(٧) في جامعه ٤/ ٦٢٧، ح٢٤٤٠، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف الترمذي له ص(٢٧٥ـ٢٧٦).

(٨) في (ع، الترمذي): إن من أمتي.

وذكر البزار في مسنده(١) عن ثابت: أنه سمع أنس بن مالك ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة».

وذكر القاضي عياض في الشفاء(٢): [عن كعب](٣): أن لكل رجل من الصحابة ﷺ شفاعة.

وذكر ابن المبارك(٤) قال: أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: «يكون في أمتي رجل يقال له صلة(٥) بن أشيم يدخل [١٣٩/أ] الجنة بشفاعته كذا وكذا».

فصل

إن قال قائل: كيف تكون الشفاعة لمن دخل النار والله تعالى يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقال: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦] ومن ارتضاه الله لا يخزيه، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ(٦)﴾ الآية [التحريم: ٨].

قلنا: هذا مذهب أهل الوعيد الذين ضلوا عن الطريق وحادوا عن التحقيق(٧)، وأما مذهب أهل السنة الذين جمعوا بين الكتاب والسنة، فإن

---

(١) لم أجده في مسنده البزار المطبوع.

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٣٨٢، وعزاه إلى البزار، وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٤) في الزهد له ص(٢٩٧)، ح٨٦٤؛ والبيهقي في دلائل النبوة ٦/٣٧٩.

(٥) في (الأصل): أصل، والتصويب من (ع، ظ، والزهد).

(٦) في (ع): ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾.

(٧) وأشهر من ضل في مسألة الشفاعة هم الخوارج والجهمية والمعتزلة والشيعة الزيدية، انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص(٦٦٦) وما بعدها، والفصل لابن حزم ٤/٦٣؛ والتوسل والوسيلة لابن تيمية ص(١٠).

الشفاعة تنفع العصاة من أهل الملة حتى لا يبقى منهم أحد إلا دخل الجنة، والجواب عن الآية الأولى ما قاله أنس بن مالك ﷺ أن معنى من يدخل النار: من يخلد.

وقال قتادة: يدخل مقلوب يخلد[١]، ولا نقل[٢] كما قال أهل حروراء فيكون قوله على هذا: ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾، على بابه من الهلاك أي أهلكته وأبعدته ومقته، ولهذا قال سعيد بن المسيب: الآية جاءت خاصة في قوم لا يخرجون من النار، ودليله قوله في الآية: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠] أي الكفار.

وإن قدرنا الآية في العصاة من الموحدين، فيحتمل أن يكون الخزي بمعنى الحياء، يقال: خزي يخزي خزاية: إذا استحيا، فهو خزيان، وامرأة خزياء، كذا قال أهل المعاني، فخزي المؤمنين يومئذ: استحياؤهم في دخول النار من سائر أهل الأديان إلى أن يخرجوا منها، والخزي للكافرين هو هلاكهم[٣] فيها من غير موت، والمؤمنون يموتون فافترقوا في الخزي والهوان، ثم يخرجون بشفاعة من أذن الله له[٤] في الشفاعة، وبرحمة الرحمن، وشفاعته على ما يأتي[٥] في الباب بعد هذا، وعند ذلك يكونون مرضيين قد رضي عنهم ثم لا يأتي الإذن في أحد حتى لا يبقى عليه من قصاص ذنبه إلا ما تجيزه الشفاعة فيؤذن فيه فيلحق بالفائزين الراضين، والحمد لله رب العالمين.

وأما قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ[٦]﴾ فمعناه: لا يعذبه ولا يعذب الذين آمنوا وإن عذب العصاة وأماتهم فإنه يخرجهم بالشفاعة وبرحمته على ما يأتي[٧] بيانه في الباب بعد هذا[٨].

---

(١) (يخلد): ساقطة من (ع). (٢) في (ع، ظ): ولا نقول.
(٣) في (الأصل): اكلاوهم، والتصويب من (ع، ظ).
(٤) في (ظ): من أذن له. (٥) ص(٧٩١).
(٦) في (ظ): ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ﴾.
(٧) ص(٧٩١).
(٨) في (ظ): على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

باب منه في الشفعاء وذكر الجهنميين

ذكر **ابن المبارك**[١] قال: أخبرنا رشدين بن سعد عن حي عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الصيام [١٣٩/ب] والقرآن يشفعان للعبد، يقول الصيام: رب منعته الطعام والشراب[٢] والشهوات بالنهار فشفّعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفعان».

وذكر **مسلم**[٣] من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ وفيه بعد قوله: «في نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله في استيفاء[٤] الحق من المؤمنين يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقاً كثيراً، قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه، يقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا[٥]، فيقول ﷻ: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا[٦] أحداً، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً، وكان أبو سعيد الخدري ﷺ يقول: إن لم تصدقوني بهذ الحديث فاقرؤوا إن شئتم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠]، فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة وشفع النبيون، وشفع

(١) في الزهد (الزوائد) ص(١١٤)، ح٣٨٥؛ وأبو نعيم في الحلية ٨/ ١٦١؛ وقال الذهبي: إسناده لين، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٢.

(٢) (والشراب): ليست في (ع، مسلم).

(٣) في صحيحه ١/ ١٦٩، ح١٨٣.

(٤) في (مسلم): استقصاء.

(٥) في (ع، مسلم): من أمرتنا به.

(٦) (ممن أمرتنا): ليست في (ع).

المؤمنون[١] ولم يبق إلا أرحم الراحمين، في البخاري[٢]: «بقيت[٣] شفاعتي»، بدل قوله: ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط، قد عادوا حمماً فيلقيهم في نهر على أفواه[٤] الجنة يقال له: نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحِبة في حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصفر وأخضر[٥]، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض، فقالوا: يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية، قال: فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الله[٦] الذي أدخلهم الله[٧] الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: يا ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون: يا ربنا وأي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبداً». [وخرّجه **ابن ماجه**[٨] بلفظه عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: «إذا خلص الله المؤمنين من النار، وأمنوا فما مجادلة أحدكم لصاحبه من الحق يكون له في الدنيا أشد مجادلة من المؤمنين في إخوانهم الذين أدخلوا النار قال: يقولون: ربنا كانوا إخواننا»، فذكره بمعناه][٩].

وخرج أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم بن محمد الختلي في كتاب الديباج له: ثنا أحمد [١٤٠/أ] بن أبي الحارث قال: حدثنا عبد المجيد بن أبي رواد

---

(١) (وشفع المؤمنون): ليست في (ظ). (٢) في صحيحه ٢٧٠٧/٦، ح٧٠٠١.

(٣) في (ع، ظ): وبقيت، والأصل متوافق مع صحيح البخاري.

(٤) في (ظ): أبواب.

(٥) في (ظ، ومسلم): أصيفر، وأخيضر.

(٦) (لفظ الجلالة): ليس في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع صحيح مسلم.

(٧) (لفظ الجلالة): ليس في (ع، ظ).

(٨) في سننه ٢٣/١، ح٦٠، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ١٦/١، ح٥١.

(٩) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ)، إلا أنه تقدم في (ع) قبل عبارة: يقولون ربنا كانوا إخواننا، التي في صحيح مسلم.

عن معمر بن راشد عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا فرغ الله من القضاء[1] بين خلقه أخرج كتاباً من تحت العرش: إن رحمتي سبقت غضبي، وأنا أرحم الراحمين، قال: فيخرج من النار مثل أهل الجنة، أو قال: مثلي أهل الجنة، قال: وأكثر ظني أنه قال: مثلي[2] أهل الجنة مكتوب بين أعينهم عتقاء الله».

فصل

هذا الحديث بين في أن الإيمان يزيد وينقص حسب ما بيناه في آخر سورة آل عمران من كتاب جامع أحكام القرآن[3]، فإن قوله: «أخرجوا من في قلبه مثقال دينار، نصف دينار، ذرة»، يدل على ذلك، وقوله: «من خير»: يريد من إيمان، وكذلك ما جاء ذكره [من حديث قتادة عن أنس «وكان في قلبه][4] من الخير ما يزن برة، ما يزن شعيرة[5]، ما يزن ذرة»، أي من الإيمان بدليل الرواية الآخرة[6] التي رواها معبد بن هلال العنزي عن أنس، وفيها: «فأقول: يا رب أمتي، أمتي، فيقال: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها فأنطلق فأفعل»، الحديث بطوله، خرّجه مسلم[7]، فقوله: من إيمان أي من أعمال الإيمان التي هي أعمال الجوارح، فيكون فيه دلالة على أن الأعمال الصالحة من شرائع الإيمان.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي صلاتكم.

وقد قيل: إن المراد في هذا الحديث: أعمال القلوب، كأنه يقول: أخرجوا من عمل عملاً بنية من قلبه، كقوله: الأعمال بالنيات.

---

(١) في (ع): القصاص.
(٢) في (ع): مثل.
(٣) ٤/ ٢٨٠.
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٥) في (ع، ظ): ما يزن شعيرة ما يزن برة، والأصل متوافق مع صحيح مسلم.
(٦) في (ع، ظ): الأخرى.
(٧) في صحيحه ١/ ١٨٢، ح١٩٣.

وفي هذا المعنى خبر عجيب يأتي[(١)] ذكره آنفاً[(٢)] إن شاء الله تعالى.

ويجوز أن يراد به رحمةٌ على مسلم، رأفةٌ على يتيم، خوفاً من الله، رجاءً له، توكلاً عليه، ثقة به، مما هي أفعال القلوب[(٣)] دون الجوارح. وسماها إيماناً؛ لأنها في محل الإيمان، والدليل على أنه أراد بالإيمان ما قلنا ولم يرد مجرد الإيمان وهو التوحيد له[(٤)] ونفي الشركاء والإخلاص بقول لا إله إلا الله ما في الحديث نفسه من قوله: أخرجوا، أخرجوا، ثم هو سبحانه بعد ذلك يقبض[(٥)] قبضة فيخرج قوماً لم يعملوا خيراً قط، يريد إلا التوحيد المجرد عن الأعمال[(٦)].

وقد جاء هذ مبيناً فيما رواه الحسن عن أنس وهي الزيادة التي زادها علي بن معبد في حديث الشفاعة: «ثم أرجع إلى ربي في الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، قال: فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع[(٧)] وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، قال: ليس ذلك[(٨)] لك، أو قال: ليس ذلك إليك، وعزتي، وكبريائي، وعظمتي، وجبروتي لأخرجن من قال: لا إله إلا الله»[(٩)] [١٤٠/ب].

وذكر الترمذي الحكيم أبو عبد الله في نوادر الأصول[(١٠)] عن محمد بن كعب [القرظي][(١١)] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يكتب على جباههم عتقاء الرحمن، فيسألون أن يمحو ذلك الاسم عنهم فيمحوه».

وفي رواية: «فيبعث الله ملكاً فيمحاه عن جباههم»، الحديث، وسيأتي[(١٢)].

---

(١) ص(٧٨٠).
(٢) (آنفا): ليست في (ظ).
(٣) في (ع، ظ): القلب.
(٤) في (ع، ظ): الذي هو التوحيد.
(٥) في (ع، ظ): ثم بعد ذلك سبحانه يقبض.
(٦) في (ع): عن الإيمان.
(٧) في (ع): وقل يسمع لك.
(٨) في (ظ، مسلم): ذاك.
(٩) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٨٣، ح١٩٣.
(١٠) ٢/ ٣٦.
(١١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(١٢) ص(٧٨٠).

يقال: «محا لوحه محوه محواً، ويمحيه محياً، ومحاه أيضاً فهو ممحو وممحي، صارت الواو ياء لكسرة ما قبله فأدغمت في الياء التي هي لام الفعل.

وأنشد الأصمعي:

كما رأيت الورق الممحيا

وانمحى انفعل، وامتحى لغة فيه ضعيفة»، قاله الجوهري[1].

وذكر أبو بكر البزار في مسنده[2] عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون، وأما الذين يريد الله إخراجهم فتميتهم النار ثم يخرجون منها فيلقون على نهر الحياة فيرسل عليهم من مائها فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ويدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة: الجهنميين، فيدعون الله تعالى فيذهب ذلك الاسم عنهم».

البخاري[3] **عن أنس** ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يخرج قوم من النار بعد ما مستهم[4] منها سفع[5]، فيدخلون الجنة، فيسميهم أهل الجنة الجهنميين».

الترمذي[6] عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: «ليخرجن قوم من النار بشفاعتي[7] يسمون الجهنميين»، قال: حديث حسن صحيح.

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من

---

(١) في الصحاح ٦/٢٤٨٩. (٢) لم أجده في المسند المطبوع.

(٣) في صحيحه ٥/٢٣٩٩، ح٦١٩١.

(٤) في (البخاري): بعد ما مسهم.

(٥) سفع من النار: أي علامة تغير ألوانهم، وأثر من النار، النهاية في غريب الحديث ٢/٣٧٤.

(٦) في جامعه ٤/٧١٥، ح٢٦٠٠؛ وابن ماجه في سننه ٢/١٤٤٣، ح٤٣١٥؛ صححه الألباني، انظر: ٢/٣٢٣، ح٢٠٩٦.

(٧) في (ظ): قوم من أمتي بشفاعتي، وفي (الترمذي): قوم من أمتي من النار بشفاعتي، وفي (ابن ماجه): قوم من النار بشفاعتي.

أمتي»، خرجه **الترمذي**[(١)] أيضاً، وصححه أبو محمد عبد الحق[(٢)]. وخرجه **أبو داود الطيالسي**[(٣)] **وابن ماجه**[(٤)] من حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، زاد الطيالسي قال: فقال لي جابر: من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة»؟ قال أبو داود[(٥)]: حدثناه محمد بن ثابت عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر.

وذكر أبو الحسن الدارقطني[(٦)] عن أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «نعم أنا لشرار أمتي، قالوا: فكيف أنت لخيارها؟ قال: أما خيارها فيدخلون الجنة بأعمالهم، وأما شرارهم فيدخلون الجنة بشفاعتي».

وخرج **ابن ماجه**[(٧)]: حدثنا إسماعيل بن أسد قال: حدثنا أبو بدر[(٨)] عن زياد بن خيثمة عن نعيم بن أبي هند ربعي بن حراش عن أبي موسى الأشعري ﷺ [١٤١/أ] قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى، أترونها للمتقين المصفين لا، ولكنها للمذنبين الخاطئين[(٩)] المتلوثين».

قلت: وأنبأناه الشيخ الفقيه الإمام أبو القاسم عبد الله بن علي بن خلف

---

(١) في جامعه ٤/ ٦٢٥، ح٢٤٣٥، وقال: حسن صحيح غريب من هذ الوجه، صححه الألباني، انظر: صحيح الترمذي ٢/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥، ح١٩٨٣.

(٢) انظر: الأحكام الشرعية الكبرى له ١/ ١٧٦.

(٣) في مسنده ص(٢٣٣)، ح١٦٦٩.

(٤) في سننه ٢/ ١٤٤١، ح٤٣١٠.

(٥) أي الطيالسي في مسنده ص(٢٣٣).

(٦) لم أجده في سنن الدارقطني وذكر معناه في العلل ٧/ ٢٢٦، رقم ١٣١٠، وأخرجه الطبراني في الكبير ٨/ ٩٧، ح٧٤٨٣.

(٧) في سننه ٢/ ١٤٤١، ح٤٣١١، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن بن ماجه ٢/ ٤٣١، ح٣٤٨٠.

(٨) في (الأصل): أبو بدر شجاع بن الوليد السكوني، والتصويب من (ع، ظ، ابن ماجه)، فهو: شجاع بن الوليد السكوني، أبو بدر، روى عن زياد بن خيثمة وإسماعيل بن عياش، انظر: تهذيب الكمال ١٢/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣.

(٩) في (الأصل): للخاطئين المذنبين، والتصويب من (ع، ظ، ابن ماجه).

الكوفي[١] قال: قرئ على الشيخة الصالحة فخر النساء: خديجة بنت أحمد بن الحسين بن عبد الكريم النهرواني في منزلها وأنا حاضر أسمع، قيل لها: أخبرك[٢] الشيخ أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد الغالي فأقرت به وقالت: نعم، قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن زرقويه البزاز، أخبرنا أبو علي إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفار[٣]، ثنا عبد الله بن أيوب المخرمي، حدثنا أبو بدر شجاع بن بدر بن الوليد السكوني عن زياد بن خيثمة عن نعيم بن أبي هند عن ربعي بن حِراش عن النبي ﷺ قال: «خيرت بين الشفاعة ونصف أمتي فاخترت الشفاعة، أترونها للمتقين؟[٤]، لا، لكنه للخاطئين المتلوثين[٥]».

وخرج **ابن ماجه**[٦] قال: ثنا هشام بن عمار ثنا صدقة بن خالد حدثنا أبو جابر قال: سمعت سليم بن عامر يقول: سمعت عوف بن مالك الأشجعي يقول: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما خيرني ربي الليلة؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: إنه خيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة، قلنا: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنا من أهلها، قال: هي لكل مسلم».

وأما الخبر العجيب الذي وعدنا بذكره فذكره الكلاباذي أبو بكر محمد بن إبراهيم في بحر الفوائد له[٧]: حدثنا أبو النضر محمد بن إسحاق الرشادي قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عيسى بن يزيد الطرطوسي قال: ثنا نعيم بن

---

(١) في (ظ): الإمام المحدث أبو القاسم عبد الله عن أبيه الفقيه المحدث أبي الحسن علي بن خلف.
(٢) في (ع، ظ): أخبركم.
(٣) في (ع، ظ): إسماعيل بن صالح الصفار.
(٤) في (الأصل): المتقين، مكررة.
(٥) في (الأصل): المتلوثين، مكررة.
(٦) في سننه ٢/ ١٤٤٤، ح٤٣١٧؛ والحاكم في مستدركه ١/ ١٣٥، ح٢٢١، صححه الألباني، انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٤٣٣، ح٣٤٨٥.
(٧) نقل المؤلف عنه هذا النص فقط، ولم أقف على من ذكره.

حماد قال: ثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن أبي قلابة قال: كان لي ابن أخ[١] يتعاطى الشراب فمرض، فبعث إلي ليلاً أن ألحق بي، فأتيته، فرأيت أسودين قد دنيا من ابن أخي، فقلت: إنا لله هلك ابن أخي، فاطلع أبيضان من الكوة التي في البيت، فقال أحدهما لصاحبه: انزل إليه، فلما نزل تنحى الأسودان، فجاء فشم فاه، فقال: ما أرى فيه[٢] ذكراً، ثم شم بطنه فقال: ما أرى فيها صوماً، ثم شم رجليه فقال: ما أرى فيها صلاة، فقال له صاحبه: إنا لله وإنا إليه راجعون[٣]، رجل من أمة محمد ﷺ ليس له من الخير شيء، ويحك[٤] عبد فانظر فعاد فشم فاه، فقال: ما أرى فيه ذكراً، ثم عاد فشم بطنه فقال: ما أرى فيه صوماً، ثم عاد فشم رجليه، فقال: ما أرى فيه صلاة، فقال[٥]: ويحك رجل من أمة محمد ﷺ ليس معه من الخير شيء، اصعد حتى أنزل أنا [١٤١/ب] فنزل الآخر فشم فاه[٦]، فقال: ما أرى فيه ذكراً، ثم شم بطنه فقال: ما أرى فيه صوماً، ثم شم رجليه فقال: ما أرى فيهما صلاة، قال: ثم عاد فأخرج طرف لسانه فقال: الله أكبر، قد كبر تكبيرة في سبيل الله يريد بها وجه الله بإنتاكية، قال: ثم فاضت نفسه وشممت في البيت رائحة المسك فلما صليت الغداة قلت لأهل المسجد: هل لكم في رجل من أهل الجنة وحدثتهم حديث ابن أخي، فلما بلغت ذكر إنتاكية قالوا: ليست[٧] بإنتاكية هي أنطاكية[٨]، قلت: لا والله لا أسميها إلا كما سماها[٩] الملك.

قال علماؤنا[١٠]: فهذا أنجته تكبيرة أراد بها وجه الله تعالى، وهذه

---

(١) في (ظ): كان ابن أخ لي.
(٢) في (الأصل، ظ): فيها، والتصويب من (ع).
(٣) (وإنا إليه راجعون): ليست في (ع).
(٤) في (ظ): قال ويحك.
(٥) في (ظ): فقال له ويحك.
(٦) في (الأصل): فيه، وهو خطأ نحوي، والتصويب من (ع، ظ).
(٧) في (ظ): ليست هي.
(٨) أنطاكية: بالفتح ثم السكون والياء المخففة، مدينة بناها الملك أنطيغونيا على نهر أورنطس، وسماها أنطيوخيا، وهي أنطاكية، انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ١/٢٦٦.
(٩) في (ظ): سمى.
(١٠) لم أقف على القائل.

التكبيرة سوى الشهادة التي هي شهادة الحق التي هي الإيمان بالله تعالى كما قررناه، فشفاعة النبي ﷺ والملائكة والنبيين والمؤمنين لمن كان له عمل زايد على مجرد التصديق ومن لم يكن معه من الإيمان خير، من الذين يتفضل الله عليهم فيخرجهم من النار فضلاً وكرماً وعداً منه حقاً وكلمة صدقاً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فسبحان الرؤوف بعباده الموفي[١] بعهده.

فصل

قلت: جاء في حديث أبي سعيد قال: «فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم»، وفي حديث أبي هريرة ﷺ: «يكتب على جباههم عتقاء الرحمن»، وهذا تعارضٌ.

ووجه الجمع بين الحديثين: أن يكون بعضهم سيماهم في وجوههم وبعضهم سيماهم في رقابهم. وقد جاء من حديث جابر وفيه: بعد إخراج الشافعين: ثم يقول الله تبارك وتعالى: «أنا الله أُخْرِج بعلمي ورحمتي، فيخرج أضعاف ما خرجوا وأضعافهم ويكتب في رقابهم: عتقاء الله ﷻ، فيدخلون الجنة فيسمون فيها بالجهنميين[٢]»[٣].

قلت: وقد يعبر بالرقبة عن جملة الشخوص[٤]، قال الله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، وقال ﷺ: «ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها»[٥]. وقد تعبر العرب بالرقاب عن جملة المال كما قال الشاعر:

عمر الردى إذا تبسم ضاحكا ... علقت لضحكته رقاب المال

---

(١) في (الأصل): الوفي، والتصويب من (ع، ط)؛ لأن الفعل رباعي، ويكون اسم الفاعل منه على وزن مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل آخره.
(٢) في (ع، ط): الجهنميين.
(٣) أخرج نحوه ابن حبان في صحيحه ١/ ٤١٠، ح١٨٣.
(٤) في (ع، ط): الشخص.
(٥) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ١٨٩٧، ح٤٦٧٨.

فيحتمل أن يكون[1] في حديث أبي سعيد وجابر ﷺ: فيخرجون مثل اللؤلؤ يعرف أهل الجنة أشخاصهم[2] بالخواتيم المكتوبة على جباههم، كما في حديث أبي هريرة ﷺ، ولا تعارض على هذا، والله أعلم.

فصل

إن قال قائل: لِمَ سألوا محو ذلك الاسم عنهم وهو اسم شريف؛ لأنه سبحانه أضافهم إليه كما أضاف الأشياء الشريفة فقال: نبيي، وبيتي، وعرشي، وملائكتي، وقد جاء في الخبر أن المتحابين في الله مكتوب على جباههم [١٤٢/أ]: هؤلاء المتحابون في الله ولم يسألوا محوه؟

قيل له: إنما سألوا محو ذلك بخلاف المتحابين في الله تعالى؛ لأنهم أنِفُوا أن ينسبوا إلى جهنم التي هي دار الأعداء، واستحيوا من إخوانهم لأجل ذلك، فلما مَنَّ عليهم بدخول الجنة أرادوا كمال الامتنان بزوال هذه النسبة عنهم.

وقد روي مرفوعاً أنهم إذا دخلوا الجنة قال أهل الجنة: «هؤلاء الجهنميون، فعند ذلك يقولون: إلهنا لو تُرِكْنَا في النار كان أحب إلينا من العار، فيرسل الله ريحاً من تحت العرش، يقال لها: المثيرة، فتهب على وجوههم، فتمحى الكتابة ويزيدهم بهجة وجمالاً وحسناً»[3].

أخبرنا الشيخ الراوية أبو محمد عبد الوهاب عُرف بابن رواج[4] قراءة عليه، قال: قرئ على الحافظ السلفي وأنا أسمع، قال: أخبرنا الحاجب أبو الحسن العلاف، أخبرنا أبو القاسم بن بشران، أخبرنا الآجري أبو بكر محمد بن الحسين[5]، أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد بن شعيب الأنصاري، أخبرنا علي بن مسلم الطوسي، أخبرنا مروان بن معاوية الفزاري، حدثني

---

(١) في (ظ): أن يكون المعنى.
(٢) في (ظ): أصحابهم.
(٣) لم أقف على من ذكره.
(٤) (بابن رواج): ليست في (ع، ظ).
(٥) والحديث خرّجه الآجري أيضاً في كتابه الشريعة ٣/ ١٢٣٢، ح٨٠١.

عمرو بن رفاعة الربعي عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون فيها ولا يحيون، وإن أهلها الذين يخرجون منها إذا سقطوا فيها كانوا حمماً[١] حتى يأذن الله فيخرجهم فيلقيهم على نهر يقال له الحياة أو الحيوان، فيرش عليهم أهل الجنة الماء، فينبتون ثم يدخلون الجنة يسمون الجهنميين، ثم يطلبون إلى الرحيم[٢] ﷻ فيذهب ذلك الاسم عنهم، فيلحقون بأهل الجنة، وأما سيماء المتحابين فعلامة شريفة ونسبة رفيعة، فلذلك لم يسألوا زوالها ولا طلبوا إزالتها»[٣]، والله أعلم.

فإن قيل: ففي هذا ما يدل على أن بعض من دخل الجنة قد يلحقه تنغيص ما والجنة لا تنغيص فيها ولا نكد.

قيل له: هذه الأحاديث تدل على ذلك، وأن ذلك يلحقهم عند دخولهم الجنة، ثم يزول بزوال ذلك الاسم عنهم. وقد مثل بعض علمائنا هذا الذي أصاب هؤلاء بالبحر تقع فيه النجاسة أنه لا حكم لها، فكذلك ما أصاب هؤلاء بالنسبة إلى أهل الجنة وهو تشبيه حسن.

قلت: وقد يلحق الجميع خوف ما عند ذبح الموت على الصراط على ما يأتي[٤]، وبعده يكونون آمنين مسرورين، قد زال عنهم كل متوقع، والله أعلم.

فصل

إن قال قائل: كيف يشفع القرآن والصيام وإنما ذلك عمل العاملين؟

قيل له: قد تقدم[٥] هذا المعنى ونزيده وضوحاً فنقول: قال ﷺ: «يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب فيقول: أنا الذي أسهرت ليلك وأظمأت [١٤٢/ب] نهارك». أخرجه **ابن ماجه في سننه**[٦] من حديث بريدة وإسناده

---

(١) في (ع، ظ): فحما. (٢) في (ظ): الرحمن.

(٣) في (ظ): لم يسألوا رفعها ولا طلبوا إزالتها ولا زوالها.

(٤) ص(٩٢٤). (٥) ص(٧٧٨).

(٦) ٢/ ١٢٤٢، ح٣٧٨١؛ وأحمد في مسنده ٥/ ٣٥٢، ح٢٣٠٢٦، قال الألباني: ضعيف=

صحيح، فقوله: يجيء القرآن أي ثواب قارئ القرآن، وقد جاء في صحيح **مسلم**[1] من حديث النواس بن سمعان الكلابي قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تتقدمه سورة البقرة وآل عمران. وضرب لهما[2] رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال: كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما».

قال العلماء[3]: فقوله: تحاجان عن صاحبهما[4] أي يخلق الله من يجادل عنه بثوابهما ملائكة، كما في بعض الحديث[5]: «أن من قرأ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] خلق الله سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة»[6].

قلت: وكذلك يخلق الله من ثواب القرآن والصيام ملكين كريمين فيشفعان له، وكذلك إن شاء الله سائر الأعمال الصالحة كما ذكر **ابن المبارك**[7] قال: أخبرنا رجل عن زيد بن أسلم قال: بلغني أن المؤمن يمثل له عمله يوم القيامة في أحسن صورة وأحسن ما خلق الله وجهاً وثياباً وأطيبه ريحاً، فيجلس إلى جنبه كلما أفزعه شيء أمنه، وكلما تخوف شيئاً هون عليه، فيقول له: جزاك الله من صاحب خيراً، من أنت؟ فيقول: أما تعرفني؟ وقد صحبتك في قبرك وفي دنياك أنا، عملك كان والله حسناً. فكذلك تراني حسناً، وكان طيباً، فكذلك تراني طيباً. تعال فاركبني فطال ما ركبتك في الدنيا وهو قوله سبحانه: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ﴾ [الزمر: ٦١] حتى يأتي به إلى ربه ﷻ فيقول: يا رب

= يحتمل التحسين، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٣١٤، ح٣٠٤٨.

(١) ١/ ٥٥٤، ح٨٠٥. (٢) (لهما): ليست في (ظ).

(٣) في (ع): علماؤنا.

(٤) (قال علماؤنا: فقوله: تحاجان عن صاحبهما): ليست في (ظ).

(٥) في (ع): كما في جاء في بعض الحديث.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) في الزهد (الزوائد) ص(١٠٦ ـ ١٠٧)، ح٣٦٦.

إن كل صاحب عمل في الدنيا قد أصاب في عمله وكل صاحب تجارة وصانع قد أصاب في تجارته غير صاحبي قد شغل فيّ نفسه، فيقول له الرب تعالى: فما تسأل؟ فيقول: المغفرة والرحمة ونحو هذا، فيقول: فإني قد غفرت له، ثم يكسى حلة الكرامة ويجعل عليه تاج الوقار فيه لؤلؤة تضيء(١) من مسيرة يومين، ثم يقول: يا رب إن أبويه قد كان شغل عنهما، وكل صاحب عمل وتجارة قد كان يدخل على أبويه(٢) من عمله فيعطيان مثل ما أعطى.

ويتمثل للكافر عمله في صورة أقبح ما خلق الله وجهاً وأنتنه ريحاً، فيجلس إلى جنبه، كلما أفزعه شيء زاده وكلما تخوف شيئاً(٣) زاده خوفاً، فيقول: بئس الصاحب أنت ومن أنت؟ فيقول: وما تعرفني؟ فيقول: لا، فيقول: أنا عملك، كان قبيحاً فكذلك تراني قبيحاً، وكان منتناً فكذلك تراني منتناً، فطأطئ رأسك أركبك، فطال ما ركبتني في الدنيا، وهو [١٤٣/أ] قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [النحل: ٢٥].

قلت: ومثل هذا لا يقال من جهة الرأي، ومعناه يستند(٤) من حديث قيس بن عاصم المنقري ﷺ أن النبي ﷺ قال له: إنه لا بد لك يا قيس من قرين يدفن معك، وهو حي، وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك ثم لا يحشر إلا معك، ولا تبعث إلا معه، ولا تسأل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحاً، فإنه إن كان صالحاً لم تأنس إلا به، وإن كان فاحشاً لم تستوحش إلا منه، وهو فعلك.

وذكر أبو الفرج الجوزي(٥) في كتاب روضة المشتاق والطريق إلى الملك الخلاق: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى يوم القيامة بالتوبة في صورة حسنة ورائحة طيبة ولا يجد رائحتها ولا يرى صورتها إلا مؤمن، فيجدون لها رائحة وأنساً،

---

(١) في (ظ): لؤلؤ يضيء.
(٢) في (الأصل): عليه أبويه، والتصويب من (ع، ظ).
(٣) في (ع): بشيء.
(٤) في (ع، ظ): وهذا يستند.
(٥) أبو الفرج الجوزي: هكذا في جميع النسخ، والصواب أبو الفرج ابن الجوزي.

فيقول الكافر والعاصي المصر: ما لنا ما وجدنا ما وجدتم ولا رأينا ما رأيتم، فتقول لهم التوبة: طال ما تعرضت لكم في الدنيا فما أردتموني، فلو كنتم قبلتموني لكنتم اليوم وجدتموني، فيقولون: فنحن اليوم نتوب، فينادي منادٍ من تحت العرش: هيهات هيهات، ذهبت أيام المهلة وانقضى زمن التوبة، فلو جئتم بالدنيا وما اشتملت عليه ما قبلت توبتكم ولا رحمت عبرتكم، فعند ذلك تنأى التوبة عنهم وتبعد ملائكة الرحمة عنهم، وينادي منادٍ من تحت العرش: يا خزنة النار هلموا إلى أعداء الجبار، وهذا بين فيما ذكرنا، وبالله توفيقنا.

باب يعرف المشفوع فيهم بأثر السجود وبياض الوجوه

قد تقدم[١] من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن المؤمنين يقولون: «ربنا إخواننا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم»، وذكر الحديث.

وذكر[٢] **مسلم**[٣] من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ وفيه بعد قوله: «ومنهم المجازى حتى ينجا، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان[٤] لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يقول: لا إله إلا الله، فيعرفونهم في النار، يعرفونهم بأثر السجود، تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود[٥]، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون منه كما تنبت الحبة في حمل السيل [١٤٣/ب] وذكر الحديث.

وخرج[٦] عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قوماً[٧] يخرجون

(١) ص(٧٧٨).
(٢) في (ع، ظ): وخرج.
(٣) في صحيحه ١/ ١٦٥، ح١٨٢؛ والبخاري في صحيحه ٥/ ٢٤٠٣، ح٦٢٠٤.
(٤) (كان): ليست في (ظ).
(٥) (تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود): ليست في (ظ).
(٦) أي مسلم في صحيحه ١/ ١٧٨، ح١٩١.
(٧) في (ظ): أقواماً.

من النار يحترقون فيها إلا دارات[١] وجوههم حتى يدخلوا الجنة».

فصل

هذا الحديث أدل[٢] دليل على أن أهل الكبائر من أهل التوحيد، لا يسود لهم وجه ولا تزرق لهم عين، ولا يغلون بخلاف الكفار، وقد جاء هذا المعنى[٣] منصوصاً في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتي ثم ماتوا عليها، فهم في الباب الأول من جهنم، لا تسود وجوههم ولا تزرق أعينهم ولا يغلون بأغلال[٤] ولا يقرنون مع الشياطين ولا يضربون بالمقامع ولا يطرحون في الأدراك، منهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها يوماً ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها شهراً ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها سنة، ثم يخرج، وأطولهم مكثاً فيها مثل الدنيا منذ خلقت إلى يوم أفنيت، وذلك سبعة آلاف سنة[٥]، الحديث بطوله، وسيأتي[٦] تمامه إن شاء الله تعالى، خرجه الترمذي أبو عبد الله الحكيم في نوادر الأصول[٧].

قال أبو حامد في كتاب[٨] كشف علم الآخرة[٩]: «أنه يؤتى بأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ شيوخاً وعجائز وكهولاً ونساء وشباباً، فإذا نظر إليهم مالك خازن النار قال: من أنتم معشر الأشقياء؟ ما لي أرى أيديكم لا تغل، ولم توضع عليكم الأغلال والسلاسل ولم تسود وجوهكم، وما ورد علي أحسن منكم، فيقولون: يا مالك نحن أشقياء أمة محمد ﷺ دعنا نبكي على ذنوبنا، فيقول لهم: ابكوا فلن ينفعكم البكاء.

---

(١) في (ظ): دارة، والدارات جمع دارة، وهو ما يحيط بالوجه من جوانبه، أراد أنها لا تأكلها النار؛ لأنها محل السجود. انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٣٩.
(٢) (أدل): ليست في (ظ).
(٣) (المعنى): ليست في (ظ).
(٤) في (ع، نوادر الأصول): بالأغلال.
(٥) علق الحافظ ابن حجر على لفظ تحديد الدنيا بسبعة آلاف بقوله: وهو عن زمل، وسنده ضعيف جداً، انظر: فتح الباري ١١/ ٣٥١.
(٦) ص(٩١٤).
(٧) في (الأصل): الثاني والمائة، ٢/ ٣٦.
(٨) (كتاب): ليست في (ع).
(٩) ص(١١٠ ـ ١١١).

فكم من شيخ وضع يده على لحيته ويقول: واشيبناه واطول حسرتاه، وأضعف قوتاه، وكم من كل ينادي: وامصيبتاه، وأطول مقاماه، وكم من شاب ينادي وأسفاه[١] واشباباه على تغيير حسناه[٢]، وكم من امرأة قبضت على ناصيتها وشعرها وهي تنادي واسوأتاها، واهتك[٣] ستراها، فيبكون ألف عام، فإذا النداء من قبل الله تعالى: يا مالك: أدخلهم النار الباب الأول فيها، فإذا همت النار أن تأخذهم[٤] يقولون بأجمعهم[٥]: لا إله إلا الله، فتفر النار خمسمائة عام[٦]، ثم يأخذون في البكاء فتشتد أصواتهم، وإذا النداء من قبل الله تعالى: يا نار خذيهم، يا مالك أدخلهم الباب الأول من النار، فعند ذلك يسمع لها صلصلة كالرعد القاصف، فإذا همت النار أن تحرق القلوب زجرها مالك، وجعل يقول: لا تحرقي قلباً فيه القرآن، وكان وعاء الإيمان، فإذا بالزبانية قد جاءوا بالحميم ليصبوه في بطونهم، فيزجرهم مالك فيقول [١٤٤/أ]: لا تدخلوا الحميم بطوناً أخمصها رمضان، ولا تحرق النار جباهاً سجدت لله تعالى فيعودون فيها حمماً كالغاسق[٧] المحلولك[٨] والإيمان يتلألأ في القلوب»[٩]، وسيأتي[١٠] لهذا مزيد بيان في آخر أبواب النار إن شاء الله تعالى، نجانا الله منها ولا جعلنا ممن يدخلها فيحترق فيها بفضله وكرمه.

---

(١) (وا أسفاه): ليست في (ع).

(٢) في (كشف علوم الآخرة): وا تغيير حسناه، وفي (ظ): وا حسرتاه على تغيير حسناه.

(٣) في (ع): وهتك.

(٤) في (ظ): بأخذهم.

(٥) في (الأصل، ع): بجمعهم، والتصويب من (ظ، وكشف علوم الآخرة).

(٦) في (ظ): فتفر النار منهم خمسمائة عام، وفي (كشف علوم الآخرة): فتفر النار منهم مسيرة خمسمائة عام.

(٧) الغسق أول ظلمة الليل، انظر: الصحاح ١٥٣٧/٤.

(٨) في (ع): المحلول، وفي (ظ): المحكوك، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف، وفي الصحاح ١٥٨١/٤ أيضاً: حلك الشيء يحلك حُلوكةً: اشتد سواده، وحلولك مثله.اهـ. وهو المناسب لما في الأصل والمصدر.

(٩) هذا الحديث من الغيب الذي لا يعرف إلا بدليل صحيح، وقد تقدم قول الحافظ ابن حجر أن الغزالي يورد في كتابه كشف علوم الآخرة أحاديث لا أصل لها.

(١٠) ص(٩١٣ ـ ٩١٤).

فصل

قوله: إذا فرغ الله، مشكل[١]، وفي التنزيل: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرحمن: ٣١] ومعناه: المبالغة في التهديد والوعيد من الله ﷻ لعباده، كقول القائل: سأفرغ لك وإن لم يكن مشغولاً عنك بشغل، وليس بالله تعالى شغل، تعالى عن ذلك.

وقيل: المعنى[٢] سنقصد لمجازاتكم وعقوبتكم، كما يقول القائل لمن أريد تهديده: إذن أتفرغ لك، أي أقصد قصدك. وفرغ بمعنى: قصد وأحكم، وأنشد ابن الأنباري في هذا لجرير[٣]،[٤]:

الآن وقد فرغت إلى نمير ... فهذا حين كنت لها عذاباً

يريد: وقد قصدت نحوه، فمعنى فرغ الله من القضاء بين العباد أي تمم عليهم حسابهم وفصل بينهم، لا أنه يشغله شأن عن شأن، ﷻ عن ذلك.

باب ما يرجى من رحمة الله تعالى ومغفرته وعفوه يوم القيامة

قال الحسن: يقول الله تعالى يوم القيامة: جوزوا الصراط بعفوي وأدخلوا الجنة برحمتي، واقتسموها بأعمالكم[٥].

وقال ﷺ: «ينادي منادٍ من تحت العرش، يا أمة محمد أما ما كان لي

---

(١) ليس مشكلاً على قواعد أهل السنة والجماعة الذين يثبتون ما جاء عن الله تعالى وما جاء عن رسول الله ﷺ على مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ، إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل، بخلاف أهل الكلام الذين يشبهون الله تعالى أولاً بخلقه، ثم ينفون أن يؤولون ما جاء عن الله تعالى وثبت عن رسوله ﷺ ثانياً؛ لذا كان هذا المعنى الذي ذكره المؤلف مشكلاً على قواعد أهل الكلام، وقد جاء في صحيح البخاري ما يبين أن مثل هذا معروف في الاستعمال عند العرب، قال ﷺ في قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ سنحاسبكم، لا يشغله شيء عن شيء وهو معروف في كلام العرب يقال لأتفرغن لك وما به شغل، صحيح البخاري ٤/ ١٨٤٧، وبما في صحيح البخاري فسر ابن كثير الآية، انظر: تفسيره ٤/ ٢٧٥.

(٢) (المعنى): ليست في (ظ).

(٣) في (ع، ظ): قال جرير.

(٤) لم أجده في ديوان جرير المطبوع.

(٥) لم أقف على هذا الحديث.

قبلكم فقد وهبته لكم، وبقيت التبعات فتواهبوها فيما[١] بينكم وادخلوا الجنة برحمتي»[٢].

وروي أن أعرابياً سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣] فقال الأعرابي: والله ما أنقذهم منها وهو يريد أن يوقعهم فيها، فقال ابن عباس رضي الله عنه: خذوها من غير فقيه.

وقال الصنابحي: دخلت على عبادة بن الصامت وهو في الموت فبكيت، فقال: مهلاً، لِمَ تبكي؟ فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثاً واحداً، وسوف أحدثكموه اليوم، وقد أحيط بنفسي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار»، خرّجه **مسلم**[٣].

والأخبار بهذا المعنى كثيرة، خرجها البخاري[٤] ومسلم [١٤٤/ب] وغيرهما من الأئمة[٥].

وخرج **مسلم**[٦] عن سلمان[٧] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السموات والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة واحدة، فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض، وإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة»، أخرجه **ابن ماجه**[٨] من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

وفي بعض طرق أبي هريرة رضي الله عنه: «فإذا كان يوم القيامة رد هذه الرحمة[٩]

---

(١) (فيما): ليست في (ظ).

(٢) أخرجه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ٥/٤٩٦، ح٨٨٧٢، تحقيق السعيد زغلول، دار الكتب العلمية بيروت، ط. الأولى سنة ١٩٨٦م.

(٣) في صحيحه ١/٥٧، ح٢٩.

(٤) في صحيحه ٥/٢٣٦٠، ح٦٠٥٩.

(٥) الترمذي في جامعه ٥/٢٣، ح٢٦٣٨؛ وأبو عوانة في مسنده ١/٢٦، ح٢٦.

(٦) في صحيحه ٤/٢١٠٩، ح٢٧٥٣.

(٧) في (ع، ظ): من حديث سلمان.

(٨) في سننه ٢/١٤٣٥، ح٤٢٩٣، صححه الألباني، انظر: صحيح ابن ماجه ٢/٤٢٧، ح٣٤٦٦.

(٩) (الرحمة): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع المسند.

على تلك التسعة والتسعين فأكملها مائة رحمة، فرحم بها عباده يوم القيامة»[(١)].

[وفي بعض الروايات: «فإذا كان يوم القيامة جمعت الواحدة إلى التسعة والتسعين فأكملهن[(٢)] مائة رحمة حتى إن إبليس ليتطاول إليها رجاء أن ينال منها شيئاً»[(٣)].

وقال ابن مسعود[(٤)]: لن تزال الرحمة بالناس حتى إن إبليس ليهتز صدره يوم القيامة مما يرى من رحمة الله تعالى وشفاعة الشافعين.

وقال الأصمعي[(٥)]: كان رجل يحدث بأهوال يوم القيامة، وأعرابي جالس يسمع فقال: يا هذا من يلي هذا من العباد؟ قال: الله تعالى، قال الأعرابي: إن الكريم إذا قَدِرَ غفر][(٦)].

قلت[(٧)]: أخبرنا عالياً الشيخ الإمام الحافظ المسند أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن محمد بن عمرو البكري التيمي من ولد أبي بكر الصديق ﷺ قراءة عليه بالمنصورة بالديار المصرية في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب الفرد سنة سبع وأربعين وستمائة قال: حدثنا الشيخ المسند أبو حفص عمر بن محمد بن معمر الدارقزي، قدم علينا دمشق، قال: أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الكاتب ببغداد، أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن غيلان البزاز، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي، أخبرنا موسى بن سهل الوشا، أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا الحجاج بن أبي ديب، قال: سمعت أبا عثمان الهندي يحدث عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله قال: «لما خلق الله تعالى السموات والأرض أنزل مائة رحمة كل رحمة طباقهما، فقسم رحمة واحدة منها بين جميع الخلائق،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢/٥٢٦، ح١٠٨٢٢، حديث صحيح، انظر: حاشية مسند أحمد ١٦/٤٧٣ ـ ٤٧٤، ح١٠٨١٠.
(٢) في (ظ): فأكملن.
(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه ١/١٢٣، ح١٨٦.
(٤) لم أقف على من ذكر قوله.
(٥) لم أقف على من ذكر قوله.
(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٧) من هذا الموضع سقط في (ع، ظ).

فمنها يتعاطفون، فإذا كان يوم القيامة رد هذه الرحمة على التسعة والتسعين فأكلمها مائة يرحم الله بها عباده يوم القيامة»[١].

وروى **ابن ماجه**[٢] عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦] قال: فقال الله تعالى: أنا أهل أن أتقى فلا تجعل معي إلهاً آخر، فمن اتقى أن يجعل معي إلهاً آخر فأنا أهل أن أغفر له». وخرجه أبو عيسى **الترمذي**[٣] بمعناه، وقال: حديث حسن غريب.

وروي عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لله أرحم بعبده من الوالدة الشفيقة بولدها[٤]»، رواه مسلم[٥] عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الترمذي[٦] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن رجلين ممن دخلا النار اشتد صياحهما، فقال الرب تبارك وتعالى: أخرجوهما، فلما أخرجا قال لهما: لأي شيء اشتد [١٤٥/أ] صياحكما؟ قالا: فعلنا ذلك لترحمنا، قال: إن رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار، فينطلقان، فيلقي أحدهما نفسه، فيجعلها عليه برداً وسلاماً، ويقوم الآخر فلا يلقي نفسه، فيقول له الرب تبارك وتعالى: ما منعك أن تلقي نفسك كما ألقى صاحبك؟ فيقول: رب إني لأرجو[٧] أن لا تعيدني[٨] فيها بعد ما أخرجتني، فيقول الرب تبارك وتعالى: لك رجاؤك، فيدخلان الجنة جميعاً برحمة الله»، قال أبو عيسى: إسناد هذا الحديث ضعيف، لأنه عن رشدين بن سعد، ورشدين ضعيف عن ابن أنعم وهو الإفريقي، والإفريقي ضعيف عند أهل الحديث.

---

(١) نهاية السقط الذي في (ع، ظ).
(٢) في سننه ٢/١٤٣٧، ح٤٢٩٩، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن ابن ماجه ص(٣٥٠)، ح٩٣٦.
(٣) في جامعه ٥/٤٣٠، ح٣٣٢٨.
(٤) ذكره أبو نعيم في الحلية ٨/٩٠.
(٥) في صحيحه ٤/٢١٠٩، ح٢٧٥٤.
(٦) في جامعه ٤/٧١٤، ح٢٥٩٩.
(٧) في (ع، ظ): أرجو، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.
(٨) في (الأصل): تعذبني، والتصويب من (ع، ظ، والمصدر).

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يقول الله: أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في مقام»[١]، قال: حديث حسن غريب.

وذكر **أبو نعيم**[٢] عن إسحاق بن سويد قال: صحبت مسلم بن يسار عاماً إلى مكة فلم أسمعه تكلم بكلمة حتى بلغنا ذات عرق، قال: ثم حدثنا قال: بلغني أنه يؤتى بالعبد يوم القيامة ويقف بين يدي الله ﷻ فيقول: «انظروا في[٣] حسناته، فينظر في حسناته فلا يوجد له حسنة، فيقول: انظروا في سيئاته فتوجد له سيئات كثيرة، فيؤمر به إلى النار، فيذهب به إلى النار وهو يلتفت، فيقول: ردوه إلي، ما تلتفت؟ فيقول: أي رب لم يكن هذا ظني أو رجائي فيك، شك إبراهيم، فيقول: صدقت، فيؤمر به إلى الجنة».

قلت: وهذا الحديث رفعه **ابن المبارك**[٤] فقال: أنبأ رشدين بن سعد قال: ثنا أبو هانئ الخولاني عن عمرو بن مالك الجنبي أن فضالة بن عبيد وعبادة بن الصامت حدثاه أن رسول الله ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة وفرغ الله من قضاء الخلق فيبقى رجلان فيؤمر بهما إلى النار، فيلتفت أحدهما، فيقول الجبار تبارك وتعالى[٥]: ردوه، فيردوه، فيقال له: لم التفت؟ فيقول[٦]: كنت أرجو أن تدخلني الجنة فيؤمر به إلى الجنة، قال: فيقول: لقد أعطاني ربي حتى لو أني[٧] أطعمت أهل الجنة ما نقص ذلك مما عندي شيئاً»، قالا: وكان رسول الله ﷺ إذا ذكره يرى السرور في وجهه.

[قال الشيخ ﷺ: وفي هذا المعنى خبر الرجل الذي ترفع له شجرة بعد

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه ٤/ ٧١٢، ح٢٥٩٤؛ وابن أبي عاصم في السنة ٢/ ٤٠٠، ح٨٣٣، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن الترمذي ص(٣٠٨ ـ ٣٠٩)، ح٤٨٦.

(٢) في (الحلية): ٢/ ٢٩٥؛ وفي الزهد لابن أبي عاصم ١/ ٢٤٩.

(٣) في (ع): إلى.

(٤) في زوائد الزهد ١/ ١٢٢ ـ ١٢٣، ح٤٠٩؛ وأحمد في المسند ٦/ ٢١، ٢٤٠١٠؛ قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله ثقات على ضعف بعضهم، مجمع الزوائد ١٠/ ٣٨٤.

(٥) في (ع): تبارك اسمه وتعالى. (٦) في (ع): فقال.

(٧) في (ع، ظ): حتى أني لو، والأصل متوافق مع المصدر.

أخرى حين يخرج من النار إلى أن يدخل الجنة، خرجه مسلم في الصحيح وسيأتي[(١)](٢).

باب منه، وفي أول ما يقول الله تعالى[(٣)] للمؤمنين وأول ما يقولون له

أبو داود الطيالسي[(٤)] قال: ثنا عبد الله بن المبارك قال: حدثني يحيى بن أيوب عن عبيد الله[(٥)] بن زحر عن خالد بن أبي عمران عن أبي عياش عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن شئتم أنبأتكم بأول ما يقول ﷻ للمؤمنين يوم القيامة، وبأول ما يقولون له[(٦)]، قالوا: نعم [١٤٥/ب] يا رسول الله، قال: كان الله تعالى يقول للمؤمنين: هل أحببتم لقائي؟ فيقولون: نعم يا ربنا، قال: وما حملكم على ذلك فيقولون: عفوك، ورحمتك، ورضوانك، فيقول: فإني قد أوجبت لكم رحمتي»، والله أعلم.

[باب

ذكر **أبو نعيم**[(٧)] الحافظ قال: ثنا سليمان بن أحمد قال: ثنا إسحاق بن إبراهيم قال: أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم أن رجلاً كان في الأمم الماضية يجتهد في العبادة ويشدد على نفسه ويقنط الناس من رحمة الله، ثم مات فقال: أي رب ما لي عندك؟ فقال[(٨)]: النار، فقال: يا رب فأين[(٩)] عبادتي واجتهادي؟ فقيل له: إنك كنت تقنط الناس من رحمة الله[(١٠)] في الدنيا، وأنا أقنطك اليوم من رحمتي.

---

(١) ص(٩١٠ ـ ٩١١).
(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٣) (الله تعالى): ليست في (ع، ظ).
(٤) في مسنده ص(٧٧)، ح٥٦٤؛ وأحمد في مسنده ٥/ ٢٣٨، ح٢٢١٢٥؛ والطبراني في الكبير ٢٠/ ١٢٥، ح٢٥١.
(٥) في (الأصل): عبد الله، والتصويب من (ع، ظ، ومسند الطيالسي).
(٦) (له): ليست في (ع).
(٧) في (الحلية): ٣/ ٢٢٢.
(٨) في (ظ): قال، و(ع) متوافقة مع الحلية.
(٩) في (الحلية): وأين.
(١٠) في (ظ): من رحمتي.

وقال مقاتل: قال علي بن أبي طالب: الفقيه من لم يُيئس الناس من رحمة الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله ﷻ][1].

باب حُفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات

مسلم[2] عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات»، خرجه البخاري[3] أيضاً، وقال الترمذي[4]: حديث حسن غريب.

الترمذي[5] عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل ﷺ إلى الجنة، فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، [قال][6]: فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، قال: فرجع إليه وقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بها فحفت بالمكاره، فقال: ارجع إليها فانظر ما أعددت لأهلها فيها، قال: فرجع إليها فإذا هي قد حفت بالمكاره، فرجع إليه، فقال: وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد، قال اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فإذا هي يركب بعضها بعضاً، فرجع إليه، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فأمر بها فحفت بالشهوات، فقال: ارجع إليها، فرجع إليها فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٢) في صحيحه ٤/ ٢١٧٤، ح٢٨٢٢.
(٣) في صحيحه ٥/ ٢٣٧٩، ح٦١٢٢.
(٤) في جامعه ٤/ ٦٦٩٣، ح٢٥٥٩.
(٥) في جامعه ٤/ ٦٩٣، ح٢٥٦٠؛ والنسائي في المجتبى ٧/ ٣، ح٣٧٦٣؛ وأحمد في المسند ٢/ ٣٣٢، ح٨٣٧٩، قال الألباني: حسن صحيح، انظر: صحيح الترمذي ٢/ ٣١٧ ـ ٣١٨، ح٢٠٧٥.
(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، الترمذي).

فصل

المكاره: كل ما يشق على النفس فعله، ويصعب عليها عمله كالطهارة[(١)] في السَّبْرات[(٢)] وغيرها من أعمال الطاعات، والصبر على المصائب والمصيبات [وجميع المكروهات][(٣)].

والشهوات: كل ما يوافق النفس[(٤)] ويلائمها وتدعو إليه ويوافقها.

وأصل الحفاف: الدائر بالشيء المحيط به الذي لا يتوصل إليه إلا بعد أن يُتخطى، فمثل النبي ﷺ المكاره والشهوات بذلك، فالجنة لا تُنال إلا بقطع مفاوز[(٥)] المكاره والصبر عليها، والنار لا يُنجا منها إلا بترك الشهوات وفطام النفس عنها.

وقد روي عنه أنه ﷺ مثل طريق الجنة وطريق النار بتمثيل آخر، فقال: «طريق الجنة: حَزْن بربوة، وطريق النار: سهل بسهوة»، ذكره صاحب الشهاب[(٦)].

والحَزْن: هو الطريق الوعر المسلك، والربوة: هو المكان المرتفع، وأراد به أعلى ما يكون من الروابي، والسهوة بالسين المهملة: هو الموضع السهل الذي لا غلظ فيه ولا وعورة [١٤٦/أ].

وقال القاضي أبو بكر بن العربي [في سراج المريدين][(٧)]: ومعنى قوله ﷺ: حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات، أي جعلت على حفافها[(٨)] وهي جوانبها، وتوهم الناس أنها ضرب فيها المثل فجعلها في

---

(١) (ويصعب عليها عمله كالطهارة): ليست في (ظ).

(٢) جمع سبْرة: وهي شدة البرد، النهاية في غريب الحديث ٢/٣٣٣.

(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٤) في (ع): والشهوات كلها توافق النفس.

(٥) في (الأصل): مفاوزة، والتصويب من (ع، ظ).

(٦) في مسنده ٢/١٩٩، ح١١٨٠؛ وأحمد في مسنده ١/٣٢٧، ح٣٠١٧.

(٧) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٨) في (ظ): حافاتها.

جوانبها من خارج ولو كان ذلك ما كان مثلاً صحيحاً وإنما هي من[١] داخل، وهذه صورتها:

الجنة					جهنم[٢]		
الغزو	الفقر[٣] المكاره		الألم	الصبر	الجاه	المال	النساء

وعن هذا عبر ابن مسعود بقوله: الجنة حفت بالمكاره، والنار حفت بالشهوات، فمن اطلع الحجاب فقد واقع ما وراءه[٤] وكل من تصورها من خارج فقد ضل عن معنى هذا الحديث عن حقيقة الحال.

فإن قيل: فقد قال: حجبت النار بالشهوات.

قلنا: المعنى واحد؛ لأن الأعمى عن التقوى الذي قد أخذت سمعه وبصره الشهوات يراها ولا يرى النار التي هي فيها، وإن كانت باستيلاء الجهالة ورين الغفلة على قلبه كالطائر يرى الحبة من داخل الفخ وهي محجوبة به[٥]، ولا يرى الفخ لغلبة شهوة الحبة على قلبه، وتعلق باله بها، وجهله بما جعلت فيه وحجبت.

باب احتجاج الجنة والنار وصفة أهلهما[٦]

البخاري[٧] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «احتجت النار والجنة، فقالت هذه[٨]: يدخلني الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله لهذه: أنتِ عذابي، أعذب بك من أشاء، وقال لهذه: أنتِ رحمتي، أرحم بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها»، خرجه **مسلم**[٩] **والترمذي**[١٠] وقال[١١]: حديث حسن صحيح.

---

(١) (من): ليست في (ع).
(٢) في (ع، ظ): النار.
(٣) (الفقر): ليست في (ع، ظ).
(٤) في (الأصل): رواه، والتصويب من (ع، ظ).
(٥) في (ع، ظ): عنه.
(٦) في (ع، ظ): أهلها.
(٧) في صحيحه ٤/١٨٣٦، ح٤٥٦٩.
(٨) (هذه): ساقطة من (ع).
(٩) في صحيحه ٤/٢١٨٦، ح٢٨٤٦.
(١٠) في جامعه ٤/٦٩٤، ح٢٥٦١.
(١١) في (ظ): وقال هذا.

فصل

قال الحاكم أبو عبد الله: في علوم الحديث[(١)]: «سئل محمد بن إسحاق بن خزيمة عن قول النبي ﷺ: تحاجت الجنة[(٢)] والنار، فقالت هذه: يدخلني الضعفاء، مَنْ الضعيف؟ قال: الذي يبرئ نفسه من الحول والقوة، يعني في اليوم عشرين مرة أو خمسين مرة».

[وقال الشيخ ﷺ: ومثل هذا لا يقال من جهة الرأي، فهو مرفوع والله أعلم، وأما المساكين فالمراد بهم المتواضعون وهم المشار إليهم في قوله عليه الصلاة والسلام: «اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين»[(٣)].

ولقد أحسن من قال[(٤)]:

إذا أردت شريف الناس كلهم ... فانظر إلى ملك في زي مسكين
ذاك الذي عظمت في الله رغبته ... وذاك يصلح للدنيا وللدين][(٥)]

قلت: ومعنى احتجت النار والجنة أي حجت كل واحدة صاحبتها وخاصمتها[(٦)]، وسيأتي[(٧)] بيانه عند قوله: اشتكت النار إلى ربها، إن شاء الله تعالى [١٤٦/ب].

باب منه في صفة أهل الجنة، وأهل النار، وفي شرار الناس من هم[(٨)]؟

مسلم[(٩)] عن عياض بن حمار المجاشعي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ذات

(١) معرفة علوم الحديث له ١/ ٨٤. (٢) (الجنة): ساقطة من (ع).
(٣) أخرجه الترمذي في جامعه ٤/ ٥٧٧، ح٢٣٥٢؛ وابن ماجه في سننه ٢/ ١٣٨١، ح٤١٢٦؛ صححه الألباني، انظر: صحيح الترمذي ٢/ ٢٧٥، ح١٩١٧.
(٤) لم أقف على القائل. (٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٦) (وخاصمتها): ليست في (ع). (٧) ص(٨٦١ ـ ٨٦٢).
(٨) في (ظ): باب منه في صفة أهل الجنة والنار وشرار الناس من هم.
(٩) في صحيحه ٤/ ٢١٩٧، ح٢٨٦٥.

يوم في خطبته: «أهل الجنة ثلاثة، ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم [و][١] عفيف متعفف ذو عيال. قال: وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له، الذين هم فيكم تبعاً لا يبتغون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه[٢]، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك، وذكر البخل والكذب والشنظير الفحاش».

وعن حارثة بن وهب الخزاعي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر»[٣].

وفي رواية[٤]: «زنيم متكبر»، خرجه **ابن ماجه**[٥] أيضاً.

أبو داود[٦] عنه قال: قال رسول الله ﷺ[٧]: «لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري». قال[٨]: والجواظ: الفظ الغليظ.

ابن ماجه[٩] عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: إن الله قال: «إن الله لا يعذب من عبده إلا المارد المتمرد الذي يتمرد على الله، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله».

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار إلا

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، مسلم). (٢) في (ظ): ولا دق إلا خانه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ١٨٧٠، ح٤٦٣٤؛ ومسلم ٤/ ٢١٩٠، ح٢٨٥٣.

(٤) أي لمسلم ٤/ ٢١٩٠، ح٢٨٥٣.

(٥) في سننه ٢/ ١٣٧٨، ح٤١١٦، وفي سنن ابن ماجه: عتل جواظ مستكبر، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٣٩٥، ح٣٣٢٣.

(٦) في سننه ٤/ ٢٥٣، ح٤٨٠١. صححه الألباني، انظر: صحيح أبي داود ٣/ ٩١١ ح٤٠١٦.

(٧) (قال: قال رسول الله ﷺ): ليست في (ع، ظ).

(٨) أي أبو داود في سننه.

(٩) في سننه ٢/ ١٤٣٦، ح٤٢٩٧، قال الألباني: موضوع، انظر: ضعيف سنن ابن ماجه ص(٣٥٠)، ح٩٣٤.

شقي، قيل: يا رسول الله ومن الشقي؟ قال: من لم يعمل لله بطاعة ولم يترك لله[(١)] معصية»[(٢)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة مَنْ ملأ الله أذنيه مِن ثناء الناس خيراً وهو يسمع، وأهل النار مَنْ ملأ الله أذنيه مِن ثناء الناس شراً وهو يسمع»[(٣)].

مسلم[(٤)] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مر بجنازة فأثني عليها[(٥)] خير، فقال النبي ﷺ: وجبت، وجبت، وجبت[(٦)]، ومر بجنازة فأثني عليها شر، فقال النبي ﷺ: وجبت، وجبت، وجبت، فقال عمر رضي الله عنه: فداك أبي وأمي، مر بجنازة فأثني عليها خير فقلت: وجبت، وجبت، وجبت، ومر بجنازة فأثني عليها شر فقلت: وجبت، وجبت، [وجبت][(٧)]، فقال رسول الله ﷺ: «من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة [١٤٧/أ] ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض»[(٨)].

[وقالت عائشة رضي الله عنها: الجنة دار الأسخياء، والنار دار البخلاء[(٩)]].

---

(١) في (ع، ظ، ابن ماجه): ولم يترك له معصية، والأصل متوافق مع مسند أحمد.

(٢) ابن ماجه في سننه ١٤٣٦/٢، ح ٤٢٩٨؛ وأحمد في مسنده ٣٤٩/٢، ح٨٥٧٨، قال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف سنن ابن ماجه ص(٣٥٠).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه ١٤١٢/٢، ح٤٢٢٤؛ والطبراني في الكبير ١٧٠/١٢، ح١٢٧٨٧؛ وفي مصباح الزجاجة ٢٤٣/٤: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

(٤) في صحيحه ٦٥٥/٢، ح٩٤٩.

(٥) في (الأصل): عليه، والتصويب من (ع، ظ، صحيح مسلم).

(٦) في (ظ): وجبت، تكررت مرتين فقط في المواضع الثلاثة التي وردت فيها في الحديث.

(٧) ما بين المعقوفتين من (ع، صحيح مسلم).

(٨) في (ع): أنتم شهداء الله في الأرض، تكررت مرتين، وفي (ظ) تكررت مرة واحدة فقط، والأصل متوافق مع صحيح مسلم.

(٩) (والنار دار البخلاء): ساقطة من (ظ).

وقال زيد بن أسلم: أمرك الله تعالى أن تكون كريماً فتدخل الجنة، ونهاك أن تكون لئيماً فتدخل النار.

وذكر **أبو نعيم**[١] من حديث محمد بن كعب القرظي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يديه، ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: من أكل وحده ومنع رفده، وجلد عبده، أفأنبئكم بشر من هذا[٢]؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: من يبغض الناس ويبغضونه، قال: أفأنبئكم بشر من هذا؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: من لا يقيل عثرة، ولا يقبل معذرة، ولا يغفر ذنباً، قال: أفأنبئكم بشر من هذا؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره، إن عيسى بن مريم قام في بني إسرائيل خطيباً فقال: يا بني إسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموها[٣]، وقال مرة: فتظلموهم، ولا تظلموا ظالماً، ولا تكافؤا ظالماً فيبطل فضلكم عند ربكم، يا بني إسرائيل الأمر ثلاث: أمر تبين رشده فاتبعوه، وأمر تبين غيه فاجتنبوه، وأمر اختلف فيه فردوه إلى الله. قال أبو نعيم: هذا الحديث لا يحفظ بهذا السياق عن النبي ﷺ إلا من حديث محمد بن كعب عن ابن عباس].

فصل

قوله: ذو سلطان[٤] مقسط وما بعده مرفوع على أنها صفات لذو[٥] وهو بمعنى صاحب، والمقسط: العادل، والمتصدق: المعطي للصدقات،

---

(١) في (ظ): أبو نعيم الحافظ، وهو في الحلية ٣/٢١٩.
(٢) في (ظ): من شر من هذا.
(٣) في (ع): فتظلموهم، والتصويب من (ظ، والحلية).
(٤) في (ع): وذو سلطان.
(٥) (على أنها صفات لذو): ليست في (ع).

والموافق: المسدد لفعل الخيرات، رقيق القلب: لينه عند التذكر والموعظة، ويصح أن يكون بمعنى الشفيق.

وقوله: وضعيف متضعف: يعني ضعيفاً في أمور الدنيا قوياً[١] في أمر[٢] دينه، كما قال ﷺ: «المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير»، الحديث[٣] خرجه مسلم[٤].

فأما من كان ضعيفاً في أمور دينه لا يعبأ بها فمذموم، وذلك من صفات أهل النار، كما قال: وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له أي لا عقل له، ومن لا عقل له ينكف به عن المفاسد ولا ينزجر عنها فحسبك به ضعفاً وخسارة في الدين.

وقد قيل في الزبر: أنه المال، وليس بشيء؛ لأن النبي ﷺ فسر ذلك بقوله: الذين هم فيكم تبعاً لا يبتغون أهلاً ولا مالاً.

قال شيخنا أبو العباس[٥] رحمه الله: فيعني بذلك أن هؤلاء القوم ضعفاء العقول فلا يسعون في تحصيل مصلحة دنيوية ولا فضيلة نفسية ولا دينية، بل يهملون أنفسهم إهمال الأنعام، ولا يبالون بما يثبون عليه من الحلال والحرام، وهذه الأوصاف الخبيثة الدنية هي أوصاف هذه الطائفة المسماة بالقلندرية[٦].

وقد قال مطرف بن عبد الله بن الشخير راوي الحديث: والله لقد أدركتهم في الجاهلية وإن الرجل ليرعى على الحي ما به إلا وليدتهم يطؤها[٧].

ويخفي بمعنى: يظهر، وهو من الأضداد.

---

(١) (في أمور الدنيا قوياً): ليست في (ظ).
(٢) في (ع): أمور.
(٣) (الحديث): ليست في (ع).
(٤) في صحيحه ٤/٢٠٥٢، ح٢٦٦٤.
(٥) في كتابه المفهم ٧/١٦٦.
(٦) سئل شيخ الإسلام ابن تيمية: من أي الطوائف هم؟ فأجاب: من أهل الضلالة والجهالة، وأكثرهم كافرون بالله ورسوله، ولا يرون وجوب الصلاة والصيام، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ينتسبون إلى شيخهم قلندر، انظر: مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٦٣.
(٧) ذكره مسلم في صحيحه ٤/٢١٩٨.

«وقوله: «وذكر البخل والكذب»، هكذا الرواية المشهورة بالواو الجامعة، «والكذب»، فقد رواه ابن أبي جعفر عن الطبري بـ«أو» التي للشك.

قال القاضي عياض: ولعله الصواب، وبه تصح القسمة لأنه ذكر أن أصحاب النار خمسة: الضعيف الذي وصف، والخائن الذي وصف، [والرجل المخادع الذي وصف][١]، قال: وذكر البخل والكذب ثم قال: الشنظير الفاحش، فرأى هذا القائل: أن الرابع هو صاحب أحد الوصفين[٢]، وقد يحتمل أن يكون الرابع من جمعهما على رواية واو العطف، كما جمعها في الشنظير الفاحش.

وكذلك قوله: أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلمٍ، وعفيف متعفف ذو عيال.

قال القاضي عياض[٣]: كذا قيدناه بخفض[٤] «مسلمٍ» عطفاً على ما قبله، وفي رواية: «ومسلمٌ عفيفٌ» بالرفع، وحذف [١٤٧/ب] الواو، وقال[٥] شيخنا[٦]: انتهى كلام القاضي رحمه الله.

والعفيف: الكثير العفة، وهي الانكفاف عن الفواحش وعن ما لا يليق.

والمتعفف: المتكلف للعفة.

«والشنظير: السيء الخلق، ويقال: شنظيرة أيضاً، قاله الجوهري[٧]، وأنشده[٨]:

شنظيرة زوجنيه أهلي ... من حمقه يحسب رأسي رجلي

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، المفهم).
(٢) في (ع، ظ): الصنفين.
(٣) ذكره في كتابه إكمال المعلم بفوائد مسلم ٧/ ٥٢٧.
(٤) في (الأصل): بحفظ، والتصويب من (ع، ظ).
(٥) في (ع): وقاله.
(٦) أي أبو العباس في المفهم ٧/ ١٦٨.
(٧) في الصحاح ٢/ ٦٩٨.
(٨) في (ع، ظ): وأنشد قول أعرابية، ذكره أبو العباس في المفهم ٧/ ١٦٨.

كـأنـه لـم يـرى أنـثـى[١] قـبـلـي

وربما قالوا: شنذيرة، بالذال المعجمة لقربها من الظاء لغة أو لثغة».

والفحاش: الكثير الفحش، وقيل: الشنظير: هو الفاحش. قال صاحب العين[٢]: يقال: شنظر بالقوم: شتم أعراضهم. والشنظير: الفحاش من الرجال الغلق[٣]، وكذلك من الإبل.

والجوّاظ: المجموع الممنوع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ١٨﴾ [المعارج: ١٨]. وقيل: الجواظ: الكثير اللحم المختال. وقيل: الجافي القلب.

والعتل: الجافي[٤] الشديد الخصومة، وقيل: هو الأكول الشروب الظلوم.

[قال الشيخ ﷺ: ويقال: إنه الفظ الغليظ الذي لا ينقاد للخير[٥]، والجعظري: الفظ الغليظ القصير، وجاء تفسيره في بعض الأحاديث: «هم الذين لا تصدع[٦] رؤوسهم»[٧]، قال شيخنا][٨]: والزنيم: المعروف بالشر، وقيل: اللئيم، وأما الزنيم المذكور في القرآن فرجل معين له زنمة كزنمة التيس، وقيل: هو الوليد[٩]، وكان له زنمة تحت أذنه، وقيل: هو الملصق بالقوم،

---

(١) في (الأصل): يراني، والتصويب من (ع، ظ، الصحاح).

(٢) انظر قوله ضمن استدراكات الجزء الرابع من كتاب العين ص(٤٦٠)، وقد وُضِعَتْ استدراكات هذا الجزء مفردة في آخر المجلد الثامن.

(٣) في (ع، ظ): القلق، وما أثبته من المفهم.

(٤) في (ع، ظ): قيل الجافي.

(٥) في (ع، ظ): لخير.

(٦) في (الأصل): لا تنصدع، وما أثبته من (ع، ظ)، وفي مسند أحمد: لا يألمون رؤوسهم.

(٧) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٥٠٨، ح١٠٦١٦، صحيح لغيره دون قوله: «هم الذين لا يألمون رؤوسهم»، فهي زيادة منكرة تفرد بها البراء بن يزيد، وهو ضعيف، انظر: حاشية مسند أحمد ١٦/ ٣٥١، ح١٠٥٩٨.

(٨) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، المفهم).

(٩) ابن المغيرة، انظر: تفسير الماوردي ٦/ ٦٥.

وقيل: هو الأخنس بن شريق[(١)]»[(٢)].

[فصل][(٣)]

وقوله: من أثنيتم عليه شراً وجبت له النار، يعارضه قوله ﷺ: «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدّموا»، أخرجه **البخاري**[(٤)].

والثناء بالشر: سب، فقيل: ذلك خاص بالمنافقين الذين شهدت الصحابة فيهم بما ظهر لهم، ولذلك قال ﷺ: وجبت له النار، والمسلم لا تجب له النار، واختار هذا القول القاضي عياض[(٥)].

وقيل: ذلك جائز فيمن كان يظهر الشر ويعلن فيه[(٦)]، فيكون ذلك من باب: لا غيبة لفاسق[(٧)].

وقيل: إن النهي إنما هو فيما بعد الدفن، وأما قبله: فممنوع، لقوله ﷺ: «لا تسبوا الأموات». والنهي عن سب الأموات متأخر، فيكون ناسخاً، والله أعلم.

وقوله: «أنتم شهداء الله في الأرض»، معناه عند الفقهاء: إذا أثنى عليه أهل الفضل والصدق والعدالة، لأن الفسقة قد يثنون على الفاسق فلا يدخل في الحديث. وكذلك لو كان القائل فيه عدواً له وإن كان فضلاً؛ لأن شهادته في حياته له كانت غير مقبولة، وكذلك الحكم في الآخرة على ما تقدم، والله أعلم.

---

(١) أصله من ثقيف، وعداده في بني زهرة، نقل الطبري في تفسيره ٢٩/٢٣ قول من قال إنها نزلت فيه.

(٢) ما بين علامتي التنصيص منقول من كتاب المفهم لأبي العباس القرطبي ١٦٧/٧ ـ ١٧٠.

(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٤) في صحيحه ٤٧٠/١، ح١٣٢٩.

(٥) انظر: كتابه إكمال المعلم ٥٢٨/٧.

(٦) في (الأصل): فيمن كان يظهر له الشر ويعلن فيه، والذي يظهر أن كلمة: له، مدرجة، والتصويب من (ع، ظ).

(٧) في (ع، ظ): في فاسق.

وقد قيل: إن تكرار أنتم شهداء الله في الأرض ثلاثاً إشارة إلى القرون الثلاثة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين [١٤٨/أ] يلونهم»(١).

قلت: والأول أصح إن شاء الله تعالى؛ لأن الله سبحانه مدح هذه الأمة بالفضل والعدالة إلى يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي عدلاً خياراً، ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] يعني في الآخرة كما تقدم، ولا يشهد إلا العدول.

وقد خرج **البخاري**(٢) عن حماد بن زيد عن ثابت عن أنس ﷺ قال: «مر على النبي ﷺ بجنازة، فأثنوا عليها خيراً، فقال: وجبت، ثم مر بأخرى فأثنوا عليها شراً، أو قال غير ذلك، فقال: وجبت، فقيل: يا رسول الله قلت لهذا: وجبت، ولهذا: وجبت، قال: شهادة القوم(٣)، والمؤمنون شهداء الله في الأرض».

وخرجه **ابن ماجه**(٤) بهذا الإسناد وقال: «شهادة القوم، والمؤمنون شهداء الله في الأرض».

وفي بعض طرق **البخاري**(٥) أيضاً عن عمر ﷺ قال النبي ﷺ: «من شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة، فقلنا: وثلاثاً؟ قال: وثلاثة، فقلنا: واثنان؟ قال: واثنان، ثم لم نسأله عن(٦) الواحد».

قال أبو محمد عبد الحق(٧): «وهذا الحديث مخصوص، والله أعلم،

---

(١) أخرجه البخاري ٢/٩٣٨، ح٢٥٠٨؛ ومسلم ٤/١٩٦٣، ح٢٥٣٣ مع اختلاف يسير في اللفظ.

(٢) في صحيحه ٢/٩٣٤، ح٢٤٩٩.

(٣) شهادة القوم: هكذا في الأصل و(ع) والبخاري، وفي (ظ): شهادة القوم المؤمنين.

(٤) في سننه ١/٤٧٨، ح١٤٩١؛ والبيهقي في الكبرى ١٠/١٢٣، ح٢٠١٧٦، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ١/٢٤٩ ـ ٢٥٠، ح١٢١١.

(٥) في صحيحه ١/٤٦٠، ح١٣٠٢.

(٦) في (الأصل): على، والتصويب من (ع، ظ، البخاري).

(٧) في العاقبة له ص(١٥٧).

والذي قبله يعطي العموم، وأن من كثرت شهوده وانطلقت ألسنة المسلمين فيه بالخير والثناء الصالح كانت له الجنة، والله أعلم».

[قال الشيخ رضي الله عنه: ومن هذا المعنى ما ذكر **هناد** بن السري[١]، حدثنا إسحاق الرازي[٢] عن أبي سنان عن عبد الله بن السائب قال: مرت جنازة على عبد الله بن مسعود فقال لرجل: قم فانظر أمن أهل الجنة هو أم من أهل النار، قال الرجل: [و][٣]ما يدريني أمن أهل الجنة هو أو من أهل النار، قال: انظر[٤] ما ثناء[٥] الناس عليه فإنهم شهداء الله في الأرض. قال أبو محمد[٦]:][٧] وغير مستنكر إذا أحب الله عبداً أن يلقي على ألسنة المسلمين الثناء عليه وفي قلوبهم المحبة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ٩٦]، وقال ﷺ: «إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل عليه السلام فقال: إن الله يحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل عليه السلام، ثم ينادي في السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، قال: فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض. وذكر في البغضاء مثل ذلك». وهذا حديث صحيح. خرجه **البخاري**[٨] **ومسلم**[٩].

قال أبو محمد[١٠]: «قد شوهد رجال من المسلمين علماء وصالحون[١١] كثر الثناء عليهم، وصرفت القلوب إليهم في حياتهم وبعد مماتهم، ومنهم من كثر المشيعون لجنازته، وكثر الحاملون لها، والمشتغلون بها، وربما كثّر الله

---

(١) الزهد له ١/ ٢٢٣، ح٣٧٠.
(٢) في (ع): الراوي، والتصويب من (ع، والزهد).
(٣) ما بين المعقوفتين من (الزهد لهناد).
(٤) في (ع): تنظر، وما أثبته من (ظ، والزهد).
(٥) في (الزهد): انظر في ثناء الناس.
(٦) أبو محمد عبد الحق في العاقبة ص(١٥٧ ـ ١٥٨).
(٧) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٨) في صحيحه ٣/ ١١٧٥، ح٣٠٣٧.
(٩) في صحيحه ٤/ ٢٠٣٠، ح٢٦٣٧.
(١٠) في (ع، ظ): أبو محمد عبد الحق.
(١١) في (الأصل): علماء صالحون، والتصويب من (ع، ظ، العاقبة).

بما شاء من [الجن](١) المؤمنين أو غيرهم مما يكون في صورة الناس.

ذكر قاسم بن أصبغ قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا محمد بن يزيد الرفاعي قال: مات عمرو بن قيس الملائي بناحية من فارس فاجتمع لجنازته من الخلق ما لا يحصى، فلما دفن نظروا فلم يروا أحداً. قال الرفاعي: سمعت هذا ممن لا أحصي كثرة.

وكان سفيان الثوري رضي الله عنه يتبرك بالنظر إلى عمرو بن قيس هذا(٢).

ولما مات أحمد بن حنبل صلى عليه من المسلمين(٣) [١٤٨/ب] ما لا يحصى، فأمر المتوكل أن يمسح موضع الصلاة عليه من الأرض فوجد موقف ألفي ألف وثلاث مائة ألف أو نحوها، ولما انتشر خبر موته أقبل الناس من البلاد يصلون على قبره فصلى عليه ما لا يحصى.

ولما مات الأوزاعي رضي الله عنه اجتمع للصلاة عليه من الخلق ما لا يحصى، ويروى أنه أسلم في ذلك اليوم من أهل الذمة: اليهود والنصارى نحو من ثلاثين ألفاً لما رأوا من كثرة الخلق على جنازته ولما رأوا من العجب في ذلك اليوم.

ولما مات سهل بن عبد الله التستري رحمه الله انكب الناس على جنازته وحضرها من الخلق ما لا يعلمه إلا الله، وكانت في البلد ضجة، فسمع بها يهودي شيخ كبير فخرج، فلما رأى الجنازة صاح وقال: هل ترون ما أرى، قالوا: وما ترى؟ قال: أرى قوماً ينزلون من السماء يتمسحون بالجنازة(٤) ثم أسلم وحسن إسلامه.

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ)، وفي (العاقبة): الجن والإنس.

(٢) لعل مراد الراوي أنه يتقرب إلى الله تعالى بالنظر إليه ليذكره سمته بالآخرة، أما السلف الصالح بما فيهم الصحابة فما كانوا يتبركون بشخص أو آثاره إلا رسول الله ﷺ وكان ذلك خاصاً به ﷺ، ولم يؤثر أن الصحابة فعلوه مع أبي بكر أو عمر رضي الله عن الجميع.

(٣) في (ظ): من الناس.

(٤) هذه الرواية فيها نَفَسٌ صوفي ظاهر، حيث يدندن الصوفية دائماً حول التعلق=

ويقال: إن الكعبة لم تخل من طائف يطوف بها إلا يوم مات المغيرة بن حكيم[١] رَحِمَهُ اللَّهُ فإنها خلت لانحسار الناس بجنازته تبركاً بها، ورغبة في الصلاة عليها.

وقد شوهد من جنائز الصالحين من يشيعها الطير ويسير معها حيث سارت منهم: أبو الفيض ذو النون المصري[٢]، وأبو إبراهيم المزني صاحب الشافعي[٣]، حدث بذلك الثقات، قاله أبو محمد عبد الحق في العاقبة له[٤].

باب منه في صفة أهل الجنة وأهل النار

مسلم[٥] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا».

[قال الحافظ ابن دحية أبو الخطاب رضي الله عنه: الرواية بالياء بلا خلاف، وتحكَّم أبو الوليد الكناني رواه «ماثلة»، بالثاء المثلثة، وهي المتشبعة، وهذا خطأ منه وتصحيف][٦].

= بالمخلوقين، والتمسح والتبرك بهم زعماً منهم أنهم يقربونهم إلى الله تعالى زلفى، فمثل هذه الروايات التي تمس العقيدة لا تقبل من راوٍ مسلمٍ ضعيف فضلاً عن يهودي قبل إسلامه، فمثل هذا لا يُبنى عليه معتقد.

(١) هو المغيرة بن حكيم الصنعاني، من الأنبار، روى عن ابن عمر وأبي هريرة، انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي ٧/ ١٥٥.

(٢) ذو النون المصري بن إبراهيم، أبو الفيض، قيل: اسمه ثوبان، سمع مالكاً والليث، له كلام في الزهد، مات سنة ٢٤٦هـ، المنتظم لابن الجوزي ١١/ ٣٤٥.

(٣) إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني المصري الفقيه، أول أصحاب الشافعي، توفي سنة ٢٦٤هـ، طبقات الشافعية ٢/ ٥٨ لابن قاضي شهبة.

(٤) ص(١٥٨ ـ ١٥٩).

(٥) في صحيحه ٣/ ١٦٨٠، ح٢١٢٨.

(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

وخرج **مسلم**(١) أيضاً عن أبي هريرة ﷺ(٢) عن النبي ﷺ قال: «يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير».

فصل

للعلماء في تأويل هذا الحديث وجهان:

أحدهما: أنها مثلها في الخوف [والهيبة والطير أكثر الحيوانات خوفاً حتى قالوا: أحذر من غراب، وقد غلب الخوف](٣) على كثير من السلف حتى انصدعت قلوبهم فماتوا.

الثاني: أنها مثلها في الضعف والرقة، كما جاء في(٤) الحديث الآخر في أهل اليمن: «هم أرق قلوباً، وأضعف أفئدة».

قلت: ويحتمل وجهاً ثالثاً: أنها مثلها في أنها عارية(٥) من كل ذنب، سليمة من كل عيب، لا خبرة لهم بأمور الدنيا، كما روى أنس بن مالك [١٤٩/أ] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثر أهل الجنة البله»(٦)، وهو حديث صحيح، أي البله عن معاصي الله، والله أعلم.

قال الأزهري(٧): الأبله في كلامهم على وجوه يقولون: عيش أبله، إذا كان ناعماً، ومنه: أخذ بلهنية العيش. قال بعضهم: وطال ما عشت في بلهنية.

والأبله: الذي لا عقل له، والأبله: الذي طبع على الخير وهو غافل عن الشر لا يعرفه، وقال: هذا هو المراد بالحديث.

---

(١) في صحيحه ٤/ ٢١٨٣، ح٢٨٤٠.

(٢) (وخرج مسلم أيضاً عن أبي هريرة ﷺ): ليست في (ع، ظ)، وفيهما: وعنه عن النبي ﷺ قال: يدخل أقوام..

(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ). (٤) (في): ساقطة من (ع).

(٥) في (ع، ظ): خالية.

(٦) الحديث في مسند الشهاب للقضاعي ٢/ ١١٠، ح٩٨٩؛ والفردوس للديلمي ١/ ٣٦٢، ح١٤٦٤؛ وشعب الإيمان للبيهقي ٢/ ١٢٦، ح١٣٦٧؛ قال ابن الجوزي: هذا الحديث لا يصح، انظر: العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ٢/ ٩٣٤.

(٧) في كتابه تهذيب اللغة ٦/ ٣١١.

وقال العتبي: البله: الذين[١] غلبت عليهم سلامة الصدر، وحسن الظن بالناس وأنشد:

ولقد لهوت بطفلة ميالة ... بلهاء تطلعني على أسرارها

يعني: أنها غر لا دهاء فيها[٢].

قلت: ونظير ما ذكرناه، وما قاله هؤلاء الأئمة من الكتاب قوله الحق: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٩]، وقوله ﷺ: وقد سئل: «أي الناس أفضل؟ فقال: الصادق اللسان، المخموم القلب، قالوا: هذا الصادق اللسان قد عرفناه، فما المخموم القلب[٣]؟ قال: هو النقي الذي لا غل فيه ولا حسد[٤]».

ذكره أبو عبيد[٥]، والعرب تقول: خممت البيت: إذا كنسته، ومنه سميت الخمامة، وهي مثل القمامة والكناسة.

وقال بعض العلماء[٦]: في البله وجه آخر لطيف: وهو أنهم سموا بذلك لقصورهم أي عن كمال المعرفة بحق الله ﷻ، ورؤية استحقاقه للعبادة، وإيثار طلبه، والشغف بحبه، وخدمته، وطلب رضاه الذي هو حبه إذ وقفوا بخواطرهم على الجنة ونعيمها وعبدوه وأطاعوه في نيل درجاتها ولذاتها غافلين عن مراقبة عزة جلاله، وملاحظة جلاله[٧] بعكوف هممهم على نيل نعمه وأفضاله، فهم بله أيضاً بالإضافة إلى العقلاء عن الله [ﷻ ذوي الألباب المقبلة على شهادة نيل عظمة الله المتوجهين][٨] بكليتهم إليه المشغولين به عما لديه، ولهذا قال ﷺ في سياق قوله: أكثر أهل الجنة: البله، وعليون لأولي الألباب.

وفي الخبر[٩] أن طائفة من العقلاء بالله ﷻ تزفها الملائكة إلى الجنة

---

(١) في (ظ): هم الذين. (٢) في (ع): لها.
(٣) (قالوا: هذا الصادق اللسان قد عرفناه، فما المخموم القلب): ليست في (ظ).
(٤) وانظر: المعنى نفسه في النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٨١/٢.
(٥) في غريب الحديث له ١١٨/٣. (٦) لم أقف على القائل.
(٧) (جلاله): ليست في (ظ)، وفي (ع): جماله.
(٨) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ). (٩) لم أقف عليه.

والناس في الحساب، فيقولون للملائكة: إلى أين تحملوننا؟ فيقولون: إلى الجنة، فيقولون: إنكم لتحملوننا إلى غير بغيتنا، فيقولون: ما بغيتكم؟ فيقولون: المقعد الصدق مع الحبيب كما أخبر: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾ [القمر: ٥٥].

ولعل هذا[1] من هذا القبيل من يسأل الجنة إلا أن سؤاله إياها لا لها، بل موافقة لمولاه لما علم أنه يحب أن يسأل ثوابه، ويستعاذ من عقابه، فوافق مولاه في إيثاره، لا لحظ نفسه؛ كما قال ﷺ لأحد أصحابه الذين قالوا [١٤٩/ب] أما أنا فأقول في دعائي: «اللهم أدخلني الجنة وعافني من النار، ولا أدري ما دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال رسول الله ﷺ: حولها ندندن».

قلت: خرجه **أبو داود** في سننه[2] **وابن ماجه**[3].

باب ما جاء في أكثر أهل الجنة وأكثر أهل النار

مسلم[4] عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين، وإذا أصحاب الجد محبوسون إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء».

ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما في حديث كسوف الشمس: «ورأيت النار فلم أر منظراً كاليوم قط، ورأيت أكثر أهلها النساء، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: بكفرهن، قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط»[5].

---

(١) (هذا) ليست في (ع، ظ). (٢) ١/ ٢١٠، ح٧٩٢.

(٣) في سننه ١/ ٢٩٥، ح٩١٠، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ١/ ١٥٠، ح٧٤٢.

(٤) في صحيحه ٤/ ٢٠٩٦، ح٢٧٣٦.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٣٥٧، ح١٠٠٤.

وعن عمران بن حصين ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن أقل ساكني الجنة: النساء»(١).

فصل

قال علماؤنا: إنما كان النساء أقل ساكني الجنة لما يغلب عليهن من الهوى والميل إلى عاجل زينة الدنيا لنقصان عقولهن أن تنفذ بصائرها إلى الأخرى فيضعفن عن عمل الآخرة، والتأهب لها لميلهن إلى الدنيا والتزين بها ولها، ثم مع ذلك هن أقوى أسباب الدنيا التي تصرف الرجال عن الأخرى؛ لما لهن فيهن من الهوى، فأكثرهن معرضات عن الآخرة بأنفسهن، صارفات عنها لغيرهن، سريعات الانخداع لداعهن من المعرضين عن الدين، عسيرات الاستجابة(٢) لمن يدعوهن إلى الآخرة وأعمالها من المتقين.

[ومن كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وكرم وجهه: أيها الناس لا تطيعوا للنساء أمراً، ولا تدعوهن يدبرن أمر عشير(٣)؛ فإنهن إن تركن وما يردن أفسدن الملك وعصينا المالك، وجدناهن لا دين لهن في خلواتهن، ولا ورع لهن عند شهواتهن، اللذة بهن يسيرة، والحيرة بهن كثيرة، فأما صوالحهن ففاجرات، وأما طوالحهن فعاهرات، وأما المعصومات فهن المعدمات، فيهن ثلاث خصال من يهود: يتظلمن وهن ظالمات، ويحلفن وهن كاذبات، ويتمنعن وهن راغبات، فاستعيذوا بالله من شرارهن، وكونوا على حذر من خيارهن(٤)](٥)، قال ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من

---

(١) أخرجه بن حبان في صحيحه ١٦/٤٩٦، ح٧٤٥٧. قال الأرنؤوط في تعليقه على الحديث: إسناده صحيح على شرط البخاري، انظر الإحالة نفسها.

(٢) في (ع): الإجابة.

(٣) في (ع): أمراً عشيراً، وما أثبته من (ظ).

(٤) بحثت عن هذا الأثر عن علي ﷺ ولم أجده، وما أظن أن يثبت مثل هذا عنه ﷺ لما فيه من المبالغة في التشنيع على النساء على وجه لا يليق.

(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

النساء»[(١)]، وسيأتي[(٢)]. وقال: «ما رأيت ناقصات عقل ودين أسلب للب الرجل الحازم منكن يا معشر النساء»[(٣)]، [وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث المتقدم: «مائلات مميلات»، قال الحافظ ابن دحية: فتحفظوا عباد الله منهن، وتجنبوا عنهن، ولا تثقوا بودهن، ولا وثيق عهدهن، ففي نقصان عقلهن ودينهن ما يغني عن الإطناب فيهن][(٤)].

باب

البخاري[(٥)] عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى».

وذكر ابن أبي الدنيا قال: حدثنا محمد بن علي قال: حدثنا أبو إسحاق بن الأشعث [١٥٠/أ] سمعت فضيل بن عياض يقول: قال ابن عباس ﷺ يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء، زرقاء، أنيابها مشوهة خلقها فتشرف على الخلائق، فيقال: تعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه، فيقال: هذه الدنيا التي تناحرتم عليها بها تقاطعتم الأرحام، وبها تحاسدتم، وتباغضتم، واغتررتم، ثم تقذف في جهنم، فتنادي أي رب: أين أتباعي وأشياعي؟ فيقول الله تعالى: ألحقوا بها أتباعها وأشياعها»[(٦)].

باب ما جاء أن العرفاء في النار

أبو داود[(٧)] عن غالب القطان عن رجل عن أبيه عن جده

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٩٥٩/٥، ح٤٨٠٨؛ ومسلم ٢٠٩٧/٤، ح٢٧٤٠.
(٢) ص(١١٤٦).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١١٦/١، ح٢٩٨؛ ومسلم في صحيحه ٨٦/١، ح٧٩.
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ). (٥) في صحيحه ٢٦٥٥/٦، ح٦٨٥١.
(٦) ذكره البيهقي في شعب الإيمان ٣٨٣/٧، ح١٠٦٧١.
(٧) في سننه ١٣١/٣، ح٢٩٣٤؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٣/٦، ح١٢٨٢٨، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف أبي داود ص(٢٩٠)، ح٦٢٩.

[الحديث][(١)] وفيه: أن أباه أرسله إلى النبي ﷺ قال[(٢)]: إن أبي شيخ كبير وهو عريف الماء، وأنه يسألك أن يجعل لي العرافة بعده، فقال: «إن العرافة حق ولا بد للناس من عرفاء، ولكن العرفاء في النار».

وفي الصحيح[(٣)] في قصة هوازن: «ارجعوا حتى يرفع إلي عرفائكم أمركم».

فصل

قال علماؤنا: العريف: القيم بأمر القبيلة والمحلة، يلي أمورهم ويتعرف أخبارهم ويعرف الأمير منه أحوالهم.

وقوله: العرافة حق: يريد أن فيها مصلحة للناس، ورفقاً بهم، ألا تراه يقول: لا بد للناس من عرفاء.

وقوله: في النار: معناه: التحذير من الرئاسة والتأمر على الناس؛ لما فيه من الفتنة. والله أعلم.

[باب منه

أبو داود الطيالسي[(٤)] قال: حدثنا هشام عن عباد بن أبي علي عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ويل للأمراء، ويل للأمناء، ويل للعرفاء، ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة[(٥)] بالثريا يتذبذبون بين السماء والأرض ولم يلوا عملاً»][(٦)].

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٢) في (ع، ظ): وأنه قال.
(٣) في صحيح البخاري ٣/ ١١٤٠، ح٢٩٦٣.
(٤) في مسنده ١/ ٣٢٩، ح٢٥٢٣؛ وابن حبان في صحيحه ١٠/ ٣٣٥، ح٤٤٨٣؛ وأحمد في مسنده ٢/ ٣٥٢، ح٨٦١٢؛ قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله ثقات، مجمع الزوائد ٥/ ٢٠٠.
(٥) (معلقة): ليست في (ع)، وإثباتها من (ظ، والطيالسي).
(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

باب لا يدخل الجنة صاحب مكس ولا قاطع الرحم

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٨٦] نزلت في المكّاسين والعشّارين في قول بعض العلماء.

وقال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٣] الآية.

مسلم[(١)] عن جبير بن مطعم [عن أبيه][(٢)] ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع»، قال ابن أبي[(٣)] عمر قال سفيان: قاطع رحم[(٤)]، ورواه البخاري[(٥)].

أبو داود[(٦)] عن عقبة بن عامر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة صاحب مكس».

فصل

قال علماؤنا: صاحب المكس: هو الذي يعشر أموال الناس، ويأخذ من التجار والمختلفين ما لا يجب عليهم إذا مروا [به][(٧)] مكساً [١٥٠/ب] باسم العشر أو الزكاة، وليس هو الساعي الذي يأخذ الصدقات والحق الواجب للفقراء، وقد قدمنا أن التبديل إذا كان في الأعمال ليس في العقائد صاحبه في المشيئة إن عذب فإنه يخرج بالشفاعة على ما تقدم[(٨)]، وهكذا القول في أصحاب الكبائر المتوعد عليها بالنار واللعنة يخرجون بالشفاعة إذا ارتكبوها على غير وجه الاستحلال.

---

(١) في صحيحه ٤/١٩٨١، ح٢٥٥٦.
(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، مسلم).
(٣) (أبي): ليست في (ظ)، والقول في صحيح مسلم في نهاية الحديث المتقدم.
(٤) في (ع، ظ): قال سفيان يعني: قاطع رحم.
(٥) في صحيحه ٥/٢٢٣١، ح٥٦٣٨.
(٦) في سننه ٣/١٣٢، ح٢٩٣٧؛ والدارمي في سننه ١/٤٨٢، ح١٦٦٦.
(٧) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٨) ص(٧٦٩).

باب ما جاء في أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار

أبو بكر(١) بن أبي شيبة عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ثلاثة يدخلون الجنة: الشهيد، ورجل عفيف متعفف ذو عيال، وعبد أحسن عبادة ربه وأدى حق مواليه، وأول ثلاثة يدخلون النار: أمير متسلط، وذو ثروة من مال(٢) لا يؤدي حقه، وفقير فخور».

باب ما جاء في أول من تسعر بهم جهنم

مسلم(٣) عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت(٤) رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك(٥) قاتلت لأن يقال(٦): جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم(٧)، وقرأت القرآن ليقال: هو(٨) قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن أنفق(٩) فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار»، خرّجه **أبو عيسى**

---

(١) في مصنفه ٤/٢٠٥، ح١٩٣٣٥؛ وأحمد في مسنده ٢/٤٢٥، ح٩٤٨٨.
(٢) (من مال): ليست في (مصنف ابن أبي شيبة).
(٣) في صحيحه ٣/١٥١٣، ح١٩٠٥.
(٤) في (ظ): قال.
(٥) في (ع): ولكن.
(٦) في (ظ): لأن يقال فلان.
(٧) في (الأصل): العالم، وما أثبته من (ع، ظ، مسلم).
(٨) (هو): ليست في (ظ).
(٩) في (ع): ينفق.

الترمذي[١] بمعناه، وقال في آخره: ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي، فقال: يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة [١٥١/أ].

باب فيمن يدخل الجنة بغير حساب

مسلم[٢] عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألف بغير حساب، قالوا[٣]: من هم يا رسول الله؟ قال: هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون».

الترمذي[٤] عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً، وثلاث حثيات من حثيات ربي»، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب[٥]. أخرجه **ابن ماجه**[٦] أيضاً.

وخرج أبو بكر **البزار**[٧] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل[٨] الجنة من أمتي سبعون ألفاً مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعون ألفاً».

---

(١) في جامعه ٤/٥٩١، ح٢٣٨٢.

(٢) في صحيحه ١/١٩٨، ح٢١٨؛ والبخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنه ٥/٢٣٧٥، ح٦١٠٧.

(٣) في (الأصل): قال. والتصويب من (ع، ظ، مسلم).

(٤) في جامعه ٤/٦٢٦، ح٤٢٣٧، صححه الألباني، انظر: صحيح الترمذي له ٢/٢٩٥، ح١٩٨٤.

(٥) في (ع، ظ): قال الترمذي: حديث غريب، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.

(٦) في سننه ٢/١٤٣٣، ح٤٢٨٦؛ وأحمد في مسنده ٥/٢٦٨، ح٢٢٣٥٧.

(٧) أخرجه في مسنده في عدة مواضع ٦/٥٨، ح٢١٢٠، ٦/٨٣، ح٢١٣٩، ٩/٤٥، ح٣٥٦٥ وليس في هذه المواضع الجملة الأخيرة: «مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعون ألفاً»، وفي ٤/٢٧١، ح١٤٤١: «ثم قيل لي: إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب»، وفي ٩/١٤٥، ح٣٧٠٠: «وإنهم لأكثر من سبعين ألفاً وسبعين ألفاً».

(٨) في (ع، ظ): ليدخلن، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.

وخرّج أيضاً[١] وأبو عبد الله **الترمذي الحكيم**[٢] عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أعطاني سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، فقال عمر ﷺ: يا رسول الله، فهلا استزدته؟ قال: قد استزدته فأعطاني مع كل واحد من السبعين الألف[٣] سبعين ألفاً، فقال عمر: يا رسول الله فهلا استزدته؟ فقال: قد استزدته[٤] فأعطاني هكذا»، وفتح أبو وهب يديه، قال أبو وهب: قال هشام: هذا من الله لا يدري ما عدده.

وخرج **الترمذي الحكيم**[٥] أيضاً عن نافع أن أم قيس ﷺ حدثته أن رسول الله ﷺ خرج آخذاً بيدها في سكة من سكك المدينة حتى انتهى بها إلى بقيع الغرقد فقال: «يبعث منها سبعون ألفاً يوم القيامة في صورة القمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب، فقام رجل فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال: أنت منهم، فقام آخر فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال: سبقك بها عكاشة».

قال أبو عبد الله[٦]: فهذا العدد من مقبرة واحدة فكيف بسائر مقابر أمته؟ وإنما قال رسول الله ﷺ أنت منهم كأنه رأى فيه أنه منهم، والآخر لم يره بموضع ذلك، فقال: سبقك بها عكاشة، وأم القيس هي بنت محصن أخت عكاشة بن محصن الأسدي.

قلت: خرجه مسلم في صحيحه[٧] بمعناه.

فصل

لا تظن أن من استرقى، واكتوى لا يدخل الجنة بغير حساب، فإن

(١) أي البزار في مسنده ٦/ ٢٣٤، ح٢٢٦٨، وفي (ع، ظ): وخرّج أيضاً هو.
(٢) في نوادر الأصول ١/ ٣٠١.
(٣) في (ع): ألف، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.
(٤) (مع كل واحد من السبعين الألف سبعين ألفاً، فقال عمر: يا رسول الله فهلا استزدته؟ فقال: قد استزدته): ساقطة من (ظ).
(٥) في نوادر الأصول ١/ ٣٠٢.
(٦) يعني الترمذي الحكيم.
(٧) ١/ ١٩٨، ح٢١٨.

النبي ﷺ رقى نفسه وأمر بالرقى، وكذلك كوى أصحابه ونفسه فيما ذكره[(١)] الطبري [١٥١/ب] فيحمل النهي على رقى مخصوص[(٢)]، بدليل قول رسول الله ﷺ لآل عمرو بن حازم: «أعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك»[(٣)]، وكذلك الكي الذي لا يوجد عنه غنى، فمن فعله في محله وعلى شرطه لم يكن ذلك مكروهاً في حقه ولا منقصاً له من فضله. ويجوز أن يكون من السبعين ألفاً، وقد كوى النبي ﷺ نفسه فيما ذكره[(٤)] الطبري في كتاب آداب النفوس [وذكر الحليمي في كتاب المنهاج في الدين[(٥)]: واختلفت الرواية في الكي، فروي أن النبي ﷺ اكتوى من الكَلِم الذي أصابه في وجهه يوم أحد، وكوى سعد بن زرارة من الشوكة][(٦)] وكوى سعد بن معاذ ﷺ الذي اهتز له عرش الرحمن وأبي بن كعب المخصوص بأنه أقرأ الأمة للقرآن، وقد اكتوى عمران بن حصين وقطع رجله عروةُ بنُ الزبير، فمن اعتقد أن هؤلاء لا يصلحون أن يكونوا من السبعين ألفاً ففساد كلامه لا يخفى.

[باب منه

أخبرنا ابن رواج إجازة قال: حدثني السِّلفي قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن موسى بن بردويه بن فورك بن جعفر قراءة عليه وأنا أسمع بأصبهان سنة إحدى وسبعين وأربعمائة قال: أخبرنا أبو القاسم علي بن عمر بن إسحاق بن إبراهيم الإسنديادي[(٧)] الهمذاني قراءة عليه في شعبان سنة تسع وأربعمائة قال: أخبرنا أبو بكر بن أحمد بن محمد بن إسحاق الشيني الحافظ قال: أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد المطيقي قال: ثنا

---

(١) في (ع، ظ): ذكر.
(٢) في (الأصل): رقى مخصوص، قال: قال رسول الله، والتصويب من (ع، ظ).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٧٢٧، ح٢٢٠٠.
(٤) في (ع): ذكر.
(٥) في (ظ): في كتاب المنهاج في الدين له ٢/٣٥.
(٦) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).
(٧) في (ظ): الإسداباذي.

أبو بكر بن زنجويه قال: ثنا عثمان بن صالح قال: حدثنا ابن لهيعة عن دراج عن بن حجيرة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب: رجل غسل ثوبه فلم يجد له خلفاً، ورجل لم ينصب على مستوقده بقدرين قط، ورجل دعا بشراب فلم يقل له أيهما يريد»[(١)].

وقال ابن مسعود: من احتفر بئراً بفلاة من الأرض، إيماناً واحتساباً دخل الجنة بلا حساب][(٢)].

باب منه

ذكر **أبو نعيم**[(٣)] عن علي بن الحسين ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة نادى[(٤)] منادٍ: أيكم أهل الفضل؟ فيقوم ناس من الناس، فيقال[(٥)]: انطلقوا إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة، فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة، قالوا: قبل الحساب؟ قالوا: نعم، قالوا: من أنتم؟ قالوا: أهل الفضل، قالوا: وما كان فضلكم؟ قالوا: كنا إذا جُهِلَ علينا حلمنا[(٦)]، وإذا ظُلمنا صبرنا، وإذا أُسيء إلينا غفرنا، قالوا: ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين. ثم ينادي منادٍ: ليقم أهل الصبر، فيقوم ناس من الناس فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة فيقال لهم مثل ذلك، فيقولون: نحن أهل الصبر، قالوا: وما كان صبركم؟ قالوا: صبّرنا [أنفسنا][(٧)] على طاعة الله وصبرنا عن معاصي الله، قالوا: ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين. ثم ينادي منادٍ: ليقم جيران الله، فيقوم ناس من الناس وهم قليل، فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة، فتتلقاهم[(٨)] الملائكة، فيقال لهم مثل ذلك، قالوا: وبم جاورتم الله في داره؟ قالوا: كنا

---

(١) لم أقف على من خرجه.
(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٣) في (الحلية): ٣/ ١٣٩ ـ ١٤٠.
(٤) في (ع): ينادي.
(٥) في (الأصل): فيقول، والتصويب من (ع، ظ، الحلية).
(٦) في (الأصل، ظ): حملنا، والتصويب من (ع، الحلية).
(٧) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، الحلية).
(٨) في (الحلية): فتتلقاهم.

نتزاور في الله ونتجالس في الله ونتباذل في الله ﷻ، قالوا: ادخلوا[1] الجنة فنعم أجر العاملين.

وذكر[2] من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ينادي منادٍ من بطنان العرش: أين أهل المعرفة بالله؟ أين المحسنون؟ قال: فيقوم عنق من الناس حتى يقفوا بين يدي الله تعالى، فيقول: وهم أعلم بذلك ما أنتم؟ فيقولون: نحن أهل المعرفة بك الذين عرّفتنا إياك وجعلتنا أهلاً لذلك، فيقول: صدقتم، ثم يقول: ما عليكم من سبيل ادخلوا الجنة برحمتي، ثم تبسم رسول الله ﷺ فقال [١٥٢/أ]: لقد نجاهم الله من أهوال يوم القيامة».

قال أبو نعيم: هذا طريق مرضي لولا الحارث بن منصور الوراق وكثرة وهمه.

ابن المبارك[3] عن ابن عباس ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، ليقم الحامدون لله على كل حال، فيقومون فيسرحون إلى الجنة، ثم ينادي منادٍ ثانية ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، ليقم الذين كانت: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة: ١٦] قال: فيقومون فيسرحون إلى الجنة، قال: ثم ينادي ثالثة: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، ليقم الذين كانوا ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧]، فيقومون فيسرحون إلى الجنة».

وروي أنه: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين عبادي الذين أطاعوني وحفظوا عهدي بالغيب فيقومون[4]، كأن وجوههم البدر أو الكوكب الدري

---

(١) في (الأصل): ادخل، والتصويب من (ع، ظ، الحلية).
(٢) الحديث لا يوجد في الحلية، ولم أقف على من ذكره.
(٣) في الزهد (الزوائد) ص(١٠٢)، ح٣٥٣؛ وأبو نعيم في الحلية ٦/ ٦٢.
(٤) في (ع): فيوقفون.

ركباناً على نجب[(١)] من نور أزمتها من الياقوت تطير بهم على رؤوس الخلائق حتى يقوموا بين يدي العرش، فيقول الله لهم: السلام على عبادي الذين أطاعوني وحفظوا عهدي بالغيب، أنا اصطفيتكم، وأنا أحببتكم، وأنا اخترتكم، اذهبوا فادخلوا الجنة بغير حساب فلا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، فيمرون على الصراط كالبرق الخاطف فتفتح لهم أبوابها، ثم إن الخلائق في المحشر موقوفون، فيقول بعضهم: يا قوم أين فلان بن فلان[(٢)] وذلك؛ حين يسأل بعضهم بعضاً فينادي منادٍ: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝﴾ [يس: ٥٥].

باب منه

ذكر الميانشي القرشي أبو حفص عمر[(٣)] من حديث أنس بن مالك ﵁ عن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة جاء أصحاب الحديث بأيديهم المحابر فيأمر الله جبريل ﵇ أن يأتيهم فيسألهم من هم، [فيأتيهم فيسألهم][(٤)] فيقولون: نحن أصحاب الحديث، فيقول الله تعالى لهم: ادخلوا الجنة طالما كنتم تصلون على نبيي[(٥)] ﷺ».

وخرّج عن ابن عمر ﵄ عن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة وضعت منابر من نور عليها قباب من در، ثم ينادي منادٍ أين الفقهاء؟ وأين الأئمة والمؤذنون؟ اجلسوا على هذه فلا روع عليهم[(٦)] ولا حزن حتى يفرغ الله فيما بينه وبين العباد من الحساب»[(٧)].

وروى يزيد بن هارون عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن [ابن][(٨)] أبي

(١) في (ظ): نجائب. (٢) في (ع): أين فلان وفلان.
(٣) في (ع، ظ): أبو جعفر عمر بن حفص، هو: محدث مكة أبو حفص عمر بن عبد المجيد الميانشي، توفي سنة ٥٨١هـ، انظر: السير ٢١/١٥٧.
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ). (٥) في (ظ): النبي.
(٦) في (ع): عليكم.
(٧) أخرجه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ١/٢٥٤ ـ ٢٥٥، ح٩٨٧.
(٨) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

ليلى عن أبي أيوب الأنصاري [١٥٢/ب] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مسألة واحدة يتعلمها المؤمن خير له من عبادة سنة، وخير له من عتق رقبة من ولد إسماعيل، [وأن طالب العلم][١]، والمرأة المطيعة لزوجها والولد البار بوالديه يدخلون الجنة مع الأنبياء بغير حساب»، نقلته من الزيادات بعد الأربعين لإسماعيل بن عبد الغافر[٢] ﷺ، قال: ثنا حسين بن علي قال: ثنا يزيد بن هارون فذكره.

باب [منه][٣]

[أبو نعيم عن قتادة][٤] عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «وعدني ربي أن يدخل من أمتي الجنة مائة ألف، فقال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله زدنا، قال: وهكذا وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك، قال: يا رسول الله زدنا، فقال عمر ﷺ: إن الله ﷻ قادر على[٥] أن يدخل الجنة بحفنة واحدة، فقال رسول الله ﷺ: صدق عمر»، هذا حديث غريب من حديث قتادة عن أنس تفرد به عن قتادة أبو هلال واسمه محمد بن سليم الراسبي، ثقة بصري.

فصل

لا يحملنك يا أخي هذا الحديث والذي قبله[٦] ولا ما وقع في صحيح مسلم من قوله ﷺ مخبراً عن الله تعالى كما تقدم، فيقبض قبضة من النار على

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٢) أبو عبد الله إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي، المحدث النيسابوري، توفي سنة ٥٠٤هـ، السير ١٩/ ٢٦٢.

(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ)، والحديث في الحلية لأبي نعيم ٢/ ٣٤٤؛ والطبراني في الكبير بنحوه ١٧/ ٦٤، ح١٢٣.

(٥) (على): ليست في (ع).

(٦) في (ع، ظ): ولا الذي قبله.

التجسيم[(١)]، وقد تقدم[(٢)] القول في هذا المعنى عند قوله: ويطوي الله السماء بيمينه، وإنما المعنى: أن الله تعالى يخرج من النار خلقاً كثيراً لا يأخذهم عدد، ولا يدخلون تحت حصر فيخرجهم دفعة واحدة بغير شفاعة أحد ولا ترتيب خروج، بل كما يلقي القابض الشيء المقبوض عليه من يده مرة واحدة، فعبر عن ذلك بالحفنة، والحثوة، والقبضة، والله أعلم.

باب أمة محمد ﷺ شطر أهل الجنة وأكثر

مسلم[(٣)] عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال[(٤)]: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ فقال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعون، قال: فذلك حين يشيب الصغير ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [١٥٣/أ] قال: فاشتد عليه[(٥)]، قالوا: يا رسول الله أينا ذلك الرجل؟ قال: أبشروا فإن من يأجوج مأجوج ألفاً ومنكم رجل، قال: ثم قال: والذي نفسي بيده إني

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ثم هؤلاء قالوا لمن أثبت أنه يرضى، ويغضب، ويحب، ويبغض، أو من وصفه بالاستواء، والنزول، والإتيان، والمجيء، أو بالوجه، واليد، ونحو ذلك، هذا يقتضي التجسيم لأنا لا نعرف ما يوصف بذلك إلا ما هو جسم، قالت لهم المثبتة: فأنتم قد وصفتموه بالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر والكلام، وهذا هكذا فإذا كان هذا لا يوصف به إلا الجسم فالآخر كذلك، وإن أمكن أن يوصف بأحدهما ما ليس بجسم فالآخر كذلك، فالتفريق بينهما تفريق بين المتماثلين، ولهذا لما كان الرد على من وصف الله تعالى بالنقائض بهذه الطريق طريقاً فاسداً لم يسلكه أحد من السلف والأئمة، فلم ينطق أحد منهم في حق الله بالجسم لا نفياً ولا إثباتاً، ولا بالجوهر، والتحيز، ونحو ذلك لأنها عبارات مجملة لا تحق حقاً ولا تبطل باطلاً، ولهذا لم يذكر الله في كتابه فيما أنكره على اليهود وغيرهم من الكفار ما هو من هذا النوع بل هذا هو من الكلام المبتدع الذي أنكره السلف والأئمة، انظر: فتاوى ابن تيمية ٣/ ٨١ بتصرف يسير.

(٢) ص(٥٠٣).

(٣) في صحيحه ١/ ٢٠١، ح٢٢٢.

(٤) (والخير في يديك، قل): ليست في (ظ).

(٥) في (ظ): فاشتد ذلك عليهم.

لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة، فحمدنا وكبرنا، ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة فحمدنا وكبرنا، ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو[1] كالرقمة في ذراع الحمار» [خرجه البخاري[2]].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «تكون الخلائق يوم القيامة مائة وعشرون صفاً طول كل صف مسيرة أربعين ألف سنة، وعرض كل صف عشرون ألف سنة، قيل: يا رسول الله كم المؤمنون؟ قال: ثلاثة صفوف، قيل له: والمشركون؟ قال: مائة وتسعة عشر صفاً، قيل له: فما صفة المؤمنين من الكافرين؟ قال: المؤمنون كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود»، ذكر هذا الخبر القتبي في عيون الأخبار له، وهو غريب جداً مخالف لصفوف المؤمنين الواردة في الأحاديث][3].

وذكره[4] **أبو بكر بن أبي شيبة**[5] قال: ثنا ابن نمير قال: حدثني موسى الجهني عن الشعبي قال: سمعته يقول: قال نبي الله ﷺ: «أيسرُكم أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فيسركم أن تكونوا نصف أهل الجنة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إن أمتي يوم القيامة ثلثا أهل الجنة، إن الناس يوم القيامة عشرون ومائة صف وإن أمتي من ذلك ثمانون صفاً»، ورواه[6] مرفوعاً عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وفيه: فقال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة يوم القيامة عشرون ومائة صف وأنتم منها ثمانون صفاً»، في إسناده الحارث بن حصيرة ضعفه مسلم في صدر كتابه[7].

---

(١) في (الأصل): و، والتصويب من (ع، ظ، مسلم).

(٢) في صحيحه ٣/ ١٢٢١، ح٣١٧٠.

(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٤) في (ع، ظ): وذكر.

(٥) في مصنفه ٦/ ٣١٥، ح٣١٧١٢.

(٦) أي ابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ٣١٥، ح٣١٧١٣.

(٧) أي الصحيح ١/ ٢١.

وخرجه **ابن ماجه**[١] **والترمذي**[٢] عن بريدة بن خصيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

فصل

تقدم[٣] من حديث عبد الله بن عمرو وفيه: يقول: أخرجوا بعث النار، وفي هذا يقال لآدم: أخرج بعث النار، فقيل: [إن][٤] آدم لما أمر أولاً بالإخراج، أمر هؤلاء الملائكة أن يخرجوا ويميزوا أهل النار عن أهل الجنة والله أعلم. [وقول الصحابة رضوان الله عليهم: أينا ذلك الرجل؟ يريدون من هو الواحد الذي لا يدخل النار توهماً منهم أن القضية واردة فيهم، فقال ﷺ: «إن من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم رجلاً[٥]»، وأطلق لفظ البشارة وبيَّن أن الألف كلها في النار لكن من غير هذه الأمة المحمدية، ومن هذه الأمة واحد في الجنة[٦] على ما يقتضيه ظاهر هذا اللفظ، وإذا كان كذلك استغرق العدد جميع أمة محمد ﷺ فكانوا في الجنة أو أكثرهم؛ لأن يأجوج ومأجوج أمم لا يموت الرجل منهم حتى يرى ألف عين تطوف بين يديه من صلبه على ما يأتي[٧] بيانه من ذكرهم آخر الكتاب إن شاء الله تعالى][٨].

---

(١) في سننه ٢/ ١٤٣٤، ح٤٢٨٩، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٢٦، ح٣٤٦٢.

(٢) في جامعه ٤/ ٦٨٣، ح٢٥٤٦.

(٣) ص(٥١٠).

(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٥) كذا في (ع، ظ) وفي (مسلم): رجل، وهو الصواب.

(٦) كذا في (ظ) أيضاً، وهو سبق قلم، والصواب: ومن هذه الأمة واحد في النار، لأنه مقتضى ظاهر النص الذي أشار إليه المصنف كما في صحيح مسلم.

(٧) ص(١٣٢٦) وما بعدها.

(٨) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

[بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً][١]

أبواب جهنم وما جاء فيها وفي أهلها وأسمائها أجارنا الله منها

ذكر الله ﷻ النار في كتابه ووصفها وأخبر بها على لسان نبيه ﷺ ونعتها، فقال عز من قائل: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾ [المعارج: ١٥ ـ ١٦] الشوى: جمع شواه وهي جلدة الرأس.

وقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ[٢] مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝٢٩﴾ [المدثر: ٢٧ ـ ٢٩] مغيِّرة[٣]، يقال: لاحته الشمس ولوحته: إذا غيرته.

وقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ[٤] مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ١٠ ـ ١١].

وقال: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ أي ليرمين فيها، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ[٥] مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى [١٥٣/ب] ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ [الهمزة: ٤ ـ ٧].

ذكر **ابن المبارك**[٦] عن خالد بن أبي عمران بسنده إلى النبي ﷺ قال: «إن النار تأكل أهلها حتى إذا اطلعت على أفئدتهم انتهت، ثم يعود كما كان ثم تستقبله أيضاً فتطلع على فؤاده وهو كذلك أبداً، فذلك قوله تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾».

وقال: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢﴾ [التكوير: ١٢]: أي أوقدت وأضرمت.

وقال: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠][٧].

---

(١) ما بين المعقوفتين من (م، ع).

(٢) بالإمالة على قراءة أبي عمرو وابن ذكوان، إتحاف فضلاء البشر ص(٤٢٧)، في (ع): ﴿أَدْرَاكَ﴾.

(٣) في (ع، ظ): أي مغيرة.

(٤) في (ع): ﴿أَدْرَاكَ﴾.

(٥) في (ع): ﴿أَدْرَاكَ﴾.

(٦) في الزهد (الزوائد) ص(٨٧)، ح٣٠٦.

(٧) جاء في هذا الموضع من (ظ) قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟﴾ [فاطر: ٣٦].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وسيأتي[١] بيان هذا، فأوعد بها الكافرين، وخوّف الطغاة المتمردين، والعصاة من الموحدين، لينزجروا عما نهاهم، فقال وقوله الحق: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا[٢]﴾ [النساء: ١٠] الآية.

وقال: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ [الزمر: ١٦]. [والآية في هذا المعنى كثير][٣].

باب ما جاء أن النار لما خلقت فزعت الملائكة حتى طارت أفئدتها

ابن المبارك[٤]: أخبرنا معمر عن محمد بن المنكدر قال: لما خلقت النار فزعت الملائكة وطارت أفئدتها، فلما خلق آدم ﷺ سكن ذلك عنهم، وذهب ما كانوا يجدون[٥].

[وقال ميمون بن مهران[٦]: فلما[٧] خلق الله جهنم أمرها فزفرت زفرة فلم يبق في السموات السبع ملك إلا خرّ على وجهه، فقال لهم الجبار ﷻ: ارفعوا رؤوسكم أما علمتم أني خلقتكم لطاعتي وعبادتي، وخلقتها لأهل معصيتي من خلقي، فقالوا: ربنا لا نأمنها حتى نرى أهلها، فذلك قوله تعالى: ﴿[إِنَّ ٱلَّذِينَ][٨] هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧][٩]، فالنار عذاب الله فلا

---

(١) ص(٨٣٨).
(٢) في (ع): تكملة الآية: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.
(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٤) في الزهد (الزوائد) ص(٩٢)، ح٣١٢.
(٥) في (الزهد): يحذرون.
(٦) عالم الجزيرة، ومفتيها: ميمون بن مهران، أبو أيوب الجزري الرقي، حدّث عن أبي هريرة وعائشة وابن عباس وابن عمر، وغيرهم، توفي سنة ١١٧هـ. السير ٥/ ٧١.
(٧) في (ع، ظ): لما.
(٨) ما بين المعقوفتين من (المصحف).
(٩) وفي (ظ): ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

ينبغي لأحد أن يعذب بها، وقد جاء النهي عن ذلك فقال: «لا تعذبوا بعذاب الله»](١).

باب ما جاء في البكاء عند ذكر النار والخوف منها

ابن وهب عن زيد بن أسلم ﷺ قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ ومعه إسرافيل، فسلما على النبي ﷺ وإذا إسرافيل منكسر الطرف، فقال النبي ﷺ: «يا جبريل ما لإسرافيل منكسر الطرف متغير اللون؟ فقال: لاحت له آنفاً حين هبط لمحة من جهنم فذلك الذي ترى كسر طرفه».

ابن المبارك(٢): أخبرنا محمد بن مطرف عن الثقة أن فتى من الأنصار دخلته(٣) خشية من النار، فكان يبكي عند ذكر النار حتى حبسه ذلك في البيت، فذكر ذلك للنبي ﷺ فجاءه في البيت، فلما دخل النبي ﷺ اعتنقه الفتى فخر ميتاً، فقال [النبي](٤) ﷺ: «جهزوا صاحبكم فإن الفرق من النار فلذ كبده».

وروي أن عيسى ﷺ مر بأربعة آلاف امرأة متغيرات الألوان، وعليهن مدارع الشعر والصوف، فقال عيسى ﷺ: [١٥٤/أ] ما الذي غيّر ألوانكن معاشر النسوة؟ قلن: ذكر النار غيّر ألواننا يا ابن مريم، إن من دخل النار لا يذوق فيها برداً ولا شراباً، ذكره الخرائطي في كتاب القبور.

وروي أن سلمان الفارسي ﷺ لما سمع قوله ﷻ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝﴾ [الحجر: ٤٣] فر ثلاثة أيام هارباً من الخوف لا يعقل، فجيء به إلى النبي ﷺ فسأله، فقال: يا رسول الله أنزلت هذه الآية قوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝﴾ فوالذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي، فأنزل الله تعالى:

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٢) في الزهد له ٩٢/١، ح٣٢٠، قال الألباني: ضعيف، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة ٣٦٧/١، ح٣٦٥.

(٣) في (الأصل): داخلته، وما أثبته من (ع، ظ، الزهد).

(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، الزهد).

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٤٥﴾ [الحجر: ٤٥] الآية، ذكره الثعلبي [وغيره][(١)].

باب ما جاء فيمن سأل الله الجنة واستجار به من النار

الترمذي[(٢)] عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار قالت النار: اللهم أجره من النار».

وروى **البيهقي**[(٣)] عن أبي سعيد الخدري ﷺ أو عن ابن حجيرة الأكبر عن أبي هريرة ﷺ: أن أحدهما حدثه عن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم حار ألقى الله تعالى سمعه وبصره إلى أهل السماء وأهل الأرض، فإذا قال العبد: لا إله إلا الله ما أشد حر هذا اليوم، اللهم أجرني من حر نار جهنم، قال الله ﷻ: إن عبداً من عبادي استجار بي منك وإني أشهدك قد أجرته، وإذا كان يوم شديد البرد ألقى الله تعالى سمعه وبصره[(٤)] إلى أهل السماء وأهل الأرض، فإذا قال العبد لا إله إلا الله ما أشد برد هذا اليوم، اللهم أجرني من زمهرير جهنم، قال لجهنم: إن عبداً من عبادي استجار بي من زمهريرك وإني أشهدك أني قد أجرته، فقالوا: وما زمهرير جهنم؟ قال[(٥)]: جب[(٦)] يلقى فيه الكافر فيتميز من شدة بردها بعضه من بعض».

باب

تقرر من الكتاب والسنة أن الأعمال الصالحة والإخلاص فيها مع الإيمان

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٢) في جامعه ٤/٦٩٩، ح٢٥٧٢؛ والنسائي في المجتبى ٨/٢٧٩، ح٥٥٢١؛ وابن ماجه في سننه ٢/١٤٥٣، ح٤٣٤٠، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣١٩، ح٢٠٧٩.

(٣) في كتاب الاعتقاد له ص(٨٥).

(٤) (وبصره): ليست في (ع).

(٥) في (ع): قالوا.

(٦) في (الأصل): هب، وفي (ظ): ثقب، والتصويب من (ع، والمصدر).

موصلة إلى الجنان ومباعدة من النيران وذلك يكثر إيراده والقطع به مع الموافاة على ذلك يغني عن ذكر ذلك، والله الموفق(١).

ويكفيك(٢) من ذلك ما ثبت في الصحيحين(٣) عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم [١٥٤/ب] وجهه عن النار سبعين خريفاً». الخريف: السنة.

خرجه **النسائي**(٤) عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «من صام يوماً في سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار سبعين خريفاً»، [وخرجه أبو عيسى **الترمذي**(٥) عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «من صام يوماً في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين المشرق والمغرب»، ويروى: «كما بين السماء والأرض»(٦)، هذا حديث غريب من حديث أبي أمامة.

وخرج **الطبراني**(٧) سليمان بن أحمد حدثنا عمارة بن وثيمة المصري قال: ثنا أبي وثيمة بن موسى الفرات قال: ثنا إدريس بن يحيى الخولاني عن رجاء بن أبي عطاء عن واهب بن عبد الله المعافري عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطعم أخاه حتى أشبعه، وسقاه من الماء حتى يرويه

(١) (والله الموفق): ليست في (ع، ظ). (٢) في (ع، ظ): ويكفيك الآن.

(٣) في البخاري ٣/ ١٠٤٤، ح٢٦٨٥؛ ومسلم ٢/ ٨٠٨، ح١١٥٣.

(٤) في المجتبى ٤/ ١٧٢، ح٢٢٤٤؛ وابن ماجه في سننه ١/ ٥٤٨، ح١٧١٨، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٢٨٧، ح١٣٩٥.

(٥) في جامعه ٤/ ١٦٧، ح١٦٢٤؛ والطبراني في الكبير ٨/ ٢٣٥، ح٧٩٢١؛ وفي معجمه الأوسط ٤/ ٤٦، ح٣٥٧٤؛ قال الهيثمي: رواه الطبراني في الصغير والأوسط وإسناده حسن، مجمع الزوائد ٣/ ١٩٤.

(٦) رواها الطبراني في الأوسط ٥/ ١١٢، ح٤٨٢٦.

(٧) الذي وقفت عليه في الطبراني ما يلي: حدثنا محمد بن رزيق بن جامع ثنا أبو الطاهر بن السرح ثنا إدريس بن يحيى عن أبي الأشيم عن واهب بن عبد الله الكعبي عن عبد الله بن عمرو، ثم ذكر الحديث، وقال في آخره: لا يروى هذا الحديث عن عبد الله بن عمرو إلا بهذا الإسناد تفرد به إدريس بن يحيى، المعجم الأوسط ٦/ ٣٢٠، ح٦٥١٨.

بعده الله من النار سبع خنادق، ما بين كل خندق مسيرة مائة عام»][١]. [٢].

وثبت[٣] في الصحيحين[٤] عن عدي بن حاتم ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل». لفظ مسلم. وقد تقدم بأكمل من هذا[٥].

وفي كتاب أبي داود[٦] عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم بُوعِدَ من جهنم سبعين خريفاً». قلت: يا أبا حمزة وما الخريف؟ قال: العام.

باب ما جاء في جهنم وأنها أدراك ولمن هي

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] فالنار دركات سبعة أي طبقات ومنازل، وإنما قال: أدراك ولم يقل: درجات؛ لاستعمال العرب لكل ما تسافل: أدراك[٧]، ولِمَا تَعَالى: درج، فيقول: للجنة، درج، وللنار: أدراك، فالمنافقون في الدرك الأسفل من النار وهي الهاوية؛ لغلظ كفره، وكثرة غوائله، وتمكنه من أذى المؤمنين.

ابن وهب قال: حدثني ابن زيد قال: قال كعب الأحبار: إن في النار لبئراً ما فتحت أبوابها بعد مغلقة، ما جاء على جهنم يوم منذ خلقها الله تعالى إلا تستعيذ بالله من شر ما في تلك البئر؛ مخافة إذا فتحت تلك البئر أن يكون فيها عذاب الله ما لا طاقة لها ولا صبر لها[٨] عليه وهي الدرك الأسفل من النار.

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٢) جاء في هذا الموضع من (ع، ظ) قول المؤلف: وفي كتاب أبي داود عن أنس...، الذي تأخر في الأصل بعد عدة أسطر.

(٣) (ثبت): ليست في (ع، ظ).

(٤) في البخاري ٢/ ٥١٢، ح١٣٤٧؛ ومسلم ٢/ ٧٠٤، ح١٠١٦.

(٥) وعبارة: (وقد تقدم بأكمل من هذا): ليست في (ع، ظ) وانظر ص(٦٣٥).

(٦) في سننه ٣/ ١٨٥، ح٣٠٩٧، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف أبي داود ص(٣١٥ ـ ٣١٦)، ح٦٨٢.

(٧) في (ظ): درك.

(٨) (لها): ساقطة من (ع، ظ).

وذكر ابن المبارك[١]: أخبرنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن خيثمة عن ابن مسعود ﷺ في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ قال: توابيت من حديد مصمتة عليهم في أسفل النار، وأخبرنا إبراهيم أبو هارون الغنوي قال: سمعت حطان[٢] بن عبد الله الرقاشي يقول: سمعت علياً ﷺ يقول: هل تدرون كيف أبواب جهنم؟ قال: قلنا: هي مثل أبوابنا هذه، قال: لا، هي هكذا بعضها فوق بعض.

قال العلماء: وأعلى الدركات جهنم وهي مختصة بالعصاة من أمة محمد ﷺ وهي التي تخلى من أهلها فتصفق الرياح أبوابها، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم[٣]، ثم الهاوية. [وقد يقال للدركات: درجات لقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾][٤].

ووقع في كتب الزهد والرقائق أسماء هذه الطبقات وأسماء أهلها من أهل الأديان على ترتيب لم يرد في أثر صحيح.

قال الضحاك: في الدرك الأعلى [١٥٥/أ]: المحمديون، وفي الثاني: النصارى، وفي الثالث: اليهود، وفي الرابع: الصابئون، وفي الخامس: المجوس، وفي السادس: مشركو العرب، وفي السابع: المنافقون، والله أعلم.

وقال معاذ بن جبل ﷺ: وذكر العلماء السوء: من العلماء من إذا وعظ عنف، وإذا أوعظ أنف، فذلك في أول درك من النار[٥].

ومن العلماء من يأخذ علمه بأخذ السلطان فذلك في الدرك الثاني من النار، ومن العلماء من يخزن علمه فذلك في الدرك الثالث من النار، ومن العلماء من يتخير العلم والكلام[٦] لوجوه الناس ولا يرى سفلة الناس له

---

(١) في الزهد (الزوائد) ص(٨٥)، ح٢٩٤.
(٢) في (الأصل): خطاب، والتصويب من (ع، ظ، الزهد).
(٣) في (ع): ثم الجحيم ثم سقر.
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٥) ذكره المحاسبي في الرعاية لحقوق الله ص(٣٨٤).
(٦) في (ع): الكلام والعلم.

موضعاً، فذلك في الدرك الرابع من النار، ومن العلماء من يتعلم كلام اليهود والنصارى وأحاديثهم ليكثر حديثهم فذلك في الدرك الخامس من النار، ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا، يقول للناس: سلوني، فذلك الذي يكتب عند الله متكلفاً[١]، والله لا يحب المتكلفين، فذلك في الدرك السادس من النار، ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة وعقلاً، فذلك في الدرك السابع من النار [ذكره غير واحد من العلماء][٢].

قلت: ومثل هذا[٣] لا يكون رأياً، وإنما يدرك توقيفاً، والله أعلم[٤]، ثم من هذه الأسماء ما هو علم للنار كلها بجملتها نحو جهنم وسقر ولظى[٥]، فهذه أعلام ليست لباب دون باب، [فاعلم، وفي التنزيل: ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧] يريد النار بجملتها كم ذكرنا أجارنا الله منها][٦].

باب ما جاء أن جهنم تسعر كل يوم وتفتح أبوابها إلا يوم الجمعة

أبو نعيم[٧] قال: ثنا سليمان بن أحمد قال: ثنا الحسين بن إسحاق التستري قال: ثنا علي بن بحر قال: ثنا سوار بن عبد العزيز عن النعمان بن المنذر عن مكحول عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن جهنم تسعر في كل يوم، وتفتح أبوابها إلا يوم الجمعة؛ فإنها لا تسعر يوم الجمعة ولا تفتح أبوابها».

غريب من حديث عبد الله ومكحول، لم نكتبه إلا من حديث النعمان.

قلت: ولهذا المعنى والله أعلم كانت النافلة جائزة في يوم الجمعة عند قيام الظهيرة دون غيرها من الأيام والله أعلم.

---

(١) في (الأصل): مكلفاً، والتصويب من (ع، ظ).
(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٣) في (ع، ظ): ومثله.
(٤) (والله أعلم): ليست في (ع).
(٥) في (ع، ظ): جهنم وسقر ولظى وسموم، والأصل متوافق مع (م).
(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٧) في (الحلية): ١٨٨/٥.

باب ما جاء في صفة أبواب جهنم وأنها سبعة، وبما أعد الله فيها من العذاب[(١)]

قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ [الحجر: ٤٤].

وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله [١٥٥/ب]: «لجهنم سبعة أبواب، باب منها لمن سل السيف على أمتي، أو قال: أمة محمد ﷺ»، خرَّجه الإمامان الترمذيان[(٢)] أبو عبد الله[(٣)] وأبو عيسى[(٤)]. وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مغول.

قلت: مالك بن مغول، أبو عبد الله البجلي الكوفي، إمام ثقة، خرج له البخاري، ومسلم، والأئمة.

وقال أبي بن كعب: لجهنم سبعة أبواب، باب منها للحرورية[(٥)].

[وذكر **أبو نعيم**[(٦)] الحافظ عن عطاء الخراساني قال: إن[(٧)] لجهنم سبعة أبواب أشدها غماً، وكرباً، وحراً، وأنتنها ريحاً للزناة الذين ركبوا بعد العلم. وروي عن[(٨)] سلام الطويل[(٩)] عن أبي سفيان عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ

---

(١) في (ع، ظ): باب في قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾، والأصل متوافق مع (م) في عنوان الباب.

(٢) في (ظ): الإمامان الحافظان الترمذيان.

(٣) الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ١/ ٢٢٢.

(٤) في جامعه ٥/ ٢٩٧، ح٣١٢٣، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف الترمذي ص(٣٨٧)، ح٦٠٦.

(٥) ذكره ابن رجب في التخويف بالنار ١/ ٥٨.

(٦) في (الحلية): ٥/ ١٩٨.

(٧) (إن): ليست في (ظ).

(٨) (عن): ليست في (ظ).

(٩) من هذا الموضع النص منقول من كتاب المنهاج في شعب الإيمان ١/ ٤٧٢ ـ ٤٧٣ للحليمي، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٨٧: رواه الطبراني في الأوسط وفيه سلام الطويل وهو مجمع على تضعيفه.

في قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ۝٤٤﴾ «جزء أشركوا بالله، وجزء شكُّوا في الله، وجزء غفلوا عن الله، وجزء أنزلوا شهواتهم على الله، وجزء شفوا غيظهم بغضب الله، وجزء صيروا رغبتهم بحظهم عن الله، وجزء عتوا على الله»[١]. ذكره الحليمي أبو عبد الله الحسن بن الحسين في كتاب منهاج الدين له، وقال: فإن كان ثابتاً فالمشركون بالله: هم[٢] الثنوية، والشاكون: هم الذين لا يدرون أن لهم إلهاً، أو لا إله لهم، أو يشكون في شريعته أنها من عنده أم لا، والغافلون عن الله: هم الذين يجحدونه أصلاً ولا يثبتونه وهم الدهرية. والمؤثرون شهواتهم على الله: هم المنهمكون في المعاصي لتكذيبهم رسل الله وأمره ونهيه. والشافون غيظهم بغضب الله: هم القاتلون أنبياء الله وسائر الداعين له، المعذبون من ينصح لهم أو يذهب غير مذهبهم. والمصيرون رغبتهم بحظهم من الله تعالى هم المنكرون للبعث والحساب فهم[٣] يعبدون بأي ما يرغبون فيه لهم جميعهم[٤] حظهم من الله تعالى، والعاتون عن الله: الذين لا يسألون بأن يكون ما هم فيه حقاً أو باطلاً، ولا يتفكرون ولا يعتبرون، ولا يستبدلون والله أعلم بما أراد رسوله ﷺ إن كان الحديث ثابتاً[٥]، وقال بلال: كان النبي ﷺ يصلي في مسجد المدينة وحده، فمرت به أعرابية فصلت خلفه، ولم يعلم بها، فقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ۝٤٤﴾، فخرت الأعرابية مغشياً عليها، وسمع النبي ﷺ وجبتها فانصرف، ودعا بماء فصب على وجهها حتى أفاقت وجلست، فقال النبي ﷺ: يا هذه ما لك؟ فقالت: أهذا شيء من

---

(١) ذكر الخطيب البغدادي بعضه في تاريخ بغداد ٩/٢٩؛ والذهبي في ميزان الاعتدال ٣/٣١٥ وقال فيه: منكر جداً.

(٢) (هم): ليست في (ظ).

(٣) (بالبعث والحساب فهم): ساقطة من (ع)، وفي (ظ): بالبعث والحساب، والتصويب من مصدر المصنف.

(٤) في (ع): بعيدون أي يرغبون، وفي (ظ): يعتدون بأن يرغبون لهم فيه، والتصويب من مصدر المصنف.

(٥) نهاية النقل من كتاب الحليمي.

كتاب الله تعالى؟ أو شيء تقوله من تلقاء نفسك؟ فقال: يا أعرابية بل هو من كتاب الله المنزل، فقالت: كل عضو من أعضائي يعذب على كل باب منها، قال: يا أعرابية بل لكل باب منهم جزء مقسوم، يعذب أهل كل باب على قدر أعمالهم، فقالت: والله إني امرأة مسكينة ما لي مال، وما لي إلا سبعة أعبد، أشهدك يا رسول الله أن كل عبد منهم عن كل باب من أبواب جهنم حُرٌّ لوجه الله، فأتاه جبريل فقال: يا رسول الله بشر الأعرابية أن الله قد حرم عليها أبواب جهنم كلها وفتح لها أبواب الجنة كلها»[1].

باب منه وفي بُعْد أبواب جهنم بعضها من بعض وما أعد الله[2] فيها من العذاب

روي عن بعض[3] أهل العلم في قول الله تعالى: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ قال: من الكفار والمنافقين والشياطين، بين الباب والباب خمسمائة عام، فالباب الأول يسمى جهنم؛ لأنه يتجهم في وجوه الرجال والنساء فيأكل لحومهم، وهو أهون عذاباً من غيرهم، والباب الثاني يقال له: لظى نزاعة للشوى، يقال: أكلة[4] اليدين والرجلين تدعو من أدبر عن التوحيد وتولى عما جاء[5] به محمد ﷺ، والباب الثالث يقال له: سقر، وإنما سمي سقر؛ لأنه يأكل لحم[6] الرجال والنساء لا يبقي لحماً على عظم، والباب الرابع يقال له: الحطمة، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝﴾ [الهمزة ٥ ـ ٦] تحطم العظام، وتحرق الأفئدة، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى

---

(١) ذكره ابن رجب في التخويف من النار ص(٥٩) وقال: وهذا حديث لا يصح مرفوعاً.

(٢) (لفظ الجلالة): ليس في (ظ).

(٣) في (ظ): روى بعض أهل العلم.

(٤) هكذا في (ع، ظ)، ولعل الصواب: آكلة.

(٥) في (ظ): أدبر وتولى عن التوحيد وتولى عما جاء به.

(٦) في (ظ): لحوم.

ٱلْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾﴾ [الهمزة: ٧] تأخذ النار من قدميه وتطلع إلى فؤاده، وترمي بشرر كالقصر، قال الله تعالى(١): ﴿تَرْمِي بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ «جمالات»(٢) صُفْرٌ﴾ [المرسلات: ٣٢ ـ ٣٣]، يعني سوداء فيطلع الشرر إلى السماء، ثم ينزل فتحرق جلودهم وأيديهم وأبدانهم(٣) فيكون الدمع حتى ينفد، ثم تكون الدماء حتى تنفد، ثم يكون القيح لو أن(٤) السفن لو أرسلت تجري فيما يخرج من أعينهم لجرت. والباب الخامس يقال له: الجحيم، وإنما سمي الجحيم؛ لأنه عظيم الجمر، الواحدة أعظم من الدنيا. والباب السادس يقال له: السعير، وإنما سمي السعير؛ لأنه يسعر لم يطفأ منذ خلق، فيه ثلاثمائة قصر في كل قصر ثلاثمائة بيت في كل بيت ثلاثمائة لون من العذاب، وفيه الحيّات والعقارب والقيود والسلاسل والأغلال والأنكال، وفيه «جُب الحزن ليس في النار عذاب أشد منه إذا فتح الجب حزن أهل النار حزناً شديداً»(٥). والباب السابع يقال له(٦): الهاوية من وقع فيه لم يخرج منه أبداً، وفيه بئر الهيهات، وذلك(٧) قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧] إذا فتح الهيهات يخرج منه نار تستعيذ منه النار، وفيه الذي قال الله ﷻ: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ [المدثر: ١٧] وهو جبل من نار يوضع أعداء الله، على وجوههم على ذلك الجبل مغلولة أيديهم إلى أعناقهم، مجموعة أعناقهم(٨) إلى أقدامهم والزبانية وقوف على

---

(١) (قال الله تعالى): ليست في (ع).

(٢) هكذا في جميع النسخ، قال صاحب إتحاف فضلاء البشر: واختلف في (جمالات) فحفص وحمزة والكسائي وخلف بكسر الجيم بلا ألف بوزن رسالة ـ جمالة ـ ووافقهم الأعمش، جمع جمل، وقرأ رويس بضم الجيم وبالألف بعد اللام ـ جُمالات ـ وهي الحبال الغليظة من حبال السفن، والباقون بكسر الجيم مع الألف على الجمع ـ جمالات ـ وهي الإبل ص(٤٣١).

(٣) (وأبدانهم): ليست في (ع).

(٤) في (ظ): حتى لو أن.

(٥) أخرج الترمذي نحوه ٤/٥٩٣، ح٢٣٨٣؛ وابن ماجه في سننه ١/٩٤، ح٢٥٦، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف ابن ماجه ص(٢٠)، ح٥٢.

(٦) في (ظ): لها.

(٧) في (ظ): وذكر.

(٨) (مجموعة أعناقهم): ليست في (ظ).

رؤوسهم بأيديهم مقامع من حديد إذا ضرب أحدهم بالمقمعة ضربة[(١)] سمع صوتها الثقلان. أبواب النيران[(٢)] حديد، فرشها الشجن، غشاوتها الظلمة، أرضها نحاس ورصاص وزجاج، النار من فوقهم، والنار من تحتهم ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦] أوقد عليها ألف عام حتى احمرت، وألف عام حتى ابيضت، وألف عام حتى اسودت فهي سواد مدلهمة بظلمة قد مزجت بغضب الله، ذكره العتبي في كتاب عيون الأخبار.

وذكر عن ابن عباس: أن جهنم سوداء مظلمة لا ضوء لها ولا لهب، وهي كما قال الله ﷻ: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ [الحجر: ٤٤] على كل باب سبعون ألف جبل، في كل جبل سبعون ألف شعب من نار، وفي كل شعب سبعون ألف شق من نار، في كل شق سبعون ألف وادٍ من نار، في كل وادي سبعون ألف قصر من نار، في كل قصر سبعون ألف بيت من نار، في كل بيت سبعون ألف حية، وسبعون ألف عقرب، لكل عقرب سبعون ألف ذنب، لكل ذنب سبعون ألف منقار، لكل منقار سبعون ألف قلة من سم، فإذا كان يوم القيامة كشف عنها الغطاء، فتطير منها سرادق عن يمين الثقلين وأخرى عن شمالهم، وسرادق أمامهم وسرادق من فوقهم، وأخرى من ورائهم، فإذا نظر الثقلان إلى ذلك جثوا على ركبهم وكل ينادي رب سلم سلم][(٣)].

وقال وهب بن منبه: بين كل بابين مسيرة سبعين سنة، كل باب أشد حراً من الذي فوقه بسبعين ضعفاً[(٤)].

ويقال: «لجهنم سبعة أبواب، لكل باب منها سبعون وادياً، قعر كل واحد منها مسيرة سبعين عاماً، لكل واحد منها سبعون ألف شعب، في كل شعب منها سبعون ألف مغارة، وفي كل مغارة منها سبعون ألف مغارة، في جوف كل مغارة سبعون ألف شق، قعر كل شق منها مسيرة سبعين عاماً، في جوف كل شق منها سبعون ألف ثعبان، في شدق كل ثعبان منها سبعون ألف

(١) (ضربة): ليست في (ظ).
(٢) في (ظ): النار.
(٣) ما بين المعقوفتين المزدوجتين من (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م).
(٤) لم أقف على من ذكر قوله.

عقرب، لكل عقرب منها سبعون ألف فَقَارَة[١]، في كل فَقَارَة منها قلة سم لا ينتهي الكافر ولا المنافق حتى يواقع ذلك كله»[٢]، ذكره ابن وهب في كتاب الأهوال [له، ومثله لا يقال من جهة الرأي، فهو توقيف؛ لأنه إخبار عن مغيب[٣]، وبالله تعالى التوفيق][٤].

باب ما جاء في عظم جهنم وأزمتها وكثرة ملائكتها وفي عظم خلقهم [وتفلتها من أيديهم وفي قمع النبي ﷺ إياها وردها عن أهل الموقف][٥]

مسلم[٦] عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ[٧] لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها».

---

(١) في (جميع النسخ): فقارة، في هذا الموضع والذي يليه، والتصويب من كتاب التخويف من النار لابن رجب، وفي الصحاح ٢/ ٧٨٢: الفَقَارَة بالفتح واحدة فَقَارِ الظهر.

(٢) ذكره البخاري في تاريخه الكبير ٨/ ١٢٤ مختصراً، قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ٢٥٤: رواه البخاري في تاريخه من طريق إسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف، ثم ذكر الحديث وقال: سعيد بن يوسف هو اليمامي الحمصي الرحبي ضعفه يحيى بن معين، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال ابن أبي حاتم: ليس بالمشهور ولا أرى حديثه منكراً، كذا قال فأورد هذا الحديث لظهور نكارته. وقال الحافظ ابن رجب في التخويف من النار ١/ ٦٤: غريب منكر.

(٣) قاعدة (الحديث له حكم المرفوع، أو يعمل به لأنه لا يقال من جهة الرأي) مقيدة بضابط، وليست مطلقة يعمل بها في كل ما ظاهره أنه من أمور الغيب: وهذا القيد هو أن يكون من قول الصحابي، وأن يصح سند الرواية إلى الصحابي؛ لأن الصحابة كلهم عدول لا يكذبون على النبي ﷺ، أما خلاف ذلك من الروايات التي تشتمل على أمور غيبية أو مثلها لا يقال من جهة الرأي فلا يعمل بها إلا وفق ما ذكر. انظر: تدريب الراوي للسيوطي ١/ ١٩١ ـ ١٩٢.

(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م) في عنوان الباب.

(٦) في صحيحه ٤/ ٢١٨٤، ح٢٨٤٢.

(٧) في (ع، ظ): يوم القيامة، والأصل متوافق مع (م) ومصدر المؤلف.

وذكر ابن وهب قال: و[1]حدثني زيد بن أسلم قال: جاء جبريل ﷺ إلى النبي ﷺ فناجاه، ثم قام النبي ﷺ منكسر الطرف، فأرسلوا إلى علي، فقالوا: يا أبا الحسن ما بال[2] النبي ﷺ محزوناً منذ خرج عنه جبريل؟ فأتاه علي فوضع يده على عضديه من خلفه وقبل بين كتفيه وقال: ما هذا الذي نراه بك يا رسول الله؟ قال: «يا أبا الحسن أتاني جبريل فقال لي: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢١ ـ ٢٣] وجيء بها تقاد بسبعين ألف زمام، كل زمام يقوده سبعون ألف ملك، فبينا هم إذ شردت عليهم شردة انفلتت من أيديهم، فلولا أنهم أدركوها لأحرقت من في الجمع فأخذوها.

[وذكر أبو حامد في كتاب كشف علم الآخرة[3]: «أنهم يأتون بها تمشي على أربع قوائم، وتقاد بسبعين ألف زمام في كل زمام سبعون ألف حلقة، لو جمع حديد الدنيا ما عدل منها حلقة واحدة، على كل حلقة سبعون[4] ألف زباني، لو أمر زباني منهم أن يدك الجبال لدكها، وأن يهد الأرض لهدها، وأنها إذا انفلتت من أيديهم لم يقدروا على إمساكها لعظيم[5] شأنها، فيجثوا كل من في الموقف على الركب حتى المرسلين، ويتعلق إبراهيم وموسى وعيسى بالعرش، هذا قد نسي الذبيح، وهذا قد نسي هارون، وهذا قد نسي مريم ﷺ، ويجعل كل واحد منهم يقول: نفسي نفسي، لا أسألك اليوم غيرها، قال وهو الأصح عندي، ومحمد ﷺ يقول: أمتي أمتي سلمها ونجها يا رب، وليس في الموقف من تحمله ركبتاه، وهو قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ [الجاثية: ٢٨] وعند نقلتها تكبو من الحنق والغيظ، وهو قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١٢]، أي

---

(١) (الواو): ليست في (ع).
(٢) في (ظ): ما يزال.
(٣) ص(٧٩ ـ ٨١).
(٤) (حلقة، لو جمع حديد الدنيا ما عدل منها حلقة واحدة، على كل حلقة سبعون): ساقط من (ظ).
(٥) في (ظ): لعظم.

تعظيماً لغيظها[(١)] بقوله سبحانه: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨]، أي تكاد تنشق نصفين من شدة غيظها، فيقوم رسول الله ﷺ بأمر الله ويأخذ بخطامها ويقول لها: ارجعي مدحورة إلى خلفك حتى يأتيك أفواجك، فتقول: خل سبيل فإنك يا محمد حرام عليّ، فينادي منادٍ من سرادقات العرش: اسمعي منه[(٢)] وأطيعي له، ثم تجذب وتجعل عن[(٣)] شمال العرش، ويتحدث أهل الموقف بجذبها، فيخف وجلهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وهناك ينصب الميزان» على ما تقدم[(٤)]][(٥)].

فصل

هذا يبين لك ما قلناه: إن جهنم اسم عَلَمٌ لجميع النار، ومعنى يؤتى بها: يجاء بها من المحل الذي خلقها الله تعالى فيه [١٥٦/أ] فتدار بأرض المحشر حتى لا يبقى للجنة طريق إلا الصراط كما تقدم.

والزمام: ما يزم به[(٦)] الشيء أي يشد ويربط، وهذه الأزمة التي تساق بها جهنم يمنع من خروجها على أهل المحشر فلا يخرج منها إلا الأعناق التي أمرت بأخذ من شاء الله أخذه[(٧)] على ما تقدم ويأتي[(٨)].

وملائكتها[(٩)] كما وصفهم الله تعالى: ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦].

وقد ذكر ابن وهب قال: وثنا عبد الرحمن بن زيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ في خزنة جهنم: «ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب».

---

(١) في (ظ): لغيظها وحنقها.
(٢) (منه): ليست في (ظ).
(٣) في (ظ): على.
(٤) ص(٧١٩).
(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م).
(٦) (به): ليست في (ظ).
(٧) (إلا الأعناق التي أمرت بأخذ من شاء الله أخذه): ليست في (ظ).
(٨) ص(٧٤٠، ٨٦٥).
(٩) في (الأصل): مليكها، والتصويب من (ع، ظ، م).

وقال ابن عباس: ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة، وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنم[(١)].

وأما قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ [المدثر: ٣٠]، فالمراد: رؤساؤهم[(٢)]، على ما يأتي[(٣)].

وأما جملتهم: فالعبارة عنها كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

[فصل]

قال العلماء[(٤)]: إنما خُصّ النبي ﷺ بردِّها وقمعها وكفها عن أهل المحشر دون غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم؛ لأنه رآها في مسراه، وعرضت عليه في صلاته، حسب ما ثبت في الصحيح، قالوا: وفي ذلك فوائد ثمان:

الأولى: أن الكفار لما كانوا يستهزئون به ويكذبون قوله: ويؤذونه أشد الأذى، أراه الله تعالى النار التي أعدها للمستخفين به وبأمره تطميناً لقلبه، وتسكيناً لفؤاده واجتبابة[(٥)].

الثانية: الإشارة في ذلك إلى أن من طيّب قلبه في شأن أعدائه بالإهانة والأسقام فأولى أن يُطَيِّبَ قلبه في شأن أوليائه بالتحية والشفاعة والإكرام.

الفائدة الثالثة: ويحتمل أنه عرضها عليه؛ ليعلم مَنّة الله تعالى عليه حين أنقذهم منها ببركته وشفاعته.

الفائدة الرابعة: ويحتمل أنه عرضها عليه؛ ليكون في القيامة إذا قال سائر الأنبياء: نفسي نفسي، يقول نبينا وشفيعنا محمد ﷺ: أمتي أمتي، وذلك حين

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره عن كعب الأحبار ١٦/١٠٩.
(٢) في (ع): رؤوساً.
(٣) ص(٨٥١ ـ ٨٥٢).
(٤) في (ظ): قال علماؤنا.
(٥) (واجتبابة): ليست في (ظ).

تسجر جهنم؛ قال الحافظ أبو الخطاب: والحكمة في ذلك أنه يفرغ إلى شفاعة أمته، ولو لم يؤمنه لكان مشغولاً بنفسه كغيره من الأنبياء.

الفائدة الخامسة: أن سائر الأنبياء لم يروا قبل يوم القيامة شيئاً منها فإذا رأوها جزعوا وكفت ألسنتهم عن الخطبة والشفاعة من هولها وشغلتهم أنفسهم عن أممهم، فأما نبينا وشفيعنا محمد ﷺ فقد رأى جميع ذلك فلا يفزع منه مثلما فزعوا ليقدر على الخطبة وهو المقام المحمود الذي وعده به ربه تبارك وتعالى في القرآن، وثبت عنه في صحيح السنة.

الفائدة السادسة: فيه دليل فقهي على أن الجنة والنار قد خلقتا خلافاً للمعتزلة المنكرين لخلقها، وهو يجري على ظاهر القرآن في قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [النساء: ٣٧]، والإعداد دليل على الخلق والإيجاد.

الفائدة السابعة: ويحتمل أنه أراه إياها ليعلم خسة الدنيا في جنب ما أراه فيكون في الدنيا أزهد وعلى شدائدها أصبر؛ حتى يؤديه إلى الجنة، فقد قيل: حبذا محنة تؤدي بصاحبها إلى الرخاء، وبؤساً بنعمة تؤدي بصاحبها إلى البلاء.

الفائدة الثامنة: ويحتمل أن الله ﷻ أراد أن لا يكون لأحد كرامة لا تكون لمحمد ﷺ مثلها، ولما كان لإدريس ﵇ كرامة الدخول إلى الجنة قبل يوم القيامة أراد الله سبحانه أن يكون ذلك أيضاً لصفيه، ونجيه، وحبيبه، وأمينه على وحيه محمد[١] ﷺ وشرّف، وكرّم، وعظّم، وبجل، ووقر. قال جميعه الحافظ أبو الخطاب بن دحية ﵁ في كتاب الإبهاج[٢] في حديث المعراج]][٣].

باب منه وفي كلام جهنم وذكر أزواجها وأنه لا يجوزها[٤] إلا من عنده جواز

روى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة قال: حدثنا أنس بن مالك ﵁ قال: نزل

(١) (محمد): ليست في (ظ). (٢) في (ظ): الابتهاج.
(٣) ما بين المعقوفين المزدوجين من (ع، ظ) والأصل متوافق مع (م).
(٤) في (ظ): لا يجوز.

جبريل عليه السلام على النبي ﷺ يتلو هذه الآية: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨][١] قال النبي ﷺ: «يا جبريل أين يكون الناس يوم القيامة؟ قال: يا محمد يكونون على أرض بيضاء لم يعمل عليها ذنب، ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ۝﴾ [القارعة: ٥]، قال النبي ﷺ: ما العهن المنفوش؟ قال: الصوف، تذوب الجبال من مخافة جهنم يا محمد، إنه ليجاء بجهنم يوم القيامة تزف زفاً عليها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك حتى تقف بين يدي الله تعالى، فيقول لها: يا جهنم تكلمي، قال: فتقول: لا إله إلا الله وعزتك وعظمتك، لأنتقمنّ اليوم ممن أكل رزقك وعبد غيرك، لا يجوزني إلا من عنده جواز، قال: يقول[٢] نبي الله ﷺ: يا جبريل ما الجواز يوم القيامة؟ قال: أبشر، أبشر ألا من شهد أن لا إله إلا الله جاز جسر جهنم، قال: فقال النبي ﷺ: الحمد لله الذي ألهم أمتي قول لا إله إلا الله».

وخرّج أبو محمد عبد الغني الحافظ[٣] من حديث سليمان بن عمرو يتيم أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا جمع الله الناس في صعيد واحد يوم القيامة أقبلت النار يركب بعضها بعضاً وخزنتها يكفونها وهي تقول: وعزة ربي ليخلين بيني وبين أزواجي أو لأغشين [١٥٦/ب] الناس عنقاً واحداً، فيقولون: ومن أزواجك؟ فتقول: كل متكبر جبار».

باب ما جاء أن التسعة عشر خزنة جهنم

قال الله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝﴾ [المدثر: ٣٠].

ابن المبارك[٤] قال: أخبرنا حماد بن سلمة عن الأزرق بن قيس عن رجل

---

(١) في (ظ): زيادة في الآية: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾، [إبراهيم: ٤٨].

(٢) في (ظ): فيقول.

(٣) عبد الغني بن عبد الواحد بن علي، أبو محمد المقدسي الجماعيلي الحنبلي صاحب الأحكام (الكبرى) و(الصغرى)، الصفات، اعتقاد الشافعي، ذكر القبور، وغيرها، توفي سنة ٦٠٠هـ، السير ٢١/ ٤٤٣.

(٤) في الزهد (الزوائد) ص(٩٧)، ح٣٤٠؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٥٧، ح٣٤١٨٣.

من بني تميم قال: كنا عند أبي العوام فقرأ هذه الآية: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ[١] مَا سَقَرُ ۝ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝﴾ [المدثر: ٢٧ ـ ٣٠]، فقال: ما تسعة عشرة؟ [تسعة عشر][٢] ألف ملك أو تسعة[٣] عشر ملكاً؟ قال: قلت: لا[٤]، بل تسعة عشر ملكاً[٥]، قال: وأنَّى يعلم ذلك؟ فقلت: لقوله ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [المدثر: ٣١]، قال: صدقت، هم تسعة عشر ملكاً، بيد كل ملك منهم مرزبة لها شعبتان فيضرب الضربة فيهوي بها سبعين[٦] ألفاً.

وخرج الترمذي[٧] عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب رسول الله[٨] ﷺ: هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم؟ قالوا: لا ندري حتى نسأله، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد غُلِبَ أصحابك اليوم، فقال: وبماذا غُلِبُوا؟ قال: سألهم يهود، هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم؟ قال: فماذا قالوا؟ قال: قالوا: لا ندري حتى نسأل نبينا، قال: أيغلب[٩] قوم سئلوا عما لا يعلمون؟ فقالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا لكنهم قد سألوا نبيهم فقالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] عليَّ بأعداء الله إني سائلهم عن تربة الجنة وهي الدَّرْمَك[١٠]، فلما جاءوا قالوا: يا أبا القاسم: كم عدد خزنة جهنم؟ قال: هكذا هكذا، في مرة عشرة ومرة تسع، قالوا: نعم، قال لهم النبي ﷺ: ما تربة

(١) في (الأصل): ﴿أدريك﴾ وما أثبته من (ع، ظ، م).
(٢) ما بين المعقوفين من (ع، ظ، م، الزهد).
(٣) في (الأصل): وتسعة، والتصويب من(ع، ظ، م، الزهد).
(٤) (لا): ليست في (الزهد).
(٥) في (الأصل): قال: قلت: تسعة لا بل ملكاً، وهو تحريف تصويبه من (ع، ظ، م، الزهد).
(٦) في (الأصل): سبعون، والتصويب من (ع، ظ، م، الزهد).
(٧) في جامعه ٥/٤٢٩، ح٣٣٢٧.
(٨) في (ع، ظ، الترمذي): النبي ﷺ.
(٩) في (الأصل): أفغلب، والتصويب من (ع، ظ، م، الترمذي).
(١٠) في (ظ): الدرمكة، في النهاية في غريب الحديث ٢/١١٤: هو الدقيق الحَوارِيّ، وهو الدقيق المُحَوَّر، وقيل: هو كل ما يجعل دُقاقاً من الدقيق والكحل وغيرهما، انظر: لسان العرب ١٠/٩٦.

الجنة؟ قال: فسكتوا[١]، ثم قالوا: خبزة يا أبا القاسم، فقال رسول الله ﷺ: الخبز[٢] من الدَّرْمَك».

قال أبو عيسى: هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث مجالد[٣] عن الشعبي عن جابر.

باب ما جاء في سعة جهنم وعظم سرادقها وبيان قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلۡقُوا۟ مِنۡهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ﴾ [الفرقان: ١٣]

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

ابن المبارك[٤]: أخبرنا عنبسة بن سعيد عن حبيب بن أبي عمرة[٥] عن مجاهد قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أتدري ما سعة جهنم؟ قال: قلت: لا، قال: أجل والله ما تدري أن بين شحمتي أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين [١٥٧/أ] خريفاً تجري فيها أودية القيح والدم، قلت له: أنهار؟ قال: لا، بل أودية، ثم قال: أتدري ما سعة جهنم؟ قلت: لا، قال: أجل والله ما تدري، حدثتني عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعًا قَبۡضَتُهُۥ﴾ [الزمر: ٦٧][٦] قلت: فأين الناس يومئذ؟ قال: على جسر جهنم، خرجه الترمذي[٧] وصححه. وقد تقدم[٨].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لسرادق النار أربع جدر

---

(١) في (الترمذي) قال: فسكتوا هنية.

(٢) في (الأصل، ظ): الخبزة، والتصويب من (ع، م، الترمذي).

(٣) في (الأصل): مخالد، وفي (ع، ظ) الحرف الأول غير معجم، والتصويب من (م، الترمذي).

(٤) في الزهد (الزوائد) ص(٨٥)، ح٢٩٨؛ وأحمد في المسند ١١٦/٦، ح٢٤٩٠٠.

(٥) في (الأصل): أبي عميرة، والتصويب من (ع، ظ، م، الزهد).

(٦) وفي (ع، الزهد) زيادة في الآية: ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ﴾.

(٧) في جامعه ٣٧٢/٥، ح٣٢٤١؛ قال الألباني: صحيح الإسناد، انظر: صحيح سنن الترمذي ١٠١/٣، ح٢٥٨٩.

(٨) ص(٨٥٣).

كشف كل جدار مسيرة أربعين سنة. ذكره **ابن المبارك**[١] وخرجه **الترمذي**[٢] أيضاً وسيأتي[٣].

وذكر **ابن المبارك**[٤] قال: أخبرنا محمد بن يسار عن قتادة: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ﴾ قال: ذكر لنا أن عبد الله كان يقول: إن جهنم لتضيق على الكافر كضيق الزج على الرمح، وذكره الثعلبي والقشيري عن ابن عباس.

باب ما جاء أن جهنم في الأرض وأن البحر طبقها

وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يركب البحر إلا [رجل][٥] غازٍ أو حاج أو معتمر، فإن تحت البحر ناراً[٦]»، ذكره أبو عمر[٧] وضعفه.

وقال عبد الله بن عمر: ولا يتوضأ بماء البحر؛ لأنه طبق جهنم وضعفه أبو عمر أيضاً.

[وفي تفسير سورة ق عن وهب بن منبه قال: أشرف ذو القرنين على جبل ق فرأى تحته جبالاً صغاراً، فقال له: من أنت؟ قال: أنا قاف، قال فما هذه الجبال حولك؟ قال: هي عروقي، وما من مدينة إلا وفيها عرق من عروقي فإذا أراد الله أن يزلزل مدينة أمرني فحركت عرقي ذلك فتزلزلت تلك الأرض، فقال له: يا قاف أخبرني بشيء من عظمة الله تعالى؟ قال: إن شأن ربنا لعظيم، وأن ورائي أرضاً مسيرة خمسمائة عام في خمسمائة عام من جبال ثلج يحطم بعضها بعضاً لولا هي لاحترقتُ من حر جهنم، وذكر الحديث[٨].

---

(١) في الزهد (الزوائد) ص(٩٠)، ح٣١٦.

(٢) في جامعه ٤/٧٠٦، ح٢٥٨٤، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن الترمذي ص(٣٠٥)، ح٤٧٩.

(٣) ص(٨٥٣).

(٤) في الزهد (الزوائد) ص(٨٦)، ح٢٩٩.

(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م، التمهيد).

(٦) (فإن تحت البحر ناراً): ليست في (التمهيد).

(٧) في التمهيد ١/٢٤٠.

(٨) في (ظ): وذكر الخبر.

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فهذا يدل على أن جهنم على وجه الأرض[١]، والله أعلم بموضعها وأين هي من الأرض][٢].

باب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ وما جاء أن الشمس والقمر يقذفان في النار

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ [التكوير: ٦] قال: أوقدت، فصارت ناراً.

وذكر أبو وهب عن عطاء بن يسار أنه تلا هذه الآية يوماً: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾ [القيامة: ٩] قال: يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في النار فتكون نار الله الكبرى.

[وروي عن كعب الأحبار أنه يجاء بالشمس والقمر كأنهما ثوران عقيران[٣] فيقذفان في النار][٤].

وخرّج **أبو داود الطيالسي** في مسنده[٥] عن يزيد الرقاشي عن أنس يرفعه إلى النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «إن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار».

فصل

قلت: كذا الرواية: «ثوران»[٦]: بالثاء المثلثة، وقال بعض العلماء[٧]:

---

(١) هذه الدلالة لا يعتمد عليها ولا يبني عليها المسلم ما يعتقده إلا إذا صحت الرواية، ولم أقف على من أسند هذه الرواية.

(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٣) أي محبوسان في النار، يعذب بهما أهلها، انظر: لسان العرب ٤/ ٥٩٣.

(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م).

(٥) ١/ ٢٨١، ح٢١٠٣، وأبو يعلى في مسنده ٧/ ١٤٨، ح٤١١٦.

(٦) (ثوران): ليست في (ع).

(٧) (وقال بعض العلماء): ليست في (ع، ظ)، وجاء (ع، ظ) بعد قوله: في تبكيت الكافرين وحسرتهم: هكذا قال بعض أهل العلم، والأصل متوافق مع (م).

إنما[١] يجمعان في نار جهنم لأنهما قد عبدا من دون الله تعالى، ولا تكون النار عذاباً لهما؛ لأنهما جماد، وإنما يفعل ذلك بهما زيادة في تبكيت الكافرين وحسرتهم.

وقال ابن قسي صاحب خلع النعلين: اعلم أن الشمس والقمر ثوران [١٥٧/ب] مكوران في نار جهنم على سُنة هذا التكوير، فنهار سعير وليل زمهرير والدار دار قائمة لا فرق بينها وبين هذه في حركة[٢] التسيار والتدوار، ومدار فلكي الليل والنهار إلا أن تلك خالية من رحمة الله تعالى ومع هذه رحمة واحدة من رحمة[٣] الله، وعن الشمس والقمر يكون سواد الدار ولهب ظاهر النار، وهما من أشد الغضب لله تعالى بما[٤] عانياه من عصيان العاصين وفسق الفاسقين؛ إذ لا يكاد يغيب عنهما أين ولا تخفى عنهما خائنة عين، فإنه لا يبصر أحد إلا بنورهما ولا يدرك إلا بضوئهما ولو كانا خلف حجاب من الغيب[٥] أو وراء ستر من الغيم اليومي فإن الضوء الباقي على البسيطة في ظل الأرض ضوءهما، والنور نورهما ومع ما هما عليه من الغضب لله تعالى فإنه [لم][٦] يشتد غضبهما إلا من حيث نزع لجام الرحمة عنهما وقبض ضياء اللين والرأفة منهما، وكذلك عن كل ظاهر من الحياة الدنيا في قبض الرحمة المستردة من هذه الدار إلى دار الحيوان والأنوار.

قال ﷺ: «إن لله مائة رحمة نزل منها واحدة إلى أرض الدنيا، فبها تتعاطف البهائم، ويتراحم الخلق، وتتواصل الأرحام، فإذا كان يوم القيامة قبض الله هذه الرحمة وردها إلى التسعة والتسعين وأكملها مائة»[٧] كما كانت، ثم جعل المائة كلها رحمة للمؤمنين، وخلت دار العذاب ومن فيها من الفاسقين من

---

(١) في (ع): فإنما، وفي (ظ): وإنما.
(٢) في (ع): حركات.
(٣) (من رحمة): ساقطة من (ع).
(٤) في (ع): لما، وفي (ظ): مما، والأصل متوافق مع (م).
(٥) في (ظ، م): من الغيب الليلي.
(٦) ما بين المعقوفتين من (ظ، م)، وفي (ع): لا.
(٧) أخرجه البخاري ٥/٢٣٧٤، ح٦١٠٤؛ ومسلم ٤/٢١٠٨، ح٢٧٥٢ في صحيحيهما.

رحمة رب العالمين، فبزوال هذه الرحمة زال ما كان به القمر من رطوبة وأنوار، ولم يبق إلا ظلمة وزمهرير، وبزوالها زال ما كان بالشمس من وضح وإشراق ولم يبق إلا فرط سواد وإحراق، وبما كانا به قبل الصفة الرحمانية كان إمهالهما للعاصين وإبقاؤهما على القوم الفاسقين، وهي زمام الإمساك ولجام المنع عن التدمير والإهلاك، وهي سنة الله في الإبقاء إلى الأوقات والإمهال إلى الآجال إلا أن يشاء غير ذلك، فلا راد لأمره ولا معقب لحكمه، لا إله إلا هو سبحانه[(١)].

[قال الشيخ ﷺ: وقد روى عكرمة عن ابن عباس عن كعب الأحبار في قوله: «هذه يهودية يريد إدخالها في الإسلام، والله أكرم وأجل من أن يعذب على طاعة، ألم تر إلى قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: ٣٣] يعني ذوبهما في طاعته، فكيف يعذب عبدين أثنى الله عليهما أنهما دائبان في طاعته، ثم حدث عن رسول الله ﷺ: «أن الله تعالى لما أبرم لخلقه أحكاماً ولم يبق غير آدم خلق شمساً وقمراً من نور عرشه[(٢)]..» الحديث، وفي آخره: «فإذا قامت الساعة وقضى الله في أهل الدارين وميز أهل الجنة والنار، ولم يدخلوها[(٣)] بعد أن يدعو الله جل وعز بالشمس والقمر يجاء بهما أسودين مكدرين قد وقعا في الزلازل؛ لأن فرائصهما ترعد من أهوال ذلك اليوم من مخافة الرحمن تعالى، فإذا كان حيال العرش خرّا ساجدين لله تعالى فيقولان: يا إلهنا قد علمت طاعتنا لك وذوبنا في طاعتك، وسرعتنا للمضي في أمرك أيام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة المشركين إيانا، فيقول الرب تعالى: صدقتما، إني قد[(٤)] قضيت على نفسي أبدئ وأعيد[(٥)]، إني معيدكما كما بدأتكم منه فارجعا إلى ما خلقتكما منه، فيقولان: ربنا مم خلقتنا، فيقول: خلقتكما من نور عرشي،

---

(١) (سبحانه): ليست في (ظ، م).

(٢) انظر: الكلام في مثل هذا النوع من الأحاديث الذي يدل على وحدة الوجود ص(٢٤٣).

(٣) في (ظ): ولم يدخلها.

(٤) (قد): ليست في (ظ).

(٥) في (ظ): أني أبدئ وأعيد.

فارجعا إليه، فتلتمع من كل واحد منهما برقة تكاد تخطف بالأبصار نوراً فيختلطان بنور العرش، فذلك قوله تعالى: ﴿يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ١٣] ذكره الثعلبي في كتاب العرائس له[١]][٢].

باب ما جاء في صفة جهنم وحرها وشدة عذابها

الترمذي[٣] عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة».

قال أبو عيسى: وحديث أبي هريرة في هذا موقوف [١٥٨/أ] أصح، ولا أعلم أحداً رفعه غير يحيى بن أبي بُكير[٤] عن شريك.

ابن المبارك[٥] عن أبي هريرة قال: إن النار أوقدت ألف سنة فابيضت ثم أوقدت ألف سنة فاحمرت، ثم أوقدت ألف سنة فاسودّت فهي كسواد الليل.

مالك[٦] عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: ترونها كناركم، لهي أشد سواداً من القار، والقار: الزفت.

ابن المبارك[٧] قال: أخبرنا سفيان عن سليمان عن أبي ظبيان[٨] عن سلمان قال: النار سوداء لا يضيء لهيبها ولا جمرها ثم قرأ: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢].

---

(١) (له): ليست في (ظ). (٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٣) في جامعه ٤/ ٧١٠، ح٢٥٩١؛ وبنحوه ابن ماجه في سننه ٢/ ١٤٤٥، ح٤٣٢٠؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٥٤، ح٣٤١٦٥، وضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن الترمذي ص(٣٠٨)، ح٤٨٥.

(٤) في (الأصل): ابن أبي كثير، والتصويب من (ع، ظ، م، الترمذي).

(٥) في الزهد (الزوائد) ص(٨٨)، ح٣٠٩.

(٦) في الموطأ ٢/ ٩٩٤، ح١٨٠٥.

(٧) في الزهد (الزوائد) ص(٨٨)، ح٣١٠؛ والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٢٠، ح٣٤٥٩.

(٨) في (الأصل، ع، ظ): أبي ضبيان، والتصويب من (م، الزهد).

مالك[١] عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نار ابن آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، فقالوا[٢]: يا رسول الله، وإن كانت لكافية، قال: فإنها فضلت بتسعة وستين جزءاً»، أخرجه **مسلم**[٣]، وزاد: «كلها مثل حرها».

ابن ماجه[٤] عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ولولا أنها أطفئت بالماء مرتين ما انتفعتم بها، وإنها لتدعو الله تعالى أن لا يعيدها فيها»، خرجه سفيان بن عيينة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، ولولا أنها ضربت بالماء مرتين ما كان لأحد فيها منفعة»[٥].

وفي خبر آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما: وهذه النار قد ضرب بها البحر سبع مرات، ولولا ذلك ما انتفع بها، ذكره أبو عمر[٦] رحمه الله.

وقال عبد الله بن مسعود: ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ولولا أنه ضرب بها البحر عشر مرات ما انتفعتم بشيء[٧] منها[٨].

[وسئل ابن عباس عن نار الدنيا مم خلقت؟ فقال: من نار جهنم غير أنها أطفئت بالماء سبعين مرة، ولولا ذلك ما قربت؛ لأنها من نار جهنم][٩].

---

(١) في الموطأ ٢/ ٩٩٤، ح١٨٠٤.

(٢) من هذا الموضع إلى قوله: سبعين جزءاً من نار جهنم، سقط في (ع).

(٣) في صحيحه ٤/ ٢١٨٤: ح٢٨٤٣.

(٤) في سننه ٢/ ١٤٤٤، ح٤٣١٨ من حديث نفيع أبي داود؛ قال الحافظ ابن رجب في التخويف من النار ١/ ٤٠١: ونفيع فيه ضعف. وقال الألباني: ضعيف جداً بهذا التمام، وصحيح دون قوله: وإنها لتدعو...، انظر: ضعيف سنن ابن ماجه ص(٣٥٢)، ح٩٤٠.

(٥) خرج الطبري نحوه في تفسيره ٢٧/ ٢٠١.

(٦) في التمهيد ١٨/ ١٦٣.

(٧) في (الأصل): ما انتفع بشيء، وما أثبته من (ع، ظ، الزهد).

(٨) رواه هناد بن السري في الزهد ١/ ١٦٧، ح٢٣٥.

(٩) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م).

مسلم[١] عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الدنيا من أهل النار فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط، هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط».

أخرجه **ابن ماجه**[٢] أيضاً من حديث محمد بن إسحاق عن حميد الطويل عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الدنيا من الكفار فيقال: اغمسوه في النار غمسة، فيغمس فيها، ثم يخرج، فيقول: أي فلان هل أصابك نعيم قط؟ فيقول: لا، ما أصابني نعيم قط، ويؤتى بأشد المؤمنين ضراً وبلاء فيقال: اغمسوه غمسة في الجنة فيغمس فيها غمسة [١٥٨/ب] فيقال: أي فلان هل أصابك ضر قط أو بلاء؟ فيقول: لا، ما أصابني ضر قط ولا بلاء».

وروى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة قال: حدثنا أنس بن مالك ﷺ قال رسول الله ﷺ: «لو أن جهنمياً من أهل جهنم أخرج كفه إلى أهل الدنيا حتى يبصروها[٣] لأحرقت الدنيا من حرها، ولو أن خازناً من خزنة جهنم خرج إلى أهل الدنيا حتى يبصروه لمات أهل الدنيا حين يبصروه من غضب الله تعالى»[٤].

---

(١) في صحيحه ٤/ ٢١٦٢، ح٢٨٠٧.

(٢) في سننه ٢/ ١٤٤٥، ح٤٣٢١؛ وابن المبارك في الزهد ١/ ٢٢٠، ح٦٢٢، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٣٤، ح٣٤٨٨.

(٣) في (الأصل): يبصرونها، وهو خطأ نحوي؛ لأن حتى تنصب الفعل المضارع بأن مضمرة وجوباً، وما أثبته من (ع، ظ).

(٤) أخرج الطبراني في الأوسط بعضه من طريق سلام الطويل ٣/ ٨٩، ح٢٥٨٣؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٨٧: رواه الطبراني في الأوسط وفيه سلام الطويل وهو مجمع على تضعيفه. وأبو هدبة كذاب متروك هالك.

وخرَّج **البزار** في مسنده عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم»[(١)].

فصل

قوله: «ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم» يعني أنه لو جمع كل ما في الوجود من النار التي يوقدها بنو آدم لكانت جزءاً من أجزاء جهنم المذكورة، وبيانه: أنه لو جمع حطب الدنيا فوقد كله حتى صار ناراً لكان الجزء الواحد من أجزاء نار[(٢)] جهنم الذي هو من سبعين جزءاً أشد من حر[(٣)] نار الدنيا كما بينه آخر الحديث.

وقوله: «إن كانت لكافية»: إن هنا مخففة من الثقيلة عند البصريين، نظيره: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي أنها كانت كافية، فأجابهم النبي ﷺ أنها كما فضلت عليها في المقدار والعدد بتسعة وستين، فضلت عليها أيضاً في شدة الحر بتسعة وستين ضعفاً.

وقال كعب الأحبار[(٤)]: والذي نفس كعب بيده لو كنت بالمشرق وكانت النار بالمغرب ثم كشف عنها لخرج دماغك من منخرك من شدة حرها، يا قوم هل لكم بهذا قرار أم لكم على هذا صبر، يا قوم طاعة الله أهون عليكم من هذا فأطيعوه[(٥)].

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٩١: رواه أبو يعلى عن شيخه إسحاق ولم ينسبه فإن كان ابن راهويه فرجاله رجال الصحيح، وإن كان غيره فلم أعرفه.

(٢) (نار): ليست في (ظ).

(٣) في (الأصل): حار، والتصويب من (ع، ظ).

(٤) ذكره أبو نعيم في الحلية ٥/ ٣٧٢.

(٥) من قوله: وقال كعب الأحبار إلى هذا الموضع تقدم في (ع، ظ) قبل بداية الفصل.

باب منه وما جاء في شكوى النار وكلامها وبعد قعرها وأهوالها وفي قدر الحجر الذي يرمى به فيها ـ أجارنا الله منها [ومن أهوالها](١) ـ

روى الأئمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضاً، فجعل لها نفسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها، وشدة ما تجدون من الحر من سمومها»، أخرجه **البخاري**(٢) **ومسلم**(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة، فقال النبي ﷺ: «أتدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوي في النار الآن حين(٤) انتهى إلى قعرها»، خرجه **مسلم**(٥).

الوجبة: الهدة، وهي صوت وقع الشيء الثقيل.

الترمذي(٦) [١٥٩/أ] عن الحسن قال: قال عتبة بن غزوان، على منبرنا هذا ـ يعني منبر البصرة ـ عن النبي ﷺ قال: «إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوي فيها سبعين عاماً، وما تفضي إلى قرارها»، قال: وكان عمر يقول: أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد، وأن قعرها بعيد، وأن مقامعها حديد.

قال أبو عيسى: لا نعرف للحسن سماعاً من عتبة بن غزوان، وإنما قدم عتبة بن غزوان البصرة في زمن عمر، وولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه.

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م).

(٢) في صحيحه ٣/ ١١٩٠، ح٣٠٨٧. (٣) في صحيحه ١/ ٤٣١، ح٦١٧.

(٤) في (ع، ظ، مسلم): حتى، والأصل متوافق مع (م).

(٥) في صحيحه ٤/ ٢١٨٤، ح٢٨٤٤.

(٦) في جامعه ٤/ ٧٠٢، ح٢٥٧٥، صححه الألباني، صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣٢٠، ح٢٠٨٤.

ابن المبارك[١] قال: أخبرنا يونس بن يزيد عن الزهري قال: بلغنا أن معاذ بن جبل ﷺ كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده إن ما بين شفة النار وقعرها كصخرة زنة سبع خلفات بشحومهن[٢] ولحومهن وأولادهن تهوي من شفة النار قبل أن تبلغ قعرها سبعين خريفاً».

أخبرنا هشيم بن بشير قال: أخبرني زفر[٣]، حدثنا ابن أبي مريم الخزاعي قال: سمعت أبا أمامة يقول: إن ما بين شفير جهنم مسيرة سبعين خريفاً من حجر يهوي، أو قال: صخرة تهوي عظمها كعَشْرِ عُشَرَاوَاتٍ[٤] عظام سمان، فقال له مولى لعبد الرحمن بن خالد: هل تحت ذلك من شيء يا أبا أمامة؟ قال: نعم، غي وآثام[٥].

مسلم[٦] عن خالد بن عمير العدوي قال: خطبنا عتبة بن غزوان وكان أميراً على البصرة فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد فإن الدنيا فقد آذنت بِصَرْمٍ وَوَلَّتْ حَذَّاءَ[٧] ولم يبق منها إلا صُبابة كصُبابة الإناء يتصابها صاحبها وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير مما بحضرتكم فإنه قد ذكر لنا أن الحجر ليلقى من شفير جهنم فيهوي فيها سبعين عاماً لا يدرك لها قعراً، والله لتملأن، أفعجبتم» الحديث، وسيأتي[٨] تمامه في أبواب الجنة إن شاء الله تعالى.

وقال كعب: لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب

---

(١) في الزهد ١/٨٦، ح٣٠١؛ والطبراني في الكبير ٢٠/١٦٩؛ ح٣٦١.
(٢) في (ع، ظ، الزهد): شحومهن، والأصل متوافق مع (م).
(٣) في (الأصل): زفير، والتصويب من (ع، ظ، م، الزهد).
(٤) في (ظ، الزهد): عشرات، وهي النوق العِشار التي لها في الحمل عشرة أشهر، انظر: الصحاح ٢/٧٤٧.
(٥) في الزهد (الزوائد) ص(٨٦)، ح٣٠٢.
(٦) في صحيحه ٤/٢٢٧٨، ح٢٩٦٧.
(٧) في (الأصل): جذاً، والتصويب من (ع، ظ، م، مسلم)، والمعنى أنها ذهبت خفيفة سريعة، انظر: النهاية في غريب الحديث ١/٣٥٦.
(٨) ص(٨٦١).

لغلي دماغه حتى يسيل من حرها، وإن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر جاثياً على ركبتيه ويقول: نفسي، نفسي[(١)].

فصل

قوله: اشتكت النار، شكواها بأن أكل بعضها بعضاً محمول على الحقيقة لا على المجاز؛ إذ لا إحالة في ذلك، وليس من شرط الكلام عند أهل السنة في القيام بالجسم[(٢)] إلا الحياة، فأما البينة[(٣)] واللسان[(٤)] [والبِلَّة][(٥)] فليس من شرطه وليس يحتاج في الشكوى إلى أكثر من وجود الكلام.

وأما الاحتجاج في قوله ﷺ: «احتجت النار والجنة»؛ فلا بد فيه من العلم والتفطن للحجة.

وقيل: إن ذلك مجاز، عبر عنه بلسان الحال كما قال عنترة[(٦)] [١٥٩/ب]:

فَازْوَرَّ من وقع القنا بلبانه ... وشكا إلي بعبرة وتحمحم

وقال آخر:

---

(١) ذكره ابن أبي عاصم في الزهد ١/١٢١؛ وأبو نعيم في الحلية ٥/٣٦٩.

(٢) بل أهل السنة يشترطون في الكلام أن يقوم بذات المتكلم ـ فالمتكلم قد يكون جسماً كالمخلوق، وأما الخالق سبحانه فلا يستعمل في حقه لفظ الجسم نفياً أو إثباتاً لعدم ورود الأدلة بذلك ـ فكل متكلم من الملائكة والبشر والجن وغيرهم فكلامهم قائم بأنفسهم، وأما ما ذكره المصنف فهو على شرط الجهمية والمعتزلة والكلابية فهم يقولون: ليس لله تعالى كلام قائم بذاته بل منفصل عنه، وأما أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح فيعتقدون في كلام الله تعالى أنه صفة ذات وفعل، فهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته كلاماً قائماً بذاته ﷻ، والقرآن الكريم من كلامه غير مخلوق، منه بدا وإليه يعود. انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٦/٢١٩ بتصرف.

(٣) كذا في (الأصل، ع، ظ)، وفي (م): الهيئة، ولعل ما في (م) هو الصواب؛ فالهيئة قد يراد منها الجسم والشكل الخارجي، فكأنه يقول: ليس من شرط التكلم أن يكون هناك جسم ولسان ونحو ذلك، والله أعلم.

(٤) في (الأصل): بالسان، والتصويب من (ع، ظ، م).

(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م)، والبله: الغفلة عن الشر. انظر: لسان العرب ١٣/٤٧٧.

(٦) في معلقته، انظر: شرح القصائد السبع الطوال لأبي جعفر النحاس ص(٥٣٠).

شكى إلي جملي طول السرى ... شكوى جميلاً فكلانا مبتلى

والأول أصح؛ إذ لا استحالة في ذلك، وقد قال وهو أصدق القائلين: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ[1] ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]، وقد تقدم[2] من كلامها: «لا إله إلا الله وعزتك وعظمتك»[3].

وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [المعارج: ١٥ ـ ١٨] ﴿أَدْبَرَ﴾، أي عن الإيمان، ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ أي أعرض عن اتباع الحق، ﴿وَجَمَعَ﴾ يعني المال، ﴿فَأَوْعَىٰٓ﴾ أي جعله في وعاء أي كثره ولم ينفقه في طاعة الله][4].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: تدعو الكافر والمنافق بلسان فصيح تلتقطهم[5]، كما يلتقط الطير الحب.

قلت: قول ابن عباس هذا قد جاء معناه مرفوعاً، وهو يدل على أن المراد بالشكوى والحجة الحقيقة.

ذكر رزين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً، قيل: يا رسول الله ولها عينان؟ قال: أما سمعتم الله تعالى يقول: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١٢]، يخرج عنق من النار له عينان يبصران ولسان ينطق، فيقول: وكلت بمن دعا[6] مع الله إلهاً آخر، فلهو أبصر بهم من الطير بحب السمسم، فيلتقطه»[7].

---

(١) في (الأصل): يقضي، وإن كانت قراءة كما مرَّ إلا أن ما أثبته من (ع، ظ، م).

(٢) ص(٨٥٠).

(٣) (وقد تقدم من كلامها: لا إله إلا الله وعزتك وعظمتك): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م).

(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ)، وفي الأصل الآيات فقط مضافاً قوله تعالى: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾، والأصل متوافق مع (م).

(٥) في (ع): تلتقطه.

(٦) في (الأصل): جعل. والتصويب من (ع، ظ، م، الترمذي).

(٧) روى نحوه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة ٨/١٣١، ح٧٥٩٩؛ والطبري في تفسيره ١٨/١٨٧.

في رواية أخرى: «فيخرج عنق من النار فيلتقط الكفار لقط الطائر حب السمسم»(١)، صححه ابن العربي في قبسه(٢)، وقال: أي يفصلهم عن الخلق في المعرفة كما يفصل الطائر حب السمسم من التربة(٣).

وخرج الترمذي(٤) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاث: بكل جبار عنيد، وبكل من جعل مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين. وفي الباب عن أبي سعيد(٥) ﷺ، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح.

وذكر ابن وهب قال: حدثني العلاف بن خالد في قول الله تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣] قال: يقال: يؤتى بجهنم يوم القيامة يأكل بعضها بعضاً، يقودها سبعون ألف ملك، فإذا رأت الناس، وذلك قوله ﷻ: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾، فإذا رأتهم زفرت زفرة لا يبقى نبي ولا صديق إلا برك لركبتيه، يقول: يا رب نفسي، نفسي، ويقول رسول الله ﷺ: أمتي، أمتي.

[وكان بعض الوعاظ يقول: أيها المجترئ على النار ألك طاقة بسطوة مالك خازن النار، ومالك إذا غضب على النار وزجرها زجرة كادت تأكل بعضها بعضاً](٦).

باب ما جاء في مقامع أهل النار وسلاسلهم وأغلالهم [١٦٠/أ] وأنكالهم

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحج: ٢١].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ٣٠/١٨٦.
(٢) انظر كتابه: القبس ٣/١١٤٦ ط. دار الغرب الإسلامي.
(٣) في (الأصل): البرية، والتصويب من (ع، ظ، م).
(٤) في جامعه ٤/٧٠١، ح٢٥٧٤، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣٢٠، ح٢٠٨٣.
(٥) في (الأصل): عن أبي سعيد الخدري، وما أثبته من (ع، ظ، م، الترمذي).
(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م).

وقال: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ۝٧١ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١ ـ ٧٢](١).

وقال: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ [الحاقة: ٣٢].

وقال: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢﴾ [المزمل: ١٢] الآية.

[وروي عن الحسن أنه قال: ما في جهنم وادٍ ومغار، ولا غل ولا سلسلة، ولا قيد إلا اسم صاحبه مكتوب عليه، وروي عن ابن مسعود وسيأتي(٢)](٣).

الترمذي(٤) عن عبد الله بن عمرو بن(٥) العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «وأن رصاصة(٦) مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها»، قال: هذا حديث إسناده صحيح.

وفي الخبر: «أن الله تعالى ينشئ لأهل النار سحابة فإذا رأوها ذكروا سحائب الدنيا فتناديهم: يا أهل النار ما تشتهون؟ فيقولون: نشتهي الماء البارد فتمطرهم أغلالاً تزداد في أغلالهم وسلاسلاً تزداد(٧) في سلاسلهم».

وقال محمد بن المنكدر(٨): لو جمع حديد الدنيا كله ما خلى منها وما

---

(١) وقوله: ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ ليس في (ع، ظ) والأصل متوافق مع (م).
(٢) ص(٩٠٩).
(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م).
(٤) في جامعه ٤/٧٠٩، ح٢٥٨٨، وأحمد في مسنده ٢/١٩٧، ح٦٨٥٦، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن الترمذي ص(٣٠٧ ـ ٣٠٨)، ح٤٨٤.
(٥) (بن): ساقطة من (الأصل)، وتكملتها من (ع، ظ، م، الترمذي).
(٦) هكذا في جميع النسخ بما فيها (م) ومسند أحمد، وفي (جامع الترمذي): رضاضة، وهو تصحيف.
(٧) من هذا الموضع إلى قوله: حلقة من، سقط في (ع).
(٨) ابن عبد الله بن الهدير بن عبد العزى، القرشي، الإمام الحافظ، حدث عن عائشة وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وغيرهم ﷺ، مات سنة ١٣٠هـ. السير ٥/٣٥٣.

بقي ما عدل حلقة من حلق [السلسلة التي][1] ذكرَ الله تعالى في كتابه، فقال: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾، ذكره أبو نعيم[2].

وقال ابن المبارك[3]: أخبرنا سفيان عن نسير بن ذعلوق[4] أنه سمع نوفاً يقول في قوله تعالى: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾. قال: كل ذراع سبعون ذراعاً وكل باع سبعون باعاً، كل باع أبعد ما بينك وبين مكة، وهو يومئذ في مسجد الكوفة.

أخبرنا بكار بن عبد الله أنه سمع ابن أبي مليكة[5] يحدث أبي بن كعب قال: إن حلقة من السلسلة الذي قال تعالى: ﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ إن حلقة منها مثل جميع حديد الدنيا، سمعت سفيان في قوله: ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ قال: بلغنا أنها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه[6].

وقال ابن زيد: ويقال: ما يأتي يوم القيامة على أهل النار إلا ورحمة من الله تطلع طائفة منهم فيخرجهم، ويقال: إن الحلقة من [غِل أهل][7] جهنم لو ألقيت على أعظم جبل في الدنيا لهدته.

[وروي عن طاووس أن الله ﷻ خلق ملكاً، وخلق له أصابع على عدد أهل النار، فما من أهل النار معذب إلا وملك يعذبه بإصبع من أصابعه، فوالله لو وضع ملك إصبعاً من أصابعه على السماء لأذابها. ذكره القتبي في عيون الأخبار له][8].

---

(١) ما بين المعقوفتين من (الحلية)، وفي (ظ): حلق جهنم.
(٢) في (الحلية): ٣/١٥٣.
(٣) في الزهد (الزوائد) ص(٨٣)، ح٢٨٨.
(٤) في (الأصل، ع): دغلوق، وفي (ظ، م، الزهد): دعلوق، وما أثبته من (الثقات لابن حبان ٧/٥٤٧؛ والكاشف للذهبي ٢/٣١٨، رقم ٥٨٠٧؛ وتهذيب التهذيب لابن حجر ١٠/٣٧٩، رقم ٧٦٦)، قال ابن حجر في ترجمته: نسير بن ذعلوق الثوري مولاهم، أبو طعمة الكوفي.
(٥) في (ع): أنه سمع من ابن أبي مليكة.
(٦) في الزهد لابن المبارك ١/٨٣، ح٢٩٨.
(٧) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م).
(٨) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م).

باب منه وما جاء في كيفية دخول أهل النار النارَ

ذكر ابن وهب قال: وثنا عبد الرحمن بن زيد قال: تلقاهم جهنم يوم القيامة بشرر كالنجوم فيولوا هاربين، فيقول الجبار تبارك وتعالى: ردوهم عليّ فيردوهم فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ﴾ [غافر: ٣٣] أي [١٦٠/ب] مانع يمنعكم ويلقاهم وهجها قبل أن يدخلوها فتندر حدقهم فيدخلوها عمياً مغلولين في الأغلال أيديهم وأرجلهم ورقابهم، قال: وقال رسول الله ﷺ: في خزنة جهنم: «ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب».

قال ابن زيد: ﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾﴾ يقمعون بها هؤلاء، قال: خذوه فيأخذه كذا وكذا ألف ملك فلا يضعون أيديهم على شيء من عظامه إلا صارت تحت أيديهم رفاتاً، العظام واللحم يصير رفاتاً. قال: فتجمع أيديهم وأرجلهم ورقابهم في الحديد، قال: فيلقون في النار مصفودين: قال: فليس لهم[1] شيء يتقون به إلا الوجوه وهم مصفودون قد ذهبت الأبصار فهم عمي وقرأ قوله ﷻ: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الزمر: ٢٤] إلى آخر الآية، قال: إذا ألقوا فكادوا يبلغون قعرها تلقاهم لهبها فردهم[2] إلى أعلاها، حتى إذا كادوا يخرجون تلقتهم الملائكة بمقامع من حديد فضربوهم بها فجاء أمر يغلب اللهب فهووا كما هم سافلين هكذا وقرأ قول الله[3] ﷻ: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]، فهم كما قال الله ﷻ: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾ [الغاشية: ٣، ٤].

والأنكال: القيود، عن مجاهد[4] والحسن واحدها: نكل، وسميت القيود أنكالاً؛ لأنه ينكل بها أي يمنع.

قال الهروي[5]: والأصفاد: هي الأغلال. ويقال: القيود.

(١) (لهم): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م).

(٢) في (ظ): فيردهم.

(٣) من هذا الموضع إلى بداية الآية التالية سقط في (ع).

(٤) ذكره الطبري في تفسيره ٢٩/ ١٣٥.

(٥) في غريب الحديث له ١/ ٣٢٣.

باب منه في رفع لهب النار أهل النار حتى يشرفوا على أهل الجنة

يروى أن لهب النار يرفع أهل النار حتى يطيروا كما يطير الشرر، فإذا رفعهم[(١)] أشرفوا على أهل الجنة وبينهم حجاب، فينادي أصحاب[(٢)] الجنة أصحاب النار: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤] وينادي أصحاب النار أصحاب الجنة حين يروا الأنهار تطّرد بينهم: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠]، فتردهم ملائكة العذاب بمقامع من حديد إلى قعر النار.

قال بعض المفسرين: هو معنى قول الله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾، ذكره أبو محمد عبد الحق في كتاب العاقبة له[(٣)]، قال: ولعلك تقول[(٤)]: كيف يرى أهل الجنة أهل النار وأهل النار أهل الجنة؟ أو كيف يسمع [١٦١/أ] بعضهم كلام بعض وبينهم ما بينهم من بعد المسافة وغلظ الحجاب؟ فيقال لك: لا تقل هذا، فإن الله يقوي أسماعهم وأبصارهم حتى يرى بعضهم بعضاً ويسمع بعضهم بعضاً، وهذا قريب في القدرة جداً.

باب ما جاء أن في جهنم جبالاً وخنادق وأودية وبحاراً وصهاريج وحياضاً وآباراً وجباباً وتنانير وسجوناً وبيوتاً وجسوراً وقصوراً وأرحاء ونواعير وعقارب وحيات ـ أجارنا الله منها ـ وفي وعيد من شرب الخمر وغيره

الترمذي[(٥)] عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «الصعود

---

(١) في (ع): رفعتهم، وفي (ظ): رفعوا. (٢) في (ع): أهل.
(٣) ص(٣٦٠). (٤) في (ع): أن تقول.
(٥) في جامعه ٧٠٣/٤، ح٢٥٧٦؛ وأبو يعلى في مسنده ٥٢٣/٢، ح١٣٨٣؛ قال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف الترمذي ص(٣٠٢)، ح٤٧٣.

جبل من نار يتصعد فيه الكافر أربعين خريفاً، ويهوي فيه كذلك أبداً»، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث ابن لهيعة.

وقد تقدم[١] من حديث أنس ﷺ: إن من مات سكراناً [فإنه][٢] يبعث يوم القيامة سكراناً إلى خندق في وسط جهنم يسمى السكران.

واختلف العلماء في تأويل[٣] قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ﴾ [البقرة: ٧٩، مريم: ٣٧][٤].

فذكر **ابن المبارك**[٥]: أخبرنا رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث أنه حدثه عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره».

والصعود: جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوي، فهو كذلك[٦].

قال: وأخبرنا سعيد بن أبي أيوب عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال: الويل واد في جهنم لو سيرت فيه الجبال لماعت من حره[٧].

قال: وأخبرنا سفيان عن زياد بن فياض عن أبي عياض[٨] أنه قال: الويل مسيل في أصل جهنم[٩].

---

(١) ص(٤٩٤).

(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٣) (تأويل): ليست في (ظ).

(٤) جزء من آية وردت في عدد من السور منها: [البقرة: ٧٩، مريم: ٣٧] وغيرها من السور.

(٥) في الزهد (الزوائد) ص(٩٦)، ح٣٣٤؛ وابن حبان في صحيحه ١٦/٥٠٨، ح٧٤٦٧؛ وأحمد في المسند ٣/٧٥، ح١١٧٣٠، إسناده ضعيف، انظر: حاشية صحيح ابن حبان للأرنؤوط ١٦/٥٠٨.

(٦) روه أحمد في المسند ٣/ ٧٥، ح١١٧٣٠؛ والطبري في تفسيره ٢٩/ ١٥٥.

(٧) في الزهد لابن المبارك (الزوائد) ص(٩٥)، ح٣٣١.

(٨) من هذا الموضع إلى قوله: عن أبي عياض، سقط في (ظ).

(٩) في الزهد لابن المبارك (الزوائد) ص(٩٦)، ح٣٣٣.

وذكر ابن عطية في تفسيره[١] عن أبي عياض: أن الويل صهريج في جهنم من صديد أهل النار.

قال[٢]: وحكى الزهراوي عن آخرين أنه باب من أبواب جهنم.

وقال أبو سعيد الخدري ﷺ: أنه واد بين جبلين يهوي فيه الهاوي أربعين خريفاً، ذكره ابن عطية[٣]، وقد تقدم[٤] رفعه.

وخرجه **الترمذي**[٥] أيضاً مرفوعاً عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره».

قال أبو عيسى: هذا حديث غريب [١٦١/ب] لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث ابن لهيعة.

وقال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الواقعة: ٤٣] اليحموم[٦]: جبل في جهنم يستغيث إلى ظله أهل النار لا بارد ولا كريم، بل حار؛ لأنه من دخان شفير جهنم ولا كريم عذب[٧]، عن الضحاك.

وقال سعيد بن المسيب: ولا حسن منظره[٨].

وذكر ابن وهب عن مجاهد: في قوله تعالى: ﴿مَّوْبِقًا﴾ [الكهف: ٥٢] قال: واد في جهنم يقال له موبق[٩].

وقال عكرمة: هو نهر في جهنم يسيل ناراً على حافتيه حيات مثل البغال الدهم، فإذا ثارت إليهم لتأخذهم استغاثوا منها بالاقتحام في النار[١٠].

---

(١) المحرر الوجيز ١/ ٢٧٢.
(٢) أي ابن عطية في تفسيره ١/ ٢٧٣.
(٣) في تفسيره ١/ ٢٧٢.
(٤) ص(٨٧٠ ـ ٨٧١).
(٥) في جامعه ٥/ ٣٢٠، ح٣١٦٤؛ قال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف الترمذي له ص(٣٩٥)، ح٦١٧.
(٦) (اليحموم): ليست في (ظ).
(٧) ذكره ابن عطية في تفسيره ١٥/ ٣٧٣.
(٨) ذكره الطبري في تفسيره ١٥/ ٣٦٥؛ وابن رجب في التخويف بالنار ١/ ٨٢.
(٩) ذكره ابن عطية في تفسيره ١٠/ ٤١٥.
(١٠) وروى نحوه هناد في الزهد ١/ ١٧٨؛ والطبري في تفسيره ١٤/ ١٦١.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: هو واد في جهنم من قيح ودم[(١)].

[وقال نوف البكالي[(٢)] في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ قال: وادٍ بين أهل الضلالة وأهل الإيمان][(٣)].

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها سئلت عن قول الله عز وجل: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] قالت: نهر في جهنم[(٤)].

واختلفوا في الفلق [في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾][(٥)]، فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سجن في جهنم[(٦)].

وقال كعب رضي الله عنه: هو بيت في جهنم إذا فتح صاح من حره[(٧)] أهل النار[(٨)].

وذكر **أبو نعيم**[(٩)] عن حميد بن هلال قال: حدثت أن في جهنم تنانير ضيقها كضيق زج أحدكم في الأرض، تضيق على قوم بأعمالهم.

ابن المبارك[(١٠)]: أخبرنا إسماعيل بن عياش قال: ثنا ثعلبة بن مسلم عن أيوب بن بشير عن شقي[(١١)] الأصبحي قال: إن في جهنم جبلاً يدعى صعوداً يطلع فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يرقاه، قال الله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ۝١٧﴾ [المدثر: ١٧] وأن في جهنم قصراً يقال له: هوى يرمى الكافر من أعلاه فيهوي أربعين خريفاً قبل أن يبلغ أصله، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره ١٥/ ٢٦٥. (٢) (البكالي): ليست في (ظ).
(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ)، وفي (ظ) سقط في بعض الكلمات؛ وهو في الزهد لابن أبي عاصم ١/ ٣١١؛ والحلية لأبي نعيم ٦/ ٥٢.
(٤) ذكره البخاري في التاريخ الكبير ٨/ ٢٦٢.
(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م). (٦) رواه الطبري في تفسيره ٣٠/ ٣٤٩.
(٧) في (ع، ظ): من شدة حره، والأصل متوافق مع (م).
(٨) ذكره الطبري في تفسيره ٣٠/ ٣٥٠.
(٩) في (الحلية): ٢/ ٢٥٣؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٥١، ح٣٤١٣٩.
(١٠) في الزهد (الزوائد) ص(٩٦)، ح٣٣٦.
(١١) في (الأصل): الأشقى، والتصويب من (ع، ظ، م، الزهد).

غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١]، وإن في جهنم وادياً يدعى[١] أثاماً، فيه حيات وعقارب في فقار[٢] إحداهن مقدار سبعين قلة من سم، والعقرب منهن مثل البغلة المؤكفة[٣]، تلدغ الرجل فلا تلهيه عما يجد من حر جهنم حموة[٤] لدغتها، فهو لما خلق له، وإن في جهنم سبعين داء لأهلها، كل داء مثل جزء من أجزاء جهنم، وإن في جهنم وادياً يدعى غيّاً يسيل قيحاً ودماً فهو لما خلق له، قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾.

وروى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة قال: أخبرنا أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في جهنم بحراً أسوداً مظلماً منتن الريح يغرق الله فيه من أكل رزقه وعبد غيره»[٥].

وذكر **أبو نعيم**[٦] عن محمد بن واسع قال: دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت: يا بلال، إن أباك [١٦٢/أ] حدثني عن جدك عن رسول الله ﷺ قال: «إن في جهنم وادياً، ولذلك الوادي بئر يقال أنه: هبهب»، حق على الله تعالى أن يسكنها كل جبار فإياك أن تكون منهم».

ابن المبارك[٧] حدثنا يحيى بن عبيد الله قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا هريرة ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن في جهنم وادياً يقال له لملم، إن أودية جهنم لتستعيذ بالله من حره».

---

(١) من هذا الموضع إلى قوله: وادياً يدعى، التالية سقط في (ع).

(٢) في (الأصل، ظ): قفار، والتصويب من مصدر المصنف.

(٣) الإكاف والوكاف ما يُشد به ظهر البعير والحمار والبغل، انظر: لسان لعرب ٩/ ٣٦٤.

(٤) في (ظ): حمة، والأصل متوافق مع (م، والزهد).

(٥) أورده الخطيب في تاريخ بغداد ٦/ ٢٠٠؛ قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، الموضوعات ٣/ ٦٠٠، ح١٨٢٧.

(٦) في (الحلية): ٢/ ٣٥٦؛ والدارمي في سننه ٢/ ٤٢٧، ح٢٨١٦؛ قال ابن الجوزي: هذا حديث ليس بصحيح، وقال ابن حبان: هذ متن لا أصل له، انظر: الموضوعات ٣/ ٥٩٩، ح١٨٢٦.

(٧) في الزهد (الزوائد) ص(٩٥)، ح٣٣١؛ وأبو نعيم في الحلية وقال: غريب من حديث يحيى، وقال ابن رجب في التخويف من النار ١/ ٨٩: ويحيى ضعفوه.

مالك بن[1] أنس عن ابن شهاب عن علي بن حسين عن الحسين بن علي عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كل مسكر خمر، وثلاثة غضب الله عليهم ولا ينظر إليهم ولا يكلمهم، وهم في المنسا»، والمنسا: بئر في جهنم للمكذب بالقدر، والمبتدع في دين الله، ومدمن الخمر، ذكره الخطيب أبو بكر من حديث أحمد بن سليمان الحفتاني القرشي الأسدي عن مالك ؓ.

وذكر ابن وهب من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه الذر على[2] صور الناس، يعلوهم كل شيء من الصغار يساقون حتى يدخلون[3] سجناً في جهنم يقال له: بولس، يسقون من عصارة أهل النار من طينة الخبال. أخرجه ابن المبارك[4].

وأخبرنا محمد بن عجلان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ؓ عن النبي ﷺ قال: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس، يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن جهنم يسمى بولس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال، أخرجه الترمذي[5] وقال: حديث حسن.

---

(١) في (الأصل): عن، والتصويب من (ع، ظ، م).
(٢) في (ظ): في.
(٣) في جميع النسخ بما فيها مسودة المؤلف: حتى يدخلون، وهذا اللفظ ليس في رواية ابن المبارك، ومع ملاحظة إشكال نحوي على ما في النسخ وهو: أن الفعل المضارع جاء مرفوعاً بثبوت النون مع دخول (حتى) التي تنصب الفعل المضارع بأن مقدرة وجوباً.
(٤) هذه الرواية في الزهد لابن المبارك (الزوائد) ص(٥٢)، ح١٩١ وهي تختلف في ألفاظها عما رواه ابن المبارك، وقال ابن المبارك بعد إيراده للحديث: أخرجه الترمذي، فرواية ابن المبارك إذن هي نفس رواية الترمذي التي ساقها المؤلف بعدها من غير اختلاف في الألفاظ.
(٥) في جامعه ٤/٦٥٥، ح٢٤٩٢، وقال بعده: هذا حديث حسن صحيح؛ وأخرجه أحمد في مسنده ٢/١٧٩، ح٦٦٧٧؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٥/٣٢٩، ح٢٦٥٨٢، وحسنه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/٣٠٤، ح٢٠٢٥.

قلت: وطينة الخبال: عرق أهل النار أو عصارتهم، شراب أيضاً لمن شرب المسكر، جاء ذلك في صحيح **البخاري**[1] عن جابر ﷺ: أن رجلاً قدم من[2] جيشان، وجيشان من اليمن، فسأل النبي ﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزر، فقال ﷺ: «أو مسكر هو؟ قال: نعم، قال: إن على الله تعالى عهداً لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال، قال يا رسول الله: وما طينة الخبال؟ قال عرق أهل النار أو عصارة أهل النار».

وروي عن زيد بن ثابت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «المدينة مهاجري، وفيها مضجعي، ومنها مخرجي، حق على أمتي حفظ جيراني فيها، من حفظ وصيتي كنت له شهيداً يوم القيامة، ومن ضيعها أورده الله حوض الخبال، قيل: وما حوض الخبال يا رسول الله؟ قال: حوض من صديد أهل [١٦٢/ب] النار»[3]. غريب من حديث خارجة بن زيد عن أبيه، لم يروه عنه غير أبي الزناد، تفرد به عنه ابنه عبد الرحمن، والله أعلم.

وروى **الترمذي**[4] وأسد بن موسى عن علي بن أبي طالب ﷺ أن النبي ﷺ قال: «تعوذوا بالله من جب الحزن، فقيل: يا رسول الله وما جب الحزن؟ قال: واد في جهنم، تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة؛ أعدها الله للقراء المرائين». وفي رواية: «أعدها الله للذين يراؤون الناس بأعمالهم».

وقال الترمذي في حديث أبي هريرة ﷺ: مائة مرة، قلنا: يا رسول الله ومن يدخله؟ قال: القراء المراؤون بأعمالهم. قال: حديث غريب[5].

---

(١) هكذا في جميع النسخ بما فيها المسودة (م)، ولم أجده في صحيح البخاري، وهو في صحيح مسلم ٣/ ١٥٨٧، ح٢٠٠٢.

(٢) في (الأصل): على، والتصويب من (ع، ظ، م، مسلم).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير عن الحسن معقل بن يسار ٢٠/ ٢٠٥، ح٤٧٠.

(٤) في جامعه ٤/ ٥٩٣، ح٢٣٨٣، وقال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف الترمذي ص(٢٦٧ ـ ٢٦٨)، ح٤١٥.

(٥) في (الترمذي): حسن غريب.

خرجه **ابن ماجه**[١] أيضاً عن أبي هريرة ﷺ ولفظه: **قال**: قال رسول الله ﷺ: «تعوذوا بالله من جب الحزن، قالوا: يا رسول الله وما جب الحزن؟ قال: واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة، قيل: يا رسول الله من يدخلها؟ قال: أعد للقراء المرائين بأعمالهم، وإن من أبغض القراء إلى الله الذين يزورون الأمراء».

قال المحاربي[٢]: الجورة.

في حديث آخر[٣] ذكره أسد بن موسى أنه ﷺ قال: إن في جهنم لوادياً إن جهنم لتتعوذ من شر ذلك الوادي كل يوم سبع مرات، وإن في ذلك الوادي لجباً إن جهنم وذلك الوادي ليتعوذان بالله من شر ذلك الجب، وإن في ذلك الجب لحية إن جهنم والوادي وذلك الجب ليتعوذون بالله من شر تلك الحية، أعدها الله للأشقياء من حملة القرآن.

وقال أبو هريرة ﷺ: إن في جهنم أرحاء[٤] تدور بعلماء السوء فيشرف عليهم بعض من كان يعرفهم في الدنيا فيقول: ما صيركم إلى هذا؟ وإنما كنا نتعلم منكم، قالوا: إنا كنا نأمركم بالأمر ونخالفكم إلى غيره[٥].

قلت: هذا مرفوع معناه في صحيح مسلم من حديث أسامة بن زيد وسيأتي[٦] في باب من أمر بالمعروف ولم يأته.

وقال أبو المثنى الأملوكي[٧]: إن في النار أقواماً يربطون بنواعير من نار

---

(١) في سننه ١/ ٩٤، ح٢٥٦ من رواية أبي معان عن ابن سيرين، قال البخاري: وأبو معان لا يعرف له سماع من ابن سيرين، وهو مجهول، التاريخ الكبير ٢/ ١٧٠، وقال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف ابن ماجه له ص(٢٠)، ح٥٢.

(٢) هو: عبد الرحمن بن محمد المحاربي، من رجال سند ابن ماجه، ذكر ابن ماجه قوله بعد رواية الحديث.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في (الفردوس للديلمي): أرحية.

(٥) رواه الديلمي في الفردوس له ١/ ٢٢٠، ح٨٤٥.

(٦) ص(٨٩١).

(٧) ضمضم أبو المثنى الأملوكي الحمصي، روى عن كعب الأحبار، روى له أبو داود وابن ماجه حديثاً واحداً، انظر: تهذيب الكمال ١٣/ ٣٢٩.

تدور بهم تلك النواعير، ما لهم فيه راحة ولا فترة(١).

وقال محمد بن كعب القرظي: إن لمالك مجلساً في وسط جهنم، وجسوراً تمر عليها ملائكة العذاب، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها الحديث، وسيأتي(٢).

باب منه وبيان قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١﴾ [البلد: ١١] وفي ساحل جهنم ووعيد من يؤذي المؤمنين

ابن المبارك(٣): أخبرنا رجل عن منصور عن [١٦٣/أ] مجاهد عن يزيد بن شجرة قال: وكان معاوية بعثه على الجيوش، فلقي عدواً فرأى في أصحابه فشلاً فجمعهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد: اذكروا نعمة الله عليكم، وذكر الحديث وفيه: فإنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسماتكم، فإذا كان يوم القيامة قيل: يا فلان ها نورك، يا فلان لا نور لك، إن لجهنم ساحلاً كساحل البحر فيه هوام [و](٤)حيات كالبخت، وعقارب كالبغال الدلم(٥)، فإذا استغاث أهل النار قالوا: الساحل، فإذا ألقوا فيه سلطت عليهم تلك الهوام فتأخذ شفار أعينهم وشفاههم، وما شاء الله منهم(٦) يكشطها [كشطاً، فيقولون: النار النار فإذا ألقوا فيها سلط](٧) عليهم الجرب فيحك أحدهم جسده حتى يبدو عظمه، وإن جلد أحدهم لأربعون ذراعاً، قال: يقال يا فلان، هل تجد هذا يؤذيك؟ فيقول: وأي أذى أشد من هذا؟ قال: يقال: هذا بما كنت تؤذي المؤمنين(٨).

---

(١) ذكره ابن رجب في التخويف من النار ١/١٣٨.
(٢) (وسيأتي): ليست في (ع).
(٣) في الزهد (الزوائد) ص(٩٥)، ح٣٣٠؛ والحاكم في مستدركه ٣/ ٥٦٤، ح٦٠٨٧.
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، الزهد)، والأصل متوافق مع (م).
(٥) في (الأصل): الدهم، وما أثبته من (ع، ظ، م، الزهد)، والبغال الدلم أي السود، النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٣١.
(٦) في (ع): منها.
(٧) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م، الزهد).
(٨) في (الأصل): المسلمين، وما أثبته من (ع، ظ، م، الزهد).

قال **ابن المبارك**[١] وأخبرنا سفيان بن عيينة عن عمار الدُهني[٢] أنه حدثه عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: إن صعوداً صخرة في جهنم إذا وضعوا أيديهم عليها ذابت، فإذا رفعوها عادت، اقتحامها: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤﴾.

وقال ابن عمر[٣] وابن عباس[٤] ﷺ: هذه العقبة جبل في جهنم.

وقال محمد بن كعب وكعب الأحبار[٥]: هي سبعون درجة في جهنم.

وقال الحسن وقتادة[٦]: هي عقبة شديدة صعبة في النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله تعالى.

وقال مجاهد والضحاك[٧] والكلبي[٨]: هي الصراط.

وقيل: النار نفسها[٩].

وقال الكلبي[١٠] أيضاً: هي الجبل بين الجنة والنار، يقول: فلا جاوز هذه العقبة بعمل صالح، ثم بيَّن اقتحامها بم يكون، فقال: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣﴾ الآية.

وقال ابن زيد وجماعة من المفسرين: معنى الكلام: الاستفهام، تقديره: أفلا اقتحم العقبة[١١]؟ يقول: هلّا أنفق ماله في فك الرقاب وإطعام السغبان ليجاوز به العقبة؛ فيكون خيراً له من إنفاقه في المعاصي.

---

(١) في الزهد (الزوائد) ص(٩٦)، ح٣٣٥؛ وهناد في الزهد ١/ ١٨٤، ح٢٨١.

(٢) هكذا بضم الدال، وفي جميع النسخ عدا مسودة المؤلف: الذهني، والمؤلف قد ضبط الدال بالضم، فالذي يبدو أن الضمة اشتبهت على النساخ فظنوها ذالاً، وانظر ترجمته في: التقريب ص(٧١٠)، رقم ٤٨٦٧.

(٣) ذكر الطبري قوله في تفسيره ٣٠/ ٢٠١.

(٤) ذكر قوله ابن عطية في تفسيره ١٦/ ٣٠٦.

(٥) ذكر الطبري قوله في تفسيره ٣٠/ ٢٠٢.

(٦) ذكر الطبري قولهما في تفسيره ٣٠/ ٢٠١.

(٧) ذكره الماوردي في تفسيره ٦/ ٢٧٨. (٨) ذكره الماوردي في تفسيره ٦/ ٢٧٨.

(٩) روي عن ابن عباس، انظر: الدر المنثور للسيوطي ٦/ ٥٩٦.

(١٠) ذُكِرَ عن ابن عباس، انظر: الدر المنثور ٦/ ٥٩٦.

(١١) ذكره الطبري في تفسيره ٣٠/ ٢٠٢.

وقيل: معنى الكلام: التمثيل والتشبيه، فشبه عظم الذنوب وثقلها بعقبة، فإذا أعتق رقبة، وعمل صالحاً كان مثله كمثل من اقتحم العقبة، وهي الذنوب التي تضره وتؤذيه وتثقله، فإذا أزالها بالأعمال الصالحة والتوبة الخالصة[١] يستوي عليها ويجوزها.

قلت: وهذا حسن.

قال الحسن: هي والله[٢] عقبة شديدة: مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان[٣].

وأنشد بعضهم[٤]:

إني بليت بأربع يرمينني ... بالنبل قد نصبوا علي شراكا
إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... فمن أين أرجو[٥] بينهن فكاكا [١٦٣/ب]
يا رب ساعدني بعفو إنني ... أصبحت لا أرجو لهن سواكا

وينشد[٦] أيضاً:

إني بليت بأربع يرمينني ... بالنبل عن قوس لها توتير
إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... يا رب أنت على الخلاص قدير

قلت: فمن أطاع مولاه وجاهد نفسه وهواه [وخالف شيطانه ودنياه][٧] كانت الجنة نزله ومأواه، ومن تمادى في غيه وعصيانه، وأرخى في الدنيا زمام طغيانه، [ووافق نفسه وهواه في مناه ولذاته وشيطانه في جميع شهواته][٨] كانت النار أولى به، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات: ٣٧ ـ ٤١].

---

(١) في (الأصل): والتوبة الصالحة، والتصويب من (ع، ظ، م).
(٢) في (الأصل): والله هي، وما أثبته من (ع، ظ، م).
(٣) ذكره الماوردي في تفسيره ٦/ ٢٧٨.
(٤) لم أقف على من أنشده.
(٥) في (الأصل): في من أرجى، والتصويب من (ع، ظ، م).
(٦) في (ظ): وأنشد، لم أقف على من أنشده.
(٧) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ)، الأصل متوافق مع (م).
(٨) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م).

ومعنى: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١﴾ أي لم يقتحم العقبة، وهذا خبر، أي إنه لم يفعل، [والعرب تقول: لا أفعل بمعنى لم يفعل][١].

قال زهير[٢]:

وكان طوى كشحاً على مستكنه ... فلا هو أبداها ولم تتقدم

أي فلم[٣] يبدها.

ثم قال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ[٤] مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾ [البلد: ١٢] يقوله[٥] للنبي ﷺ: أي لم تكن تدري حتى أعلمك ما العقبة: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣﴾ أي: عتق رقبة من الرق: ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤﴾ مجاعة ﴿أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ۝١٦﴾ [البلد: ١٦] يعني اللاصق بالتراب من الحاجة في تفسير الحسن[٦].

وقال سفيان بن عيينة: كل شيء [قال][٧] فيه: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ [الحاقة: ٣، المدثر: ٢٧] فإنه أخبر به، وكل شيء فيه[٨]: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ [الأحزاب: ٦٣، الشورى: ١٧] فإنه لم يخبر به.

[وخرّج الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد في كتاب مكارم الأخلاق عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لأن أجمع أناساً من أصحابي على صاع من طعام أحب إلي من أن أخرج إلى السوق فأشتري نسمة[٩] فأعتقها][١٠]، والله أعلم[١١].

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م).
(٢) في ديوانه ص(١١٠) مع شرح حجر عاصي.
(٣) في (الأصل): فكم، والتصويب من (ع، ظ، م).
(٤) في (الأصل): ﴿وَمَا أَدْرِيكَ﴾ وما أثبته من (ع، ظ، م).
(٥) من هذا الموضع إلى قوله تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ سقط في (ع).
(٦) ذكره الطبري في تفسيره ٣٠/ ٢٠٥ من قول ابن عباس وعكرمة.
(٧) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م).
(٨) في (ع، ظ): كل شيء قال فيه.
(٩) في (ظ): بثمنه نفساً.
(١٠) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م).
(١١) (والله أعلم): ليست في (ع، ظ، م).

باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]

الوَقود: بفتح الواو على وزن الفَعول بفتح الواو: الحطب، وكذلك الطَّهور: اسم للماء، والسَّحور: اسم للطعام، وبضم الفاء: اسم للفعل، وهو المصدر، والناس عموم، ومعناه: الخصوص، فيمن سبق عليه القضاء أنه يكون حطباً لها ـ أجارنا الله منها ـ [قال: حطب النار شباب وشيوخ وكهول ونساء عاريات قد طال منهن العويل](١).

ابن المبارك(٢) عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يظهر هذا الدين حتى يجاوز(٣) البحار، وحتى تخاض البحار بالخيل في سبيل الله تبارك وتعالى، ثم يأتي أقوام يقرؤون القرآن فإذا قرؤوه(٤) قالوا: من أقرأ منا؟ من أعلم منا؟ ثم التفت إلى أصحابه، فقال: هل ترون في أولئكم من خير؟ قالوا: لا، قال: أولئك منكم، وأولئك من هذه الأمة، وأولئك هم وقود النار. خرجه عن موسى بن عبيدة عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن ابن الهاد(٥) [١٦٤/أ] عن العباس بن عبد المطلب فذكره».

والحجارة: هي حجارة الكبريت، خلقها الله تعالى عنده كيف شاء أو كما شاء عن ابن مسعود وغيره(٦)، وذكره **ابن المبارك**(٧) عن عبد الله بن مسعود. وخصت بذلك لأنها تزيد على جميع(٨) الأحجار بخمسة أنواع من العذاب: سرعة الإيقاد، ونتن الرائحة، كثرة الدخان، شدة الالتصاق بالأبدان، قوة حرها إذا حميت.

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م).

(٢) في الزهد له ص(١٥٢)، ح٤٥٠؛ والطبراني في الأوسط ٢٢١/٦، ح٦٢٤٢؛ والبزار في مسنده ١٤٩/٤، ح١٣٢٣.

(٣) في (الأصل): لا يجاوز، والتصويب من (ع، ظ، م، الزهد).

(٤) في (الأصل، ظ): قرؤوا، والتصويب من (ع، م، الزهد).

(٥) هكذا في الأصل و(ع، ظ، الزهد)، وفي (م): يزيد بن الهاد، وفي (تقريب التهذيب): يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد الليثي، ص(١٠٧٧)، رقم ٧٧٨٨.

(٦) ذكره ابن كثير في تفسيره عن عدد من الصحابة منهم ابن مسعود رضي الله عنه ٦٢/١.

(٧) في الزهد (الزوائد) ص(٨٨)، ح٣٠٧. (٨) (جميع): ليست في (ظ).

وقيل: المراد بالأحجار: الأصنام، كقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] أي حطب، وهو ما يلقى في النار مما تذكى به، وعليه فتكون الحجار والناس[١] وقوداً للنار على التأويل الأول، وعلى التأويل الثاني يكونون معذبين بالنار والحجارة.

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «كل مؤذٍ في النار»[٢]، وفي تأويله وجهان:

أحدهما: أن كل من آذى الناس في الدنيا عذبه الله في الآخرة بالنار.

الثاني: إن كل ما يؤذي في الدنيا من السباع والهوام وغيرهما[٣] في النار معد لعقوبة أهل النار.

وذهب بعض أهل التأويل إلى هذه النار المخصوصة بالحجارة: هي نار الكافرين خاصة [والله أعلم][٤].

باب تعظيم جسد الكافر وأعضائه بحسب اختلاف كفره وتوزيع العذاب على العاصي المؤمن بحسب أعمال[٥] الأعضاء

مسلم[٦] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع».
الترمذي[٧] عنه[٨] عن النبي ﷺ قال: «إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً

---

(١) في (ظ): وعليه تكون الحجارة والناس.
(٢) قال ابن كثير: هذا الحديث ليس بمحفوظ ولا معروف، تفسير القرآن العظيم ١/ ٦٢، قال الألباني: موضوع، انظر: ضعيف الجامع الصغير ص(٦١٧)، ح٤٢٤٨.
(٣) في (ع): وغيرها، وفي (ظ): وغيره، والأصل متوافق مع (م).
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م).
(٥) في (الأصل): عمل، وما أثبته من (ع، ظ، م).
(٦) في صحيحه ٤/ ٢١٨٩)، ح٢٨٥١.
(٧) في جامعه ٤/ ٧٠٣، ح٢٥٧٧، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح الترمذي ٢/ ٣٢١.
(٨) (عنه) ليست في (ع)، والضمير يرجع إلى أبي هريرة رضي الله عنه.

وإن ضرسه مثل أحد وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة». قال: هذا حديث حسن [صحيح][١] غريب من حديث الأعمش.

وفي رواية[٢]: «وفخذه مثل البيضاء، ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة»، أخرجه عن صالح مولى التوأمة[٣] عن أبي هريرة ﷺ، وقال: هذا حديث حسن غريب.

وقال: مثل[٤] الربذة: يعني به كما بين مكة والمدينة، والبيضاء جبل.

ابن المبارك[٥] أخبرنا يونس عن الزهري عن سعيد بن المسيب [عن أبي هريرة][٦] ﷺ قال: «ضرس الكافر يوم القيامة أعظم من أحد يعظمون لتمتلئ منهم وليذوقوا العذاب».

أخبرنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن سعيد المقبري عن أبي هريرة ﷺ قال: ضرس الكافر مثل أحد، وفخذه مثل البيضاء، وجبينه مثل الورقان، ومجلسه من النار كما بيني وبين الربذة، وكثف بصره سبعون ذراعاً وبطنه مثل إضم[٧] [١٦٤/ب].

إضم: بكسر الهمزة[٨]، قاله الجوهري[٩].

قلت: والورقان جبل بالمدينة، كما روي عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «فلما تجلى ربه للجبل صار بعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاثة

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م، الترمذي).
(٢) أخرجها الترمذي في جامعه ٤/٧٠٣، ح٢٥٧٨؛ قال الألباني: حديث حسن، صحيح الترمذي له ٢/٣٢١.
(٣) في (الأصل، ع، ظ): التومة، وفي (م): التوءمة، وما أثبته من مصدر المؤلف والتقريب ص(٤٤٨)، رقم ٢٩٠٨.
(٤) في (ظ): مثلي.
(٥) في الزهد (الزوائد) ص(٨٧)، ح٣٠٣.
(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م، الزهد).
(٧) رواه ابن المبارك في الزهد ١/٨٧، ح٣٠٤؛ وأحمد في المسند ٢/٣٣٤، ح٨٣٩١.
(٨) في (ع): بالكسر جبل، وفي (ظ): بالكسر، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.
(٩) في الصحاح ٥/١٨٦٢.

بمكة: ثور وثبير وحرى، وبالمدينة: أحد، وورقان، ورضوى»[١].

قال **ابن المبارك**[٢]: أخبرنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بصر جلد الكافر[٣] يعني غلظ جلده سبعون ذراعاً، وضرسه مثل أحد في سائر خلقه».

وذكر عن عمرو بن ميمون: أنه يسمع بين جلد الكافر ولحمه وجسده دوي كدوي الوحش[٤].

الترمذي[٥] عن أبي المخارق عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطؤه الناس».

مسلم[٦] عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم تأخذه [النار][٧] إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حُجزته، ومنهم من تأخذه [النار][٨] إلى ترقوته»، وفي رواية[٩]: حقويه مكان حجزته..

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس ٣/ ١٥٠، ح٤٤٠٧.

(٢) في الزهد ١/ ٨٧، ح٣٠٥؛ وروى نحوه أحمد في المسند ٢/ ٢٦، ح٤٨٠٠.

(٣) في (الأصل): نص الكافر، وهو تصحيف، وفي (ع، ظ): بصر الكافر، وما أثبته من (م، ومصدر المؤلف).

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد ١/ ٨٨، ح٣١١؛ وروى نحوه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ١٥٧، ح٣٤٩٤٦.

(٥) في جامعه ٤/ ٧٠٤، ح٢٥٨٠، قال الترمذي بعد روايته للحديث: هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه، وأبو المخارق ليس بمعروف؛ وقال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف الترمذي ص(٣٠٢)، ح٤٧٤.

(٦) في صحيحه ٤/ ٢١٨٥، ح٢٨٤٥.

(٧) ما بين المعقوفتين من (ع، صحيح مسلم).

(٨) ما بين المعقوفتين من (صحيح مسلم).

(٩) في صحيح مسلم بنفس التخريج السابق.

فصل

هذا الباب يدلك على أن كفر من كفر فقط ليس ككفر من كفر وطغى وتمرد وعصى، ولا شك أن في النار الكفار في عذاب جهنم[١] متفاوتون، كما قد علم من الكتاب والسنة، ولأنا نعلم[٢] على القطع والبتات أنه ليس عذاب من قتل الأنبياء والمسلمين وفتك فيهم وأفسدوا في الأرض وكفر مساوياً لعذاب من كفر فقط وأحسن للأنبياء والمسلمين ألا ترى أبا طالب كيف أخرجه النبي ﷺ إلى ضحضاح لنصرته إياه وذبه عنه وإحسانه إليه، وحديث مسلم عن سمرة يصح أن يكون في الكفار بدليل حديث أبي طالب يصح[٣] أن يكون فيمن يعذب من الموحدين إلا أن الله تعالى يميتهم إماتة حسب ما تقدم بيانه، والله أعلم.

وفي خبر كعب الأحبار: يا مالك مُر النار لا تحرق ألسنتهم فقد كانوا يقرؤون القرآن، يا مالك قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم، فالنار أعرف بهم وبمقدار استحقاقهم من الوالدة بولدها، فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه[٤] إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى سرته، ومنهم من تأخذه النار إلى صدره، وذكر الحديث، ويأتي[٥] بكماله إن شاء الله تعالى.

[وذكره القتبي في عيون الأخبار له[٦] مرفوعاً عن أبي هريرة أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إن الله إذا قضى بين خلقه، وزادت حسنات العبد دخل الجنة، وإن استوت حسناته وسيئاته حبس على الصراط أربعين سنة ثم بعد ذلك يدخل الجنة، وإن زادت سيئاته على حسناته دخل النار من باب التوحيد،

(١) في (ع): ولا شك في أن الكفار في عذاب جهنم، وفي (ظ): ولا شك أن الكفار في جهنم.
(٢) في (الأصل): ولا نعلم، والتصويب من (ع، ظ).
(٣) في (ع، ظ): ويصح.
(٤) في (ع، ظ): من تأخذه النار.
(٥) ص(٨٨٦).
(٦) (له): ليست في (ظ).

فيعذبون في النار على قدر أعمالهم فمنهم من تنتهي به النار إلى كعبيه، ومنهم من تنتهي[١] إلى ركبتيه، ومنهم من تنتهي النار إلى وسطه.. وذكر الحديث.

وذكر الفقيه ابن برّجان: أن حديث مسلم في معنى قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأحقاف: ١٩]، قال: وأرى والله أعلم أن هؤلاء الموصوفين في هذا الحديث أهل التوحيد، فإن الكافر لا تعاف النار منه شيئاً وكما اشتمل في الدنيا على الكفر تشمله النار في الآخرة قال الله تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦] أي أن ما فوقهم ظلل لهم وما تحتهم ظلل لمن تحتهم][٢].

باب منه

ابن ماجه[٣] عن الحارث بن أقيش[٤] ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أمتي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من مضر، وإن من أمتي من يعظم للنار حتى [١٦٥/أ] يكون أحد زواياها».

باب ما جاء في شدة عذاب أهل المعاصي وأذيتهم أهل النار بذلك

مسلم[٥] عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون».

وذكره قاسم بن أصبغ من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال

---

(١) في (ظ): تنتهي النار.

(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م).

(٣) في سننه ١٤٤٦/٢، ح٤٣٢٣؛ وأحمد في مسنده ٣١٢/٥، ح٢٢٢١٧؛ والطبراني في الكبير ٢٢٦/٣، ح٣٣٦٣ صححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٤٣٤/٢، ح٣٤٩٠.

(٤) في (الأصل، ظ): قيس، وفي (ع): أقيس، والتصويب من (م، وسنن ابن ماجه، ومسند أحمد).

(٥) في صحيحه ١٦٧٠/٣، ح٢١٠٩؛ والبخاري في صحيحه ٢٢٢٠/٥، ح٥٦٠٦.

رسول الله ﷺ: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبياً أو قتله نبي أو مصور يصور التماثيل»[١].

وذكره أبو عمر ابن عبد البر وابن ماجه[٢] وابن وهب من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالماً لم ينفعه الله بعلمه»[٣] في إسناده عثمان بن مقسم البري، لم يرفعه غيره، وهو ضعيف الحديث، معتزلي المذهب، ليس حديثه بشيء، قاله أبو عمرو.

وذكر ابن وهب قال: وحدثنا ابن زيد قال: يقال: إنه ليؤذي أهل النار نتن فروج الزناة يوم القيامة.

ابن المبارك[٤] أخبرنا موسى بن علي بن رباح قال: سمعت أبي يذكر عن بعض من حدث قال: ثلاثة في النار قد آذوا أهل النار، وكل النار في أذى، رجال مغلقة عليهم توابيت من نار وهم في أصل الجحيم فيصيحون حتى تعلو أصواتهم أهل النار، فقال لهم أهل النار ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا؟ قالوا: كنا متكبرين، ورجال قد شقت بطونهم يسحبون أمعاءهم في النار فقال لهم أهل النار ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا؟ قالوا: كنا نقتطع حقوق الناس بأيماننا وأماناتنا، ورجال يسعون بين الحميم والجحيم[٥] لا يقرون، قيل لهم: ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا؟ قالوا: كنا نسعى بين الناس بالنميمة.

أخبرنا إسماعيل بن عياش، قال: حدثني ثعلب بن مسلم عن أيوب بن بشير العجلي عن شفي بن ماتع الأصبحي ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: أربعة يؤذون أهل النار في النار على ما بهم من الأذى يسعون بين الجحيم والحميم

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٢١١/١٠، ح١٠٤٩٧.
(٢) لم أجده في سنن ابن ماجه، وليس في التمهيد لابن عبد البر.
(٣) قال الألباني: ضعيف الإسناد جداً، سلسلة الأحاديث الضعيفة ١٣٨/٤، ح١٦٣٤.
(٤) في الزهد (الزوائد) ص(٩٣)، ح٣٢٧.
(٥) من هذا الموضع إلى قوله: يسعون بين الجحيم والحميم سقط في (ظ).

يدعون بالويل والثبور، يقول أهل النار بعضهم لبعض: ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى؟ قال: فرجل مغلق عليه تابوت من جمر، ورجل يجر أمعاءه، ورجل يسيل فوه قيحاً ودماً، ورجل يأكل لحمه، قال: فيقال لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ قال: فيقول: إن الأبعد مات[١] وفي عنقه أموال الناس لم يجد [١٦٥/ب] قضاءها[٢] أو قال: وفاء، ثم يقال للذي يجر أمعاءه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ قال: فيقول: إن الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول منه ثم لا يغسله. ثم يقال للذي يسيل فوه قيحاً ودماً: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ قال: فيقول: إن الأبعد كان ينظر[٣] إلى كل كلمة قذعة خبيثة يستلذها ويستلذ الرفث بها فيذيعها، ثم يقال للذي يأكل لحمه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ قال: فيقول: إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس ويمشي بالنميمة، [خرجه أبو نعيم الحافظ[٤]، وقال: تفرد به إسماعيل بن عياش، وشقي مختلف فيه، فقيل له صحبة][٥].

قلت: وقد تقدم[٦] حديث البخاري الطويل عن سمرة بن جندب وحديث ابن عباس وأبي هريرة وابن مسعود ﷺ في باب ما يكون منه عذاب القبر، وحديث أبي هريرة في الذين تسعر بهم النار وغير ذلك مما تقدم في معنى هذا الباب فتأمل ذلك.

وتقدم[٧] أن من اذّان أموال في غير سفه ولا إسراف[٨] ولم يجد قضاءه ونيته الأداء [ومات][٩] أن الله تعالى لا يحبسه عن الجنة ولا يعذبه، بل يرضي

---

(١) في (ع): قد مات.
(٢) في (ع، ظ): قضاء، وفي (الزهد): فضلاً.
(٣) في (الأصل): يتقل، والتصويب من (ع، ظ، م).
(٤) في (الحلية): ٥/١٦٧.
(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م).
(٦) ص(٣٩٣ ـ ٣٩٤).
(٧) ص(٤٣٣).
(٨) في (ع): سرف.
(٩) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م).

عنه خصمه إن شاء الله ويكون الجميع في رحمته بكرمه وفضله، فأما من أدانها لينفقها في المعاصي ثم لم يقدر على الأداء فلعله الذي يعذب، والله أعلم(١).

باب منه [وفي عذاب من عذب الناس في الدنيا](٢)

أبو داود الطيالسي(٣) قال: أخبرنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي نجيح عن خالد بن حكيم عن خالد بن الوليد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة أشدهم عذاباً للناس في الدنيا».

خرجه **البخاري في التاريخ**(٤) فقال: ثنا علي ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن أبي نجيح عن خالد بن حكيم بن حزام أن أبا عبيدة تناول رجلاً من أهل الأرض فكلمه خالد بن الوليد فقالوا: غضب(٥) الأمير، قال: لم أرد غضبك(٦)، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة أشدهم عذاباً للناس في الدنيا»، [خرجه **مسلم**(٧) بمعناه من حديث هشام بن حكيم بن حزام أنه مر على أناس من الأنباط(٨) بالشام قد أقيموا في الشمس، فقال: ما شأنهم؟ قالوا: حبسوا في الجزية، فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله ﷻ يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا»](٩).

باب في عذاب من أمر بالمعروف ولم يأته ونهى عن المنكر وأتاه وذكر الخطباء وفيمن خالف قوله فعله [وفي أعوان الظلمة كلاب النار](١٠)

البخاري(١١) عن أسامة بن زيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) (والله أعلم): ليست في (ظ).
(٢) ما بين المعقوفتين من (ع).
(٣) في مسنده ص(١٥٨)، ح١١٥٧.
(٤) في التاريخ الكبير ٣/ ١٤٣.
(٥) في (ع، التاريخ): أغضبت.
(٦) في (ع): غضبه، وفي (التاريخ): أغضبك.
(٧) في صحيحه ٤/ ٢٠١٨، ح٢٦١٣.
(٨) في (الأصل): بالأنباط، وما أثبته من (ع، ظ، صحيح مسلم).
(٩) ما بين المعقوفتين من (ع).
(١٠) ما بين المعقوفتين من (ع).
(١١) في صحيحه ٦/ ٢٦٠٠، ح٦٦٨٥.

«يجاء برجل فيطرح في النار فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه[1]، فيطيف به أهل النار فيقولون: أي فلان ألست كنت تأمر بالمعروف [١٦٦/أ] وتنهى عن المنكر؟ فيقول: كنت آمر بالمعروف ولا أفعله وأنهى عن المنكر وأفعله»، خرجه **مسلم**[2] بمعناه[3] عن أسامة[4] ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك؟ ألم تك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنه عن المنكر وآتيه».

وخرج **أبو نعيم**[5] من حديث مالك بن دينار عن ثمامة عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أتيت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت وَفَتْ[6]، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك، الذين يقولون ولا يفعلون ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون».

وخرجه **ابن المبارك**[7] قال: أخبرنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد قال: سمعت أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي رجالاً تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: خطباء، أي من الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب».

قال[8]: وأخبرنا سفيان عن إسماعيل عن الشعبي قال: يطلع قوم من أهل

---

(١) في (الأصل): برحانه، والتصويب من (ع، البخاري).
(٢) في صحيحه ٤/ ٢٢٩٠، ح٢٩٨٩.
(٣) في (ع، ظ): مسلم أيضاً بمعناه.
(٤) في (ع، ظ): عن أسامة بن زيد.
(٥) في (الحلية): ٢/ ٣٨٦.
(٦) في (الأصل): كلما قرضت عادت وفمت، والتصويب من (ع، ظ، الحلية)، والمعنى: تمت وطالت، انظر: النهاية في غريب الحديث ٥/ ٢١٠.
(٧) في الزهد ١/ ٢٨٢، ح٨١٩؛ وأحمد في المسند ٣/ ١٨٠، ح١٢٨٧٩.
(٨) أي ابن المبارك في الزهد ١/ ٢١، ح٦٤.

الجنة إلى قوم من أهل النار فيقولون: ما أدخلكم النار وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم؟ قالوا: إنا كنا نأمركم بالخير ولا نفعله.

وذكر **أبو نعيم**(١): حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ﷺ قال: حدثني أبي قال: ثنا سيار بن حاتم قال: ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يعافي الأميين يوم القيامة ما لا يعافي العلماء». هذا(٢) حديث غريب، تفرد به سيار بن حاتم عن جعفر، لم نكتبه إلا من حديث أحمد بن حنبل.

[قال أبو إسحاق بن حمزة: ثنا محمد بن علوش بن الحسين الجرجاني، ثنا علي بن المثنى، ثنا يعقوب بن خليفة أبو يوسف الأعشى، حدثني محمد بن مسلم الطائفي، حدثني(٣) إبراهيم بن ميسرة بن طاووس عن عبد الله بن عمرو(٤) قال: قال رسول الله ﷺ: «الجلاوزة والشرط أعوان الظلمة كلاب النار»(٥) غريب من حديث طاووس(٦) تفرد به محمد بن مسلم الطائفي عن إبراهيم بن ميسرة عن طاووس، الجلاوزة جمع جلواز، قال الجوهري(٧): الجلواز الشرطي، والجمع الجلاوز(٨)](٩).

فصل

قال بعض السادة: أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة: رجل ملك عبداً فعلمه شرائع الإسلام فأطاع وأحسن، وعصى السيدُ فإذا كان يوم القيامة أُمر

---

(١) في (الحلية): ٢/٣٣١؛ والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ٤/٤٢٨ ـ ٤٢٩، وقال بعده: قال أبي: هذا حديث منكر.

(٢) (هذا): ليست في (ع).

(٣) في (ظ): عن.

(٤) في (كتاب الورع): عمر.

(٥) رواه أبو نعيم في الحلية ٤/٢١؛ وأورده أحمد بن حنبل في كتاب الورع ١/٩٣ بنحوه.

(٦) من قوله تفرد به إلى قوله: عن طاووس، من (ظ، والحلية).

(٧) في الصحاح ٣/٨٦٩.

(٨) في (الصحاح): الجلاوزة.

(٩) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

بالعبد إلى الجنة وأمر بسيده إلى النار، فيقول عند ذلك: واحسرتاه واغبناه، أما هذا عبدي، أما كنت مالكاً لمهجته وماله، وقادراً على جميع ماله، فما له سعد وما لي شقيت؟ فيناديه الملك الموكل به: لأنه تأدب وما تأدبت، وأحسن وأسأت، ورجل كسب مالاً فعصى الله تعالى في جمعه ومنعه ولم يقدمه بين يديه حتى صار إلى وارثه فأحسن في إنفاقه وأطاع الله سبحانه في إخراجه وقدمه بين يديه، فإذا كان يوم القيامة أمر [١٦٦/ب] بالوارث إلى الجنة، وأمر بصاحب المال إلى النار، فيقول: يا[١] حسرتاه واغبناه، أما هذا مالي فما أحسنت[٢] به أحوالي وأعمالي فيناديه الملك الموكل به: لأنه أطاع الله وما أطعت وأنفق لوجهه وما أنفقت، فسعد وشقيت، ورجل علّم قوماً ووعظهم فعملوا بقوله ولم يعمل، فإذا كان يوم القيامة أمر بهم إلى الجنة وأمر به إلى النار، فيقول: يا[٣] حسرتاه واغبناه، أما هذا علمي فما لهم فازوا به وما فزت؟ وسلموا به وما سلمت؟ فيناديه الملك الموكل به: لأنهم عملوا بما قلت وما عملت، فسعدوا وشقيت، ذكره أبو الفرج [بن][٤] الجوزي رحمه الله تعالى.

فصل

قال إبراهيم النخعي[٥]: إني لأكره القصص لثلاث آيات، وقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية[البقرة: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝﴾ [الصف: ٢ - ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨].

قلت: وألفاظ هذه الآيات تدل مع ما ذكرناه من الأحاديث على أن عقوبة من كان عالماً بالمعروف وبالمنكر وبوجوب القيام بوظيفة كل واحد منهما أشد ممن لم يعلمه، وإنما ذلك؛ لأنه كالمستهين[٦] بحرمات الله

(١) في (ع، ظ): وا.
(٢) في (ع، ظ): حسّنت.
(٣) في (ع): وا.
(٤) ما بين المعقوفتين من (ظ).
(٥) ذكر قوله ابن كثير في تفسيره ١/ ٨٧.
(٦) في (الأصل): كالممتهن، والتصويب من (ع، ظ).

ومستخف لأحكامه، وهو ممن لم ينتفع بعلمه وقد قال رسول الله ﷺ: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه»(١).

وروى أبو أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم يجرون قصبهم في نار جهنم(٢)، فيقال لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن الذين كنا نأمر الناس بالخير وننسى [أنفسنا](٣)»(٤).

وقوله: تندلق أي تخرج، والاندلاق: الخروج بسرعة، يقال: اندلق السيف خرج من غمده، وروينا فتنفلق بدل فتندلق.

والأقتاب: الأمعاء، واحدها: قتب [بكسر القاف](٥). وقال الأصمعي: واحدها قتبة، ويقال لها أيضاً: الأقصاب واحدها قصب، قاله أبو عبيد(٦). وقال ﷺ: «رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار وهو أول من سيَّب السوائب»(٧).

[فصل](٨)

قلت: إن قال قائل: قد تقدم(٩) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن من ليس من أهل النار إذا دخلوها احترقوا فيها، وماتوا على ما ذكرتموه(١٠) في أصح القولين، وهذه الأحاديث التي جاءت في العصاة بخلافه فكيف الجمع بينهما؟

قيل له: الجمع بينهما ممكن، وذلك والله أعلم أن أهل النار الذين هم أهلها كما قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

---

(١) في (ع): وقد تقدم. ص(٨٨٨).
(٢) في (ظ): في النار.
(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٤) لم أقف على من أخرجه.
(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٦) في غريب الحديث ٢/ ٣١.
(٧) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ١٢٩٧، ح٣٣٣٣؛ ومسلم ٤/ ٢١٩٢، ح٢٨٥٦.
(٨) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٩) ص(٧٦٩).
(١٠) في (ظ): كما ذكرتموه.

قال الحسن[١]: تنضجهم النار في اليوم سبعين ألف مرة[٢].

والعصاة بخلاف هؤلاء فيعذبون وبعد ذلك يموتون وقد تختلف أحوالهم [١٦٧/أ] في طول التعذيب بحسب جرائمهم وآثامهم.

وقد قيل: إنه يجوز أن يكونوا[٣] متألمين حالة موتهم، غير أن الألم يكون أخف من ألم الكفار[٤]؛ لأن آلام المعذبين وهم موتى أخف من عذابهم وهم أحياء، دليله قوله ﷻ في قصة آل فرعون[٥]: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر: ٤٦][٦] فأخبر أن عذابهم إذا بعثوا أشد من عذابهم وهم موتى، ومثله ما جاء في حديث البراء من قول الكافرين: «رب لا تقم الساعة، رب لا تقم الساعة»[٧]؛ لأنه[٨] يرى أن ما يخلص له من عذاب الآخرة أشد مما هو فيه والله أعلم، وقد يكون ما جاء في الخطباء هو عذابهم في القبور في أعضاء مخصوصة كغيرهم كما في حديث سمرة الطويل على ما تقدم[٩] والله أعلم، [وقد يحتمل أن يُجمع لهم الأمران لعظيم[١٠] ما ارتكبوه من مخالفة قولهم فعلهم فنعوذ بالله من ذلك][١١].

باب ما جاء في طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم

قال الله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ﴾ [الحج: ١٩]، وقال: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ﴾ [إبراهيم: ٥٠]، وقال: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ

---

(١) في (الأصل): في قوله تعالى، وليست في (ع، ظ)، وما أثبته هو الصواب.
(٢) ذكره الطبري في تفسره ٥/١٤٢.
(٣) في (الأصل): أن يكون، والتصويب من (ع، ظ).
(٤) في (ع، ظ): غير أن آلامهم تكون أخف من آلام الكفار.
(٥) (في قصة آل فرعون): ليست في (ع، ظ).
(٦) وفي (ع، ظ): قبلها آية: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾.
(٧) أخرجه أحمد في المسند ٤/٢٨٧، ح١٨٥٥٧.
(٨) (لأنه): ليست في (ع، ظ).
(٩) ص(٣٩٦).
(١٠) في (ظ): لعظم.
(١١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٤٤]، وقال: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ أي نوماً ﴿وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النبأ: ٢٤ ـ ٢٦]، وقال: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ[1] وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾. وقال عز من قائل: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾ [الغاشية: ٥ ـ ٦]، وقال: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الحاقة: ٣٥ ـ ٣٦]، قال الهروي[2]: معناه: صديد أهل النار وما ينغسل ويسيل من أيديهم.

قلت: وهو الغساق أيضاً، ذكره ابن المبارك[3]: أخبرنا سفيان عن منصور عن إبراهيم وأبي رزين في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾﴾ [ص: ٥٧] قالا: ما يسيل من صديدهم.

وقيل: الغساق[4]: القيح الغليظ المنتن.

وذكر ابن وهب عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: الغساق: القيح الغليظ لو أن قطرة منه تهراق [في المغرب أنتنت أهل المشرق، ولو أنها تهراق][5] في المشرق أنتنت أهل المغرب[6].

وقيل: الغساق: الذي لا يستطاع من شدة برده وهو الزمهرير[7].

وقال كعب: الغساق: عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة فتستنقع، ويؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة فيسقط جلده ولحمه عن العظام، فيجر لحمه في كعبيه كما يجر الرجل ثوبه[8].

﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النبأ: ٢٦] أي وافق أعمالهم الخبيثة.

واختلف في الضريع: فقيل[9]: هو نبت ينبت في الربيع، فإذا كان في

---

(١) في (الأصل): الوجوه، والتصويب من المصحف و(ع، ظ) والآية من سورة الكهف ٢٩.
(٢) في الغريبين له ٤/ ١٣٧٤.
(٣) في الزهد (الزوائد) ص(٨٥)، ح٢٩٧.
(٤) (الغساق): ليست في (ع).
(٥) ما بين المعقوفتين من (ظ، وتفسير الطبري).
(٦) ذكره الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٧٧.
(٧) ذكره الطبري في تفسيره ٣٠/ ١٤.
(٨) ذكره الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٧٧.
(٩) في (ظ): فقد قيل.

الصيف يبس، فاسمه إذا كان عليه ورقه: شبرق، وإذا [١٦٧/ب] تساقط ورقه فهو الضريع، فالإبل تأكله خضراً[1] فإذا يبس لم تذقه. وقيل: هو الشوكة. وقيل: حجارة. وقيل: الزقوم[2].

وقيل: واد في جهنم. والله أعلم.

وقال المفسرون: إن[3] شجرة الزقوم في الباب السادس، وأنها تحيى بلهيب النار كما تحيى الشجرة ببرد الماء، فلا بد لأهل النار من أن ينحدر إليها من كان فوقها فيأكلون منها.

وقال أبو عمران الجوني في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤﴾ قال: بلغنا أن ابن آدم لا ينتهش منها نهشة إلا نهشت منه مثلها[4].

والمهل: ما كان ذائباً من الفضة والنحاس[5].

قيل: المهل، عكر الزيت الشديد السواد[6].

قوله تعالى: ﴿يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ۝٤٦﴾ [الدخان: ٤٥ ـ ٤٦] يعني الماء الشديد الحر.

باب منه وما جاء أن أهل النار يجوعون ويعطشون وفي دعائهم وإجابتهم

قال الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠] الآية[7].

---

(١) (تساقط ورقه فهو الضريع، فالإبل تأكله خضرا): ليست في (ع، ظ).
(٢) انظر: هذه الأقوال في تفسير الطبري ٣٠/ ١٦١ ـ ١٦٢.
(٣) (إن): ليست في (ع).
(٤) ذكره أبو نعيم في الحلية ٢/ ٣١٤.
(٥) الطبري في تفسيره ١٥/ ٢٤٠.
(٦) الطبري في تفسيره عن مجاهد ١٥/ ٢٤٠.
(٧) (الآية): ليست في (ظ).

البيهقي عن محمد بن كعب القرظي قال: لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في أربع، فإذا كان في الخامسة لم يتكلموا بعدها أبداً فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١]، فيجيبهم الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر: ١٢]، ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]، فيجيبهم الله تعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [السجدة: ١٤].

ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا[1] إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾، فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧] فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾، ويقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦]، فيجيبهم الله تعالى: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] فلا يتكلمون بعدها أبداً.

وخرجه ابن المبارك بأطول من هذا فقال: أخبرنا الحكم بن عمر بن أبي ليلى أحد بني عامر قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: بلغني أو ذكر [لي][2]: أن أهل النار استغاثوا بالخزنة فقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ [غافر: ٤٩] [فسألوا يوماً واحداً يخفف عنهم فيه العذاب][3] فردت عليهم الخزنة: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم [١٦٨/أ] بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ﴾ فردت عليهم الخزنة: ﴿فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٥٠]، قال: فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا مالكاً وهو عليهم[4] وله مجلس في وسطها، وجسور تمر عليها ملائكة

---

(١) في (الأصل): أخرجنا، والتصويب من المصحف و(ع، ظ) [والآية في سورة إبراهيم ٤٤].
(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م).   (٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م).
(٤) في (الأصل): عليم، والتصويب من (ع، ظ، م).

العذاب فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها، فقالوا: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، [قال][(١)] سألوا الموت، قال: فسكت عنهم لا يجيبهم ثمانين سنة، قال: والسنة ستون وثلاثمائة يوم والشهر ثلاثون يوماً واليوم كألف سنة مما تعدون، ثم لحظ إليهم بعد الثمانين فقال: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]. فلما سمعوا منه ما سمعوا[(٢)] [وأيسوا][(٣)] مما قبله قال بعضهم لبعض: يا هؤلاء إنه قد نزل بكم من البلاء والعذاب ما قد ترون فهلم نصبر، فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الطاعة على طاعة الله فنفعهم الصبر إذ صبروا، فأجمعوا رأيهم الى الصبر فصبروا[(٤)] فطال صبرهم ثم جزعوا فنادوا: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١] أي من منجا، قال: فقام إبليس عند ذلك فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢] قال: فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم، قال: فنودوا: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١٠ ـ ١١] قال: فرد عليهم: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر: ١٢]، قال: فهذه واحدة[(٥)]، فنادوا الثانية: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا﴾ ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ قال: فرد عليهم: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ يقول: لو شئت لهديت الناس أجمعين فلم يختلف منهم أحد: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [السجدة: ١٣ ـ ١٤]، قال: هذه ثنتان، فنادوا الثالثة: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ[(٦)] إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ فرد عليهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م). (٢) (منه ما سمعوا): ليست في (ع).
(٣) في (الأصل): وأهيبوا، والتصويب من (ع، م).
(٤) (فصبروا): ليست في (ظ).
(٥) في (الأصل): الواحدة، والتصويب من (ع، ظ، م).
(٦) في (الأصل): أخرجنا، والتصويب من المصحف، و(ع، ظ، م).

لَكُم مِّن زَوَالٍ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ قال: هذه الثالثة، قال: ثم نادوا الرابعة: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾، قال: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾، ثم مكث عنهم ما شاء الله ثم ناداهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٥] قال: فلما سمعوا صوته[(١)] قالوا: الآن يرحمنا، فقالوا عند ذلك: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ أي الكتاب الذي كتب[(٢)] علينا وكنا قوماً ضالين، ربنا أخرجنا [١٦٨/ب] منها فإن عدنا فإنا ظالمون، فقال عند ذلك: ﴿ٱخْسَـُٔوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾، فانقطع عند ذلك الرجاء والدعاء وأقبل بعضهم على بعض ينبح بعضهم في وجوه[(٣)] بعض وأطبقت عليهم. قال: فحدثني الأزهر بن [أبي][(٤)] الأزهر أنه ذكر له أن ذلك قوله تعالى: ﴿[هَٰذَا][(٥)] يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات: ٣٥ ـ ٣٦].

قال ابن المبارك[(٦)] وحدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة: يذكره عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: إن أهل جهنم يدعون مالكاً فلا يجيبهم أربعين عاماً، ثم يرد عليهم: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾، قال: هانت والله دعوتهم على مالك ورب مالك.

قال: ثم يدعون ربهم فيقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾، قال: فيسكت[(٧)] عنهم قدر

---

(١) في (ظ): كلامه.
(٢) في (الأصل): كتبه، والتصويب من (ع، ظ).
(٣) في (ع، ظ): وجه.
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م، الزهد).
(٥) ما بين المعقوفتين من (المصحف، ع، ظ، م).
(٦) في الزهد (الزوائد) ص(٩١)، ح٣١٩.
(٧) في (ع): فسكت.

الدنيا مرتين، قال: ثم يرد عليهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ قال: فوالله ما نبس[١] القوم بعدها بكلمة وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم، فشبه أصواتهم بصوت الحمير أولها زفير وآخرها شهيق. ومعنى: ما نبس بكلمة، أي ما تكلم، [قال الجوهري[٢]: يقال: ما نبس بكلمة، أي ما تكلم][٣]، وما نبّس أيضاً بالتشديد قال الراجز:

إن كنت غير صايدي فنبِّس[٤]

الترمذي[٥] عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء[٦] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُلقى على أهل النار الجوع مع ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام ﴿مِن ضَرِيعٍ ۝ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝﴾ [الغاشية: ٦ ـ ٧]، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي[٧] غصة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم، فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم، فيقولون: ادعوا خزنة جهنم، فيقولون: ﴿أَوَلَمْ [تَكُ][٨] تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾، قال: فيقولون: ادعوا مالكاً فيقولون: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [قال][٩] فيجيبهم: ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾، قال الأعمش: نبئت[١٠] أن بين[١١]

---

(١) في (ع): نبش، وكذلك في جميع المواضع التي في (ع) جاءت بالشين.
(٢) في الصحاح ٣/٩٨١.
(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٤) من شواهد الجوهري في الصحاح.
(٥) في جامعه ٤/٧٠٧، ح٢٥٨٦، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف الترمذي ص(٣٠٦ ـ ٣٠٧)، ح٤٨٢.
(٦) (عن أبي الدرداء): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م، ومصدر المؤلف).
(٧) في (الأصل): ذا، والتصويب من (ع، ظ، م، مصدر المؤلف).
(٨) ما بين المعقوفتين من (المصحف، ع، ظ، م).
(٩) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م، الترمذي).
(١٠) (نبئت): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م، ومصدر المؤلف).
(١١) في (ع): أن ما بين.

دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام، قال: [فيقولون: ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم، قال][١]: فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ۝١٠٧﴾ قال: فيجيبهم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾، قال: فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك يأخذون[٢] في الزفير والحسرة والويل، رفعه قطبة[٣] بن عبد العزيز عن الأعمش عن شمر بن عطية عن شهر [بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قوله، وليس بمرفوع، وقطبة بن عبد العزيز][٤] وهو ثقة عند أهل الحديث، والناس يوقفونه على أبي الدرداء قوله»[٥].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي [١٦٩/أ] ﷺ قال: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤] قال: «تشويه النار فتقلص شفته العليا[٦] حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته»[٧]. «ولسرادق النار أربعة جدر، كثف كل جدار[٨] مسيرة أربعين سنة ولو أن دلوا من غساق يهرق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا»[٩]. قال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وعنه عن النبي ﷺ في قوله: ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ قال: «كعكر الزيت فإذا قربه إلى وجهه سقطت فروة وجهه»[١٠]. قال أبو عيسى: هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد، ورشدين قد تكلم فيه من قبل حفظه.

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م، الترمذي).
(٢) في (الأصل): يأخذوا، والتصويب من (ع، ظ، الترمذي).
(٣) في (ع): عطية، وليس في (ظ)، وهو طمس في (م)، والأصل متوافق مع الترمذي ومصادر الترجمة، انظر: التقريب ص(٨٠١) رقم ٥٥٨٦.
(٤) ما بين المعقوفتين من (جامع الترمذي).
(٥) هكذا في جميع النسخ، ولعل الصواب: من قوله.
(٦) في (الأصل): العلى، والتصويب من (ع، ظ، م، الترمذي).
(٧) رواه الترمذي في جامعه ٤/٧٠٨، ح٢٥٨٧، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف الترمذي ص(٣٩٩)، ح٦٢١.
(٨) في (الأصل): كل جدار منها، وما أثبته من (ع، ظ، م، مصدر المؤلف).
(٩) رواه الترمذي في جامعه ٤/٧٠٦، ح٢٥٨٣، وضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن الترمذي ص(٣٠٥)، ح٤٨٠.
(١٠) جاءت ضمن الرواية السابقة في جامع الترمذي بالتخريج نفسه.

قلت: وقع في هذا الحديث فروة وجهه وهو شاذ، إنما يقال: فروة رأسه أي جلدته، هذا [هو][(١)] المشهور عند أهل اللغة [وكذا جاء في حديث أبي أمامة][(٢)].

وعن ابن حجيرة[(٣)] عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر، ثم يعاد كما كان»[(٤)]، قال: حديث حسن صحيح غريب.

وعن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ [إبراهيم: ١٦ ـ ١٧]، قال: «يقرب إلى فيه فيكرهه فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه[(٥)] قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره، يقول الله تعالى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]، ويقول: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[(٦)] قال: حديث غريب.

وعن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه»[(٧)]؟ قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، خرجه ابن ماجه[(٨)] أيضاً.

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م).
(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م).
(٣) في (الأصل): ابن حجرة، والتصويب من (ع، ظ، م، مصدر المؤلف).
(٤) أخرجه الترمذي في جامعه ٤/ ٧٠٥، ح٢٥٨٢، ضعفه الألباني، ضعيف الترمذي ص(٣٠٣)، ح٤٧٦.
(٥) في (ع): شرب منه.
(٦) أخرجه الترمذي في جامعه ٤/ ٧٠٥، ح٢٥٨٣، والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٧١، ح١١٢٦٣، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن الترمذي ص(٣٠٥) ح٤٨١.
(٧) في (ع): فكيف بمن طعامه منه، والحديث أخرجه الترمذي في جامعه ٤/ ٧٠٦، ح٢٥٨٤.
(٨) في سننه ٢/ ١٤٤٦، ح٤٣٢٥، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن ابن ماجه ص(٣٥٣)، ح٩٤٤.

باب ما جاء في بكاء أهل النار ومن أدناهم عذاباً فيها

ابن المبارك(١) أخبرنا عمران بن زيد الثعلبي قال: ثنا يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون، فلو أنّ سفناً أجريت فيها لجرت».

خرّجه **ابن ماجه**(٢) [١٦٩/ب] من حديث الأعمش عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع، ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود، لو أرسلت فيها السفن لجرت».

مسلم(٣) عن النعمان بن بشير ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه».

وروي عن أبي موسى الأشعري قال(٤): «إن أهل النار ليبكون الدموع في النار حتى لو أجريت فيها السفن لجرت، ثم إنهم يبكون الدم بعد الدموع ولمثل ما هم فيه فليبك»(٥).

[قال الشيخ ﷺ: وهو يستند من معنى ما تقدم، وفي التنزيل: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة: ٨٢]، وفي **الترمذي**(٦) من

---

(١) في الزهد (الزوائد) ص(٨٥)، ح٢٩٥؛ وأبو يعلى في مسنده ٧/ ١٦١، ح٤١٣٤؛ قال الهيثمي: رواه أبو يعلى، وأضعف من فيه يزيد الرقاشي، المجمع ١٠/ ٣٩١.

(٢) في سننه ٢/ ١٤٤٦، ح٤٣٢٤، قال الألباني: ضعيف، وصح مختصراً دون ذكر قوله: «ثم يبكون الدم» إلى «كهيئة الأخدود»، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٣٤، ح٣٤٩١.

(٣) في صحيحه: ١/ ١٩٦، ح٢١٣.

(٤) في (ظ): موقوفاً أنه قال.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٥٠، ح٣٤١٣١؛ وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢٦١.

(٦) في جامعه ٤/ ٥٥٦، ح٢٣١٣؛ ومالك في الموطأ ١/ ١٨٦، ح٤٤٤؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٨٦، ح٣٤٣٩٣ حسنه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٢٦٨، ح١٨٨٢.

حديث أبي ذر عن النبي ﷺ: «والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»[(١)]، فمن كثر بكاؤه خوفاً من الله تعالى وخشية منه ضحك كثيراً في الآخرة، قال الله تعالى مخبراً عن أهل الجنة: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦]، ووصف أهل النار فقال: ﴿وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَاكِهِينَ ﴿٣١﴾[(٢)]﴾ [المطففين: ٣١]، وقال: ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ[(٣)] تَضْحَكُونَ﴾ وسيأتي[(٤)]][(٥)].

باب لكل مسلم فداء من النار[(٦)] من الكفار

ابن ماجه[(٧)] قال: ثنا جبارة بن المغلس، ثنا عبد الأعلى بن أبي المساور عن أبي بردة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أذن لأمة محمد ﷺ في السجود، فسجدوا طويلاً ثم يقال: ارفعوا رؤوسكم فقد جعلنا عدتكم فداءكم من النار».

حدثنا جبارة بن المغلس ثنا كثير بن سُلَيم[(٨)] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذه الأمة[(٩)] مرحومة؛ عذابها بأيديها، فإذا [كان يوم القيامة][(١٠)] دفع الله[(١١)] إلى كل رجل من المسلمين رجلاً من المشركين،

---

(١) من قوله: وفي الترمذي.. إلى هذا الموضع سقط في (ظ).

(٢) هكذا في (ع، ظ) وهي قراءة الصوري وابن ذكوان بالألف، وقرأ حفص وأبو جعفر من غير ألف ﴿فَكِهِينَ﴾. انظر: إتحاف فضلاء البشر ص(٤٣٥).

(٣) في (ع، ظ): منه، وهو خطأ والتصويب من المصحف سورة المؤمنون: ١١٠.

(٤) ص(٩٠٥).

(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٦) في (ظ): فداء من أهل النار.

(٧) في سننه ٢/ ١٤٣٤، ح٤٢٩١، قال الألباني: ضعيف جداً. انظر: ضعيف سنن ابن ماجه ص(٣٤٩)، ح٩٣٣.

(٨) في (الأصل، ع، ظ): كثير بن سليمان، والتصويب من (سنن ابن ماجه وتهذيب التهذيب): وهو كثير بن سليم الضبي، أبو سلمة المدائني، روى عن أنس بن مالك والضحاك بن مزاحم والحسن البصري. انظر: تهذيب التهذيب ٨/ ٣٧٢، رقم ٧٤٧.

(٩) في (الأصل): أمة، وما أثبته من (ع، ظ، سنن ابن ماجه).

(١٠) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، سنن ابن ماجه).

(١١) (لفظ الجلالة): ليس في (ظ، ابن ماجه).

فقال: هذا فداؤك من النار»[١].

قلت: هذان الحديثان وإن كان إسنادهما ليس بالقوي، قال الدارقطني: جبارة بن المغلس متروك، فإن معناهما صحيح بدليل حديث **مسلم**[٢] عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة دفع الله ﷻ لكل مسلم يهودياً أو نصرانياً، فيقول: هذا فكاكك من النار».

وفي رواية أخرى[٣]: «لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه من النار يهودياً أو نصرانياً. فاستحلفه عمر بن عبد العزيز ﷺ بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات: أن أباه حدثه عن رسول الله ﷺ، قال: فحلف له[٤]».

فصل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: هذه الأحاديث ظاهرها الإطلاق والعموم وليست كذلك، فإنما في ناس مذنبين، تفضل الله عليهم برحمته ومغفرته فأعطى كل واحد منهم فكاكاً من النار من الكفار، فاستدلوا بحديث أبي بردة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى» [١٧٠/أ]، خرجه **مسلم**[٥] عن محمد بن عمرو بن عباد بن جبلة بن أبي رواد قال: حدثني حرمي بن عمارة قال: حدثنا شداد أبو طلحة الراسبي عن غيلان بن جرير عن أبي بردة.

قالوا: ومعنى فيغفرها لهم أي يسقط المؤاخذة عنهم بها حتى كأنهم لم يذنبوا.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه ٢/ ١٤٣٤، ح٤٢٩٢، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٢٧، ح٣٤٦٤.

(٢) في صحيحه ٤/ ٢١١٩، ح٢٧٦٧.

(٣) أخرجها مسلم في صحيحه ٤/ ٢١١٩، ح٢٧٦٧.

(٤) (قال: فحلف له): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.

(٥) في صحيحه ٤/ ٢١٢٠، ح٢٧٦٧.

ومعنى قوله: ويضعها على اليهود والنصارى: أنه يضاعف[(١)] عليهم عذاب ذنوبهم حتى يكون عذابهم بقدر جرمهم وجرم مذنبي المسلمين، لو أخذوا بذلك؛ لأنه تعالى لا يأخذ أحداً بذنب أحد، كما قال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وله سبحانه أن يضاعف لمن يشاء العذاب، ويخفف عمن يشاء بحكم إرادته ومشيئته إذ ﴿لَا يُسْأَلُ[(٢)] عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

قالوا: وقوله في الرواية الأخرى: «لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله تعالى مكانه يهودياً أو نصرانياً»، فمعنى ذلك: أن المسلم المذنب لما كان يستحق مكاناً من النار بسبب ذنوبه وعفا الله عنه وبقي مكانه خالياً منه أضاف الله ذلك[(٣)] المكان إلى يهودي أو نصراني ليعذب فيه زيادة على التعذيب مكانه الذي يستحقه بحسب كفره، ويشهد لهذا قوله ﷺ في حديث أنس للمؤمن الذي يثبت عند السؤال في القبر، فيقال له: «انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به من الجنة».

قلت: قد جاءت أحاديث دالة على أن لكل مسلم مذنباً كان أو غير مذنب منزلين، منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار، وذلك هو معنى قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المؤمنون: ١٠]، أي يرث المؤمنون[(٤)] منازل الكفار ويحصل الكفار في منازلهم في النار على ما يأتي[(٥)] بيانه إن شاء الله تعالى، وهو مقتضى حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أن العبد إذا وضع في قبره الحديث، وقد تقدم[(٦)]، إلا أن هذه الوراثة تختلف، فمنهم من يرث [ولا حساب عليه، ومنهم من يرث][(٧)] بحساب ومناقشة بعد الخروج من النار حسب ما تقدم[(٨)] من أحوال الناس، والله أعلم.

وقد قيل: يحتمل أن يسمى الحصول على الجنة وراثة من حيث حصلوها

---

(١) في (ظ): يضعف.
(٢) (لا يسأل): ليست في (ع).
(٣) (الله ذلك): ليست في (ظ).
(٤) في (الأصل): المذنبون، والتصويب من (ع، ظ).
(٥) ص(٩٢٣).
(٦) ص(٣٤٨).
(٧) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٨) ص(٩٠٦).

دون غيرهم وهو مقتضى قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر: ٧٤] والله أعلم.

باب في قوله تعالى: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]

مسلم[١] عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط، وعزتك وكرمك. ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله تعالى لها خلقاً فيسكنهم فضل [١٧٠/ب] الجنة».

في رواية أخرى: من حديث أبي هريرة ﷺ: «فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله سبحانه عليها رجله فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ وينزوي بعضها إلى بعض [فلا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقاً][٢]»[٣].

فصل

للعلماء في قول النار: (هل من مزيد) تأويلان:

أحدهما: وعدها ليملأها فقال: أوفيتك؟ فقالت: وهل من مسلك؟ أي: قد امتلأت، كما قال: امتلأ الحوض، وقال: قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني.

وهذا تفسير مجاهد[٤] وغيره، وهو ظاهر الحديث.

الثاني: زدني، تقول ذلك غيظاً على أهلها وحنقاً عليهم، كما قال تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨] أي: تنشق، ويبين بعضها من بعض[٥].

(١) في صحيحه ٤/٢١٨٨، ح٢٨٤٨.
(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، مسلم).
(٣) لمسلم في صحيحه ٤/٢١٨٧، ح٢٨٤٦.
(٤) ذكره الطبري في تفسيره ٢٦/١٦٩.
(٥) ذكره الماوردي في تفسيره ٦/٥٣ عن ابن عباس ﷺ وسعيد بن جبير والضحاك.

وقوله: «حتى يضع فيها قدمه»، وفي رواية أخرى: «حتى يضع عليها قدمه»، وفي رواية أخرى: «رجله»، ولم يذكر فيها ولا عليها، فمعناه: عبارة عمن تأخر دخوله من النار من أهلها وهم جماعات كثيرة؛ لأن أهل النار يلقون فيها فوجاً فوجاً، كما قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ [الملك: ٨]، ويؤيده أيضاً قوله في الحديث: «لا يزال يلقى فيها»، فالخزنة تنتظر أولئك المتأخرين إذ قد علموهم بأسمائهم وأوصافهم؛ كما روي عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: «ما في النار بيت ولا سلسلة، ولا مقمع، ولا تابوت إلا وعليه اسم صاحبه»[1]، فكل واحد من الخزنة ينتظر صاحبه [الذي قد عرف اسمه وصفته][2]، فإذا استوفى كل واحد منهم ما أمر به وما ينتظره ولم يبق منهم أحد قالت الخزنة: قط قط، أي حسبنا حسبنا، اكتفينا اكتفينا، وحينئذ تنزوي جهنم على من فيها، وتنطبق إذا لم يبق أحد ينتظر، فعبر عن ذلك الجمع المنتظر بالرجل والقدم لا أن الله ﷻ جسم من الأجسام[3]، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً، والعرب تعبر عن جماعة الناس والجراد بالرجل، فتقول: جاءنا رِجْلٌ من الجراد ورِجْلٌ من الناس أي جماعة منهم، والجمع أرجل، ويشهد لصحة هذا التأويل[4] قوله في نفس الحديث: «ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله تعالى لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة»، وفي الحديث تأويلات أتينا عليها في الأسماء والصفات[5] أشبهها ما ذكرناه والله أعلم.

وفي التنزيل: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢]، قال ابن عباس ﷺ المعنى: منزل صدق.

وقال الطبري: معنى قدم صدق: عمل صالح[6]، وقيل: هو السابقة

---

(١) ذكره بنحوه ابن كثير في تفسيره ٣/ ٥٤١.

(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٣) انظر: التعليق على ذلك ص(٨٣٠).

(٤) في (ع، ظ): ويشهد لهذا التأويل.

(٥) ٢/ ٥٦.

(٦) تفسير الطبري ١١/ ٨٢.

الحسنة[(١)]، فدل على أن القدم ليس حقيقة في الجارحة[(٢)]، والله الموفق.

قال ابن فورك: وقال بعضهم: القدم خلق من خلق الله يخلقه يوم القيامة فيسميه قدماً ويضيفه إليه من طريق الفعل يضعه في النار فتمتلئ النار منه.

قلت: وهذا نحو ما قلناه في الرجل [١٧١/أ].

قال الشاعر:

فمرَّ بنا رِجْلٌ من الناس وانزوى ... إليهم من الحي اليماني أرجل

قبائل من لخم وعك وحِمْيَر ... على ابني نزار بالعداوة أحفل

وقال آخر:

ترى الناس أفواجاً إلى باب داره ... كأنهم رجلاً دباً وجراد

فيوم لإلحاق الفقير بذي الغنى ... ويوم رقاب بوكرت بحصاد

الدبا: الجراد قبل أن يطير.

باب ذكر آخر من يخرج من النار وآخر من يدخل الجنة وفي تعيينه وتعيين قبيلته واسمه

مسلم[(٣)] عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني

---

(١) الطبري في تفسيره ١١/٨٢؛ وتفسير الماوردي ٢/٤٢١.

(٢) قال القاضي أبو يعلى في التأويلات السابقة إنها غلط من وجهين:
أحدهما: أن قوله: «يضع قدمه» هاء كناية، وهاء الكناية ترجع إلى المذكور، والمذكور في الخبر الله سبحانه، وفي لفظ «الجبار» وفي لفظ «رب العزة» فوجب أن يرجع إليه.
الثاني: أن تلك التأويلات تسقط فائدة التخصيص بالنار. وأما قوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ إنما حُمل القدم هنا على السابق من الرسول والثواب؛ لأن في ظاهر اللفظ ما دل عليه وهو قوله سبحانه: ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إنما يبشرون بما سبق لهم من الأعمال، فهناك ما دل على أن المراد بالقدم: السابقة وليس في الخبر - «حتى يضع فيها قدمه» - ما يدل على ذلك، بل فيه ما يدل على خلاف ذلك من الوجه الذي ذكرنا. إبطال التأويلات لأخبار الصفات ١/١٩٨ - ١٩٩.

(٣) في صحيحه ١/١٧٢، ح١٨٦؛ والبخاري في صحيحه ٥/٢٤٠٢، ح٦٢٠٢.

لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة، رجل يخرج من النار حبواً فيقول الله تعالى: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع، فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله تعالى: اذهب فادخل الجنة، [فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع، فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله تعالى: اذهب فادخل الجنة][1]، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا، قال: فيقول: أتسخر بي، أو تضحك بي وأنت الملك؟ قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، قال: فكان يقول: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة».

وعنه[2] أن رسول الله ﷺ قال: «آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة؛ فإذا ما جاوزها التفت إليها[3]، فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً أعطاه أحداً من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة فيقول: أي رب أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله تعالى: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول: لا يا رب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى فيقول: أي رب أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها، فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها ترفع له شجرة عند باب الجنة أحسن من [١٧١/ب] الأوليين، فيقول مثله: قال: فيدنيه منها، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن ما يصريني منك[4]، أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها، فيقول: أي رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين،

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، مسلم).

(٢) أي ابن مسعود رضي الله عنه. (٣) (إليها): ليست في (ع).

(٤) أي ما يقطع مسألتك، ويمنعك من سؤالي، انظر: النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٧.

فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألون مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ فقال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ، فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضحك رب العالمين، فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قادر[1]».

وقال ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة، يقال له: جهينة، يقول أهل الجنة: عند جهينة الخبر اليقين». ذكره الميانشي أبو حفص عمر بن عبد المجيد القرشي في كتاب الاختيار في الملح من الأخبار والآثار، ورواه أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب من حديث عبد الملك بن الحكم قال: حدثنا مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة يقال له: جهينة، فيقول أهل الجنة: عند جهينة الخبر اليقين، سلوه هل بقي من الخلائق أحد»، ورواه الدارقطني في كتاب رواة مالك، ذكره السهيلي.

وقد قيل: إن اسمه هناد، والله أعلم.

فصل

قوله: أتستهزئ مني، وفي رواية: أتسخر؟ والهزو والسخرية بمعنى واحد، وفيه هنا تأويلان:

أحدهما: أنه صدر منه هذا القول عند غلبة الفرح عليه واستخفافه إياه كما غلط الذي قال: «اللهم أنت عبدي وأنا ربك»، خرَّجه مسلم[2].

الثاني: أن يكون معناه أتجازيني على ما كان مني في الدنيا من قلة احتفالي بأعمالي، وعدم مبالاتي بها، فيكون هذا على جهة المقابلة، كما قال تعالى مخبراً عن المنافقين: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤ ـ ١٥] أي ينتقم منهم ويجازيهم على استهزائهم.

---

(١) في (ع): قدير.

(٢) في صحيحه ٤/ ٢١٠٤، ح٢٧٤٧.

والاستهزاء في اللغة: الانتقام.

قال الشاعر:

قد استهزؤوا منهم بألفي مدجج سَراتهم وسط الصحاصح جثم

ومثله: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤] وهو كثير، وسيأتي[1] لبيان الاستهزاء من الله مزيد بيان إن شاء الله تعالى، والضحك من الله ﷻ راجع إلى معنى الرضى عن العبد[2]، فاعلم ذلك.

باب منه، وما جاء في خروج الموحدين من النار [١٧٢/أ] وذكر الرجل الذي ينادي: يا حنَّان يا منَّان، وبيان قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾ [الهمزة: ٨ ـ ٩] وفي أحوال أهل النار

خرّج **الطبراني**[3] أبو القاسم، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثنا محمد بن عباد المكي، حدثنا حاتم بن إسماعيل عن بسام الصيرفي عن يزيد الفقير، عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ناساً من أمتي يدخلون النار بذنوبهم فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا، ثم يُعيرهم أهل الشرك، فيقولون: ما نرى ما كنتم تخالفونا فيه من تصديقكم وإيمانكم نفعكم، فلا يبقى موحد إلا أخرجه الله تعالى من النار، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الحجر: ٢]».

وروى أبو ظِلال عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن عبداً في جهنم ينادي ألف سنة: يا حنان يا منان، فيقول الله تعالى لجبريل: ائت عبدي

---

(١) ص(٩١٢).

(٢) إن كان في إثبات صفة الضحك لله تبارك وتعالى الذي يفر منه المتأولة تشبيهاً بالإنسان فإن في تأويل الضحك بالرضى أيضاً تشبيه بالإنسان؛ لأن الإنسان يرضى ويغضب، فإن قالوا إنما نثبت لله رضى ليس كرضى المخلوق، نقول لهم كذلك يلزمكم أن تثبتوا لله تعالى ضحكاً ليس كضحك المخلوق.

(٣) في معجمه الأوسط ٥/٢٢٣، ح٥١٤٦.

[فلاناً][(١)]، فينطلق جبريل عليه السلام فيرى أهل النار منكبين على وجوههم، قال: فيرجع، فيقول: يا رب لم أره، فيقول تعالى: إنه في مكان كذا وكذا، قال: فيأتيه فيجيء به، فيقول له: يا عبدي كيف وجدت مكانك ومقيلك؟ قال: فيقول: شر مكان، وشر مقيل، قال: فيقول: ردوا عبدي، فيقول: يا رب ما كنت أرجو أن تردني إذ أخرجتني منها، فيقول الله تعالى: دعوا عبدي». أبو ظِلال هذا اسمه: هلال بن أبي مالك القسملي[(٢)]، يعد في البصريين.

[وعن سعيد بن جبير قال: إن في النار لرجلاً أظنه في شعب من شعابها ينادي منذ ألف عام يا حنّان يا منّان، فيقول رب العزة لجبريل: يا جبريل اخرج عبدي من النار، فيأتيها فيجدها مطبقة، فيرجع فيقول: يا رب إنها عليهم مؤصدة، فيقول: يا جبريل ارجع ففكها وأخرج عبدي من النار، فيفكها فيخرج مثل الخيال فيطرحه على ساحل الجنة حتى ينبت الله له شعراً ولحماً ودماً. ذكره أبو نعيم[(٣)]][(٤)].

وروى ليث عن مجاهد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتي»، الحديث، وقد تقدم[(٥)]. وفيه: بعد قوله: «وأطولهم مكثاً من يمكث فيها مثل الدنيا منذ خلقت إلى يوم أفنيت، وذلك سبعة آلاف سنة، ثم إن الله تعالى إذا أراد أن يخرج الموحدين منها قذف في قلوب أهل الأديان، فقالوا لهم: كنا وأنتم[(٦)] جميعاً في الدنيا فآمنتم وكفرنا، وصدقتم وكذبنا، وأقررتم وجحدنا، فما أغنى ذلك عنكم [نحن][(٧)] وأنتم اليوم فيها سواء، تعذبون كما نعذب، وتخلدون كما نخلد،

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٢) في (الأصل): القسميلي، والتصويب من (ع، ظ، تقريب التهذيب). قال ابن حجر: هلال بن أبي هلال أو ابن أبي مالك وهو ابن ميمون وقيل غير ذلك في اسم أبيه أبو ظلال بكسر المعجمة وتخفيف اللام القسملي بفتح القاف وسكون المهملة، البصري ضعيف مشهور بكنيته. تقريب التهذيب ١/ ٥٧٦ رقم الترجمة ٧٣٤٩.

(٣) الحلية لأبي نعيم ٤/ ٢٨٥.

(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٥) ص(٧٨٣).

(٦) في (ظ): كنتم وإيانا.

(٧) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

فيغضب الله تعالى عند ذلك غضباً لم يغضب في شيء فيما مضى، ولا يغضب من شيء فيما بقي، فيخرج أهل التوحيد منها إلى عين بين الجنة والصراط، يقال له: نهر الحياة، فيرش عليهم [من][1] الماء فينبتون كما تنبت الحِبة في حميل السيل، فما يلي الظل منها أخضر وما يلي الشمس منها أصفر، ثم يدخلون الجنة، فيكتب في[2] جباههم عتقاء الله من النار إلا رجلاً واحداً يمكث فيها ألف سنة ثم ينادي يا حنان يا منان، فيبعث الله ملكاً فيخوض في النار في طلبه سبعين عاماً لا يقدر عليه، ثم يرجع [١٧٢/ب] فيقول: إنك أمرتني أن أخرج عبدك فلاناً من النار وإني طلبته في النار منذ سبعين سنة فلم أقدر عليه، فيقول الله تعالى: انطلق فهو في وادي كذا تحت صخرة، فأخرجه، فيذهب فيخرجه منها، فيدخله الجنة، ثم إن الجهنميين يطلبون إلى الله ﷻ أن يمحا عنهم ذلك الاسم فيبعث الله ملكاً فيمحاه عن جباههم، ثم إنه يقال لأهل الجنة ومن دخلها من الجهنميين: اطلعوا إلى أهل النار فيطلعون إليهم، فيرى الرجل أباه، ويرى جاره، ويرى صديقه، ويرى العبد مولاه، ثم إن الله تعالى يبعث إليهم ملائكة بأطباق من نار، ومسامير من نار، وعمد من نار، فيطبق عليهم بتلك الأطباق، وتشد تلك المسامير وتمد بتلك العمد فلا يبقى فيها خلل يدخل فيه روح[3] ولا يخرج منه غم، وينساهم الرحمن على عرشه ويتشاغل أهل الجنة بنعيمهم ولا يستغيثون بعدها أبداً وينقطع الكلام فيكون كلامهم زفير وشهيق، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩﴾، وقال عبد الله بن مسعود ﷺ في عمد أي بعمد، وكذا في مصحفه: إنها عليهم مؤصدة بعمد[4].

وذكر **أبو نعيم الحافظ**[5] عن زاذان قال: سمعت كعب الأحبار يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد [واحد][6]، فنزلت

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٢) في (ظ): على.
(٣) في (ظ): ريح.
(٤) الطبري في تفسيره ٣٠/ ٢٩٥.
(٥) في الحلية ٥/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤.
(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، الحلية).

الملائكة فصاروا صفوفاً، فيقول[١]: يا جبريل ائت بجهنم، فيأتي بها جبريل تقاد بسبعين ألف زمام حتى إذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت لها أفئدة الخلائق، ثم زفرت ثانية فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا لركبتيه[٢]، ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر، وتذهل العقول فيفزع كل امرئ إلى عمله حتى إن إبراهيم الخليل ﷺ يقول: بخلتي نفسي[٣] لا أسألك إلا نفسي، [ويقول موسى، بمناجاتي لا أسألك إلا نفسي][٤]، وأن عيسى ﷺ يقول: بما أكرمتني لا أسألك إلا نفسي، لا أسألك مريم التي ولدتني، ومحمد ﷺ يقول: أمتي أمتي، لا أسألك اليوم نفسي، إنما أسألك أمتي، [قال][٥] فيجيبه الجليل تعالى: إن أوليائي من أمتك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فوعزتي وجلالي لأقرن عينك في أمتك، ثم تقف الملائكة بين يدي الله تعالى ينتظرون ما يؤمرون به، فيقول لهم تعالى وتقدس[٦]: معاشر الزبانية انطلقوا بالمصرين من أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ إلى النار فقد اشتد غضبي عليهم بتهاونهم بأمري في دار الدنيا واستخفافهم بحقي وانتهاكهم حرمتي، يستخفون من الناس ويبارزونني مع كرامتي لهم وتفضيلي إياهم على الأمم ولم يعرفوا فضلي وعظيم نعمتي، فعندها تأخذ الزبانية بلحى الرجال وذوائب النساء فينطلق بهم إلى النار، وما من [١٧٣/أ] عبد يساق إلى النار من غير هذه الأمة إلا مسود وجهه قد وضعت الأنكال في قدميه[٧] والأغلال في عنقه إلا من كان من هذه الأمة فإنهم يساقون بألوانهم، فإذا وردوا على مالك قال لهم: معاشر الأشقياء! من أي أمة أنتم؟ فما ورد علي أحسن وجوهاً[٨] منكم، فيقولون: يا مالك نحن من أمة القرآن، فيقول لهم: معاشر الأشقياء أو

---

(١) في (ظ): فيقول الله تعالى.
(٢) في (ع): على ركبتيه.
(٣) (نفسي): ليست في (الحلية).
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، الحلية).
(٥) ما بين المعقوفتين من (ظ، الحلية).
(٦) في (ظ): وتقدس اسمه.
(٧) في (ع): رجليه.
(٨) في (الأصل): وجهاً، وما أثبته من (ع، ظ، الحلية).

ليس القرآن أنزل على محمد ﷺ؟ قال: فيرفعون أصواتهم بالنحيب والبكاء، فيقولون: وا محمداه، وا محمداه، اشفع لمن أمر به إلى النار [من أمتك، قال:][١] فينادي مالك بتهديد[٢] وانتهار: يا مالك من أمرك[٣] بمعاتبة الأشقياء ومحادثتهم والتوقف عن إدخالهم العذاب، يا مالك لا تسود وجوههم فقد كانوا يسجدون لي في دار الدنيا، يا مالك لا تغلهم بالأغلال فقد كانوا يغتسلون من الجنابة، يا مالك لا تقيدهم بالأنكال فقد طافوا بيتي الحرام، يا مالك لا تلبسهم القطران فقد خلعوا ثيابهم للإحرام، يا مالك مر النار لا تحرق ألسنتهم فقد كانوا يقرؤون القرآن، يا مالك قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم، فالنار أعرف بهم وبمقادير استحقاقهم من الوالدة بولدها، فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى سرته، ومنهم من تأخذه النار إلى صدره، فإذا انتقم الله منهم على قدر كبائرهم وعتوهم[٤] وإصرارهم فتح بينهم وبين المشركين باباً فرأوهم[٥] في الطبق الأعلى من النار لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً، يبكون، ويقولون: يا محمداه، ارحم من أمتك الأشقياء واشفع لهم، فقد أكلت النار لحومهم ودماءهم وعظامهم، ثم ينادون يا رباه يا سيداه ارحم من لم يشرك بك في دار الدنيا وإن كان قد أساء وأخطأ وتعدى، فعندها[٦] يقول المشركون لهم: ما أغنى عنكم إيمانكم بالله وبمحمد، فيغضب الله تعالى لذلك، فعندها يقول: يا جبريل انطلق، فأخرج من في النار من أمة محمد ﷺ، فيخرجهم ضبائر قد امتحشوا، فيلقيهم على نهر على باب الجنة، يقال له: نهر الحيوان، فيمكثون حتى يعودوا أنضر ما كانوا، ثم يأمر بإدخالهم الجنة مكتوب على جباههم: هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن من أمة محمد ﷺ، فيعرفون من بين أهل الجنة

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، الحلية).

(٢) في (الحلية): بتهدد. (٣) في (ظ): أمر.

(٤) في (الأصل): عقوقهم، وما أثبته من (ع، ظ، الحلية).

(٥) في (الأصل): فرادهم، والتصويب من (ع، ظ، الحلية).

(٦) في (ظ): فعند ذلك.

بذلك، فيتضرعون إلى الله تعالى أن يمحو عنهم تلك السمة فيمحوها الله عنهم، فلا يعرفون بها بعد ذلك من أهل الجنة.

وذكر **أبو نعيم**(١) الحافظ أيضاً عن أبي عمران الجوني قال: بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان، وكل من يخاف الناس شره [١٧٣/ب] في الدنيا فيوثقون بالحديد(٢) ثم أمر بهم إلى النار ثم أوصدها عليهم، أي أطبقها، فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرارها أبداً، ولا والله لا ينظرون إلى أديم سماء أبداً، ولا والله لا تلتقي جفونهم(٣) على غمض نوم أبداً، ولا والله لا يذوقون فيها برداً(٤)، ولا شراباً أبداً.

قال: ثم يقال لأهل الجنة: يا أهل الجنة فتحوا اليوم الأبواب فلا تخافوا شيطاناً ولا جباراً، وكلوا واشربوا بما أسلفتم في الأيام الخالية، قال أبو عمران: هي والله يا إخوتاه أيامكم هذه.

فصل

قوله: فيرش عليهم من الماء فينبتون كما تنبت الحبة من حميل السيل، وجاء في حديث أبي سعيد الخدري المتقدم(٥) [ثم يقال](٦): يا أهل الجنة أفيضوا عليهم من الماء، والمعنى واحد، والنبات معروف، وهو خروج الشيء، والحِبّة بكسر الحاء بذور البقول، وحميل السيل ما احتمله من طين [وغثاء](٧)، فإذا اتفق أن يكون فيه حبة فإنها تنبت في يوم وليلة، وهي أسرع نابتة نباتاً، فشبه النبي ﷺ سرعة نبات أجسامهم(٨) بسرعة نبات تلك الحبة، وفي التنزيل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج: ٦٣]، [وقوله: «وأطولهم مكثاً من يمكث فيها مثل الدنيا منذ خلقت إلى

(١) في الحلية ٢/ ٣١٢.
(٢) في (الحلية): في الحديد.
(٣) في (ع): أجفانهم، وفي (الحلية): جفون أعينهم.
(٤) في (ع، الحلية): بارداً.
(٥) ص(٧٦٩).
(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٧) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٨) في (ع، ظ): أجسادهم.

يوم أفنيت وذلك سبعة آلاف سنة»، اختلف في انقضاء هذا العالم ومدة الدنيا، وأكثر المنجمون في ذلك فقال بعضهم: عمر الدنيا سبعة آلاف سنة بعدد النجوم السيارة لكل واحد ألف سنة، وقال بعضهم: اثنتا عشر ألف سنة بعدد البرزخ لكل برزخ ألف سنة[١]، وقال بعضهم: ثلاثمائة وستون ألف سنة بعدد درجات الفلك، لكل درجة ألف سنة، وقوله: «إلا رجلاً واحداً يمكث فيها ألف سنة، ثم ينادي: يا حنّان يا منّان»، الحنّان: الذي يُقبل على من أعرض عنه، والمنّان: الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال، ﷻ لا إله إلا هو. روي ذلك عن علي ﷺ، وقد ذكرنا ذلك في كتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى[٢] مستوفى والحمد لله][٣]، وتقدم[٤] الكلام في نحو ذلك الاسم [فلا معنى لإعادته][٥].

وقوله: «وينساهم الرحمن على عرشه»، أي يتركهم في العذاب كما قال: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ[٦]﴾ [التوبة: ٦٧]، أي تركوا عبادته وتوحيده فتركهم، والعرش في كلام العرب له محامل كثيرة[٧]، قد أتينا على ذكرها في الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، منها المُلك كما قال زهير[٨]:

تداركتما عبساً وقد ثل عرشها ... وذبيان إذ زلت بأقدامها النعل

وقال آخر:

بعد ابن جفنة، وابن هاتك[٩] عرشه ... والحارثين يؤملون فلاحاً

---

(١) (وقال بعضهم: اثنتا عشر ألف سنة بعدد البرزخ لكل برزخ ألف سنة): ليست في (ظ).
(٢) ٢/ ٢٥٩.
(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٤) ص(٩١٣).
(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٦) في (ظ): ﴿فَأَنسَاهُمْ﴾ [الحشر: ١٩].
(٧) انظر: التعليق على مسألة الاستواء على العرش ص(٢٢٧).
(٨) في ديوانه ص(٩١).
(٩) في (الأصل): هابل، والتصويب من (ع، ظ، م).

وتقول العرب: ثل عرش فلان: إذا ذهب ملكه وسلطانه، فالمعنى: وينساهم الرحمن على عرشه، أي ما هو عليه من الملك والسلطان والعظمة والجلال، لا يعبأ بهم ولا يلتفت إليهم لما حكم به في الأزل عليهم من خلودهم في النار، ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

وأجمع العلماء: أهل السنة[(١)] على أن أهل النار مخلدون فيها غير خارجين منها كإبليس وفرعون وهامان وقارون وكل من كفر وتكبر وطغى فإن له جهنم[(٢)] لا يموت فيها ولا يحيى، وقد أوعدهم الله عذاباً أليماً.

وقال عز من قائل: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦][(٣)].

وأجمع أهل السنة أيضاً على أنه لا يبقى فيها مؤمن ولا يخلد فيها إلا كافر جاحد فاعلمه.

قلت: وقد زلّ [١٧٤/أ] هنا بعض من ينتمي إلى العلم [والعلماء][(٤)] فقال: إنه يخرج من النار كل كافر وجاحد ومبطل ويدخل الجنة وأنه جائز في العقل أن تنقطع صفة الغضب فيُعكس عليه فيقال: فكذلك يجوز أن تنقطع صفة الرحمة فيلزم عليه أن يدخل الأنبياء والأولياء النار يعذبون فيها، وهذا فاسد مردود بوعده الحق وقوله الصدق، و[(٥)]قال الله تعالى في حق أهل الجنان: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] أي غير مقطوع، وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، وقال: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٨]، وقال: ﴿لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٢١ ـ ٢٢]، وقال في حق الكافرين: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾، [وقال: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الجاثية: ٣٥]][(٦)] وهذا واضح، وبالجملة فلا مدخل للعقول[(٧)] فيما

(١) في (ظ): وأهل السنة.
(٢) في (ظ): فإن له نار جهنم.
(٣) لا إن الله كان عزيزاً حكيماً ليست في (ع، ظ).
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٥) (الواو): ليست في (ع، ظ).
(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٧) في (ع، ظ): للمعقول.

اقتطع أصله الإجماع والرسول: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

باب في الاستهزاء بأهل النار وبيان قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين: ٣٤ - ٣٦]

[ذكر][1] ابن المبارك[2]: أخبرنا الكلبي عن أبي الصالح في قوله تعالى[3]: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، قال: يقال لأهل النار وهم في النار اخرجوا، فتفتح لهم أبواب النار وهم في النار[4]، فإذا رأوها قد فتحت اقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك فإذا انتهوا إلى أبوابها غلقت دونهم، فذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، ويضحك منهم المؤمنون حين غلقت دونهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

قال ابن المبارك[5]: وأخبرنا محمد بن بشار عن قتادة في قوله: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾، قال: ذكر لنا أن كعباً كان يقول: إن بين الجنة والنار كُوى فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له في الدنيا اطلع من بعض الكوى، قال الله تعالى في آية أخرى: ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ [الصافات: ٥٥]، قال: ذكر لنا أنه اطلع فرأى جماجم القوم تغلي.

أخبرنا معمر عن قتادة رضي الله عنه قال: قال بعض العلماء: لولا أن الله عز وجل عرّفه إياه ما عرفه، لقد تغير حبره وسبره، فعند ذلك يقول: ﴿تَاللَّهِ إِن كِدتَّ

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٢) لم أجده في الزهد له.
(٣) في (ع): في قول الله تعالى.
(٤) (وهم في النار): لست في (ع، ظ).
(٥) لم أجده في الزهد له، وذكر الطبري نحوه في تفسيره ٢٣/٦٦١؛ قال ابن رجب في التخويف من النار ١/١٥٦: قال خليد العصري في قوله تعالى: ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ قال: في وسطها، ورأى جماجم تغلي فقال فلان والله لولا أن الله عز وجل عرّفه إياه لما عرفه لقد تغير حبره وسبره فعند ذلك يقول: ﴿إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾.

لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الصافات: ٥٦ ـ ٥٧] في النار. الحِبر والسِبر: اللون[١] والهيئة من قولهم جاءت الإبل حسنة الأحبار والأسبار قاله الفراء، وقال الأصمعي: هو الجمال والبهاء [١٧٤/ب] وأثر النعمة، يقال: فلان حسن الحبر والسبر إذا كان جميلاً حسن الهيئة؛ قال ابن أحمر:

لبسنا حِبرة حتى اقتضينا ... لأجال وأعمال قُضينا

ويقال أيضاً: فلان حسن الحَبْر والسَبْر بالفتح، وهو كأنه مصدر[٢] قولك حَبرته تحبيراً[٣] والأول اسم وتحبير الخطّ والشِّعْرِ وغيرهما تحسينه[٤]».

باب منه

روى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة قال: ثنا أنس بن مالك ﷺ قال رسول الله ﷺ: «إن المستهزئين بعباد الله في الدنيا يفتح لهم أبواب الجنة يوم القيامة فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فإذا جاؤوا أغلق الباب، ويفتح لهم الثانية فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فإذا جاؤوا أغلق الباب[٥]، ويفتح لهم الثالثة فيدعون فلا يجيبون قال: فيقول لهم الرب: أنتم المستهزئون بعبادي، أنتم آخر الناس حساباً، فيقومون حتى يغرقون[٦] في عرقهم، فينادون ربنا إما صرفتنا إلى جهنم وإما إلى رضوانك»[٧]، والله أعلم.

---

(١) في (الأصل): الخبر والسير الكون، والتصويب من (ع، ظ، تفسير القرطبي ١٥/ ٨٣).
(٢) في (ع، ظ): وهذا كله مصدر، والأصل متوافق مع صحاح الجوهري.
(٣) في (الصحاح): حَبْراً إذا زينته.
(٤) في (ع، ظ): تحسينه وتزيينه، والأصل متوافق مع الصحاح، والنص منقول من الصحاح ٢/ ٦٢٠.
(٥) (ويفتح لهم الثانية فيقال لهم ادخلوا الجنة، فإذا جاءوا أغلق الباب): ساقط من (ع).
(٦) هكذا في (الأصل) و(ع، م) بإثبات النون، وفي (ظ): حتى يغرقوا، وما في (ظ) هو الصواب لأن (حتى) تعمل على نصب الفعل المضارع بأن مضمرة وجوباً.
(٧) لم أقف عليه، وأبو هدبة كذاب، متروك.

[باب

وقال رسول الله ﷺ: «يؤمر يوم القيامة بأناس إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، نودوا أن أصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها، فيقولون: يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت لأوليائك كان أهون علينا، قال: ذلك أردت بكم، كنتم إذا خلوتم بي بارزتموني بالعظائم، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين، تراؤون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم، هبتم الناس ولم تهابوني، وأجللتم الناس ولم تجلوني، وتركتم للناس ولم تتركوا لي، فاليوم أذيقكم العذاب الأليم مع ما حرمتكم من الثواب. ذكره أبو حامد[(١)]»[(٢)].

باب ما جاء في ميراث أهل الجنة منازل أهل النار

جاء في الخبر عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى جعل لكل إنسان مسكناً في الجنة ومسكناً في النار، فأما المؤمنون فيأخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار يجعل الكفار في منازلهم في النار»، خرَّجه **ابن ماجه**[(٣)] بمعناه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد[(٤)] إلا له منزلان: منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠﴾ [المؤمنون: ١٠] إسناد صحيح.

قلت: وهذا بيِّن في أن لكل إنسان منزلاً في النار ومنزلاً في الجنة كما

---

(١) في إحياء علوم الدين ٤/ ٥٣٤.

(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٣) في سننه ٢/ ١٤٥٣، ح٤٣٤١؛ والبيهقي في شعب الإيمان ١/ ٣٤٢، صححه الألباني، انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٤٣٨، ح٩٦٩.

(٤) (من أحد): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.

تقدم[١] وقد قال هنا[٢]: «ما منكم» فخاطب أصحابه الكرام المنزهون عن الذنوب العظام [الموجبة للنيران][٣] ﷺ، وسيأتي[٤] لهذا مزيد بيان في أبواب الجنة إن شاء الله.

باب ما جاء في خلود أهل الدارين وذبح الموت [١٧٥/أ] على الصراط ومن يذبحه

البخاري[٥] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «[إذا صار][٦] أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار فيذبح، ثم ينادي منادياً: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم وأهل النار حزناً إلى حزنهم».

مسلم[٧] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء يوم القيامة بالموت كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا[٨]؟ فيشرئبون وينظرون فيقولون: نعم هذا الموت، قال: ثم يقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا[٩]؟ فيشرئبون وينظرون فيقولون: نعم هذا الموت، فيؤمر به فيذبح، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت فيها، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ وأشار بيده إلى الدنيا».

وأخرجه أبو عيسى **الترمذي**[١٠] عن أبي سعيد يرفعه قال: «إذا كان يوم

---

(١) ص(٩٠٦).
(٢) في (ظ): هاهنا.
(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٤) ص(٩٢٣).
(٥) في صحيحه ٥/٢٣٩٧، ح٦١٨٢.
(٦) ما بين المعقوفتين طمس في الأصل وإكماله من (ع، ظ، مصدر المؤلف).
(٧) في صحيحه ٤/٢١٨٨، ح٢٨٤٩.
(٨) (هذا): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.
(٩) (هذا): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.
(١٠) في جامعه ٤/٦٩٣، ح٢٥٥٨، قال الألباني: صحيح دون قوله: «فلو أن أحداً...»=

القيامة أتي بالموت كالكبش الأملح فيوقف بين الجنة والنار فيذبح وهم ينظرون[١]، فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة، ولو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار، قال [أبو عيسى][٢]: هذا حديث حسن صحيح.

وذكر ابن ماجه[٣] في حديث فيه طول عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء[٤] بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط فيقال: يا أهل الجنة، فيطلعون خائفين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه[٥]، ثم يقال: يا أهل النار فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم به، فيقال: هل تعرفون هذا؟ قالوا: نعم هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح على الصراط، ثم يقال للفريقين كلاهما: خلود فيما تجدون لا موت فيها أبداً»، خرجه الترمذي[٦] بمعناه عن أبي هريرة مطولاً أيضاً وفيه: «إذا أدخل الله أهل الجنةِ الجنةَ وأهل النار النار أتي بالموت ملبباً فيوقف على السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار[٧] ثم يقال: يا أهل الجنة، فيطلعون خائفين ثم يقال: يا أهل النار، فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة، فيقال لأهل الجنة وأهل النار: تعرفون هذا؟ فيقولون هؤلاء وهؤلاء عرفناه هو الموت الذي وُكّل بنا، فيضجع فيذبح ذبحاً على السور ثم يقال: يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت [١٧٥/ب]، قال: هذا حديث حسن صحيح.

= انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣١٧، ح٢٠٧٣.

(١) في (الأصل): ينظرون إليه، وما أثبته من (ع، ظ، مصدر المؤلف).

(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، مصدر المؤلف).

(٣) في سننه ٢/ ١٤٤٧، ح٤٣٢٧، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٣٥، ح٣٤٩٣.

(٤) في (سنن ابن ماجه): يؤتى.

(٥) في (الأصل): هم به، وما أثبته من (ع، ظ، مصدر المؤلف).

(٦) في جامعة ٤/ ٦٩١، ح٢٥٥٧، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣١٦ ـ ٣١٧، ح٢٠٧٢.

(٧) في (الأصل، ظ): الذي بين الجنة والنار، وما أثبته من (ع، ومصدر المؤلف).

فصل

قلت: هذه الأحاديث مع صحتها نص في خلود أهل الدارين فيها لا إلى غاية ولا أمد معين، على الدوام والسرمد من غير موت، ولا حياة، ولا راحة، ولا نجاة[١] كما قال في كتابه الكريم وأوضح فيه من عذاب الكافرين: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [فاطر: ٣٦ ـ ٣٧][٢]، وقال: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾، وقال: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ١٩ ـ ٢٢]. وقد تقدمت[٣] هذه المعاني كلها، فمن قال إنهم يخرجون منها وأن النار تبقى خالية بجملتها خاوية على عروشها، وأنها تفنى وتهلك فهو خارج عن مقتضى العقول ومخالف لما جاء به الرسول ﷺ وما أجمع عليه أهل السنة والأئمة العدول: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وإنما تُخلى جهنم وهي الطبقة العليا التي فيها العصاة من أهل التوحيد، وهو الذي ينبت على شفيرها فيما يقال الجرجير.

قال فضل بن صالح المعافري: كنا عند مالك بن أنس ﷺ ذات يوم فقال لنا انصرفوا، فلما كان العيشة رجعنا إليه فقال: إنما قلت لكم انصرفوا لأنه جاءني رجل يستأذن عليَّ يزعم[٤] أنه قدم من الشام في مسألة فقال: يا عبد الله ما تقول في أكل الجرجير فإنه متحدث عنه أنه ينبت على شفير جهنم؟ فقلت له: لا بأس به، فقال: أستودعك الله وأقرأ عليك السلام، ذكره الخطيب أبو بكر أحمد كَلَّلَهُ.

وذكر **أبو بكر البزار**[٥] عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن عمرو بن

---

(١) في (الأصل): ولا تحايل، وما أثبته من (ع، ظ).
(٢) وفي (ع، ظ): إلى قوله: ﴿نَّصِيرٍ﴾
(٣) ص(٧٨٨).
(٤) في (ع، ظ): زعم.
(٥) في مسنده ٦/ ٤٤٢، ح٢٤٧٨.

العاص قال: «يأتي على النار زمان تخفق أبوابها[١] ليس فيها أحد، يعني من الموحدين، هكذا رواه موقوفاً من قول عبد الله بن عمرو، وليس فيه ذكر النبي ﷺ [ومثله لا يقال من جهة الرأي فهو مرفوع، والله أعلم][٢].

فصل

قد تقدم[٣] أن الموت معنى والكلام في ذلك وفي الأعمال وأنها لا تنقلب جوهراً بل يخلق الله أشخاصاً من ثواب الأعمال، وكذلك الموت يخلق الله كبشاً يسميه الموت ويلقي في قلوب الفريقين أن هذا الموت ويكون ذبحه دليلاً على الخلود في الدارين[٤]، وقال الترمذي[٥]: والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن المبارك وابن عيينة [١٧٦/أ] ووكيع، وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء وقالوا: تروى هذه الأحاديث ولا يقال كيف، وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء، ويؤمن بها ولا تفسر ولا تتوهم ولا يقال كيف؟ وهذا أمرُ أهلِ العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه[٦].

[قال المؤلف ﷺ: وإنما يؤتى بالموت كالكبش والله أعلم لما جاء أن ملك الموت عليه السلام أتى آدم عليه السلام في صورة كبش أملح قد نشر أجنحته أربعة آلاف جناح على ما تقدم[٧] أول الكتاب في باب ما جاء في صفة ملك الموت عند قبض روح المؤمن والكافر، وفي التفسير في سورة الملك عن ابن عباس

(١) في (ع، ظ): تخفق الرياح أبوابها، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.
(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ). (٣) ص(٣٨٦، ٩٢٤).
(٤) وقد تقدم أيضاً الرد على هذا المعنى الذي ذكره المؤلف عن ذبح الموت، انظر: ص(٣٨٦، ٩٢٤).
(٥) في جامعه ٦٩١/٤.
(٦) سبحان الله يروي المصنف مذهب السلف وأئمة أهل العلم في مثل هذه الغيبيات، ثم يقرر خلافه، هذا أمر في غاية العجب.
(٧) ص(٢٥٥).

ومقاتل والكلبي في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ فإن الموت والحياة جسمان فجعل الموت في هيئة كبش لا يمر بشيء ولا يجد ريحه إلا مات، وخلق الحياة على صورة فرس بَلْقاء[١]، وهي التي كان جبريل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يركبونها، خطوها مد البصر، فوق الحمار ودون البغل، لا تمر بشيء ولا يجد ريحها إلا حيي، ولا تطأ على شيء إلا حيي، وهي التي أخذ السامري من أثرها فألقاها على العجل فحيي، حكاه الثعلبي والقشيري عن ابن عباس والماوردي[٢] عن مقاتل والكلبي][٣].

ومعنى يشرئبون: يرفعون رؤوسهم. والأملح من الكباش الذي يكون فيه بياض وسواد والبياض أكثر قاله الكسائي، وقال ابن الأعرابي[٤]: هو النقي البياض، وذكر صاحب خلع النعلين أن هذا الكبش المذبوح بين الجنة والنار أن الذي يتولى ذبحه يحيى بن زكريا عليه السلام[٥] بين يدي النبي ﷺ وبأمره الأكرم، وذكر في ذبحه كلاماً مناسباً لحياة أهل الجنة وحياة أهل النار، وذكر صاحب كتاب العروس[٦] أن الذي يذبحه جبريل عليه السلام، والله أعلم؛ تم كتاب النار، بحمد الله العزيز الغفار، أجارنا الله منها بمنه وفضله وكرمه لا رب غيره[٧].

---

(١) (بلقاء): ليست في (ظ).

(٢) في تفسيره ٦/ ٥٠.

(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٤) إمام اللغة، أبو عبد الله محمد بن زياد بن الأعرابي، الهاشمي مولاهم، النسابة، قال ثعلب: انتهى إليه علم اللغة والحفظ، قال الأزهري: حفظ ما لم يحفظه غيره، مات سنة ٢٣١هـ، السير ١٠/ ٦٨٧.

(٥) ذبح يحيى بن زكريا أمر توقيفي، ولم أقف على دليل يدل عليه.

(٦) هو الثعلبي وكتابه مخطوط. انظر ص(٢٣٤).

(٧) في (ع): لا رب سواه، وفي (ظ): لا رب سواه ولا معبود إلا إياه، لا إله إلا هو العزيز الغفار وحسبنا الله ونعم الوكيل.

بسم الله الرحمٰن الرحيم(١)

أبواب الجنة وما جاء فيها وفي صفتها ونعيمها

وصف الله تعالى الجنة(٢) في كتابه وصفاً يقوم مقام العيان، في غير ما سورة من القرآن، وأكثر ذلك في سورة الواقعة والرحمن(٣)، وهل أتاك حديث الغاشية وسورة الإنسان، وبيَّن ذلك أيضاً نبينا ﷺ بأوضح بيان، فنذكر من ذلك ما بلغنا في الأخبار الصحاح والحسان، وعن السلف الصالح أهل الفضل والإحسان، ﷺ وحشرنا معهم آمين.

ذكر ابن وهب قال: حدثنا ابن زيد قال: إن رسول الله ﷺ ليقرأ(٤) هل أتى على الإنسان حين من الدهر وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود قد كان يسأل النبي ﷺ فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حسبك لا تثقل على النبي ﷺ، قال: «دعه يا ابن الخطاب، قال فنزلت عليه هذه السورة وهو عنده، فلما قرأها عليه وبلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه، فقال رسول الله ﷺ: أخرج نفسَ صاحبكم أو أخيكم الشوقُ إلى الجنة»(٥).

[[باب منه وهل تَفْضُلُ جنةٌ جنةً

قال الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾ [الرحمن: ٤٦] ثم وصفهما فقال بعد ذلك: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢﴾ [الرحمن: ٦٢]، وعن ابن عباس في تأويل قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ [جَنَّتَانِ](٦)﴾ أي بعد أداء الفرائض جنتان، قيل على

---

(١) في (ع، ظ): بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل وسلم تسليماً كثيراً.

(٢) في (ع، ظ): الجنان، والأصل متوافق مع (م).

(٣) في (الأصل): الرحمن والواقعة، وما أثبته من (ع، ظ، م) وهو متوافق مع سجع الكلام.

(٤) في (تفسير ابن كثير): قرأ.

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره ٤/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤، وقال: مرسل غريب.

(٦) ما بين المعقوفتين من (ظ).

حده فلكل خائف جنتان، وقيل: جنتان لجميع الخائفين، والأول أظهر.

قال[١] الترمذي محمد بن علي: جنة لخوفه من ربه، وجنة لتركه شهوته، والمقام الموضع أي خاف مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية[٢].

وقيل: خاف قيام ربه عليه، أي إشرافه واطلاعه عليه بيانه: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

وقال مجاهد[٣] والنخعي[٤]: هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه.

وروي عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «الجنتان بستانان في عرض الجنة»[٥] كل بستان مسيرة مائة عام، في وسط كل بستان داران، نور على نور، وليس منها شيء إلا يهتز نعمةً وخضرةً قرارها ثابت وشجرها نابت[٦]»، ذكره المهدوي والثعلبي أيضاً من حديث أبي هريرة.

وقيل: إن إحدى الجنتين أسافل القصور والأخرى أعاليها.

وقال مقاتل: هما جنة عدن وجنة النعيم[٧].

وقوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝﴾، قال ابن عباس: أي وله من دون الجنتين الأوليين جنتان أخرتان، قاله ابن عباس: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ أي في الدرج[٨].

والجنات لمن خاف مقام ربه فيكون في الأوليين النخل والشجر، وفي الأخريين الزرع والنبات وما انبسط، الماوردي[٩]، ويحتمل أن يكون: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝﴾ لأتباعه لقصور منزلتهم عن منزلة إحداهما للحور العين،

(١) في (ظ): قاله.
(٢) لم أجده في نوادر الأصل المطبوع.
(٣) ذكره الطبري في تفسيره ٢٧/ ١٤٥.
(٤) ذكره الطبري في تفسيره ٢٧/ ١٤٦.
(٥) إلى هذا الموضع من الحديث أورده ابن حجر في ترجمة الحسين بن داود البلخي، وقال: قال الخطيب: ليس بثقة وحديثه موضوع، لسان الميزان ٢/ ٢٨٢.
(٦) (وشجرها نابت): ليست في (ظ).
(٧) ذكره الماوردي في تفسيره ٤/ ٤٤١.
(٨) ذكره ابن كثير في تفسيره ٤/ ٢٨٠.
(٩) في النكت والعيون له ٥/ ٤٤٠.

والأخرى للولدان المخلدين ليتميز فيهما الذكور من الإناث.

وقال ابن جريج: هي أربع: جنتان منهما للسابقين المقربين، فيهما من كل فاكهة زوجان، وعينان تجريان، وجنتان لأصحاب اليمين، فيهما فاكهة ونخل ورمان، وفيهما عينان نضاختان.

قال ابن زيد: الأوليان من ذَهَبٍ للمقربين، والأخريان من وَرِقٍ لأصحاب اليمين(١).

قال الشيخ رحمه الله: إلى هذا ذهب الحليمي أبو عبد الله الحسن بن الحسين في كتاب منهاج الدين له(٢) واحتج لما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾ إلى قوله: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ۝٦٤﴾، قال: تانك(٣) للمقربين، وهاتان لأصحاب اليمين، وعن أبي موسى الأشعري نحو ذلك.

ولما وصف الله الجنتين أشار إلى الفرق بينهما فقال في الأوليين: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۝٥٠﴾ [الرحمن: ٥٠]، وفي الأخريين ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۝٦٦﴾ [الرحمن: ٦٦] أي فوّارتان بالماء، ولكنهما ليستا كالجاريتين؛ لأن النضخ دون الجري، وقال في الأوليين: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝٥٢﴾ [الرحمن: ٥٢] فعمّ ولم يخص، في الأخريين: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨﴾ [الرحمن: ٦٨] ولم يقل من كل فاكهة، وقال في الأوليين(٤): ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ۝٧٦﴾ [الرحمن: ٧٦] والعبقري: الوشي، ولا شك أن الديباج أعلى من الوشي، والرفرف: كسر الخباء(٥)، ولا شك أن الفرش المعدة للاتكاء عليها أفضل من فضل الخباء، وقال في الأوليين في صفة(٦) الحور العين: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾ [الرحمن: ٥٨]، وفي الأخريين: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠﴾

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره ٥/٤٤١. (٢) ١/٤٧٤ ـ ٤٧٥.
(٣) في (ظ): تلك.
(٤) في (ع): الأخريين، ما أثبته من (ظ) وهو موافق للترتيب في المقارنة.
(٥) هكذا أيضاً في تفسير القرطبي ١٧/١٩١.
(٦) في (ظ): وصف.

[الرحمن: ٧٠] وليس [كل حسن][(١)] كحسن الياقوت والمرجان، [وقال في الأولين][(٢)]: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٖ ۝٤٨﴾ [الرحمن: ٤٨] وفي الأخريين: ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ ۝٦٤﴾ [الرحمن: ٦٤]، أي خضراوان كأنهما من شدة خضرتهما سوداوان، ووصف الأولين بكثرة الأغصان، والأخريين بالخضرة وحدها، وفي هذا كله تحقيق المعنى الذي عضدنا بقوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢﴾، ولعل ما لم يذكره من تفاوت ما بينهما أكثر مما ذكر.

فإن قيل: كيف لم يذكر أهل هاتين الجنتين كما ذكر أهل الجنتين الأولين؟

قيل: الجنان الأربع لمن خاف مقام ربه إلا أن الخائفين لهم مراتب، فالجنتان الأوليان لأعلى العباد رتبة في الخوف من الله تعالى، والجنتان الأخريان لمن قصرت حاله في الخوف من الله تعالى.

قال الشيخ رحمه الله: فهذا قول، والقول الثاني أن الجنتين في قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ أعلى وأفضل من الأولين ذهب إلى هذا الضحاك، وأن الجنتين الأولين من ذهب وفضة والأخريين من ياقوت وزمرد، وقوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ أي من أمامهما ومن قبلهما وإلى هذا القول ذهب أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم في نوادر الأصول[(٣)]، وقال: ومعنى ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢﴾ دون هاتين إلى العرش، أي أقرب وأدنى إلى العرش.

وقال مقاتل: الجنتان الأوليان جنة عدن وجنة النعيم، والأخريان: جنة الفردوس وجنة المأوى[(٤)].

قال الشيخ رحمه الله: ويدل على هذا قوله عليه الصلاة والسلام: «إذا

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ظ) وهو طمس في (ع).
(٢) ما بين المعقوفتين من (ظ).
(٣) ذكر الحكيم الترمذي صفة الجنان الأربع ١/ ٤٢٤، ولم أقف على نقل المؤلف.
(٤) ذكره الماوردي في تفسيره ٥/ ٤٤١.

سألتم الله فسألوه الفردوس» الحديث[١]، وسيأتي[٢].

قال الترمذي: وقوله: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۝٦٦﴾، أي ألوان الفاكهة والنعيم والجواري المزينات والدواب المسرجات والثياب الملونات، وهذا يدل على أن النضخ أكثر من الجري[٣].

قال الشيخ ﷺ: على هذا القول تدل أقوال المفسرين، روي عن ابن عباس: نضاختان أي فوّارتان بالماء[٤]، والنضخ بالخاء أكثر من النضح بالحاء، وعنه أيضاً أن المعنى: نضاختان بالخير والبركة، وقاله الحسن[٥] ومجاهد[٦].

وعن ابن عباس وابن مسعود أيضاً: ينضح على أولياء الله بالمسك والعنبر[٧] والكافور في دروب أهل الجنة، كما ينضح رش طش المطر.

وقال سعيد بن جبير: بأنواع الفواكه والماء[٨].

وقوله: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۝٦٨﴾، قال بعض العلماء: ليس الرمان والنخل من الفاكهة؛ لأن الشيء لا يعطف على نفسه، وهذا ظاهر الكلام.

وقال الجمهور[٩]: هما من الفاكهة، وإنما أعاد ذكر النخل والرمان لفضلهما على الفاكهة كقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨].

وقيل: إنما كررها؛ لأن النخيل والرمان كانا عندهم في ذلك الوقت

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه ١٠/ ٤٧٢، ح٤٦١١؛ والطبراني في الكبير ١٨/ ٢٥٤، ح٦٣٥؛ قال الهيثمي: ورواه الطبراني ورجاله ثقات، مجمع الزوائد ١٠/ ١٧١.

(٢) ص(٩٦٠).

(٣) لم أجده في نوادر الأصول المطبوع.

(٤) ذكره الطبري في تفسيره ٢٧/ ١٥٦؛ والماوردي ٥/ ٤٤١.

(٥) ذكره والماوردي ٥/ ٤٤١.

(٦) ذكره ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٤١، ح٣٤٠٥٤.

(٧) ذكره الماوردي ٥/ ٤٤١ عن أنس ﷺ.

(٨) ذكره الماوردي ٥/ ٤٤١.

(٩) ذكره الطبري في تفسيره ٢٧/ ١٥٧.

بمنزلة البُر عندنا، لأن النخل عامة قوتهم، والرمان كالثمرات، وكان يكثر غرسها عندهم لحاجتهم إليه، وكانت الفواكه عندهم من ألوان الثمار التي يعجبون بها فإنما ذكر الفاكهة، ثم ذكر[١] النخل والرمان لعمومهما وكثرتهما عندهم من المدينة إلى مكة إلى ما والاها من أرض اليمن، فأخرجهما في الذكر من الفواكه وأفرد الفواكه على حدتها.

وقوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾﴾ يعني النساء الواحدة خَيْرة.

قال الترمذي: فالواحدة خيرة ما اختارهن الله فأبدع خلقهن باختياره، فاختيار الله لا يشبه اختيار الآدميين، ثم قال: ﴿حِسَانٌ﴾ فوصفهن بالحسن، فإذا وصف خالق الشيء شيئاً بالحسن فانظر ما هنالك، فمن ذا الذي يقدر أن يصف حسنهن، وفي الأوليين ذكر بأنهن ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ و﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ فانظر كم بين الخيرة وهي مختارة الله وبين قاصرات الطرف، ثم قال: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ وقال في الأوليين: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ فقصر طرفهن على الأزواج ولم يذكر أنهن مقصورات فدل على أن المقصورات أعلى وأفضل، وقد بلغنا في الرواية أن سحابة قطرت من العرش، فخلقهن من قطرات الرحمة، ثم ضرب على كل واحدة خيمة على شاطئ الأنهار سعتها أربعون ميلاً وليس لها باب، حتى إذا حلّ ولي الله بالخيمة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة والخدم لم تأخذها فهي مقصورة، قد قصر بها عن أبصار المخلوقين، والله أعلم.

ثم قال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ﴾ اختلف في الرفرف ما هو، فقيل: كسر الخباء وجوانب الزرع، وما تدلى منها، الواحدة رفرفة، وقيل: الرفرف شيء إذا استوى عليه صاحبه رفرف به وأهوى به كالمرجاح[٢] يميناً وشمالاً ورفعاً وخفضاً، يتلذذ به مع أنيسته، فاشتقاقه على هذا من رف يرف إذا ارتفع، ومنه

---

(١) (ذكر): ليست في (ظ).

(٢) المرجاح من الترجح، وهو التذبذب بين شيئين، انظر: لسان العرب ٢/٤٤٦.

رفرفة الطائر لتحريك جناحيه في الهواء وربما سمي الظَّلِيم[١] رفرافاً بذلك؛ لأنه يرفرف بجناحيه ثم يعدو، ويرفرف الطائر أيضاً إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه.

قال الترمذي الحكيم[٢]: فالرفرف أعظم خطراً من الفرش، فذكر في الأولين: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾.

وقال هناد[٣]: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾، فالرفرف هو مستقر الولي على شيء إذا استوى عليه الولي رفرف به أي طار به هكذا، وهكذا حيث ما يريد كالمرجاح.

وروي لنا في حديث المعراج أن رسول الله ﷺ لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به إلى ستر العرش، فذكر أنه طار بي يخفضني ويرفعني حتى وقف بي على ربي، ثم لما حان الانصراف، تناوله فطار به خفضاً ورفعاً يهوي به حتى إذا أتى إلى جبريل صلوات الله عليهما وجبريل يبكي ورفع صوته بالتمجيد، فالرفرف خادم من الخدم بين يدي الله تعالى، له خواص الأمور في محل الدنو والقربة، كما أن البراق دابة يركبها الأنبياء مخصوصة بذلك في أرضه، فهذا الرفرف الذي سخره الله لأهل الجنتين الدانيتين هو متكأهما وفرشهما يرفرف بالولي على جانبات تلك الأزهار وشطوطها حيث شاء إلى خيام أزواجه الخيرات الحسان.

ثم قال: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾، والعبقري: ثياب منقوشة منبسطة، فإذا قال خالق النقوش بأنها حسان فما ظنك بتلك العباقر، والعبقر قرية بناحية اليمن فيما بلغنا ينسج بها بسط منقوشة، فذكر الله ما خلق في تلك الجنتين من البسط المنقوشة الجنان والرفرف الخضر، وإنما ذكر لهم من الجنان ما يعرفون أسماءها هنا، فبان تفاوت هاتين الجنتين.

---

(١) الظليم: الذكر من النعام، الصحاح للجوهري ٥/ ١٩٧٨.

(٢) لم أجده في نوادر الأصول المطبوع.

(٣) ذكر هناد في زهده ١/ ٨١ معنى الرفرف، وليس فيه ما أورده المصنف.

وقد روي عن بعض المفسرين: فإذا هو يشير إلى أن هاتين الجنتين من دونهما أي أسفل منهما وأدون، فكيف تكون مع هذه الصفة أدون، فحسبته لم يفهم الصفة، وهذا كله في الأصل التاسع والثلاثين في كتاب نوادر الأصول(١).

فصل

لما قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾، ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾، دل على أن الجنان أربع لا سبع، على ما يأتي(٢) بيانه إن شاء الله تعالى]](٣).

باب صفة أهل الجنة [١٧٦/ب] في الدنيا

قال ابن وهب: وسمعت ابن زيد يقول: وصف الله تعالى أهل الجنة بالمخافة [والحزن](٤) والبكاء والشفقة في الدنيا، فأعقبهم به النعيم والسرور في الآخرة، وقرأ قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦]، قال: ووصف أهل النار بالسرور في الدنيا والضحك فيها والتفكه فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ [بَلَىٰٓ](٥)﴾ [الانشقاق: ١٣ ـ ١٤]، وقد تقدم(٦) من صفة أهلها ما فيه كفاية. والحمد لله.

باب صفة الجنة ونعيمها وما أعد الله تعالى لأهلها فيها

مسلم(٧) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ:

---

(١) في المطبوع من نوادر الأصول ١/ ٢١٠: الأصل التاسع والثلاثون في مراتب الأخلاق وفضل العلم، ولم أجد في نوادر الأصول هذا النقل.
(٢) ص(١٠٢١).
(٣) ما بين المعقوفتين المزدوجتين من (ع، ظ).
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م).
(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م).
(٦) ص(٨١٤).
(٧) في صحيحه ٤/ ٢١٧٥، ح٢٨٢٤.

أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ذخراً بله ما أطلعكم[(١)] عليه، ثم قرأ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] بله معناه غير، وقيل: اسم من أسماء الأفعال بمعنى دَعْ.

ابن ماجه[(٢)] عن أسامة بن زيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم لأصحابه: «ألا مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وفاكهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة في مقام أبد، في حبرة ونضرة في دار عالية سليمة بهية قالوا: نحن المشمرون لها يا رسول الله، قال: قولوا إن شاء الله، قالوا إن شاء الله، ثم ذكر الجهاد وحض عليه».

الترمذي[(٣)] عن أبي هريرة ﷺ قال: قلت: «يا رسول الله مم خلق الخلق؟ قال: من الماء، قلت[(٤)] الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، من دخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم»، وذكر الحديث وقال[(٥)]: «ليس إسناده بذلك القوي وليس هو عندي بمتصل، وقد روي هذا الحديث بإسناد آخر عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ».

[قال الشيخ ﷺ: خرّج هذا أبو داود **الطيالسي في مسنده**[(٦)] قال: حدثنا إبراهيم بن معاوية عن سعد الطائي قال: حدثني أبو المدلة مولى أمير المؤمنين أنه سمع أبا هريرة يقول: قلنا يا رسول الله، أما إذا كنا عندك رقت قلوبنا،

---

(١) في (ع): ما أطلعتكم.

(٢) في سننه ٢/١٤٤٨، ح٤٣٣٢؛ والبزار في مسنده ٧/٤٣، ح٢٥٩١؛ والطبراني في الكبير ١/١٦٢، ح٣٨٨، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف ابن ماجه للألباني ص(٣٥٤)، ح٩٤٦.

(٣) في جامعه ٤/٦٧٢، ح٢٥٢٦؛ وابن حبان في صحيحه ١٦/٣٩٦، ح٧٣٨٧، قال الألباني: صحيح دون قوله: «مم خلق الخلق» انظر: صحيح الترمذي ٢/٣١٠ ـ ٣١١، ح٢٠٥٠.

(٤) في (الترمذي): قلنا.

(٥) أي الترمذي.

(٦) ص(٣٣٧)، ح٢٥٨٣؛ وابن حبان في صحيحه ١٦/٣٩٦، ح٧٣٨٧.

وكنا من أهل الجنة، فإذا فارقناك، وشممنا النساء والأولاد أعجبتنا الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: «لو أنكم تكونون إذا فارقتموني كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة ولزارتكم في بيوتكم، ولو كنتم لا تذنبون لجاء الله بقوم يذنبون كي يستغفروا فيغفر لهم، قلنا: يا رسول الله أخبرنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها الدر والياقوت، وترابها الزعفران، من دخلها يبقى ولا يبأس[(١)]، ويخلد ولا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه»][(٢)].

مسلم[(٣)] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لابن صياد: «ما تربة الجنة؟ قال: درمكة بيضاء مسك يا أبا القاسم، قال: صدقت».

وعنه[(٤)] أن ابن صياد سأل النبي ﷺ عن تربة الجنة فقال: درمكة بيضاء مسك خالص.

ابن المبارك[(٥)] أخبرنا معمر عن قتادة عن العلاء بن يزيد عن [١٧٧/أ] أبي هريرة رضي الله عنه قال: حائط الجنة لبنة ذهب ولبنة فضة ودرجها اللؤلؤ والياقوت، قال: كنا نحدث أن رضراضها اللؤلؤ وترابها الزعفران.

قلت: كل هذا مرفوع[(٦)] حسب ما تقدم في [هذا][(٧)] الباب ويأتي[(٨)].

باب ما جاء في أنهار الجنة وجبالها وما في الدنيا منها

قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

وروي أنها: «تجري في غير أخدود»[(٩)]، منضبطة بالقدرة.

---

(١) في (مسند الطيالسي، وصحيح ابن حبان): يبؤس.
(٢) ما بين المعقوفين من (ع، ظ). (٣) في صحيحه ٤/٢٢٤٣، ح٢٩٢٨.
(٤) أي عن أبي سعيد الخدري، والحديث في مسلم بالرقم السابق نفسه.
(٥) في الزهد (الزوائد) ص(٧٢)، ح٢٥٢.
(٦) في (الأصل): مرفوعاً، والتصويب من (ع، ظ).
(٧) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ). (٨) ص(٩٣٧).
(٩) رواه هناد بن السري في الزهد له ١/٩٠، ح٩٥؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/٢٨، ح٣٣٩٥٩.

ويروى عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «أنهار في الجنة تخرج من تحت تلال أو جبال[(١)] مسك»، ذكره **العقيلي**[(٢)].

وذكر إسماعيل بن إسحاق قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي أويس، حدثني كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة جبال من جبال الجنة، وأربعة أنهار من أنهار الجنة، وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة، قيل: فما الأجبل؟ قال: جبل أُحد يحبنا ونحبه، والطور جبل من جبال الجنة، ولبنان جبل من جبال الجنة، والأنهار النيل والفرات وسيحان وجيحان، والملاحم بدر وأحد والخندق وخيبر»[(٣)]، [و][(٤)]بالسند المذكور قال: غزونا مع رسول الله ﷺ أول غزوة غزاها بالأبواء حتى إذا جاء بالروحاء نزل بعرق الظُّبْية[(٥)] فصلى بهم ثم قال: هل تدرون ما اسم هذا الجبل؟ قالوا: الله ورسوله أعلم؟ قال: هذا حصيب جبل من جبال الجنة، اللهم فبارك فيه وبارك لأهله، وقال للروحاء: هذه سَجَاسِجُ[(٦)] وادياً من أودية الجنة، لقد صلى في هذا المسجد قبلي سبعون نبياً، ولقد مرّ بها موسى ﷺ عليه عباءتان قَطوانيتان[(٧)] على ناقة وِرْداً في سبعين ألفاً من بني إسرائيل حتى جاء البيت العتيق»[(٨)] الحديث، وسيأتي[(٩)] تمامه إن شاء الله تعالى.

---

(١) في (الأصل): جبال أو تلال، والتصويب من (ع، ظ، العقيلي).
(٢) في الضعفاء له ٢/٣٢٦.
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ١٧/١٨، ح١٩؛ قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفيه كثير بن عبد الله وهو ضعيف، مجمع الزوائد ٤/١٤.
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م).
(٥) في (الأصل): الطينة، وفي (ع، ظ، م): الطيبة، وما أثبته من معجم البلدان لياقوت، قال ياقوت: ظُبْية بالضم ثم السكون وياء مثناة من تحت خفيفة، هكذا ضبطها أهل الإتقان، وهو عرق الظبية، قال الواقدي: وهو من الروحاء ثلاثة أميال مما يلي المدينة، معجم البلدان ٤/٥٨.
(٦) هكذا ضبطها المؤلف في مسودته، وهي في الأصل غير معجمة، وفي (ع، ظ): سحاسيح.
(٧) القطوانية: عباءة بيضاء قصيرة الخَمْل، انظر: النهاية في غريب الحديث ٤/٨٥.
(٨) ذكره ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال له ٦/٥٨ من طريق كثير بن عبد الله، قال ابن عدي: قال النسائي: كثير بن عبد الله متروك الحديث، ثم ذكر له هذه الرواية.
(٩) ص(٩٣٩).

الترمذي(١) عن حكيم بن معاوية عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار بعد(٢)»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وحكيم بن معاوية والد بهز بن حكيم.

مسلم(٣) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة».

وقال كعب: دجلة نهر ماء الجنة، ونهر الفرات [١٧٧/ب] نهر لبنهم، ونهر مصر نهر خمرهم، ونهر سيحان نهر عسلهم، وهذه الأنهار الأربعة من(٤) نهر الكوثر.

وذكر **البخاري**(٥) من طريق شريك عن أنس ﷺ في حديث الإسراء: «فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطّردان فقال: ما هذان(٦) يا جبريل؟ قال: النيل والفرات عنصرهما، ثم مضى في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا النهر الذي خبأ لك ربك».

باب منه وما جاء في رفع هذه الأنهار آخر الزمان عند خروج يأجوج ومأجوج والقرآن والعلم

ذكر أبو جعفر النحاس(٧) قرأ على أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن يونس عن جامع بن سوادة قال: ثنا سعيد بن سابق قال: ثنا مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) في جامعه ٤/٦٩٩، ح٢٥٧١؛ وابن حبان في صحيحه ١٦/٤٢٤، ح٧٤٠٩، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/٣١٩، ح٢٠٧٨.

(٢) في (ظ): بعد ذلك.

(٣) في صحيحه ٤/٢١٨٣، ح٢٨٣٩.

(٤) في (ظ): وهذه الأنهار الأربعة تخرج من.

(٥) في صحيحه ٦/٢٧٣١، ح٧٠٧٩.

(٦) في (الأصل، ظ، م): ما هذا، وما أثبته من (ع، البخاري).

(٧) في معاني القرآن له ٤/٤٥٠ ـ ٤٥١.

«أنزل الله ﷻ[(١)] خمسة أنهار: سيحون وهو نهر الهند، وجيحون وهو نهر بلخ، ودجلة والفرات وهما نهرا العراق، والنيل وهو نهر مصر، أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة في أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل ﷺ فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في أصناف معايشهم وذلك قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨]، فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل صلى الله عليه وسلم رفع من الأرض القرآن والعلم وجميع الأنهار الخمسة فيرفع ذلك إلى السماء فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨]، فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد أهلها خير الدين والدنيا»[(٢)].

قلت[(٣)]: رفع القرآن عند خروج يأجوج ومأجوج فيه نظر، وسيأتي[(٤)] بيانه آخر الكتاب إن شاء الله تعالى.

[وروى المسعودي[(٥)] أنه قال: مد الفرات على عهد ابن مسعود، فكره الناس مده، فقال ابن مسعود: لا تكرهوا مده، فإنه سيأتي زمان يلتمس فيه طست مملوء من الماء فلا يجدوه، فذلك حين يرجع كل ماء إلى عنصره فيكون بقية الماء والعيون بالشام، وسيأتي بيان هذا إن شاء الله تعالى][(٦)].

باب من أين تفجر أنهار الجنة

البخاري[(٧)] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة

---

(١) في (ظ): أنزل الله ﷻ إلى الأرض. (٢) في (ظ): خير الدارين.
(٣) من هذا الموضع قطع كبير في (ع) إلى قوله: وفوقه عرش الرحمن.
(٤) ص(١٣٣٩).
(٥) علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن، من ذرية عبد الله بن مسعود ﷺ، صاحب «مروج الذهب» وغيره من التواريخ، كان أخبارياً معتزلياً، مات سنة ٣٤٥هـ، السير ١٥/٥٦٩.
(٦) ما بين المعقوفتين من (ظ) وهو قطع في (ع).
(٧) في صحيحه ٣/١٠٢٨، ح٢٦٣٧.

جاهد[1] في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها، قالوا: يا رسول الله أفلا[2] نبشر الناس؟ قال [١٧٨/أ]: إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسألوه الفردوس فإنه في أوسط الجنة وأعلا الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»، خرجه **ابن ماجه**[3] أيضاً **وغيره**[4].

وقال أبو حاتم البُسْتي[5]: «معنى قوله: أوسط الجنة، يريد أن الفردوس في وسط الجنان في العرض، وهو أعلى الجنة يريد في الارتفاع»[6].

وقال قتادة: الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأعلاها وأفضلها وأرفعها[7].

[وقد قيل: إن الفردوس اسم يشمل جميع الجنة، كما أن جهنم اسم لجميع النيران كلها؛ لأن الله تعالى مدح في أول سورة المؤمنين أقواماً وصفهم، ثم قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ١١] ثم أعاد ذكرهم في سورة المعارج فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ۝٣٥﴾ [المعارج: ٣٥]، فعلمنا أن الفردوس جنات لا جنة واحدة، قاله وهب بن منبه][8].

باب ما جاء أن الخمر شراب أهل الجنة ومن شربه في الدنيا لم يشربه في الآخرة وفي لباس أهل الجنة وآنيتهم

النسائي[9] عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «من لبس الحرير في

---

(١) في (الأصل): هاجر، والتصويب من (ظ، م، البخاري).

(٢) في (الأصل): فلا، والتصويب من (ظ، م، البخاري).

(٣) في سننه ٢/١٤٤٨، ح٤٣٣١.

(٤) ابن حبان في صحيحه ١٠/٤٧٢، ح٤٦١١؛ وأحمد في مسنده ٢/٣٣٩، ح٨٤٥٥.

(٥) محمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم البستي، الإمام الحافظ، صاحب الكتب المشهورة منها: المسند الصحيح، والتاريخ، والضعفاء، وغير ذلك، توفي سنة ٣٥٤هـ، ١٦/٩٢.

(٦) قاله في صحيحه ١٠/٤٧٢.

(٧) ذكره الطبري في تفسيره ١٦/٣٦؛ وقد رفعه الترمذي في جامعه من رواية قتادة عن أنس بن مالك ٥/٣٢٧، ح٣١٧٤.

(٨) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).

(٩) في السنن الكبرى ٤/١٩٥، ح٦٨٦٩.

الدنيا لم يلبسه في الآخرة، ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربه في الآخرة، ومن شرب في آنية الذهب والفضة لم يشرب بها في الآخرة، ثم قال رسول الله ﷺ: لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة».

فصل

قلت: إن قال قائل قد سوّى النبي ﷺ بين الأشياء الثلاثة وأنها يحرمها في الآخرة، فهل يحرمها إذا دخل الجنة؟ قلنا: نعم، إذا لم يتب منها، لقوله ﷺ: «من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة»، خرّجه **مالك**[(١)] عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ وكذلك لابس الحرير، ومن أكل في آنية الذهب والفضة أو شرب فيها[(٢)] لاستعجاله ما أخّر الله له في الآخرة وارتكاب ما حرم عليه في الدنيا.

وقد روى **أبو داود الطيالسي** في مسنده[(٣)]: حدثنا هشام عن قتادة عن داود السراج عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو»، وهذا نص صريح، وإسناده صحيح، فإن كان وإن[(٤)] دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه من قول النبي ﷺ فهو الغاية في البيان، وإن كان من قول الراوي على ما ذكرناه موقوف[(٥)]، فهو أعلم بالمقال وأقعد بالحال، ومثله لا يقال من جهة الرأي، وسيأتي[(٦)] لهذا [الباب][(٧)] مزيد بيان إن شاء الله تعالى [١٧٨/ب].

---

(١) في الموطأ ٢/٨٤٦، ح١٥٤٢. (٢) في (ع): فيهما.

(٣) ص(٢٩٤)، ح٢٢١٧؛ وابن حبان في صحيحه ١٢/٢٥٣، ح٥٤٣٧.

(٤) (وإن): ليست في (ظ).

(٥) في (ع، ظ): فيما ذكر أنه موقوف، والأصل متوافق مع (م) عدا كلمة (موقوف) فهي مقطوعة في الأصل، والذي يظهر والله أعلم أن صواب الكلمة أن تكون: موقوفاً، بالنصب على الحالية أي حال كونه موقوفاً.

(٦) ص(٩٤٣). (٧) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م).

باب ما جاء في أشجار الجنة وثمارها وما يشبه ثمر الجنة في الدنيا

الترمذي[(١)] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، اقرؤوا إن شئتم[(٢)]: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام[(٣)] لا يقطعها، واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الواقعة: ٣٠]، وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، واقرؤوا إن شئتم: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]».

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

ابن المبارك[(٤)] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير[(٥)] الراكب في ظلها سبعين أو قال مائة سنة[(٦)]، وهي شجرة الخلد».

قال[(٧)]: وأخبرنا ابن أبي خالد[(٨)] عن زياد مولى بني مخزوم سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: [إن][(٩)] في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة[(١٠)]، فاقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ فبلغ ذلك كعباً، فقال: صدق، والذي

---

(١) في جامعه ٥/٤٠٠، ح٣٢٩٢، حسنه الألباني، انظر: صحيح الترمذي ٣/١١٣، ح٢٦٢٥.

(٢) من هذا الموضع إلى قوله: لا يقطعها، سقط في (ظ).

(٣) في (ع): يسير فيها الراكب مائة عام، والأصل متوافق مع مصدر المؤلف.

(٤) في الزهد (الزوائد) ص(٧٥)، ح٢٦٦؛ وأحمد في مسنده ٢/٤٤٥، ح٩٨٧٠.

(٥) من هذا الموضع قطع في (ع). (٦) بداية سقط في (ظ).

(٧) أي ابن المبارك في الزهد (الزوائد) ص(٧٥ ـ ٧٦)، ح٢٦٧.

(٨) في (الأصل): ابن أبي جلدة، والتصويب من الزهد لابن المبارك والتاريخ الكبير للبخاري ٣/٣٦٨.

(٩) ما بين المعقوفتين من (مصدر المؤلف).

(١٠) نهاية السقط في (ظ).

أنزل التوراة على لسان موسى ﷺ، والفرقان على محمد ﷺ، لو أن رجلاً ركب حقة أو جذعة ثم دار في أصل تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرماً، إن الله تعالى غرسها بيده، ونفخ فيها من روحه، وأن أفنانها لمن وراء سور الجنة، وما في الجنة نهر إلا ويخرج من أصل تلك الشجرة.

الترمذي(١) عن أسماء بنت أبي بكر ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكر له سدرة المنتهى، قال: «يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة سنة، أو يستظل بظلها مائة راكب، شك يحيى، فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال».

قال أبو عيسى هذا حديث صحيح(٢).

وذكر عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال: «لما رفعت لي سدرة المنتهى نبقها مثل قلال هجر(٣) وورقها مثل آذان الفيلة، يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان، قلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات».

قلت: هذا كله لفظ مسلم(٤) إلا قوله: نبقها مثل قلال هجر. أخرجه **الدارقطني** [في سننه](٥) قال: ثنا أبو بكر النيسابوري قال: ثنا محمد بن يحيى قال: ثنا عبد الرزاق فذكره.

[وخرّجه **البخاري**(٦) أيضاً من حديث قتادة حدثنا أنس بن مالك عن

---

(١) في جامعه ٤/ ٦٨٠، ح٢٥٤١؛ والطبراني في الكبير ٢٤/ ٨٧، ح٢٣٤؛ وهناد في الزهد ١/ ٩٨، ح١١٥، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف الترمذي ص(٢٩٣)، ح٤٥٨.

(٢) في (جامع الترمذي): حديث حسن غريب، وفي جميع النسخ بما فيها مسودة المؤلف كما هو مثبت.

(٣) نهاية القطع في (ع).

(٤) بل هذا كله لفظ الدارقطني كما يظهر ذلك بمقارنة النص في مسلم ١/ ١٤٦، ح١٦٢؛ والدارقطني في سننه ١/ ٢٥، ح٢٩.

(٥) ما بين المعقوفتين من (ظ)، وفي (ع): مسنده، والأصل متوافق مع (م)، والحديث في سننه كما مرّ في الحاشية السابقة.

(٦) في صحيحه ٣/ ١٤١١، ح٣٦٧٤.

مالك بن صعصعة قال النبي ﷺ الحديث حديث الإسراء، وفيه: «ورفعت لي سدرة المنتهى فإذا نبقها كأنه قلال هجر، وورقها كأنه آذان الفيول، في أصلها أربعة أنهار: نهران ظاهران، ونهران باطنان» وذكر الحديث][١].

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: سدرة المنتهى [١٧٩/أ] صُبْرُ[٢] الجنة، قال أبو عبيدة[٣]: صُبْرُها[٤] أعلاها، وكذلك صُبْرُ[٥] كل شيء أعلاه[٦]، والجمع أصْبار[٧].

قال النمر بن تولب[٨] يصف روضة:

عُزِبتْ[٩] وباكرها الربيع بديمة وطفاء يملأها[١٠] إلى أصبارها[١١].

يعني أعاليها، وهي جماعة الصُبْر[١٢]، وقال الأحمر: الصُبْرُ جانب

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٢) في (الأصل): صبر، والتصويب من (ع، ظ).
(٣) معمر بن المثنى التيمي مولاهم البصري، النحوي، صاحب التصانيف، منها: مجاز القرآن، غريب الحديث وغيرها، حدّث عنه: علي بن المديني، وأبو عبيد القاسم بن سلّام، تقدمت ترجمته ص(١٢٨)، قال علي بن المديني: كان لا يحكي عن العرب إلا الشيء الصحيح، وقال المبرد: كان هو والأصمعي متقاربين في النحو وكان أبو عبيدة أكمل القوم، وقال ابن قتيبة: كان الغريب وأيام العرب أغلب عليه.
(٤) في (الأصل): صيرها، والتصويب من (ع، ظ).
(٥) في (الأصل): صبر والتصويب من (ع، ظ).
(٦) قال الجوهري في الصحاح ٢/ ٧٠٧: أدهقت الكأس إلى أصبارها، أي إلى رأسها.
(٧) في (الأصل): أصيار، والتصويب من (ع، ظ).
(٨) في (الأصل): النمير بن تولب، التصويب من (ع، ظ، الإصابة)، وهو النمر بن تولب بن زهير بن أقيش بن كعب، كان شاعراً فصيحاً، وفد على النبي ﷺ، وكتب له كتاباً، انظر: الإصابة ٦/ ٤٧٠ رقم ٨٨٠٨.
(٩) في (الأصل، ع): عرمت، والتصويب من (ظ، م)، وفي (غريب الحديث لأبي عبيد): عزبت، ويروى غربت.
(١٠) في (غريب الحديث لأبي عبيد): تملؤها.
(١١) في (الأصل): أصيارها، والتصويب من (ع، ظ).
(١٢) في (الأصل): الصبر، والتصويب من (ع، ظ).

الشيء[1] وفيه لغتان: ضُبْرٌ وبُضْر[2]، كما قالوا: جبذ وجذب، قال أبو عبيد[3]: وقول أبي عبيدة[4] أعجب إليّ[5] أن يكون في أعلاها من أن يكون في جانبها.

ابن المبارك[6] ثنا صفوان عن سليم بن عامر قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون[7]: إنه لتنفعنا الأعراب ومسائلهم، قال: أقبل أعرابي يوماً فقال: يا رسول الله لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أرى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها، قال رسول الله ﷺ: «وما هي؟ قال: السدر[8]، فإن له[9] شوكاً مؤذياً، فقال رسول الله ﷺ: «أو ليس يقول: ﴿سِدْرٍ[10] مَّخْضُودٍ﴾ خضد الله تعالى شوكه، فجعل مكان كل شوكة ثمرة، فإنها تنبت ثمراً، تفتق من الثمر[11] منها على اثنين وسبعين لون طعام ما فيه لون يشبه الآخر»، ويروى: «تمراً»، بالتاء باثنتين فيها كلها [قاله أبو محمد عبد الحق[12]][13].

وذكر عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن عمرو بن يزيد البكالي عن عتبة بن عبد السلمي قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فسأله عن

(١) قال الجوهري في الصحاح ٢/٧٠٧: الضُبْرُ: هو حَرْفُ الشيء.
(٢) في (الأصل): نصر. والتصويب من (ع)، قال الجوهري في الصحاح ٢/٥٩٢: والبُضْرُ بالضم الجانبُ.
(٣) القاسم بن سلام، في غريب الحديث له ٤/٧٣.
(٤) معمر بن المثنى، وهو شيخ أبي عبيد القاسم بن سلام وفي (الأصل): قول أبي عبيد والتصويب من (ع، ظ).
(٥) في (ع): كما قالوا جبذ وجذب، وقال أبو عبيدة: أعجب إلي أن يكون في أعلاها.
(٦) في زوائد الزهد ١/٧٤ ـ ٧٥، ح٢٦٣؛ والحاكم في مستدركه ٢/٥١٨، ح٣٧٧٨، وروى أبو نعيم في الحلية ٦/١٠٣ نحواً منه.
(٧) في (الأصل): يقول، وما أثبته من (ع، ط، م، مصدر المؤلف).
(٨) في (الزهد لابن المبارك): السدرة.
(٩) في (ع، الزهد): لها.
(١٠) في (الأصل، ظ): وسدر، والتصويب من (المصحف، ع، م) وفي المصحف: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨﴾ [الواقعة: ٢٨].
(١١) في (زوائد الزهد): لفنو من الثمر.
(١٢) في العاقبة له ص(٣٤٤).
(١٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

الجنة وذكر [له][(١)] الحوض فقال: فيها فاكهة[(٢)]؟ قال: نعم، شجرة تدعى طوبى، قال: يا رسول الله أي شجر[(٣)] أرضنا تشبه؟ قال: لا تشبه شيئاً من شجر أرضك، أأتيت الشام؟ هناك شجرة تدعى الجوزة تنبت على ساق ويفرش أعلاها، قال: يا رسول الله فما عظم أصلها: قال: لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك ما أحطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها[(٤)] هرماً، قال: هل فيها عنب؟ قال: نعم، قال: فما عظم العنقود منها؟ قال: مسيرة الغراب شهراً لا يقع ولا يفتر، قال: فما عظم الحبة؟ قال: [أ][(٥)] ما عمد أبواك وأهلك إلى جذعة فذبحها وسلخ إهابها فقال: افروا لنا منها دلواً؟ فقال: يا رسول الله [إن][(٦)] تلك الحبة تشبعني وأهل بيتي؟ قال: نعم، وعامة عشيرتك. ذكره **أبو عمر** في التمهيد[(٧)] بإسناده وهو إسناد صحيح.

وخرَّج **مسلم**[(٨)] من حديث ابن عباس ﷺ في صلاة الكسوف قالوا: يا رسول الله[(٩)]، رأيناك تناولت في مقامك شيئاً ثم رأيناك تكعكعت، قال: «إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا».

تكعكعت: معناه: تأخرت، فيقال منه: كع يكع كعوعاً: تأخر، والكع: الضعيف [١٧٩/ب] العاجز.

قال الشاعر[(١٠)]:

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، التمهيد)، والأصل متوافق مع (م).
(٢) في (التمهيد): أفيها فاكهة، وما أثبته متوافق مع جميع النسخ بما فيها مسودة المؤلف، فتكون همزة الاستفهام مقدرة.
(٣) في (ع): شجرة.
(٤) في (الأصل): قوتها، وما أثبته من (ع، ظ، م، التمهيد).
(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، التمهيد).
(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، التمهيد).
(٧) ٣/ ٣٢٠ ـ ٣٢١؛ وروى نحوه ابن حبان في صحيحه ١٦/ ٤٣٠، ح٧٤١٤؛ وأحمد في مسنده ٤/ ١٨٤، ح١٧٦٧٩.
(٨) في صحيحه ٢/ ٦٢٦، ح٩٠٧.
(٩) نهاية القطع في (ظ).
(١٠) متمم بن نويرة، ذكره أبو عبيد في غريب الحديث له ٣/ ٢٤٤.

ولكنني أمضي على[1] ذاك مُقْدِماً   إذا بعض من لاقى[2] الخطوب تكعكعا

وذكر ابن المبارك[3]: ثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة قال: نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها، وثمرها أمثال القلال، كلما نُزعت ثمرة عادت مكانها أخرى[4]، وإن ماءها ليجري في غير أخدود، والعنقود اثنا عشر ذراعاً، ثم أتى على الشيخ[5]، فقلت: من حدثك بهذا؟ قال: مسروق.

وذكر ابن وهب من حديث شهر بن حوشب عن أبي أمامة الباهلي قال: طوبى شجرة في الجنة ليس منها دار إلا فيها غصن منها، ولا طير حسن إلا هو فيها، ولا ثمرة إلا هي فيها.

وذكر الخطيب أبو بكر عن إبراهيم بن نوح قال: سمعت مالك بن أنس يقول: ليس في الدنيا من ثمارها شيء يشبه ثمار الجنة إلا الموز؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥]، وأنت تجد الموز في الصيف والشتاء[6].

وذكر الثعلبي بإسناده من حديث الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال: ثنا الثقة عن أبي ذر قال: «أهدي للنبي ﷺ طبق من تين، فأكل منه، وقال لأصحابه: كلوا، فلو قلت: أن فاكهة نزلت من الجنة قلت هذه؛ لأن فاكهة الجنة بلا عجم، فكلوها، فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس»[7]، [وذكره أبو نصر القشيري، وهذا أتم][8].

---

(١) في (الأصل): إلى، وما أثبته من (ع، ظ، وغريب الحديث لأبي عبيد).
(٢) في (غريب الحديث): يلقى.
(٣) في الزهد ١/ ٥٢٤، ح١٤٩٠؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٢٨؛ وهناد في الزهد ١/ ٩٤، ح١٠٣.
(٤) في (الأصل): عادت إلى مكانها، ما أثبته من (ع، ظ، م، الزهد).
(٥) (ثم أتى على الشيخ): ليست في (الزهد) وفي (الزهد): فقلت لأبي عبيدة: من حدثك؟ فغضب وقال: مسروق.
(٦) أورده الذهبي في ميزان الاعتدال ١/ ١٩٨ في ترجمة إبراهيم بن نوح، وقال عنه: لا يعرف.
(٧) أخرجه الديلمي في فردوسه ٣/ ٢٤٣، ح٤٧١٦.
(٨) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

قلت: ورأيت بخط الفقيه الإمام المحدث أبي الحسن علي بن خلف الكوفي أبي شيخنا أبي القاسم عبد الله وجدت حديثاً عليه سماع جماعة على أبي الفرج محمد بن [أبي][1] حاتم محمود بن الحسن القزويني في ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وأربعمائة، قال: ثنا أبو جعفر محمد بن زيد الجعفري في شوال سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة قال: حدثنا يحيى بن الحسين، ثنا عقيل بن سمرة، حدثنا علي بن حماد الغازي، ثنا العباس بن أحمد، ثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا علي تفكهوا بالبطيخ وعظموه فإن ماءه من الجنة وحلاوته من حلاوة الجنة، وما من عبد أكل منها لقمة إلا أدخل الله جوفه سبعين دواءً، وأخرج سبعين داء، وكتب الله تعالى له بكل لقمة عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ۝١٤٦﴾ [الصافات: ١٤٦] قال: الدباء والبطيخ من الجنة»[2].

[بابٌ في كسوة أهل الجنة]

قال الله تعالى: ﴿وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ﴾ [الكهف: ٣١] وقال: ﴿وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾ [الحج: ٢٣].

هناد بن السري[3] قال: ثنا أبو الأحوص عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال: «أهدي لرسول الله ﷺ[4] سَرَقَة[5] من حرير فجعلوا يتداولونها بينهم، فقال رسول الله ﷺ: [أ][6] تعجبون منها؟ فقالوا: نعم يا رسول الله،

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٢) روى نحوه الديلمي في فردوسه ٢/ ٥٧، ح٢٣٢٥؛ وأورده ابن حجر بنص المؤلف في لسان الميزان في ترجمة يحيى بن حسين العلوي ٦/ ٢٤٩ برقم ٨٧٩، وقال في يحيى بن حسين: «وجدت له حديثاً موضوعاً» ثم ساق هذا الحديث، وقال: «سرده القرطبي في التذكرة ولم يعرف علته».

(٣) في الزهد ١/ ١١٤، ح١٤٣.

(٤) في هذا الموضع قطع في (ع).

(٥) أي قطعة من جيد الحرير، انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٣٦٢.

(٦) ما بين المعقوفتين من (الزهد لهناد).

قال: والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها».

قال هناد: وثنا قبيصة عن حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو بن سعد بن معاذ [أن][(١)] عطارد بن حاجب أهدى إلى رسول الله ﷺ ثوباً من ديباج كساه إياه كسرى، فاجتمع إليه الناس يلمسونه ويعجبون، ويقولون: يا رسول الله، أنزل إليك من السماء؟ فقال: ما تعجبون[(٢)] فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا، يا غلام اذهب بهذا إلى أبي جهم وجئنا بانبجانيته[(٣)]»[(٤)]][(٥)].

باب ما جاء إن شجر الجنة وثمارها تتفتق عن [١٨٠/أ] ثياب الجنة وخيلها ونجبها

ابن المبارك[(٦)] قال: أخبرنا معمر عن الأشعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي[(٧)] هريرة رضي الله عنه قال: في الجنة شجرة يقال لها طوبى، يقول الله تعالى لها: تفتقي لعبدي عما شاء، فتفتق له عن فرس بسرجه ولجامه وهيئته كما شاء، وتتفتق عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما شاء، وعن النجائب والثياب.

النسائي[(٨)] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل فقال: يا رسول الله، أخبرنا عن ثياب الجنة أخلقاً تخلق أو نسجاً تنسج؟ فضحك بعض القوم، فقال: لم تضحكون إن جاهلاً يسأل عالماً، فجلس يسيراً أو قليلاً فقال رسول الله ﷺ: أين السائل عن ثياب

---

(١) ما بين المعقوفتين من (الزهد لهناد). (٢) في (الزهد لهناد): لا تعجبون

(٣) نوع من الكساء له خمل ولا علَمَ عليه، انظر: لسان العرب ٢/ ٣٧٢.

(٤) في الزهد ١/ ١١٥، ح١٤٥.

(٥) ما بين المعقوفتين من (ط، وهناد، وجزء منه من: ع).

(٦) في الزهد (الزوائد) ص(٧٥) ح٢٦٥. (٧) نهاية القطع في (ع).

(٨) في سننه الكبرى ٣/ ٤٤١ ح٥٨٧٢؛ وأحمد في مسنده ٢/ ٢٢٤، ح٧٠٩٥، إسناده ضعيف، انظر: حاشية مسند أحمد ١١/ ٦٦٦، ح٧٠٩٥.

الجنة؟ فقال: ها هو ذا[1] يا رسول الله، قال: بل تشقق عنها ثمر الجنة، قالها ثلاثاً».

باب ليس في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب

الترمذي[2] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب»، قال حديث حسن غريب، [وسيأتي[3] له مزيد بيان أيضاً في الباب بعد هذا][4].

باب ما جاء في نخيل الجنة وثمرها[5]

ابن المبارك[6] قال: أخبرنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ قال: نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكَرَبها[7] ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة[8]، منها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال والدلاء، أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس فيها عجم.

ابن وهب قال: ثنا ابن زيد قال: قال رجل: يا رسول الله هل في الجنة من نخل؟ فإني أحب النخل، قال: «إي والذي نفسي بيده، لها جذوع من ذهب، وكرانيف[9] من ذهب، وجريد من ذهب وسعف كأحسن حلل يراها أحد

---

(١) في (الأصل): هو هو يا رسول الله، وفي (ع): هو ذا، وما أثبته من (ظ، م، النسائي).
(٢) في جامعه ٤/ ٦٧١ ح٢٥٢٥ صححه الألباني، انظر: صحيح جامع الترمذي ٢/ ٣١٠، ح٢٠٤٩.
(٣) ص(٩٥٣).
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٥) في (ظ): وثمارها.
(٦) في الزهد له ١/ ٥٢٣ ـ ٥٢٤، ح١٤٨٨؛ وهناد في الزهد ١/ ٩١، ح٩٩.
(٧) كَرَبُ النخل: أصول السعف، أمثال الكَتِف، الصحاح ١/ ٢١٢.
(٨) في (الزهد لابن المبارك): نخل الجنة كربها ذهب أحمر وجذوعها زمرد أخضر وسعفها كسوة لأهل الجنة.
(٩) الكُرْناف: أصول الكَرَب التي تبقى في جذع النخلة بعد قطع السعف، والجمع كرانيف، الصحاح ١/ ١٤٢٠.

من العالمين، وعراجين من ذهب وشماريخ من ذهب، وأقماع من ذهب، وثمارها كالقلال ألين ليناً من الزبد، وأحلى حلاوة من العسل».

وذكر أبو الفرج [بن](١) **الجوزي**(٢) عن جرير بن عبد الله البجلي عن النبي ﷺ: «أنه أخذ عوداً بيده، فقال: يا جرير، لو طلبت في الجنة مثل هذا العود لم تجده، قال: فقلت: وأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب، وأعلاها الثمر» [١٨٠/ب].

باب الزرع في الجنة(٣)

البخاري(٤) عن أبي هريرة ﷺ: «أن رسول الله ﷺ كان يوماً يحدث وعنده رجل من أهل البادية، أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه [في](٥) الزرع، فقال له: أو لست فيما شئت؟ قال: بلى، ولكني أحب أن أزرع فأسرع وبذر، فبادر الطرف نباته [واستواؤه](٦) واستحصاده وتكويره، أمثال الجبال، فيقول الله تعالى: دونك يا ابن آدم، فإنه لا يشبعك شيء، فقال الأعرابي: يا رسول الله: لا تجد هذا إلا قرشياً أو أنصارياً فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله ﷺ».

باب ما جاء في أبواب الجنة وكم هي؟ ولمن هي(٧)؟ وفي تسميتها وسعتها

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]، قال

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ظ).

(٢) في كتابه صفوة الصفوة ١/٥٤٧؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/١٢٠، ح٣٤٦٦٣؛ وهناد في الزهد ١/٩١، ح٩٨؛ وأبو نعيم في الحلية ١/٢٠٢.

(٣) في (م): باب في الزرع في الجنة.

(٤) في صحيحه ٦/٢٧٣٣، ح٧٠٨١.

(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م، البخاري).

(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م، البخاري).

(٧) (ولمن هي)؛ ليست في (ع).

جماعة من أهل العلم: هذه واو الثمانية[١]، فللجنة ثمانية أبواب[٢]، واستدلوا بقوله ﷺ: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء»، رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، خرجه **مسلم**[٣].

وجاء تعيين هذه الأبواب لبعض العمال، كما في حديث **الموطأ**[٤] وصحيح **البخاري**[٥] **ومسلم**[٦] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة: يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، ما على أحد يدعى من هذه الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من هذه[٧] الأبواب؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم».

قال القاضي عياض[٨]: وذكر مسلم في هذا الحديث من أبواب الجنة أربعة، وزاد غيره: بقية الثمانية، فذكر[٩] باب التوبة، وباب الكاظمين الغيظ، وباب الراضين، والباب الأيمن الذي يدخل منه من لا حساب عليه.

قلت: ذكر الترمذي الحكيم أبو عبد الله أبواب الجنة [في نوادر الأصول][١٠]، فذكر باب محمد ﷺ وهو باب التوبة، فهو منذ خلقه الله مفتوح لا يغلق، فإذا طلعت الشمس من مغربها أغلق، فلم يفتح إلى يوم القيامة، «وسائر الأبواب [١٨١/أ] مقسومة على أعمال البر، فباب منها للصلاة، وباب

---

(١) أي الواو التي في قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾.
(٢) من هذا الموضع قطع في (ع).
(٣) في صحيحه ١/٢٠٩، ح٢٣٤.
(٤) ٢/٤٦٩، ح١٠٠٤.
(٥) ٢/٦٧١، ح٧١٩٨.
(٦) ٢/٧١١، ح١٠٢٧.
(٧) نهاية القطع في (ع).
(٨) في إكمال المعلم له ٣/٥٥٧.
(٩) في (ع): فذكر منها.
(١٠) ما بين المعقوفين من (ع، ظ).

للصوم، وباب للزكاة والصدقة، وباب للحج والجهاد[١]، وباب للصلة[٢]، وباب للعمرة»[٣]، فزاد باب الحج وباب العمرة، وباب الصلة، فعلى هذا أبواب الجنة أحد عشر باباً.

وقد ذكر الآجري أبو الحسين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة باباً يقال له: باب الضحى، فإذا كان يوم القيامة، ينادي منادٍ: أين الذين كانوا يدومون على صلاة الضحى، هذا بابكم، فادخلوا»، ذكره في كتاب النصيحة.

ولا يبعد أن يكون لها ثالث عشر، على ما ذكره أبو عيسى الترمذي[٤] عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «باب أمتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المجود[٥] ثلاثاً، ثم إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول»، قال الترمذي: سألت محمداً[٦] عن هذا الحديث فلم يعرفه، وقال: لخالد بن أبي بكر مناكير عن سالم بن عبد الله.

قلت: فقوله: باب أمتي، يدل على أنه لسائر أمته ممن لم يغلب عليه عمل، فيدعى به، وعلى هذا يكون ثالث عشر. ولهذا يدخلون مزدحمين، وقد تقدم أن أكثر أهل الجنة البله، والله أعلم.

ومما يدل على أنها أكثر من ثمانية حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأسبغ الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله

---

(١) في (ع، ظ، نوادر الأصول): وباب للجهاد.

(٢) في (نوادر الأصول): وباب للأرحام. (٣) نوادر الأصول ٣/ ٢٤٤.

(٤) في جامعه ٤/ ٦٨٤، ح٢٥٤٨؛ وأبو يعلى في مسنده ٩/ ٤٠٧، ح٥٥٥٤؛ وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمة خالد بن أبي بكر ٢/ ٤٠٨ رقم ٢٤١٦، وعدّ الذهبي هذا الحديث من مناكير خالد.

(٥) في (الأصل): المجد، وفي (جامع الترمذي): الجواد، وما أثبته من (ع، م، مسند أبي يعلى).

(٦) في (ظ): سألت محمداً يعني البخاري، وقد ذكر الذهبي في ترجمة خالد بن أبي بكر قول البخاري في مناكيره.

وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، صادقاً من نفسه أو قلبه، شك، أيهما قال، فتح له من أبواب الجنة ثمانية أبواب يوم القيامة، يدخل من أيها شاء»، وخرجه **الترمذي**[١] وغيره[٢].

قال [أبو][٣] عمر [بن عبد البر في كتاب التمهيد[٤]][٥]: هكذا قال: فتح له من أبواب الجنة.

وذكره **أبو داود**[٦] **والنسائي**[٧] وابن سَنْجر[٨]: «فتحت له أبواب الجنة الثمانية»، وليس فيها ذكر «من» فعلى هذا أبواب الجنة ثمانية، كما قالوا.

قلت: قد ذكرنا أنها أكثر من ثمانية، وبالله توفيقنا، وأما كون الواو في: وفتحت أبوابها واو الثمانية، وأن أبواب الجنة كذلك ثمانية، فقد جاء ما يدل على أنها ليست كذلك، في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣] فخلو المتكبر، وهو ثامن اسم من الواو يدل على بطلان ذلك القول، وتضعيفه، والله أعلم. وقد بيناه في سورة براءة، والكهف من كتاب أحكام القرآن[٩]، والحمد لله.

وقد خرج **مسلم**[١٠] عن خالد بن عمير قال: خطبنا عتبة بن غزوان، وكان أميراً على البصرة، فحمد الله، وأثنى عليه، وذكر الحديث على ما تقدم[١١]، وفيه: ولقد ذكر لنا: «أن ما بين [١٨١/ب] المصراعين من مصاريع

---

(١) في جامعه ١/٧٨، ح٥٥، صححه الألباني، صحيح الترمذي ١/١٨، ح٤٨.
(٢) ابن ماجه في سننه ١/١٤٥، ح٤١٩؛ والدارمي في سننه ١/١٩٦، ح٧١٦.
(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ). (٤) ٧/١٨٩.
(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ). (٦) في سننه ١/٤٣، ح١٦٩.
(٧) في المجتبى من السنن ١/٩٢، ح١٤٨، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن النسائي ١/٣٣، ح١٤٤.
(٨) في (الأصل): ابن شخير، والتصويب من (ع، ظ، م)، وقد ضبط المصنف اسمه في مسودته، قال الذهبي: محمد بن سنجر الجرجاني، صاحب المسند، توفي سنة ٢٥٨هـ، سير أعلام النبلاء ١٢/٤٨٦.
(٩) سورة براءة في ٨/١٧٢ فقرة ٢٧٢، وسورة الكهف في ١٠/٢٤٩ فقرة ٣٨٢.
(١٠) في صحيحه ٤/٢٢٧٨، ح٢٩٦٧. (١١) ص(٨٦٢).

الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام»، الحديث.

وخرج(١) عن أنس ﷺ في حديث الشفاعة: «والذي نفس محمد بيده: إنما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما(٢) بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبُصرى».

وخرج(٣) عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «ليدخلنّ الجنة من أمتي سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف، لا يدري أبو حازم(٤) أيهما قال: متماسكون آخذ(٥) بعضهم بعضاً، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر»، فهذه الأحاديث مع صحتها تدل على أنها أكثر من ثمانية؛ إذ هي غير ما تقدم، فيحصل منها والحمد لله [على هذا](٦) ستة عشر باباً، والله أعلم.

[وقد ذكر الإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري في كتاب التحبير(٧): وقال رسول الله ﷺ: «الخُلُق الحسن طوق من رضوان الله ﷻ في عنق صاحبه، والطوق مشدود إلى سلسلة من الرحمة، والسلسلة مشدودة إلى حلقة من باب الجنة حيث ما ذهب الخلق الحسن جرته السلسلة إلى نفسها تدخله في ذلك الباب إلى الجنة، والخلق السوء طوق من سخط الله في عنق صاحبه، والطوق مشدود إلى سلسلة من عذاب الله، والسلسة مشدودة إلى حلقة من باب النار حيث ما ذهب الخلق السوء جرته السلسلة إلى نفسها تدخله من ذلك الباب إلى النار»(٨).

---

(١) أي مسلم في صحيحه ١/ ١٨٥، ح١٩٤.
(٢) في (الأصل): كما، وما أثبته من (ع، ظ، م، مسلم).
(٣) أي مسلم في صحيحه ١/ ١٩٨، ح٢١٩.
(٤) في (الأصل): أبو حاتم، والتصويب من (ع، ظ، م، مسلم).
(٥) في (الأصل، ظ): آخذ، وما أثبته من (ع، مسلم).
(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ). (٧) التحبير ص(٩٢).
(٨) ذكره ابن حبان في كتاب المجروحين ٢/ ٦١ في ترجمة عبد الرحمن بن محمد البلخي رقم ٦٠٦، وقال عنه: شيخ يضع الحديث.

وذكر صاحب الفردوس(١) من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ: «للجنة باب يقال له باب الفرح لا يدخل منه إلا من فرّح الصبيان»](٢).

فصل

قوله: من أنفق زوجين في سبيل الله، قال الحسن البصري كَلَّلهُ: يعني اثنين من كل شيء، دينارين، درهمين: ثوبين، خفين(٣).

وقيل: يريد شيئين: ديناراً ودرهماً، وثوباً وخفاً ولجاماً، ونحو هذا.

وقال الباجي:(٤) يحتمل أن يريد بذلك العمل من صلاتين أو صيام يومين.

قلت: والأول من التفسير أعلا(٥)؛ لأنه مروي عن النبي ﷺ، ذكر الآجري عن أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله ابتدرته حجبة الجنة، ثم قال ﷺ: بعيرين، درهمين، ترسين، نعلين»(٦)، وأما ما جاء من سعة أبواب الجنة فيحتمل أن يكون بعضها(٧) سعته كذا [وبعضها سعته كذا](٨)، كما ورد في الأخبار، ولا تعارض، والحمد لله.

---

(١) الديلمي في مسنده المسمى الفردوس بمأثور الخطاب ٣/٣٢٨، ح٤٩٨٥.

(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٣) ذكره ابن أبي شيبة في مصنفه ٤/٢٢٩.

(٤) سليمان بن خلف، أبو الوليد، القرطبي الباجي، له كتب منها: السراج في الخلاف، الإيمان في الفقه، وغير ذلك مات سنة ٤٩٣هـ، السير ١٨/٥٣٥.

(٥) في (ظ): أولى.

(٦) رواه أحمد بنحوه في مسند ٥/١٥٩، ح٢١٤٥١؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٤/٢٢٩، ح١٩٥٤٥.

(٧) في (الأصل): بعضه، والتصويب من (ع، ظ، م).

(٨) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م).

باب

روى البخاري[(١)] ومسلم[(٢)] عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة باباً يقال له الريان، يدخل منه الصائمون، فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم أغلق، فلم يدخل منه أحد[(٣)]».

قلت: وكذا والله أعلم سائر الأبواب المختصة بالأعمال[(٤)].

وجاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أن من الناس من يدعى من جميع الأبواب»[(٥)]، فقيل: ذلك الدعاء دعاء تنويه وإعطاؤه ثواب العاملين تلك الأعمال؛ إذ [قد][(٦)] جمعها ونبله ذلك، ثم يدخل من الباب الذي عليه العمل[(٧)]، والله أعلم.

وفي صحيح مسلم[(٨)]: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: [أنا][(٩)]، قال رسول الله ﷺ: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة» [١٨٦/أ].

[باب]

خرّج أبو داود الطيالسي[(١٠)] في مسنده[(١١)] قال: ثنا جعفر بن الزبير الحنفي عن القاسم مولى يزيد بن معاوية عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «انطلق برجل إلى باب الجنة فرفع رأسه فإذا على باب الجنة مكتوب: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض الواحد بثمانية عشر؛ لأن صاحب القرض لا يأتيك إلا

(١) في صحيحه ٢/ ٦٧١ ح١٧٩٧.
(٢) في صحيحه ٢/ ٨٠٨، ح١١٥٢.
(٣) في (ط، البخاري): أحد غيرهم.
(٤) في (ظ): بالعمال.
(٥) انظر ص(٩٥٤).
(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٧) في (ع): الذي غلب عليه العمل.
(٨) في صحيحه ٢/ ٧١٣، ح١٠٢٨.
(٩) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، مسلم).
(١٠) (الطيالسي): ليست في (ظ).
(١١) ص(١٥٥)، ح١١٤١.

وهو محتاج، والصدقة ربما وضعت في غناء»، خرجه ابن ماجه في السنن[١] فقال[٢]: حدثنا عبيد الله عبد الكريم حدثنا هشام بن خالد ثنا خالد بن زيد بن أبي مالك عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوب: الصدقة بعشر أمثالها والقرض ثمانية عشر، فقلت لجبريل: ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن[٣] السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة»][٤].

باب ما جاء في درج الجنة وما يحصلها للمؤمن

الترمذي[٥] عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الجنة مائة درجة، كل درجة منها ما بين السماء والأرض، وإن أعلاها الفردوس، وأوسطها الفردوس، وإن العرش على الفردوس، منها تفجر أنهار الجنة، إذا سألتم الله فسلوه الفردوس»، قال الترمذي: عطاء لم يدرك معاذ بن جبل.

قلت: قد خرجه البخاري من حديث أبي هريرة كما تقدم[٦]، فهو متصل صحيح.

وذكر[٧] ابن وهب قال: أخبرني عبد الرحمن بن زياد بن أنعم أنه سمع عتبة بن عبيد الضبي يذكر عمن حدثه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، «كم الجنة من درجة[٨]؟ قال: مائة درجة، بين كل درجتين ما بين

---

(١) ٢/ ٨١٢، ح٢٤٣١؛ والطبراني في الأوسط ٧/ ١٦، ح٦٧١٩؛ قال ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/ ٦١ ـ ٦٢: هذا حديث لا يصح.

(٢) في (ظ): قال.

(٣) في (ظ): أن.

(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٥) في جامعه ٤/ ٦٧٥، ح٢٥٣٠، صححه الألباني، صحيح الترمذي ٢/ ٣١٢، ح٢٠٥٥.

(٦) ص(٩٤٢).

(٧) في (الأصل): وخرّج، وما أثبته من (ع، ظ، م).

(٨) في (ع): كم للجنة من درجة، في (ظ): كم بين الجنة من درجة، والأصل متوافق مع (م).

السماء والأرض، أول درجة منها دورها وبيوتها [وأبوابها](١) وسررها ومغاليقها من فضة، والدرجة الثانية دورها وبيوتها وأبوابها وسررها ومغاليقها من ذهب، والدرجة الثالثة دورها وبيوتها وأبوابها وسررها ومغاليقها من ياقوت ولؤلؤ وزبرجد، وسبع وتسعون درجة لا يعلم ما هي إلا الله تعالى(٢)».

الترمذي(٣) عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم»، قال: هذا حديث غريب.

ابن ماجه(٤) عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة، حتى يقرأ آخر شيء معه».

وخرجه [**أبو داود**(٥)](٦) عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل، كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها».

وذكر أبو حفص عمر بن عبد المجيد القرشي الميانشي في كتاب الاختيار في الملح من الأخبار والآثار(٧) عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «درج الجنة على قدر(٨) آي القرآن، لكل آية درجة، فتلك ستة آلاف ومائتا آية وستة عشر آية، بين كل درجتين مقدار ما بين السماء إلى الأرض، فينتهي إلى أعلى

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م). (٢) في (ظ): إلا هو تعالى.
(٣) في جامعه ٤/٦٧٦، ح٢٥٣٢، ضعفه الألباني، ضعيف الترمذي ص(٢٩١)، ح٤٥٥.
(٤) في سننه ٢/١٢٤٢، ح٣٧٨٠، صححه الألباني، انظر: صحيح ابن ماجه ٢/٣١٤، ح٣٠٤٧.
(٥) في سننه ٢/٧٣، ح١٤٦٤؛ وابن حبان في صحيحه ٣/٤٣، ح٧٦٦، قال الألباني: حسن صحيح، انظر: صحيح أبي داود ١/٢٧٥، ح١٣٠٠.
(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٧) هكذا عنوان الكتاب في جميع النسخ، ولم أقف على من ذكره.
(٨) في (ع، ظ): عدد، والأصل متوافق مع مسند الديلمي.

عليين، لها سبعون ألف ركن، وهي ياقوتة تضيء مسيرة أيام وليالي»[١].

وقالت عائشة رضي الله عنها: إن عدد آي القرآن على عدد درج الجنة، فليس أحد دخل الجنة أفضل ممن [١٨٢/ب] قرأ القرآن[٢]، ذكره مكي[٣] رحمه الله.

فصل

قال العلماء [رحمة الله عليهم][٤]: حملة القرآن وقراؤه: هم العاملون بأحكامه وحلاله وحرامه، والعاملون بما فيه.

وقال مالك[٥]: قد يقرأ القرآن من لا خير فيه، وقد تقدم[٦] حديث العباس بن عبد المطلب في أبواب النار، وحديث أبي هريرة فيمن تعلم العلم وقرأ القرآن عجباً ورياءً بما فيه كفاية لمن تدبر.

وروى [أبو][٧] هدبة إبراهيم بن هدبة قال: ثنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم القرآن وعلمه[٨] [وأخذ بما فيه كان له شفيعاً ودليلاً إلى الجنة، ومن تعلم القرآن][٩] ولم يأخذ بما فيه، وحرّفه، كان له شفيعاً ودليلاً إلى جهنم».

وفي **البخاري**[١٠]: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به [كالأترجّة طعمها طيب وريحها طيب، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به][١١] كالتمرة»، وذكر الحديث. وقد أشبعنا القول في قارئ القرآن وأحكامه في كتاب التذكار في أفضل الأذكار[١٢]، وفي مقدمة جامع أحكام القرآن بما فيه كفاية،

(١) رواه الديلمي في فردوسه ٢١٨/٢، ح٣٠٦٤.
(٢) ذكره ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢٠/٦، ح٢٩٩٥٢.
(٣) لم أقف على من عينه.
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٥) لم أجده في المدونة.
(٦) ص(٨٢٢).
(٧) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٨) (وعلمه): ليست في (ع، ظ).
(٩) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(١٠) في صحيحه ٢٧٤٨/٦، ح٧١٢١.
(١١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، البخاري).
(١٢) انظر: كتاب التذكار ص(٧٩) وما بعدها.

والحمد لله. وتقدم[١] أن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، فالجهاد يحصل مائة درجة[٢]، وقراءة القرآن تحصل جميع الدرجات، والله المستعان على ذلك والإخلاص فيه بمنه وكرمه.

باب ما جاء في غرف الجنة ولمن هي

قال الله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ [الزمر: ٢٠] الآية، وقال: ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧]، وقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الفرقان: ٧٥].

مسلم[٣] عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراؤون أهل الغرف من فوقهم كما يتراؤون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

وخرج **الترمذي الحكيم**[٤] قال: ثنا صالح بن محمد قال: ثنا سليمان بن عمرو عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾، وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ قال: «الغرفة من ياقوتة حمراء، وزبرجدة خضراء، أو درة بيضاء، ليس فيها قصم ولا وصل، وإن أهل الجنة ليتراؤون الغرفة منها كما يتراؤون الكوكب الشرقي أو الغربي في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما منهم، وأنعما».

وقال[٥]: ثنا صالح عن عبد الله وقتيبة بن سعيد وعلي بن حجر قالوا: ثنا خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد الله بن الحارث عن

---

(١) ص(٩٤٢).
(٢) (أعدها الله للمجاهدين في سبيله، فالجهاد تحصل مائة درجة): ليست في (ظ).
(٣) في صحيحه ٤/٢١٧٧، ح٢٨٣١.
(٤) في نوادر الأصول ٣/٩٣.
(٥) أي: الترمذي في نوادره ٢/٣٨.

عبد الله بن [١٨٣/أ] مسعود ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «إن المتحابين في الله تعالى لعلى عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود، سبعون ألف غرفة يضيء حسنهم أهل الجنة كما تضيء الشمس أهل الدنيا، يقول أهل الجنة بعضهم [لبعض][(١)]: انطلقوا بنا حتى ننظر إلى المتحابين في الله تعالى فإذا أشرفوا عليهم أضاء حسنهم أهل الجنة كما تضيء الشمس أهل الدنيا[(٢)]، عليهم ثياب خضر سندس، مكتوب على جباههم: هؤلاء المتحابون في الله تعالى».

وذكر **الثعلبي** من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل عليين[(٣)] لينظرون إلى الجنة، فإذا أشرف رجل من أهل عليين أشرقت الجنة لضياء وجهه، فيقولون: ما هذا النور؟ فيقال: أشرف رجل من أهل عليين الأبرار، أهل الطاعة والصدق».

وروى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «إن أهل الغرف ليتراؤون عليين كما يتراؤون الكوكب الدري في أفق السماء، وأن أبا بكر وعمر منهم وأنعما» ﷺ ذكره الثعلبي.

الترمذي[(٤)] عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لغرفاً يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها، فقام إليه أعرابي، فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام».

وذكر **أبو نعيم**[(٥)] الحافظ من حديث محمد بن واسع عن الحسن عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم، فقال: «ألا أخبركم بغرف الجنة، غرفاً من ألوان الجواهر»، يرى ظاهرها من باطنها،

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، نوادر الأصول).
(٢) (كما تضيء الشمس أهل الدنيا): ليست في (ظ).
(٣) في (الأصل): أهل الجنة، والتصويب من (ع، ظ).
(٤) في جامعه ٤/٦٧٣، ح٢٥٢٧؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/٣٠، ح٣٣٩٧٢، حسنه الألباني، انظر: صحيح الترمذي ٢/١٩٠، ح١٦١٦.
(٥) في الحلية ٢/٣٥٦.

وباطنها من ظاهرها، فيها من النعيم والثواب والكرامات ما لا أذنٌ سمعت، ولا عينٌ رأت، فقلنا: بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله لمن تلك؟ قال: لمن أفشى السلام وأدام الصيام، وأطعم الطعام، وصلى والناس نيام، فقلت: بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك؟ فقال: أمتي تطيق ذلك، وسأخبركم[١] بمن يطيق ذلك، من لقي أخاه المسلم وسلم عليه فقد[٢] أفشى السلام، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام، ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام[٣] الصيام، ومن صلى العشاء الآخرة في جماعة فقد صلى والناس نيام: اليهود والنصارى والمجوس».

فصل

اعلم أن هذه الغرف مختلفة في العلو والصفة بحسب اختلاف[٤] أصحابها في الأعمال، فبعضها أعلى من بعض، وأرفع.

وقوله: الغابر من المشرق أو المغرب: يروى: بالياء اسم فاعل من غار، وقد روى غير مسلم[٥]: الغارب بتقديم الراء، والمعنى واحد. وروي: الغابر[٦]: بالباء، بواحدة، ومعناه الذاهب، أو الباقي، فإن غبر من الأضداد، يقال: غبر، إذا ذهب، [١٨٣/ب] وغبر إذا بقي، ويعني به: أن الكوكب حالة طلوعه وغروبه، بعيد عن الأبصار، فيظهر صغيراً لبعده، وقد بينه بقوله: من المشرق أو المغرب. «وقد روي: العابر، بالعين المهملة والراء: البعيد»[٧]، ومعانيها: كلها متقاربة[٨]، والحمد لله[٩].

---

(١) في (ع): وسأنبئكم.
(٢) في (ع: فهذا.
(٣) في (ع): فهذا دام.
(٤) (اختلاف): ليست في (ظ).
(٥) في صحيح البخاري ٥/٢٣٩٩، ح٦١٨٨؛ والترمذي في جامعه ٤/٦٩٠، ح٢٥٥٦.
(٦) رواها البخاري في صحيحه ٣/١١٨٨، ح٣٠٨٣؛ ومسلم في صحيحه ٤/٢١٧٧، ح٢٨٣٠.
(٧) هذا نص كلام النووي، انظر: شرح مسلم له ١٧/١٦٩.
(٨) في (ظ): متقاربة المعنى.
(٩) (والحمد لله): ليست في (ظ).

وقوله: والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، ولم يذكر[١] عملاً ولا شيئاً سوى الإيمان والتصديق للمرسلين[٢]؛ ذلك ليعلم[٣] أنه غني عن الإيمان البالغ، وتصديق المرسلين من غير سؤال آية أو تلجلج، وإلا فكيف تنال الغرفات بالإيمان والتصديق الذي للعامة، ولو كان كذلك كان جمع الموحدين في أعالي الدرجات وأرفع الغرفات، وهذا محال، وقد قال تعالى[٤]: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الفرقان: ٧٥]، والصبر: بذل النفس والثبات له وقوفاً بين يديه بالقلوب عبودة، وهذه صفة المقربين، وقال في آية أخرى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ: ٣٧] فذكر شأن الغرفة [و][٥] أنها لا تنال بالأموال والأولاد، وإنما تنال بالإيمان والعمل الصالح، ثم بين لهم جزاء الضعف، وأن محلهم الغرفات، يعلمك أن هذا إيمان طمأنينة، وتعلق قلب به مطمئناً في كل ما نابه وبجميع أموره وأحكامه، وإذا عمل عملاً صالحاً فلا يخالط[٦] بضده، وهو الفاسد، فلا يكون العمل الصالح الذي لا يشوبه فاسد إلا مع إيمان بالغ مطمئن صاحبه بمن آمن وبجميع أموره وأحكامه، والمخلط ليس إيمانه وعمله هكذا، فلهذا كانت منزلته دونه.

قلت: ذكره **الترمذي الحكيم**[٧] رَحِمَهُ اللهُ وهو واضح بين، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾ [الإنسان: ٥]، وقال: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين: ٢٧ ـ ٢٨]، فلما باين [بين الأبرار والمقربين في الشراب على ما يأتي[٨] بيانه، باين][٩] بينهم في

(١) في (الأصل): ولم يذكروا، وما أثبته من (ع)؛ لأن الذي لم يذكر هو النبي ﷺ فقط.
(٢) (ولم يذكروا عملاً ولا شيئاً سوى الإيمان والتصديق للمرسلين): ساقط من (ظ).
(٣) في (ع): لتعلم.
(٤) في (ظ): وقد قال الله تعالى.
(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٦) في (ع): يخلط، وفي (ظ): يخلطه.
(٧) في نوادر الأصول ٣/ ٩٥.
(٨) ص(١٠٢٩).
(٩) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

المنازل والدرجات وأعالي الغرفات حسب ما باين بينهم في الأعمال الصالحات والاجتهاد في الطاعات، قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۝١٨﴾ [المطففين: ١٨]، فيجتهد الإنسان أن يكون من الأبرار المقربين ليكون في عليين، وأصحاب عليين جلساء الرحمن تعالى، وهم أصحاب المنابر من النور في المقعد الصدق. وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا[1] مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الحاقة: ١٩] ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ۝٢٢﴾ [الحاقة: ٢١ ـ ٢٢] فأصحاب اليمين في علو الجنات أيضاً وجمعها عوالي، وجنات المقربين جمعها علالي واحدتهن علية.

قال:

ألا يا عين ويحك أسعديني   بغزر الدمع في ظلم الليالي
لعلك في القيامة أن تفوزي   بخير الدار في تلك العلالي [١٨٤/أ]

باب منه

روي من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لغرفاً ليس لها مغاليق من فوقها ولا عماد من تحتها، قيل: يا رسول الله وكيف يدخلها أهلها؟ قال: يدخلونها أشباه الطير، قيل: يا رسول الله[2] لمن هي؟ قال لأهل الأسقام والأوجاع والبلوى»، خرجه أبو القاسم زاهر بن طاهر بن محمد بن محمد الشحامي[3] رحمه الله.

باب منه

روى الليث بن سعد، حدثني محمد بن عجلان أن واقداً البصري[4]

(١) في (جميع النسخ): وأما، والتصويب من المصحف.

(٢) (وكيف يدخلها أهلها؟ قال: يدخلونها أشباه الطير، قيل: يا رسول الله): ساقطة من (ع).

(٣) مسند خراسان، سمع من البيهقي سننه الكبرى، وسمع كتاب ابن حبان، مات سنة ٥٣٣هـ. سير أعلام النبلاء ٩/٢٠.

(٤) في الكامل لابن عدي ١٩٢/٧؛ وشعب الإيمان للبيهقي ٣٦٧/١، ح٤٠٩: عن-

حدثه[١] عن أنس بن مالك ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «ليؤتين برجال يوم القيامة ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لمنازلهم من الله تعالى، يكونون على منابر من نور، قالوا: ومنهم يا رسول الله؟ قال: هم الذين يحببون الله تعالى إلى الناس، ويحببون الناس إلى الله، ويمشون لله في الأرض نصحاً، قلنا: يا رسول الله هذا يحببون الله تعالى إلى الناس، فكيف يحببون الناس إلى الله؟ قال: يأمرونهم المعروف وينهونهم عن المنكر، فإذا أطاعوهم أحبهم الله تعالى».

باب ما جاء في قصور أهل الجنة ودورها وبيوتها[٢] وبم ينال ذلك المؤمن

خرّج الآجري[٣] عن الحسن قال: سألت عمران بن حصين وأبا هريرة ﷺ عن تفسير هذه الآية: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ [التوبة: ٧٢] فقالا: على الخبير سقطت، سألنا عنها رسول الله ﷺ فقال: «قصر من لؤلؤة في الجنة، في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتاً من زبرجدة خضراء، في كل بيت سبعون سريراً على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون، على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين، في كل بيت سبعون مائدة، على كل مائدة سبعون لوناً من الطعام، في كل بيت [سبعون][٤] وصيفاً ووصيفة، فيعطي الله تبارك وتعالى المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله. ذكره في كتاب النصيحة.

= ابن عجلان عن يزيد الرقاشي عن أنس، وقال ابن عبدي: واقد لم يسمع من أنس، إنما روي هذا عن يزيد الرقاشي عن أنس.

(١) في (ع، ظ): أخبره. (٢) (وبيوتها): ليست في (ظ).

(٣) والحديث أخرجه الطبراني في الكبير ١٨/ ١٦٠، ح٣٥٣؛ وابن المبارك في الزهد ١/ ٥٥٠، ح١٥٧٧؛ وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه جسر بن فرقد، وهو ضعيف، مجمع الزوائد ١٠/ ٤٢٠.

(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

وذكر ابن وهب قال: أخبرني ابن يزيد[1] عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه ليجاب للرجل الواحد بالقصر من اللؤلؤة الواحدة في ذلك القصر سبعون غرفة، في كل غرفة زوجة من الحور العين، في كل [١٨٤/ب] غرفة سبعون باباً يدخل عليه من كل باب رائحة من رائحة الجنة سوى الرائحة التي تدخل عليه من الباب الآخر، وقرأ قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

الترمذي[2] عن بريدة بن خصيب[3] رضي الله عنه قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالاً فقال: «يا بلال، بم سبقتني إلى الجنة؟ فما دخلت الجنة إلا وسمعت خشخشتك أمامي، فأتيت على[4] قصر مربع مشرف من ذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لرجل عربي، فقلت: أنا عربي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من قريش، فقلت: أنا قرشي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من أمة محمد، فقلت: أنا محمد، لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال بلال: يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، وما[5] أصابني حدث إلا توضأت عنده، ورأيت أن لله علي ركعتين، فقال رسول الله ﷺ: بهما»، قال: حديث حسن صحيح.

وخرج **الطبراني**[6] أبو القاسم سليمان بن أحمد مختصراً من حديث أنس[7] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت: لمن هذا؟ فقلوا: لعمر بن الخطاب رضي الله عنه».

---

(١) في (الأصل): ابن يزيد والتصويب من (ع، ظ، م).

(٢) في جامعه ٥/ ٦٢٠، ح٣٦٨٩، ح٢٣٠٤٦؛ وأحمد في مسنده ٥/ ٣٥٤، ح٢٣٠٤٦، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/ ٢٠٥، ح٢٩١٢.

(٣) هكذا في جميع النسخ، وفي جامع الترمذي: عن بريدة قال حدثني أبي بريدة.

(٤) في (الأصل): فأتيت إلى، وما أثبته من (ع، ظ، م، الترمذي).

(٥) في (ع): ولا.

(٦) في المعجم الأوسط ٩/ ١١٥، ح٩٢٨٥؛ والحديث أصله في الصحيحين: البخاري ٣/ ١١٨٥، ح٣٠٧٠؛ ومسلم ٤/ ١٨٦٢، ح٢٣٩٤.

(٧) في (ظ): أنس بن مالك.

وذكر **الدارمي**[(١)] أبو محمد في مسنده، قال: ثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا حيوة[(٢)] قال: أخبرني أبو عقيل أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: إن نبي الله ﷺ قال: «من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ عشر مرات بُني له قصر[(٣)] في الجنة، ومن قرأها عشرين مرة، بُني له قصران[(٤)] في الجنة، ومن قرأها ثلاثين مرة، بُني له ثلاثة قصور[(٥)] في الجنة، فقال عمر بن الخطاب ﷺ: إذاً لتكثر قصورنا، فقال رسول الله ﷺ: الله أوسع من ذلك». قال الدارمي: أبو عقيل زهرة بن معبد، وزعموا أنه كان من الأبدال، وقد تقدم[(٦)] من حديث سمرة ﷺ أن النبي ﷺ: «دخل دار الشهداء ودار المؤمنين».

وخرج أبو داود **الطيالسي**[(٧)] قال: ثنا حماد بن سلمة عن أبي سنان قال: دفنتُ ابني سناناً وأبو طلحة الخولاني على شفير القبر، فقال: حدثني الضحاك بن عبد الرحمن عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قبض الله ﷻ ابن العبد قال للملائكة، ماذا قال عبدي؟ قالوا: حمدك، واسترجع، قال: ابنوا له بيتاً في الجنة، وسموه بيت الحمد».

باب في قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤] [١٨٥/أ]

الترمذي[(٨)] عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝٣٤﴾ قال: «ارتفاعها لكما[(٩)] بين السماء والأرض مسيرة

(١) في سننه ٢/٥٥١، ح٣٤٢٩.
(٢) في (الأصل): حياة، والتصويب من (ع، ظ، الدارمي).
(٣) في (الأصل): بنى الله له قصراً، وما أثبته من (ع، ظ، م، الدارمي).
(٤) في (الأصل): بنى الله تعالى له قصرين، وما أثبته من (ع، ظ، م، الدارمي).
(٥) في (الأصل): بنى الله له ثلاث قصور، وما أثبته من (ع، ظ، م، الدارمي).
(٦) ص(٣٩٨).
(٧) في مسنده ص(٦٩)، ح٥٠٨؛ وأحمد في مسنده ٤/٤١٥، ح١٩٧٤٠.
(٨) في جامعه ٤/٦٧٩، ح٢٥٤٠؛ وأحمد في مسنده ٣/٧٥، ح١١٧٣٧، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن الترمذي ص(٢٩٢)، ح٤٥٧.
(٩) في (الأصل): كما، وما أثبته من (ع، ظ، م، الترمذي).

خمسمائة سنة». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد.

«وقال بعض أهل العلم في تفسير هذا الخبر: الفرش: الدرجات، وبين الدرجات كما بين السماء والأرض»(١).

قلت: وقيل(٢): إن الفرش كناية عن النساء اللواتي في الجنة، والمعنى: نساء مرتفعات الأقدار في حسنهن وكمالهن، والعرب تسمي المرأة فراشاً ولباساً وإزاراً [ونعجة](٣)، على الاستعارة؛ لأن الفرش محل النساء. وفي الحديث: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»(٤). قال الله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] الآية، [وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [ص: ٢٣]](٥)، والله تعالى أعلم.

باب ما جاء في خيام الجنة وأسواقها وتعارف أهل الجنة(٦) وعبادتهم فيها

مسلم(٧) عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهل للمؤمن ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن».

في رواية(٨): قال: «الخيمة درة طولها في السماء ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهل للمؤمن ما يرون الآخرين».

وخرج **مسلم**(٩) أيضاً عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن

---

(١) هذا نص كلام الترمذي في جامعه. (٢) في (ظ): وقد قيل.
(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٤) أخرجه البخاري ٤/١٥٦٥، ح٤٠٥٢؛ ومسلم ٢/١٠٨٠، ح١٤٥٧.
(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٦) في (ع، ظ): وتعارف أهل الجنة الدنيا، ولم يظهر لي وجه إضافة كلمة الدنيا في (ع، ظ).
(٧) في صحيحه ٤/٢١٨٢، ح٢٨٣٨. (٨) ذكرت بنفس رقم الرواية السابقة.
(٩) في صحيحه ٤/٢١٧٨، ح٢٨٣٣.

في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال، فتحثوا في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً [وجمالاً][(١)]، فيقول[(٢)] لهم أهلوهم[(٣)]: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً».

الترمذي[(٤)] عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة رضي الله عنه فقال أبو هريرة: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة، فقال سعيد: أفيها سوق؟ قال: نعم، وذكر الحديث. وفيه: فيأتي سوقاً قد حفت به الملائكة ما لم تنظر[(٥)] العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب، فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولا يشترى، وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً، قال: فيقبل ذو المنزلة المرتفعة، فيلقى من هو دونه وما فيهم دني فيروعه ما عليه من اللباس فما ينقضي آخر حديثه حتى يتمثل عليه ما هو أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يحزن فيها، وذكر الحديث، وفي طريقه أبو العشرين: ضعيف.

[خرّجه **ابن ماجه**[(٦)] مكمّلاً وفيه بعد قوله: قال نعم أخبرني رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة إذا دخلوا نزلوا فيها بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيرون الله، ويبرز لهم عرشه، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة فيوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم وما فيهم

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م، مسلم).
(٢) في (الأصل، ع): فيقولون، وما أثبته من (ظ، م، مسلم).
(٣) في (ظ): أهلهم.
(٤) في جامعه ٤/ ٦٨٥، ح٢٥٤٩؛ وابن حبان في صحيحه ١٦/ ٤٦٨، ح٧٤٣٧، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن الترمذي ص(٢٩٥ _ ٢٩٦)، ح٤٦٢.
(٥) في (ع): لم تنظر.
(٦) في سننه ٢/ ١٤٥٠، ح٤٣٣٦؛ وابن أبي عاصم في السنة ١/ ٢٥٩، ح٥٨٥، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن ابن ماجه ص(٣٥٤ _ ٣٥٥)، ح٩٤٧.

دنيء على كثبان المسك والكافور، ما يرون بأن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً، قال أبو هريرة: قلت يا رسول الله هل نرى ربنا؟ قال: نعم، هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قلنا: لا، قال: كذلك لا تمارون في رؤية ربكم ﷻ، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله حتى إنه يقول للرجل منكم ألا تذكر يا فلان، يوم عملت كذا وكذا، يذكره بعض غدراته في الدنيا فيقول: يا رب أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى، فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه، فبينما هم كذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط، ثم يقول: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم، قال فيأتي سوقاً.. الحديث بلفظه ومعناه، إلى أن قال: وكذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، قال ثم نتعرف إلى منازلنا فتلقانا أزواجنا فيقلن: مرحباً وأهلاً لقد جئت وأن بك من الجمال والطيب أفضل ما فارقتنا عليه، فيقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار ولحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا»][1].

وخرج **الترمذي**[2] أيضاً عن علي ﷺ قال: قال [١٨٥/ب] رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لسوقاً[3] ما فيها شراء ولا بيع[4] إلا الصور من الرجال والنساء، فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها»، قال: هذا حديث غريب.

وروى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة قال: ثنا أنس بن مالك ﷺ قال: [قال][5] رسول الله ﷺ: «إن في الجنة أسواقاً لا شراء فيها ولا بيع، أهل الجنة لما أفضوا إلى روح الجنة جلسوا متكئين على لؤلؤ رطب وترابها مسك يتعارفون في تلك الجنان، كيف كانت الدنيا، وكيف كانت عبادة الرب، وكيف

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٢) في جامعه ٤/٦٨٦، ح٢٥٥٠؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/٣٠، ح٣٣٩٧١، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن الترمذي ص(٢٩٦)، ح٤٦٣.

(٣) (إن في الجنة لسوقاً): سقط في (ظ).

(٤) في (الأصل، ظ): بيع ولا شراء، وما أثبته من (ع، م، الترمذي).

(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

يحيي الليل، وكيف يصوم النهار، كيف كان فقر[١] الدنيا وغناها، وكيف كان الموت، وكيف صرنا بعد طول البلى من أهل الجنة»[٢].

باب لا يدخل أحد الجنة[٣] إلا بجواز

خرّج أبو بكر **الخطيب** أحمد بن علي من حديث عبد الرزاق عن الثوري عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء بن يسار عن سلمان الفارسي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية»[٤].

و[٥]ذكره أحمد بن حنبل ﷺ في مسنده[٦].

قلت: لعل هذا فيمن لا يدخل الجنة بغير حساب، وذلك بَيِّنٌ[٧] في الباب بعد هذا.

باب أول الناس يسبق إلى الجنة الفقراء

ابن المبارك[٨] قال: أخبرنا عبد الوهاب بن الورد قال: قال سعيد بن المسيب ﷺ: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أخبرني يا رسول الله بجلساء الله تعالى يوم القيامة، قال[٩]: «هم الخائفون، الخاضعون، المتواضعون الذاكرون الله كثيراً، قال: يا رسول الله أفهم أول الناس يدخلون الجنة؟ قال: لا، قال: فمن أول الناس يدخل الجنة؟ قال: الفقراء يسبقون الناس إلى الجنة، فيخرج إليهم منها[١٠] ملائكة، فيقولون: ارجعوا إلى

---

(١) في (الأصل): فقراء، والتصويب من (ع، ظ).
(٢) لم أقف عليه، وأبو هدبة كذاب، سبقت ترجمته ص(١٥٠).
(٣) في (الأصل): الجنة أحد، وما أثبته من (ع، ظ، م).
(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط ٣/ ٢٢٤، ح٢٩٨٧.
(٥) (الواو): ليست في (ع، ظ).
(٦) لم أجده في مسنده.
(٧) (بَيِّنٌ): ليست في (ظ).
(٨) في الزهد (الزوائد)، ص(٨٠)، ح٢٨٣؛ وأبو نعيم في الحلية ٨/ ١٤٣.
(٩) في (ع): فقال.
(١٠) (منها): ليست في (ظ).

الحساب، فيقولون على ما نحاسب؟ والله ما أفيضت علينا من الأموال في الدنيا فنقبض فيها ونبسط، وما كنا أمراء نعدل ونجور، ولكنا جاءنا أمر الله فعبدناه حتى أتانا اليقين».

[وروي عن النبي ﷺ قال: «اتقوا الله فإنه يقول يوم القيامة: أين صفوتي من خلقي، فتقول الملائكة: من هم يا ربنا؟ فيقول: الفقراء الصابرون الراضون بقدري، أدخلوهم[١] الجنة، قال: فيدخلون الجنة يأكلون ويشربون، والأغنياء في الحساب يترددون»][٢].

الترمذي[٣] عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل [١٨٦/أ] أغنيائهم[٤] بخمسمائة عام، خرجه من حديث الأعمش سليمان عن[٥] عطية العوفي عن أبي سعيد، وقال فيه: حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام: نصف يوم»[٦]، قال[٧]: هذا حديث حسن صحيح

وفي طريق أخرى: «يدخل فقراء المسلمين قبل الأغنياء بنصف يوم، وهو خمسمائة عام»[٨]، وقال: حديث حسن صحيح.

[وروي عن أبي الدرداء قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: سمعت

---

(١) في (ظ): ادخلوا. (٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٣) في جامعه ٤/ ٥٧٧، ح٢٣٥١؛ وابن ماجه في سننه ٢/ ١٣٨١، ح٤١٢٣، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٢٧٥، ح١٩١٦.

(٤) في (ظ): قبل الأغنياء.

(٥) في (الأصل) (بن): والتصويب من (ع، ظ، الترمذي).

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه ٤/ ٥٧٨، ح٢٣٥٣، قال الألباني: حسن صحيح، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٢٧٥، ح١٩١٨.

(٧) في (ظ): وقال، والقائل هو الترمذي.

(٨) أخرجه الترمذي في جامعه ٤/ ٥٧٨، ح٢٣٥٤، قال الألباني: حسن صحيح، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٢٧٥ _ ٢٧٦.

رسول الله ﷺ يقول: إن فقراء المسلمين يدخلون الجنة بخمسمائة عام[١] قبل الأغنياء بنصف يوم، قيل له: يا رسول الله، وما نصف يوم؟ قال: خمسمائة سنة[٢]، قيل له: فكم السنة من شهر؟ قال: خمسمائة شهر، فكم الشهر من يوم؟ قال: خمسمائة يوم، فقيل له: فكم اليوم[٣]؟ قال خمسمائة مما تعدون»، ذكره القتبي في عيون الأخبار له][٤].

[الترمذي][٥] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً»، قال: هذا حديث حسن صحيح. وخرجه[٦] من حديث أنس أيضاً، وقال فيه: حديث غريب.

وفي صحيح مسلم[٧] من حديث عبد الله بن عمرو[٨] رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة[٩] إلى الجنة بأربعين خريفاً».

فصل

اختلاف هذه الأحاديث يدل على أن الفقراء مختلفو الأحوال، وكذلك الأغنياء، وقد تقدم[١٠] من حديث أبي بكر بن أبي شيبة: «أول ثلاثة يدخلون الجنة»، ولا تعارض والحمد لله، فإن الحديثين مختلفا المعنى، وقد اختلف في

---

(١) (بخمسمائة عام): من (ظ): فقط. (٢) في (ظ): عام.
(٣) (شهر، فكم الشهر من يوم؟ قال: خمسمائة يوم، فقيل له: فكم اليوم)؛ ساقطة من (ظ).
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ)، وفي الأصل: وعن جابر.
(٦) أي الترمذي في جامعه ٤/٥٧٨، ح٢٣٥٥؛ والدارمي في سننه ٢/٤٣٧، ح٢٨٤٤، قال الألباني: صحيح بلفظ «فقراء المهاجرين»، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/٢٧٥، ح١٩١٩.
(٧) ٤/٢٢٨٥، ح٢٩٧٩.
(٨) في (الأصل، ظ): عمر، والتصويب من (ع، م، مسلم).
(٩) في (الأصل، ع): قبل يوم القيامة، والتصويب من (ظ، م، مسلم).
(١٠) ص(٨٢٢).

أي الفقراء هم السابقون، وفي مقدار المدة التي بها يسبقون، ويرتفع الخلاف عن الموضع الأول بأن يرد مطلق حديث أبي هريرة إلى مقيد روايته الأخرى، وكذلك حديث جابر يرد أيضاً إلى حديث عبد الله بن عمرو[(١)]، ويكون المعنى فقراء المسلمين المهاجرين، إذ المدة فيهما أربعين[(٢)] خريفاً، ويبقى حديث أبي سعيد الخدري في المدة بخمسمائة عام، ووجه الجمع بينهما: أن يقال: إن سُبّاق الفقراء من المهاجرين يسبقون سُبّاق الأغنياء منهم بأربعين خريفاً، وغير سُبّاق الأغنياء بخمسمائة عام.

وقد قيل: إن حديث أبي هريرة وجابر يعم جميع فقراء[(٣)] قرون المسلمين، فيدخل الجنة سُبّاق فقراء كل قرن قبل[(٤)] غير السبّاق من أغنيائهم بخمسمائة عام على حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقبل السبّاق بأربعين خريفاً على حديث جابر، والله أعلم.

فصل

قلت: وقد احتج بأحاديث هذا الباب من فَضّل الفقير على الغني[(٥)]، وقد اختلف الناس في هذا المعنى وطال فيه الكلام بينهم حتى صنفوا فيه كتباً وأبواباً[(٦)] واحتج كل فريق لمذهبه في ذلك، والأمر قريب في ذلك إن شاء الله تعالى، وقد سئل[(٧)] أبو علي الدقاق: أي الوصفين أفضل؟ الغنى أو[(٨)] الفقر؟ فقال: الغنى؛ لأنه وصف الحق[(٩)] سبحانه، [والفقر وصف الخلق، ووصف

(١) في (الأصل): عمر، والتصويب من (ع، ظ، م).
(٢) هكذا في جميع النسخ، وتخرج على تقدير نزع الخافض هكذا: إذ المدة فيهما مقدرة بأربعين خريفاً.
(٣) في (الأصل): الفقراء، والتصويب من (ظ، م).
(٤) من هذا الموضع قطع في (ع).
(٥) في (ظ، م): من فضّل الفقر على الغنى.
(٦) في (ظ): وطال فيه الكلام بينهم وصنفوا فيه كتباً وأبواباً، والأصل متوافق مع (م).
(٧) نهاية القطع في (ع).
(٨) في (ظ): أم.
(٩) في (الأصل): الحق سبحانه، وما أثبته من (ع، ظ، م).

الحق][١] أفضل من وصف الخلق، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وبالجملة: فالفقير بالحقيقة [١٨٦/ب] العبد وإن كان له مال، وإنما يكون غنياً إذا عوّل على مولاه، ولم ينظر إلى أحد سواه، فإن تعلق [باله][٢] بشيء من الدنيا ورأى نفسه أنه فقير إليه فهو عبده، قال رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار»، الحديث، خرجه **البخاري**[٣] وغيره[٤]، [وقد كتبناه في كتاب قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكسب والصناعة[٥]، وتكلمنا عليه وبيناه والحمد لله][٦]، وإنما شرف العبد افتقاره إلى مولاه وعزه خضوعه له، ولقد أحسن من قال:

وإذا تذللت الرقاب تواضعاً   منا إليك فعزها في ذلها

فالغني المتعلق البال[٧] بالمال الحريص عليه الراغب فيه هو الفقير حقيقة وعادمه الذي يقول: ما أبالي[٨] به ولا لي رغبة فيه، إنما هي ضرورة العيش، فإذا وجدتها فغيرها زيادة يشغل عن الإرادة، فهو الغني حقيقة، قال ﷺ: «ليس الغنى [عن][٩] كثرة العرض، وإنما الغنى غنى النفس»، خرّجه **مسلم**[١٠].

وأخذ عثمان بن سعدان الموصلي[١١] هذا المعنى فقال:

تقنع بما يكفيك واستعمل الرضى   فإنك لا تدري أتصبح أم تمسي
فليس الغنى عن كثرة المال إنما   يكون الغنى والفقر من قبل النفس

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م).
(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م).
(٣) في صحيحه ٣/١٠٥٧، ح٢٧٣٠.
(٤) وابن ماجه في سننه ٢/١٣٨٥، ح٤١٣٥؛ والطبراني في الأوسط ٤/٢٣٦، ح٤٠٧٣.
(٥) في (ع): بالكتب والشفاعة، وما أثبته من(ظ) وهو الصواب، وهو في ص(٢٩) من الكتاب.
(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٧) في (الأصل): فالمعنى المعلق البال، وما أثبته من (ع، ظ، م).
(٨) في (الأصل): لا أبالي، وما أثبته من (ع، ظ، م).
(٩) ما بين المعقوفتين من (ع، م، مسلم).
(١٠) في صحيحه ٢/٧٢٦، ح١٠٥١.
(١١) لم أقف على من ترجم له، أو ذكره.

[وقد أشبعنا القول في هذا في كتاب قمع الحرص[(١)]][(٢)].

قلت: وهنا[(٣)] درجة ثالثة رفيعة، وهي الكفاف وهي التي سألها رسول الله ﷺ فقال: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً»، وفي رواية: «كفافاً»، خرجه **مسلم**[(٤)]. ومعلوم أنه ﷺ لا يسأل إلا أفضل الأحوال وأسنى المقامات والأعمال، وقد اتفق الجميع على أن ما أحوج من الفقر مكروه، وما أبطر من الغنى مذموم، وفي سنن **ابن ماجه**[(٥)] عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من غني ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه أوتي من الدنيا قوتاً».

[فالكفاف حالة متوسطة بين الغنى والفقر، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «خير الأمور أوساطها[(٦)]»[(٧)]، وهو[(٨)] حالة سليمة من آفات الغنى المطغي، وآفات الفقر المدقع الذي كان يتعوذ منها النبي ﷺ، وكانت أفضل منها[(٩)]، ثم إن حالة صاحب الكفاف حالة الفقر إذ لا يترفه في طيبات الدنيا، ولا في زهرتها فكانت حاله إلى الفقراء[(١٠)] أقرب، فقد حصل له ما حصل للفقير من الثواب على الصبر[(١١)] وكفي مرارته وآفاته، وعلى هذا فأهل الكفاف هم إن شاء الله صدر كتيبة الفقراء الداخلين الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام؛ لأنهم وسطهم والوسط: العدل، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي عدلاً خياراً، وليسوا من الأغنياء كما ذكرنا وبالله توفيقنا.

---

(١) ص(١٢٠).

(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٣) في (ع، ظ): وبقيت هنا.

(٤) الرواية الأولى في صحيحه ٢/٧٣٠، ح١٠٥٥، والثانية أيضاً في مسلم ٤/٢٢٨١.

(٥) ٢/١٣٨٧، ح٤١٤٠ قال الألباني: ضعيف جداً، انظر: ضعيف سنن ابن ماجه ص(٣٤٠)، ح٩٠٤.

(٦) في (ظ): أوسطها، وما أثبته من (ع، ومصنف ابن أبي شيبة وشعب الإيمان للبيهقي).

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/١٧٩، ح٣٥١٢٨؛ والبيهقي في شعب الإيمان ٥/٢٦١، ح٦٦٠١.

(٨) في (ظ): هي.

(٩) في (ظ): منهما.

(١٠) في (ظ): الفقر.

(١١) من هذا الموضع قطع في (ع).

باب

الترمذي[١] عن ابن عمر قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله فينا، فقال: أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم، ثم يفشوا الكذب حتى يحلف الرجل ولا يُستحلف، ويشهد الشاهد ولا يُستشهد، أما لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالطاعة، وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته، وساءته سيئته فذلكم المؤمن، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب][٢].

باب ما جاء في صفة أهل الجنة ومراتبهم وسنهم وطولهم وشبابهم وعرقهم وثيابهم وأمشاطهم ومجامرهم[٣] وأزواجهم وفي نسائهم[٤]، وليس في الجنة عزب

مسلم[٥] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول زمرة يدخلون الجنة»، وفي رواية: «من أمتي على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة»[٦]، وفي رواية: «[ثم][٧] هم بعد هذا منازل لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب»[٨]، وفي رواية: «الفضة، ورشحهم المسك، ومجامرهم[٩] الألوة، وأزواجهم الحور العين»[١٠].

---

(١) في جامعه ٤/٢٦٥، ح٢١٦٥؛ والحاكم في مستدركه ١/١٩٨، ح٣٩٨، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/٢٣٢، ح١٧٥٨.

(٢) ما بين المعقوفتين من (ظ، ع).

(٣) في هذا الموضع سقط في (ظ).

(٤) نهاية القطع من (ع).

(٥) في صحيحه ٤/٢١٧٨، ح٢٨٣٤.

(٦) رواه مسلم في صحيحه ٤/٢١٧٩، ح٢٨٣٤.

(٧) ما بين المعقوفتين من (ع، م، مسلم).

(٨) رواها مسلم في صحيحه ٤/٢١٧٩، ح٢٨٣٤.

(٩) نهاية القطع في (ظ).

(١٠) رواه مسلم ٤/٢١٨٠، ح٢٨٣٤.

وفي رواية: «لكل واحد [١٨٧/أ] منهم زوجتان، يرى مخ ساقيهما[(١)] من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشياً»[(٢)].

قال أبو علي: الألوة: هو[(٣)] العود.

وفي رواية: «على صورة أبيهم ستون ذراعاً، في السماء»[(٤)].

«وقال أبو كريب: على خلق رجل.

فقال أبو هريرة ﷺ حين تذاكروا الرجال في الجنة أكثر أم النساء؟ فقال: لكل رجل منهم زوجتان اثنتان يرى مخ ساقيها[(٥)] من وراء اللحم، وما في الجنة عزب[(٦)]»[(٧)]، **الترمذي**[(٨)] عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن المرأة من نساء[(٩)] أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها، وذلك بأن الله ﷻ يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾ [الرحمن: ٥٨]، فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيته»، وروي موقوفاً[(١٠)].

البخاري[(١١)] عن أنس عن النبي ﷺ قال: «لو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها».

---

(١) في (ع): ساقيها، وفي (ظ): ساقها، وفي (مسلم): ساقهما، والأصل متوافق مع (م).
(٢) أخرجها مسلم وهي بنفس رقم الرواية السابقة.
(٣) (هو): ليست في (ع).
(٤) رواه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٧٩، ح٢٨٣٤.
(٥) في (الأصل): ساقهما، وفي (مسلم): سوقهما، وما أثبته من (ع، ظ، م).
(٦) في (مسلم): أعزب.
(٧) مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٧٩.
(٨) في جامعه ٤/ ٦٧٦، ح٢٥٣٣، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن الترمذي ص(٢٩١ ـ ٢٩٢)، ح٤٥٦.
(٩) (نساء): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م، والترمذي).
(١٠) رواه الترمذي ٤/ ٦٧٦، ح٢٥٣٤.
(١١) في صحيحه ٣/ ١٠٢٩، ح٢٦٤٣.

الترمذي[(١)] عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة جرد مرد كحل، لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم»، قال: حديث غريب.

وخرج[(٢)] عنه[(٣)] أيضاً عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل ﷺ أن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين، أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة». قال: حديث غريب. «وروي عن قتادة مرسلاً»[(٤)].

وذكر الميانشي من حديث جابر بن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: «أهل الجنة مرد إلا موسى [بن عمران][(٥)] ﷺ، فإن له لحية إلى سرته»[(٦)].

الترمذي[(٧)] عن سعد[(٨)] بن أبي وقاص ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لو أن ما يقل ظفر مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض، ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدت[(٩)] أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم» قال: حديث غريب.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من مات من أهل الجنة من صغير وكبير يردون بني ثلاثين في الجنة، لا يزيدون عليها، وكذلك

---

(١) في جامعه ٤/ ٦٧٩، ح٢٥٣٩، حسنه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣١٣، ح٢٠٦٢.

(٢) أي الترمذي في جامعه ٤/ ٦٨٢، ح٢٥٤٥، حسنه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣١٤، ح٢٠٦٤.

(٣) أي عن شهر بن حوشب.

(٤) هذا نص كلام الترمذي في جامعه.

(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، الديلمي).

(٦) رواه الديلمي في فردوسه ١/ ٤٠٨، ح٦١٤٩، قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، انظر: الموضوعات له ٣/ ٥٨٦ ـ ٥٨٨، ح١٨١٥.

(٧) في جامعه ٤/ ٦٧٨، ح٢٥٣٨؛ وأحمد في مسنده ١/ ١٦٩، ح١٤٤٩؛ والطبراني في الأوسط ٨/ ٣٦٣، ح٨٨٨٠، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣١٣، ح٢٠٦١.

(٨) في (الأصل، ع): سعيد، وما أثبته من (ظ، الترمذي).

(٩) في (ظ، الترمذي): فبدا.

أهل النار»[(١)]. قال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين.

فصل

في حديث أبي هريرة ﷺ: «لكل واحد منهم زوجتان»، وتقدم[(٢)] من حديث عمران بن حصين: «أن أقل ساكني الجنة النساء».

قال علماؤنا: لم يختلفوا في جنس النساء، وإنما اختلفوا في نوع من الجنس، وهو نساء الدنيا، ورجالها أيهما أكثر في الجنة، فإن كن اختلفوا في المعنى الأول وهو جنس النساء مطلقاً فحديث أبي هريرة حجة، وإن كان اختلفوا في [١٨٧/ب] نوع من الجنس وهم أهل الدنيا، فالنساء في الجنة أقل.

قلت: يحتمل أن يكون هذا في وقت كون النساء في النار، وأما بعد خروجهن بالشفاعة وبرحمة[(٣)] الله تعالى حتى لا يبقى فيها أحد ممن قال: لا إله إلا الله، فالنساء في الجنة أكثر، والله أعلم. وحينئذ يكون لكل واحد زوجتان أي من نساء الدنيا، وأما الحور العين فقد يكون لكل واحد منهم الكثير منهن، وفي حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة»، ذكره **الترمذي**[(٤)]، وقال: فيه حديث غريب وسيأتي[(٥)].

ومثله حديث أبي أمامة خرجه أبو محمد الدارمي وسيأتي[(٦)]، والأخبار دالة على هذا.

---

(١) رواه الترمذي في جامعه ٤/ ٦٩٥، ح٢٥٦٢، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن الترمذي ص(٢٩٩)، ح٤٦٧.

(٢) ص(٨١٧).
(٣) في (ع، ظ): ورحمة.

(٤) في جامعه ٤/ ٦٩٥، ح٢٥٦٢؛ وابن حبان في صحيحه ١٦/ ٤١٤، ح٧٤٠١؛ وأحمد في مسند ٣/ ٧٦، ح١١٧٤٢، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن الترمذي ص(٢٩٨ ـ ٢٩٩)، ح٤٦٦.

(٥) (وسيأتي): ليست في (ع، ظ).
(٦) ص(١٠٠٨).

[فصل][(١)]

وقوله: «أمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الألوَّة»، قد يقال هنا: أي حاجة في الجنة للأمشاط ولا تتلبد شعورهم ولا تتسخ، وأي حاجة للبخور وريحهم أطيب من المسك؟ ويجاب عن ذلك بأن نعيم أهل الجنة وكسوتهم ليس عن دفع ألم اعتراهم، فليس أكلهم عن جوع ولا شربهم عن ظمأ ولا تطيبهم[(٢)] عن نتن، وإنما هو لذات متوالية ونعم متتابعة، ألا ترى قوله تعالى لآدم: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: ١١٨ ـ ١١٩].

وحكمة ذلك: أن الله تعالى نعمهم في الجنة بنوع ما كانوا يتنعمون به[(٣)] في الدنيا، وزادهم على ذلك ما لا يعلمه إلا الله.

قلت: وقد جاء مثل هذا في أهل النار، حيث قال تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾﴾ [غافر: ٧١]، وقال: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾ [المزمل: ١٢]، فعذبهم في النار[(٤)] بنوع ما كانوا يعذبون به في الدنيا.

قال الشعبي: أترون أن الله تعالى جعل الأنكال في أرجل أهل النار خشية أن يهربوا؟ لا والله، ولكنهم إذا أرادوا أن يرتفعوا استثقلت بهم.

ابن المبارك[(٥)]: أخبرنا سعيد بن أبي أيوب قال: حدثني عقيل عن ابن شهاب قال: «لسان أهل الجنة عربي».

قلت: ولسانهم إذا خرجوا من القبور سرياني، وقد تقدم[(٦)].

وقال سفيان: بلغنا أن الناس يتكلمون يوم القيامة قبل أن يدخلوا الجنة بالسريانية، فإذا دخلوا الجنة تكلموا بالعربية.

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٢) في (الأصل): تطيبهن، وما أثبته من (ع، ظ) لمناسبته لضمائر قبله.
(٣) في (ع، ظ): أن الله تعالى عرفهم في الجنة بنوع ما كانوا يتنعمون به.
(٤) (في النار): ليست في (ظ).
(٥) في الزهد (الزوائد) ص(٧١)، ح٢٤٥. (٦) ص(٤٨٤).

باب في الحور العين وكلامهن وجواب نساء الآدميات وحسنهن

ذكر أن الآدميات في الجنة على سن واحد، وأما الحور العين فأصناف مصنفة، صغار وكبار على ما اشتهت أنفس أهل الجنة.

الترمذي(١) عن علي ﷺ قال: قال [١/١٨٨] رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن بأصواتٍ لم يسمع الخلائق بمثلها، قال: يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبؤس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له».

وفي(٢) الباب عن أبي هريرة ﷺ وأبي سعيد الخدري ﷺ وأنس بن مالك ﷺ، قال أبو عيسى: حديث علي حديث غريب.

وقالت عائشة ﷺ: إن الحور العين إذا قلن هذه المقالة أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا: نحن المصليات وما صليتن، ونحن الصائمات وما صمتن، ونحن المتوضئات وما توضأتن، ونحن المتصدقات وما تصدقتن، قالت عائشة ﷺ: فَغَلَبْنَ(٣)، والله أعلم.

وذكر ابن وهب عن محمد بن كعب القرظي أنه قال: «والله الذي لا إله إلا هو لو أن امرأة من الحور العين أطلعت سوارها من العرش لأطفأ نور سوارها نور الشمس والقمر، فكيف المسورة، وإن خلق الله شيئاً تلبسه إلا(٤) عليه مثل ما عليها من ثياب وحلي».

وقال أبو هريرة ﷺ: «إن في الجنة حوراء يقال لها العيناء إذا مشت مشى حولها سبعون ألف وصيف(٥)، وهي تقول: أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر»(٦).

---

(١) في جامعه ٤/٦٩٦، ح٢٥٦٤؛ وأحمد في المسند ١/١٥٦، ح١٣٤٢، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن الترمذي ص(٢٩٩)، ح٤٦٩.

(٢) من هذا الموضع قطع في (ع).

(٣) في (ظ): فغلبتهن.

(٤) في (الأصل): ولا، والتصويب من (ظ).

(٥) نهاية القطع في (ع).

(٦) لم أقف عليه.

[وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن في الجنة حوراء يقال لها لعبة، لو بزقت في البحر لعذب ماء البحر كله، مكتوب على نحرها: من أحب أن يكون له مثلي فليعمل بطاعة ربي عز وجل[1].

وروي عن النبي ﷺ أنه وصف حوراء ليلة الإسراء[2] فقال: «ولقد رأيت جبينها كالهلال من طول البدر منها ألف وثلاثون ذراعاً، في رأسها مائة ضفيرة ما بين الضفيرة والضفيرة سبعون ألف ذؤابة، والذوائب أضوأ من البدر، خلخالها مكلل بالدر وصنوف الجواهر على جبينها سطران مكتوب بالدر والجواهر في السطر الأول: بسم الله الرحمن الرحيم، وفي السطر الثاني: من أراد مثلي فليعمل بطاعة ربي عز وجل، قال لي جبريل: يا محمد هذه وأمثالها لأمتك فأبشر يا محمد وبشر أمتك وأمرهم بالاجتهاد»[3].

وذكر الختلي أبو القاسم: حدثنا إبراهيم بن أبي كثير، حدثنا أبو إسحاق حدثني محمد بن صالح العيني قال: قال عطاء السلمي[4] لمالك بن دينار: يا أبا يحيى شوّقنا، قال: يا عطاء إن في الجنة حوراً سامى[5] لها أهل الجنة أن لا يموتوا من حسنها، لولا أن الله كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا عن آخرهم من حسنها، قال: فلم يزل عطاء كمداً من قول مالك أربعين يوماً][6].

ابن المبارك[7] أخبرنا معمر عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إن المرأة من الحور العين ليرى مخ ساقها من وراء اللحم والعظم تحت سبعين حلة كما يرى الشراب الأحمر[8] في الزجاجة البيضاء».

---

(١) ذكر نحوه الأصبهاني في العظمة ٣/ ١٠٦٢.
(٢) في (ظ): ليلة أسري به. (٣) لم أقف عليه.
(٤) في (ظ): عطاء السلمي أبو القاسم.
(٥) في (ظ): تسامى بها، وفي لسان العرب ١٤/ ٣٩٧: سامى ارتفع وصعد.
(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٧) في الزهد (الزوائد) ص(٧٤)، ح٢٦٠؛ والطبراني في الكبير ١٠/ ١٦٠، ح١٠٣٢١.
(٨) (الأحمر): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (الزهد).

قال[١]: وأخبرنا رشدين عن ابن أنعم عن حيان بن أبي جبلة[٢] قال: «إن من نساء الدنيا من دخل منهن الجنة فضلن على الحور [العين][٣] بما عملن في الدنيا».

وروي مرفوعاً: «إن الآدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف»[٤].

باب ما جاء أن الأعمال الصالحة مهور الحور العين

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥].

وروى الترمذي [الحكيم][٥] أبو عبد الله في نوادر الأصول[٦]: حدثنا أبو الخطاب قال: حدثنا سهل بن حماد أبو عتاب قال: حدثنا جرير بن أيوب البجلي قال: حدثنا الشعبي عن نافع بن بردة[٧] عن أبي مسعود الغفاري ﷺ سمع رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يصوم يوماً من رمضان إلا زوج زوجة من الحور العين في خيمة من درة مجوفة مما نعت الله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمن: ٧٢]، على كل امرأة منهن سبعون حلة ليس منها حلة على لون الأخرى، وتعطى سبعون لوناً من الطيب ليس منهن لون[٨] على ريح الآخر، لكل امرأة منهن سبعون [١٨٨/ب] سريراً من ياقوتة حمراء موشحة بالدر على كل سرير سبعون فراشاً، على كل فراش أريكة، لكل امرأة منهن سبعون ألف وصيفة لحاجتها، وسبعون ألف وصيف، مع كل وصيف صحفة من ذهب

---

(١) أي ابن المبارك في الزهد ١/ ٧٢، ح٢٥٥؛ وهناد في الزهد ١/ ٥٧ ـ ٥٨، ح٢٣.
(٢) في (الأصل): بن أبي جميلة وما أثبته من (ع، ظ، الزهد).
(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، الزهد).
(٤) لم أقف عليه.
(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٦) لم أجده في نوادر الأصول المطبوع.
(٧) في (الأصل): بن أبي بردة، والتصويب من (ع، ظ، م، صحيح ابن خزيمة).
(٨) في (ع): ليس منها لون، وفي (ابن خزيمة): ليس منه لون.

فيها لون من طعام يجد لآخر لقمة لذة لم يجد لأوله، ويعطى زوجها[١] مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمر عليه سواران من ذهب موشح بياقوت أحمر، وهذا بكل يوم صامه من شهر رمضان سوى، ما عمل من الحسنات»[٢].

وخرّج أبو عيسى **الترمذي**[٣] من حديث المقدام بن معدي كرب قال: قال رسول الله ﷺ: «للشهيد[٤] عند الله تعالى ست خصال: الحديث، وفيه: ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين»، وقد تقدم[٥] في باب ما ينجي من أهوال القبر وفتنته.

قلت: وهذا يؤيد ما ذكرناه في حديث أبي هريرة ﷺ: «لكل واحد منهم زوجتان، أن ذلك من نساء الدنيا»، والله أعلم.

وقال يحيى بن معاذ[٦]: ترك الدنيا شديد، وفوت الجنة أشد، وترك الدنيا مهر الآخرة.

ويقال: مهور[٧] العين كنس المساجد، رفعه الثعلبي من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «كنس المساجد مهور العين»[٨].

وعن أبي قِرْصَافة[٩] أيضاً ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إخراج[١٠]

---

(١) في (ع): لزوجها.

(٢) قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، انظر: الموضوعات ٢/ ٥٤٩، ح١١١٩.

(٣) في جامعه ٤/ ١٨٧، ح١٦٦٣، صححه الألباني صحيح الترمذي ٢/ ١٣٢، ح١٣٥٨.

(٤) في (ظ): للشهداء. (٥) ص(٤١٩).

(٦) يحيى بن معاذ الرازي، الواعظ، توفي سنة ٢٥٨، انظر: طبقات الصوفية (٩٨) لمحمد حسين الأزدي.

(٧) في (ظ): مهر.

(٨) رواه الديلمي في فردوسه ٣/ ٢٩٩، ح٤٨٩٦، قال الألباني: موضوع، انظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته ص(٦٢٢)، ح٤٢٨٠.

(٩) جَنْدرة بن خيشنة الكناني، وقيل: خيشنة، صحابي نزل بالشام، مشهور بكنيته الاستيعاب لابن عبد البر ٤/ ١٧٣٣، رقم ٣١٣٤؛ وتقريب التهذيب ص(١٤٣)، رقم٩٧٨.

(١٠) نهاية القطع في (ع).

القمامة من المسجد مهور العين»(١).

القُمامة: الكناسة، والجمع قُمَامٌ، قاله الجوهري(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مهور العين قبضات التمر، وفلق الخبز»، ذكره الثعلبي(٣) أيضاً.

[وقال أبو هريرة: يتزوج أحدكم بفلانة بنت فلان بالمال الكثير ويدع الحور العين باللقمة والتمرة والكسرة](٤).

وقال محمد بن النعمان المقرئ: كنت قاعداً عند الجلا المقرئ بمكة في المسجد الحرام، إذ مرّ [بنا](٥) شيخ طويل نحيل الجسم، عليه أطمار، فقام إليه الجلا ووقف معه ساعة ثم انصرف إلينا، فقال: أتعرفون من هذا الشيخ؟ فقلنا: لا، قال: ابتاع من الله حوراء بأربعة آلاف ختمة، فلما أكملها رآها في المنام في حليها وحللها، فقال: لمن أنت؟ فقالت: أنا الحوراء التي ابتعتني من الله تعالى بأربعة آلاف ختمة هذا الثمن، فما تحلتي أنا منك؟ قال: ألف ختمة، قال: الجلا فهو يعمل فيها [بعد](٦)، [وروي عن سُحْنُون(٧) أنه قال: كان بمصر رجل يقال له سعيد، وكانت له أم من المتعبدات، وكانت إذا قام(٨) يصلي بالليل تقوم والدته خلفه فإذا غلبه النوم ونعس تناديه والدته يا سعيد إنه لا ينام من يخاف النار، ويخطب الحور الحسان فيقوم مرعوباً.

ويروى عن ثابت أنه قال: كان أبي من القوّامين لله في سواد الليل،

---

(١) قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، انظر: الموضوعات ٢/ ٥٨٠، ح١٨٠٨.
(٢) في الصحاح ٥/ ٢٠١٥.
(٣) أورده ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ٥٧٩، ح١٨٠٦، وقال: هذا حديث لا يصح على رسول الله ﷺ.
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م).
(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م).
(٧) الإمام عبد السلام بن حبيب بن حسان، أبو سعيد الحمصي، المالكي، فقيه المغرب، صاحب المدونة، توفي سنة ٢٤٠هـ. السير ١٢/ ٦٣.
(٨) في (ظ): وكان إذا قام.

قال: رأيت ذات ليلة في منامي امرأة لا تشبه النساء، فقلت[١] لها: من أنت؟ فقالت: حوراء أمة الله، فقلت لها: زوجيني نفسك، فقالت له: اخطبني من عند ربك[٢] وأمهرني، فقلت لها[٣]: وما مهرك؟ فقالت: طول التهجد][٤].

وأنشدوا:

يا خاطب الحوراء في خدرها ... وطالباً ذاك على قدرها
انهض بجد لا تكن وانياً ... وجاهد النفس على صبرها
وجانب الناس وارفضهم ... وخالف الوحدة في ذكرها
وقم إذا الليل بدا وجهه ... وصم نهاراً فهو من مهرها
فلو رأيت عيناك إقبالها ... وقد بدت رمانتا صدرها [١٨٩/أ]
وهي تماشى بين أترابها ... وعقدها يشرق في نحرها
لهان في نفسك هذا الذي ... تراه في دنياك من زهرها

[وقال مطر القاري[٥]: غلبني النوم ليلة فنمت عن حزبي فرأيت فيما يرى النائم جارية كأن وجهها القمر المستتم، ومعها رق، فقالت: أتقرأ أيها الشيخ؟ قلت: نعم، قالت: اقرأ هذا الكتاب، ففتحته فإذا فيه مكتوب: فوالله ما ذكرته قط إلا ذهب عني النوم.

ألهتك اللذائذ والأماني ... عن الفردوس والظلل الدواني
ولذة نوم من خير عيش مع ... الخيرات في غرف الجنان
تيقظ من منامك إن خيراً ... من النوم التهجد بالقرآن

وقال مالك بن دينار: كان لي أجزاء أقرؤها كل ليلة فنمت ذات ليلة فإذا أنا في المنام بجارية ذات حسن وجمال، وبيدها رقعة، فقالت: أتحسن تقرأ[٦]؟ فقلت: نعم، فدفعت إلي الرقعة فإذا فيها مكتوب هذه الأبيات:

---

(١) في (ظ): فقال.
(٢) في (ظ): ربي.
(٣) (لها): ليست في (ظ).
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٥) لم أقف على من ترجم له، أو ذكره.
(٦) في (ظ): أن تقرأ.

لـهـاك الـنـوم عـن طـلـب الأمـان وعن تلك[١] الأوانس في الجنان
تعيش مخلداً لا موت فيها وتلهو في الخيام مع الحسان
تنبه من منامك إن خيراً من النوم التهجد بالقرآن

وروي عن يحيى بن عيسى بن ضرار السعدي وكان قد بكا شوقاً إلى الله ستين عاماً، قال: رأيت كأن ضفة نهر تجري بالمسك الأذفر، حافاته شجر اللؤلؤ وينبت من قصبان الذهب فإذا بحور مزينات يقلن بصوت واحد: سبحان المُسَبَّح بكل لسان، سبحان الموجود بكل مكان[٢]، سبحان الدائم في كل زمان، سبحانه سبحانه، قال فقلت: من أنتن؟ قلن: خلق من خلق الله سبحانه، فقلت: ما تصنعن هنا؟ فقلن:

ذرانا إله العرش رب محمد لقوم على الأقدام بالليل قُوَّم
يناجون ربَّ العالمين إلههم وتسري هموم القوم والناس نوّم

فقلت: بخٍ بخٍ لهؤلاء من هؤلاء لقد أقر الله أعينهم؟ فقلن: أما تعرفهم؟ فقلت: والله لا أعرفهم، قلن[٣]: فإن هؤلاء المتهجدون بالليل أصحاب السهر][٤].

باب في الحور العين ومن أي شيء خلقن

رُوي أن رسول الله ﷺ سئل عن الحور العين من أي شيء خلقن[٥]؟ فقال: «من ثلاثة أشياء، أسفلهن من المسك، وأوسطهن من العنبر، وأعلاهن من الكافور، وشعورهن وحواجبهن سواد خط في نور»[٦].

(١) في (ظ): وعن طلب.
(٢) هذه الجملة تدل على وضع هذا الحديث، وأن الذين يقولون إن الله تعالى موجود في كل مكان هم أهل وحدة الوجود وأهل الكلام، وأما أهل السنة والجماعة فيعتقدون أن الله تعالى فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه.
(٣) (فقلت والله لا أعرفهم قلن): ليست في (ع).
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٥) (رُوي أن رسول الله ﷺ سئل عن الحور العين من أي شيء خلقن): سقط في (ظ).
(٦) لم أقف عليه.

[وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «سألت جبريل عليه السلام فقلت: أخبرني كيف يخلق الله الحور العين؟ فقال لي: يا محمد يخلقهم من قضبان العنبر والزعفران مضروبات عليهن الخيام، أول ما يخلق منهن: نهداً من مسك أذفر أبيض عليه يلتام البدن»][(١)].

روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «خلق الله تعالى الحور العين من أصابع رجليها إلى ركبتيها من الزعفران، ومن ركبتيها إلى ثدييها من المسك الأذفر، ومن ثدييها إلى عنقها من العنبر الأشهب، ومن عنقها إلى رأسها من الكافور الأبيض، عليها سبعون ألف حلة مثل شقائق النعمان، إذا أقبلت يتلألأ وجهها نوراً ساطعاً، كما تتلألأ الشمس لأهل الدنيا، وإذا أقبلت يرى كبدها من رقة ثيابها وجلدها، في رأسها سبعون ألف ذؤابة من المسك [الأذفر][(٢)]، لكل ذؤابة منها وصيفة ترفع ذيلها، وهي تنادي: هذا ثواب الأولياء جزاءً بما كانوا يعملون»[(٣)].

باب إذا ابتكر رجل امرأة في الدنيا كانت زوجته في الآخرة

روى[(٤)] ابن وهب عن مالك أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما امرأة الزبير بن العوام كانت تخرج حتى عوتب في ذلك، قال: وعتب عليها وعلى ضرتها، فعقد شعر واحدة بالأخرى، ثم ضربهما ضرباً شديداً، وكانت الضرة أحسن اتقاء، وكانت أسماء لا تتقي، فكان الضرب بها أكثر، فشكت إلى أبيها أبي بكر رضي الله عنه، فقال: أي بنية اصبري، فإن الزبير رجل صالح، ولعله أن يكون زوجك في الآخرة، ولقد بلغني أن الرجل إذا ابتكر بالمرأة تزوجها في الجنة.

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م).

(٣) جزء من حديث طويل، ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٢/٤٢٦، ح١٠٠٠، وقال فيه: هذا حديث موضوع بلا شك.

(٤) (روى): ليست في (ع، ظ).

قال ابن العربي[١]: «هذا حديث غريب»، ذكره في كتاب[٢] أحكام القرآن له[٣]، فإن كانت المرأة ذات أزواج، فقال[٤]: إن من مات عنها من الأزواج آخراً[٥] هي له.

قال حذيفة لامرأته: إن سرك [أن][٦] تكوني زوجتي في الجنة إن جمعنا الله فيها فلا تتزوجي من بعدي، فإن المرأة لآخر أزواجها[٧].

وخطب معاوية بن أبي سفيان أم الدرداء، فأبت وقالت: سمعت أبا الدرداء ﷺ يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المرأة لآخر أزواجها في الآخرة»، وقال: إن أردت أن تكون زوجتي في الآخرة[٨] فلا تتزوجي بعدي[٩].

وذكر أبو بكر النجاد حدثنا [١٨٩/ب] جعفر بن محمد بن شاكر[١٠]، حدثنا عبيد بن إسحاق العطار، حدثنا سنان بن هارون عن حميد عن أنس أن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت: يا رسول الله المرأة يكون لها الزوجان في الدنيا ثم يموتون ويجتمعون في الجنة لأيهما تكون؟ للأول أو للآخر؟ قال: «لأحسنهما خلقاً كان معها يا أم حبيبة، ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة»[١١].

[وقيل: إنها تخير إذا كانت ذات أزواج. والله أعلم][١٢].

---

(١) في (ع): قال القاضي أبو بكر بن العربي، وفي (ظ): قال أبو بكر بن العربي.
(٢) (كتاب): ليست في (ظ).
(٣) ١/ ٤١٨.
(٤) في (ع، ظ): فقيل.
(٥) (آخراً): ليست في (ظ).
(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٧) رواه البيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٦٩، ح١٣١٩٩؛ والذهبي في سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٠٨.
(٨) في (ظ): في الجنة.
(٩) رواه الديلمي في فردوسه ٤/ ٢٣٧، ح٦٧١١؛ والخطيب في تاريخ بغداد عن عائشة ﷺ ٩/ ٢٢٨.
(١٠) من هذا الموضع إلى قوله: بخير الدنيا والآخرة بياض في بعض الكلمات والأحرف، تم توضيحها من (ع، ظ).
(١١) روى نحوه الطبراني في الأوسط عن أم سلمة ﷺ ٣/ ٢٧٩، ح٣١٤١.
(١٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

باب ما جاء أن في الجنة أكلاً وشرباً ونكاحاً حقيقة ولا قذر فيها ولا نقص ولا نوم

مسلم(١) عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون، قالوا: فما بال الطعام؟ قال: جشاء أو رشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد»، وفي رواية: «والتكبير كما يلهمون النفس»(٢).

الترمذي(٣) عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في الجماع، قيل: يا رسول الله، أو يطيق ذلك؟ قال: يعطى قوة مائة. وفي الباب عن زيد بن أرقم، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح(٤).

وذكر **الدارمي في مسنده**(٥) عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة، فقال رجل من اليهود: إن الذي يأكل ويشرب تكون منه الحاجة، قال: ثم يفيض من جلده عرق فإذا بطنه قد ضمر».

وذكر المخرمي عبد الله بن أيوب قال: حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن زيد بن الحواري وهو زيد العمي عن ابن عباس ﷺ قال: قلنا: يا رسول الله أنفضي إلى نسائنا في الجنة كما نفضي إليهن في الدنيا؟ قال: «إي والذي نفسي بيده: إن الرجل ليفضي في الغداة الواحدة إلى مائة عذراء»(٦).

---

(١) في صحيحه ٤/٢١٨٠، ح٢٨٣٥.
(٢) في مسلم ٤/٢١٨١، ح٢٨٣٥.
(٣) في جامعه ٤/٦٧٧، ح٢٥٣٦؛ والطبراني في الأوسط ٣/٧٢، ح٢٥١٧ حسنه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/٣١٣، ح٢٠٥٩.
(٤) في (الترمذي): صحيح غريب.
(٥) في سننه ٢/٤٣١، ح٢٨٢٥؛ وابن حبان في صحيحه ١٦/٤٤٣، ح٧٤٢٤؛ وأحمد في مسنده ٤/٣٦٧، ح١٩٢٨٨.
(٦) رواه أبو يعلى في مسنده ٤/٣٢٦، ح٢٤٣٦؛ وهناد في الزهد ١/٨٧، ح٨٨؛ قال الهيثمي: رواه أبو يعلى وفيه زيد بن الحواري، وقد وُثِّق على ضعف وبقية رجاله ثقات، مجمع الزوائد ١٠/٤١٦.

أخرجه البزار في مسنده[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله أنفضي إلى نسائنا في الجنة؟ قال: «إي والذي نفسي بيده إن الرجل ليفضي في اليوم الواحد إلى مائة عذراء».

وخرّج[٢] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكاراً»[٣]، وسيأتي[٤] لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالى.

ابن المبارك[٥] قال: أخبرنا معمر عن رجل عن أبي قلابة قال: يؤتون بالطعام والشراب، فإذا كان في آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور، فيشربون فتضمر لذلك بطونهم، ويفيض عرقاً من جلودهم، أطيب [١٩٠/أ] من ريح المسك، ثم قرأ: ﴿شَرَابًا طَهُورًا[٦]﴾ [الإنسان: ٢١].

أبو محمد الدارمي[٧] عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يدخله الله الجنة إلا زوجه الله تعالى ثنتين وسبعين زوجة، ثنتين من الحور العين، وسبعين من ميراثه من أهل النار، ما منهن واحدة إلا ولها قُبُل شهي، وله ذكر لا ينثني».

قال هشام بن خالد: من ميراثه من أهل النار، يعني رجالاً دخلوا النار، فورث أهل الجنة نساءهم كما ورثت امرأة فرعون[٨].

---

(١) لم أجده في مسند البزار المطبوع. (٢) أي البزار.

(٣) رواه الطبراني في الصغير ١/ ١٦٠، ح٢٤٩؛ قال الهيثمي: رواه البزار والطبراني في الصغير وفيه معلى بن عبد الرحمن الواسطي وهو كذاب، مجمع الزوائد ١٠/ ٤١٧.

(٤) ص(١٠٢٥).

(٥) في الزهد (في الزوائد) ص(٧٧ ـ ٧٨)، ح٢٧٤.

(٦) في (ع): ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾، وهذه الزيادة ليست في الأصل و(ظ) والزهد.

(٧) لم أجده في سنن الدارمي بهذا اللفظ، وانظر: سننه ٢/ ٤٣٣، ح٢٤٣٢؛ ورواه باللفظ السابق ابن ماجه في سننه ٢/ ١٤٥٢، ح٤٣٣٧؛ وقال الألباني: ضعيف جداً، انظر: ضعيف سنن ابن ماجه ص(٣٥٥ ـ ٣٥٦)، ح٩٤٨.

(٨) ذكره ابن ماجه بعد الرواية السابقة.

[وقد روي من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «هل يمس أهل الجنة أزواجهم؟ فقال: «نعم بذكر لا يميل، وفرج لا يحفى، وشهوة لا تنقطع»[١]][٢].

الدارقطني[٣] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قيل: يا رسول الله، أينام أهل الجنة؟ قال: «لا، النوم أخو الموت، والجنة لا موت فيها».

باب المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة

الترمذي[٤] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة كما يشتهي»، قال: حديث حسن غريب.

أخرجه **ابن ماجه**[٥] وقال: «في ساعة واحدة».

قال الترمذي[٦]: «وقد اختلف أهل العلم في هذا، فقال بعضهم: في الجنة جماع، ولا يكون ولد، هكذا يروى عن طاووس ومجاهد وإبراهيم النخعي رحمهم الله.

وقال محمد: قال إسحاق بن إبراهيم في حديث النبي ﷺ: إذا اشتهى المؤمن الولد[٧] في الجنة كان في ساعة كما يشتهي، ولكن لا يشتهي.

---

(١) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده ١/٣٤٨، ح٣٤٥.
(٢) ما بين المعقوفتين من (ع).
(٣) لم أجده في السنن والعلل له، وأخرجه ابن المبارك في الزهد ص(٧٩)، ح٢٧٩.
(٤) في جامعه ٤/٦٩٥، ح٢٥٦٣، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣١٨، ح٢٠٧٧.
(٥) في سننه ٢/١٤٥٢، ح٤٣٣٨، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٤٣٧، ح٣٥٠٠.
(٦) في جامعه ٤/٦٩٥.
(٧) في (ع): ولداً.

وقد روي عن أبي رزين العقيلي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد»[١].

باب ما جاء أن كل ما في الجنة لا يبلى ولا يفنى ولا يبيد

مسلم[٢] عن أبي سعيد الخدري ﷺ وأبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ينادي منادٍ أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وأن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وأن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وأن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، وذلك قوله ﷻ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]».

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه»[٣]، وقد تقدم[٤] قول الحور العين: «نحن الخالدات فلا نبيد».

باب ما جاء أن المرأة [١٩٠/ب] من أهل الجنة ترى زوجها من أهل الدنيا في الدنيا

ابن وهب قال: وحدثنا ابن زيد قال: «يقال للمرأة من نساء أهل الجنة وهي في السماء: أتحبين أن نريك زوجك في أهل الدنيا؟ فتقول: نعم، فيكشف لها عن الحجب، ويفتح الأبواب بينها وبينه حتى تراه وتعرفه وتعاهده بالنظر، حتى تستبطئ قدومه، وتشتاق إليه كما تشتاق المرأة إلى زوجها الغائب، ولعله يكون بينه وبين زوجته في الدنيا ما يكون بين النساء وأزواجهن، فتغضبه زوجته، فيشق ذلك عليها وتقول: ويحك دعيه من شرّك، إنما هو معك ليالي قلائل».

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه ٤/ ٦٩٥، ح٢٥٦٣.

(٢) في صحيحه ٤/ ٢١٨٢، ح٢٨٣٧.

(٣) أخرجها مسلم أيضاً في صحيحه ٤/ ٢١٨١، ح٢٨٣٦.

(٤) ص(٩٨٥).

أخرجه **الترمذي**[١] أيضاً عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل، يوشك أن يفارقك إلينا»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، خرجه **ابن ماجه**[٢] أيضاً.

باب ما جاء في طير الجنة وخيلها وإبلها

الترمذي[٣] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر؟ قال: «ذاك نهر أعطانيه الله، يعني في الجنة، أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كأعناق الجُزُر[٤]، فقال عمر رضي الله عنه: إن هذه لناعمة، قال رسول الله ﷺ: أكلها أنعم منها[٥]»، قال: هذا حديث حسن، وخرجه الثعلبي من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة طيراً كأعناق البُخت[٦] تصطف على يد ولي الله تعالى، فيقول أحدها: يا ولي الله رعيت في مروج تحت العرش، وشربت من عيون التسنيم، فكل مني، فلا يزلن يفتخرن بين يديه، حتى يخطر على قلبه أكل أحدها فيخر بين يديه على ألوان مختلفة، فيأكل منه ما أراد، فإذا شبع، يجمع عظام الطائر فطار، يرعى في الجنة حيث شاء، فقال عمر رضي الله عنه: يا نبي الله إنها لناعمة، قال: أكلها أنعم منها».

الترمذي[٧] عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال:

---

(١) في جامعه ٣/٤٧٦، ح١١٧٤، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ١/ ٣٤٣، ح٩٣٧.

(٢) في سننه ١/٦٤٩، ح٢٠١٤؛ وأحمد في مسنده ٥/٢٤٢، ح٢٢١٥٤.

(٣) في جامعه ٤/٦٨٠، ح٢٥٤٢؛ وأحمد في مسنده ٣/٢٣٦، ح١٣٥٠٠، قال الألباني: حسن صحيح، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/٣١٤، ح٢٠٦٣.

(٤) في (ع): كأعناق البخت، والجزر: البعير ذكراً كان أو أنثى، النهاية في غريب الحديث ١/٢٦٦.

(٥) في (الترمذي وأحمد): أكلتها أنعم منها.

(٦) في (ع، ظ): مثل أعناق البخت.

(٧) في جامعه ٤/٦٨١، ح٢٥٤٣؛ وعبد الرزاق في مصنفه ٣/٥٦٤، ح٦٧٠٠، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن الترمذي ص(٢٩٣)، ح٤٥٩.

يا رسول الله هل في الجنة من خيل؟ قال: «إنِ اللهُ أدخلكَ الجنة[١] فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء، يطير بك[٢] حيث شئت، قال: وسأله رجل فقال: يا رسول الله هل في الجنة من إبل؟ قال: فلم يقل له ما قال لصاحبه، فقال: إن يدخلك الله الجنة، لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت[٣] عينك».

وخرج مسلم[٤] عن أبي مسعود الأنصاري[٥] ﷺ قال: «جاء رجل بناقة مخطومة[٦]، فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: [١٩١/أ] لك بها يوم القيامة سبع مائة ناقة كلها مخطومة».

وذكر ابن وهب قال: وحدثنا ابن زيد قال: كان الحسن البصري ﷺ يذكر عن رسول الله ﷺ: إن أدنى أهل الجنة منزلة، الذي يركب في ألف ألف من خدمه من الولدان المخلدين على خيل من ياقوت أحمر لها أجنحة من ذهب، إذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً.

وذكر ابن المبارك[٧] عن شفي بن ماتع ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والبخت، وأنهم يؤتون في يوم الجمعة بخيل مسرجة ملجمة، لا تروث ولا تبول، فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله»، وذكر الحديث.

وعن عكرمة عن ابن عباس ﷺ أنه ذكر مراكبهم ثم تلا: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾.

---

(١) في (الأصل): إن أدخلك الله الجنة، وما أثبته من (ع، ظ، م، الترمذي).
(٢) في (الترمذي): يطير بك في الجنة. (٣) في (ع): وقرت.
(٤) في صحيحه ٣/١٥٠٥، ح١٨٩٢.
(٥) في (الأصل): عن أبي موسى الأنصاري، وتصويبه من (ع، ظ، مسلم).
(٦) في النهاية في غريب الحديث ٢/٥٠: خِطَام البعير أن يُؤخذ حَبْل من ليف، أو شعر، فيُجْعَل في أحد طَرَفيه حَلْقة، ثم يُشدّ فيه الطَّرف الآخر حتى يصير كالحلْقة، ثم يُقاد البعير ثم يُثَنّى على مَخْطمه، وأما الذي يُجعل في الأنف دَقيقاً فهو الزِّمام.
(٧) في الزهد (الزوائد) ص(٦٩)، ح٢٣٩.

[وحكي أن عبد الله بن المبارك خرج إلى غزو فرأى رجلاً حزيناً قد مات فرسه فبقي محزوناً فقال له: بعني إياه بأربعمائة درهم ففعل، فرأى في المنام كأن القيامة قد قامت وفرسه في الجنة وخلفه سبعمائة فرس، فأراد أن يأخذه فنودي أن دع فإنه لابن المبارك وكانت لك بالأمس، فلما أصبح جاء إليه وطلب الإقالة، قال له: ولِمَ؟ قال: فقص عليه القصة، فقال له: اذهب فما رأيت[1] في المنام رأيناه في اليقظة[2].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه الحكاية صحيحة؛ لأنها في معنى ما ثبت في صحيح مسلم[3] عن أبي مسعود كما ذكرنا وبالله توفيقنا][4].

باب منه وما جاء أن الحناء سيد ريحان الجنة وأن الجنة حفت بالريحان

ابن المبارك[5] أخبرنا همام عن قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو قال: «الحناء سيد ريحان الجنة، وأن فيها من عتاق الخيل وكرام النجائب، يركبها أهلها، وقد تقدم[6] عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً: «أن شجرة طوبى تتفتق عن النجائب والثياب»[7]، ومثل هذا لا يقال من جهة الرأي، وإنما هو توقيف، فاعلمه.

وذكر أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت من حديث سعيد[8] بن معن المدني قال: ثنا مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله تعالى الجنة حففها بالريحان[9]، وحفف الريحان بالحناء، وما

(١) في (ظ): فما رأيته.
(٢) لم أقف على من ذكر هذه الحكاية.
(٣) تقدم تخريجه ص(٩٩٩).
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٥) في الزهد (الزوائد) ص(٦٧)، ح٢٣١؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٣٢، ح٣٣٩٩٠.
(٦) ص(٩٥١).
(٧) (يركبها أهلها، وقد تقدم عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً: أن شجرة طوبى تتفتق عن النجائب): سقط في (ع).
(٨) في (الأصل): سعد، والتصويب من (ع، ظ، ميزان الاعتدال ٣/ ٢٣٠ رقم ٣٢٧٨).
(٩) في (ظ): حففها الله بالريحان.

خلق الله تعالى شجرة أحب إليه من الحناء، وأن المخضب[1] بالحناء[2] لتصلي عليه ملائكة السماء إذا [غدا][3]، وتقدس الأرض»[4].

وقال السكري[5]: وتقدس عليه ملائكة الأرض إذا راح، هذا حديث منكر لا يصح، وفي إسناده غير واحد لا يعرف.

[وروى **الترمذي**[6] في كتاب الشمائل[7] قال: حدثنا محمد بن خليفة وعمر[8] بن علي قالا[9]: حدثنا يزيد بن زريع قال: حدثنا حجاج الصواف عن حنان عن أبي عثمان النهدي قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أعطي أحدكم الريحان فلا يرده؛ فإنه خرج من الجنة»، قال أبو عيسى: لا يعرف لحنان غير هذا الحديث. وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل[10]: حنان الأسدي من بني أسد بن شريك وهو حنان صاحب الرقيق عم والد مسدد، روى عن أبي عثمان النهدي وروى عنه الحجاج بن أبي عثمان الصواف سمعت أبي يقول ذلك، وقد تقدم[11] عن أبي هريرة موقوفاً: «أن شجرة طوبى تتفتق عن النجائب والثياب»، ومثل هذا[12] لا يقال من جهة الرأي وإنما هو توقيف فاعلمه][13].

---

(١) في (ع، ميزان الاعتدال للذهبي): المختضب.
(٢) (وما خلق الله تعالى شجرة أحب إليه من الحناء، وأن المخضب بالحناء): سقط في (ظ).
(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٤) رواه الديلمي في فردوسه ٣/ ٤٢٣، ح٥٢٩٧؛ قال الذهبي: سعيد بن معن لا يكاد يعرف، واتهمه بعضهم، روى عن مالك، ثم ذكره له هذا الحديث، ميزان الاعتدال ٣/ ٢٣٠، رقم ٣٢٧٨؛ وقال ابن حجر: هذا حديث باطل ما حدّث به مالك قط، لسان الميزان ٧/ ٩٤، رقم ٩٨٥.
(٥) لم أقف على ما يعينه.
(٦) في جامعه ٥/ ١٠٨، ح٢٧٩١، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف الترمذي ص(٣٣٢)، ح٥٢٧.
(٧) ص(١٠٣ ـ ١٠٤).
(٨) في (ظ): وعمرو، و(م) متوافقة مع جامع الترمذي.
(٩) في (ع): قال، وإنما أثبته من (ظ، وجامع الترمذي).
(١٠) ٣/ ٢٩٩.
(١١) ص(٩٥١).
(١٢) في (ظ): ومثل هذا كله.
(١٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

باب ما جاء أن الشاة والمعزى من دواب الجنة

ابن ماجه[(١)] عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الشاة من دواب الجنة».

وفي كتاب البزار[(٢)] عن النبي ﷺ قال: «أحسنوا إلى المعزى[(٣)] وأميطوا عنها الأذى فإنها من دواب الجنة».

[وفي التنزيل: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات: ١٠٧]، وإنما سُمي عظيماً «لأنه رعى في الجنة أربعين عاماً»، وروي ذلك عن ابن عباس[(٤)] ﷺ][(٥)].

باب ما جاء أن [١٩١/ب] للجنة ربضاً وريحاً وكلاماً

البيهقي[(٦)] عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله تعالى جنة عدن وغرس أشجارها بيده، قال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون»، خرجه **البزار**[(٧)] من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «خلق الله الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وقال لها:

---

(١) في سننه ٢/ ٧٧٣، ح٢٣٠٦، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٣٢، ح١٨٦٧.

(٢) لم أجده في مسنده البزار بهذا اللفظ، ووجدت نحوه بلفظ: «سئل رسول الله عن الصلاة في مراح الغنم قال: صلوا في مراحها وامسحوا رغامها فإنها من دواب الجنة»، انظر: مسند البزار ٦/ ١٢٣، قال الهيثمي: رواه البزار وفيه عبد الله بن نجيح وهو ضعيف، المجمع ٢/ ٢٧.

(٣) في (ع): للمعزى.

(٤) رواه الطبري في تفسيره ٢٣/ ٨٧.

(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٦) رواه الطبراني في الكبير ١١/ ١٨٤، ح١١٤٣٩؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٤٤، ح٣٤٠٨٧.

(٧) لم أجده في مسند البزار، ورواه الطبراني في الأوسط ٤/ ٩٩، ح٣٧٠١؛ قال الهيثمي: رواه البزار مرفوعاً وموقوفاً، والطبراني في الأوسط، ورجال الموقوف رجال الصحيح، وأبو سعيد لا يقول هذا إلا بتوقيف، مجمع الزوائد ١٠/ ٣٩٧.

تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقال: طوبى لك منزل الملوك»، وهذا يروى موقوفاً عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: لما خلق الله الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة وغرسها، قال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فدخلها الملائكة، فقالت: طوبى لك منزل الملوك.

وروي[١] من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله تعالى الجنة فقال لها: تزيني، فتزينت، ثم قال لها: تكلمي، فتكلمت، ثم قالت: طوبى لمن رضيت عنه».

النسائي[٢] عن فضالة بن عبيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا زعيم، والزعيم الحميل، لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله تعالى ببيت في ربض[٣] الجنة، وبيت في وسط الجنة، وبيت في أعلى غرف الجنة، من فعل ذلك فلم يدع للخير مطلباً ولا من الشر مهرباً، يموت حيث يشاء أن يموت».

[وقال عمر بن عبد العزيز والزهري والكلبي ومجاهد[٤]: مؤمنو الجن حول الجنة في ربض الجنة، درجات وليسوا فيها][٥].

وروي عن مالك عن مسلم بن أبي مريم عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: «نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة»[٦]، هذا موقوف.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٤٦، ح٣٤١٠٧؛ وابن المبارك في الزهد ١/ ٥٣٤، ح١٥٢٤.

(٢) في المجتبى من السنن له ٦/ ٢١، ح٣١٣٣؛ والبزار في مسنده ٩/ ٢٠٨، ٣٧٥٤؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٦/ ٧٢، ح١١١٧٥، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن النسائي ٢/ ٦٥٦ ـ ٦٥٧، ح٢٩٣٦.

(٣) الربض: الأسفل، انظر: فتح الباري ١٣/ ١٨١.

(٤) لم أقف على من حكى هذه الأقوال غير المصنف في تفسيره ١٩/ فقرة ١٨٩.

(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٦) رواه مالك في الموطأ ٢/ ٩١٣، ح١٦٢٦.

قال أبو عمرو[1]: وقد رواه عبد الله بن نافع الصائغ عن مالك بهذا السند عن النبي ﷺ.

وخرّج **أبو داود**[2] **والترمذي**[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ألا من قتل نفساً معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله، فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً»، لفظ الترمذي، وقال: وفي الباب عن أبي بكرة، قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.

وخرج **البخاري**[4] عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً».

باب ما جاء إن في الجنة قيعاناً وأن غراسها سبحان الله والحمد لله

الترمذي[5] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال [١٩٢/أ] [رسول الله ﷺ][6]: «لقيت إبراهيم عليه السلام ليلة أسري بي، فقال: يا محمد اقرأ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر». وفي الباب عن أبي أيوب، وهذا حديث حسن غريب.

---

(١) في (ع، ظ): أبو عمر بن عبد البر، وهو في التمهيد ١٣/٢٠٣.
(٢) في سننه ٣/٨٣، ح٢٧٦٠.
(٣) في جامعه ٤/٢٠، ح١٠٤٣، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٢/٥٧ ـ ٥٨، ح١١٣٢.
(٤) في صحيحه ٣/١١٥٥، ح٢٩٩٥.
(٥) في جامعه ٥/٥١٠، ح٣٤٦٢، حسنه الألباني، انظر: صحيح سنن الترمذي ٣/١٦٠، ح٢٧٥٥.
(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

ابن ماجه[١] عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ مرّ به وهو يغرس غرساً، فقال: «يا أبا هريرة ما الذي تغرس؟ قال: غرساً، قال: ألا أدلك على غراس خير من هذا؟ سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر، تغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة».

الترمذي[٢] عن جابر ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «من قال سبحان الله العظيم وبحمده، غرست له نخلة في الجنة»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب.

باب ما جاء أن الذكر نفقة بناء الجنة

ذكر الطبري في كتاب آداب النفوس وحدثنا الفضل بن الصباح قال: سألت النضر بن إسماعيل فحدثني عن حكيم بن محمد الأحمسي قال: بلغني أن الجنة تبنى بالذكر، فإذا حبسوا الذكر كفوا عن البناء، فيقال لهم: فيقولون: حتى يجيئنا نفقة.

وروي[٣] عن النبي ﷺ: «من أطاع الله فقد ذكر الله، وإن أقل صلاته وصومه وصنيعه للخير، ومن عصى الله فقد نسي الله، وإن كثرت صلاته وصومه وصنيعه للخير»[٤]. ذكره أبو عبد الله محمد بن خويز[٥] منداد في أحكام القرآن.

قلت: حقيقة الذكر طاعة الله في امتثال أمره واجتناب نهيه.

---

(١) في سننه ٥/١٢٥١، ح٣٨٠٧، صححه الألباني، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٣٢٠، ح٣٠٦٩.

(٢) في جامعه ٥/٥١١، ح٣٤٦٤، صححه الألباني، انظر: صحيح الترمذي ٣/ ١٦٠، ح٢٧٥٧.

(٣) في (ع، ظ): دليله ما روي.

(٤) رواه الطبراني في الكبير ٢٢/ ١٥٤، ح٤١٣؛ قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفيه الهيثم بن جماز وهو متروك، المجمع ٢/ ٢٥٨.

(٥) في (ع، ظ): خواز.

[وذكره أيضاً العامري في شرح الشهاب له، ولفظه عن النبي ﷺ أنه قال: «من أطاع الله فقد ذكره وإن كان ساكتاً، ومن عصى الله فقد نسيه وإن كان قارئاً مسبحاً».

قال الشيخ رحمه الله: وهذا والله أعلم؛ لأنه كالمستهزئ والمتهاون وممن اتخذ آيات الله هزواً، وقد قال العلماء: في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا[1]﴾ [البقرة: ٢٣١]، أي لا تتركوا أوامر الله فتكونوا مقصرين لاعبين، قالوا: ويدخل في هذه الآية الاستغفار من الذنب قولاً مع الإصرار فعلاً، وكذا كل ما كان في هذا المعنى والله أعلم][2].

قال سعيد بن جبير: الذكر طاعة الله، فمن لم يطعه لم يذكره، وإن أكثر التسبيح والتهليل وقراءة القرآن[3].

باب ما جاء[4] لأدنى أهل الجنة منزلة وأعلاهم[5]

مسلم[6] عن المغيرة بن شعبة يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال: «سأل موسى عليه السلام ربه فقال: يا رب ما أدنى[7] أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يأتي بعد ما يدخل أهل الجنة الجنة، فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم[8]، فيقال له: أترضى[9] أن يكون لك مثل مُلْكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا، فيقول: رضيت ربي، فيقول: لك ذلك ومثله معه، ومثله، ومثله، ومثله، فقال في الخامسة: رضيت ربي، فيقول: هذا لك وعشرة [١٩٢/ب]

---

(١) (وقد قال العلماء: في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾): ليست في (ظ).
(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٣) قول سعيد بن جبير ليس في (ع، ظ)، ولم أقف على من ذكر قوله.
(٤) (جاء): ليست في (ع، ظ، م).
(٥) في (ع): وما لأعلاهم.
(٦) في صحيحه ١/١٧٦، ح١٨٩.
(٧) في (ع): ما لأدنى.
(٨) (فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م، ومسلم).
(٩) في (ع، ظ): قال أترضى، والأصل متوافق مع (م، ومسلم).

أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، وقرت[1] عينك، فيقول: رضيت ربي، قال: رب فأعلاهم منزلة، قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر، قال: ومصداقه من كتاب الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

وقد روي موقوفاً عن المغيرة قوله[2].

البخاري[3] عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجاً من النار، رجل يخرج حبواً، فيقول له ربه: ادخل الجنة، فيقول: رب الجنة ملأى، فيقول له[4] ذلك ثلاث مرات، كل ذلك يعيد عليه: الجنة ملأى، فيقول: إن لك مثل الدنيا عشر مرات»، وقد تقدم[5] هذا.

[وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة من له سبع[6] قصور: قصر من ذهب، وقصر من فضة، وقصر من در، وقصر من زمرد، وقصر من ياقوت، وقصر لا تدركه الأبصار، وقصر على لون العرش، في كل قصر من الحلي والحلل والحور العين ما لا يعلمه إلا الله ﷻ»، ذكره القتبي في عيون الأخبار][7].

ومن مراسيل الحسن عن رسول الله ﷺ [إن][8] أدنى أهل الجنة منزلة الذي يركب في ألف ألف من خدمه، الحديث، وقد تقدم[9].

---

(١) في (مسلم): ولذت.

(٢) في (الأصل): وقد روي مرفوعاً عن المغيرة بن شعبة قول، وما أثبته من (ع، ظ، م)، ولعل الصواب: عن المغيرة من قوله.

(٣) في صحيحه ٦/٢٧٢٨، ح٧٠٧٣.

(٤) في (الأصل): فيقال له، وفي (ظ): فيقول، وما أثبته من (ع، م، والبخاري).

(٥) ص(٥٥٣).

(٦) هكذا في (ع، ظ) وهو خطأ، والصواب: سبعة قصور، لأن المعدود إذا كان مذكراً يؤنث عدده في الأعداد من ثلاثة إلى عشرة.

(٧) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ). (٨) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م).

(٩) ص(٩٩٩).

وخرج **الترمذي**(١) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه ونعيمه [وخدمه وسرره](٢) مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشياً، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]، قال: حديث غريب. وقد روي عن ابن عمر ولم يرفعه.

وخرّج(٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم، واثنتان وسبعون زوجة، وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت(٤)، كما بين الجابية إلى صنعاء»، قال: هذا حديث غريب.

ابن المبارك(٥) قال: أخبرنا سفيان عن رجل عن مجاهد قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، وأرفعهم الذي ينظر إلى ربه الغداة والعشي. وقد تقدم(٦) هذا مرفوعاً في الباب عن ابن عمر رضي الله عنهما وموقوفاً، وهذا الباب والذي قبله يدل على أن أدنى أهل الجنة منزلة له الكثير من الزوجات(٧) من الحور العين، على ما قررناه فيما تقدم، والله أعلم.

باب رضوان الله تعالى لأهل الجنة أفضل من الجنة

البخاري(٨) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله

---

(١) في جامعه ٥/٤٣١، ح٣٣٣٠، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف الترمذي ص(٤٣٣)، ح٦٦٠.
(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م، الترمذي).
(٣) أي الترمذي في جامعه ٤/١٩٥، ح٢٥٦٢؛ وابن حبان في صحيحه ١٦/٤١٤، ح٧٤٠١؛ وأحمد في مسنده ٣/٧٦، ح١١٧٤١، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف الترمذي ص(٢٩٨ ـ ٢٩٩)، ح٤٦٦.
(٤) (وياقوت): ليست في (ع).
(٥) في الزهد (الزوائد) ص(١٢٧)، ح٤٢١.
(٦) ص(١٠٠٨).
(٧) (الزوجات): ليست في (ع).
(٨) في صحيحه ٦/٢٧٣٢، ح٧٠٨٠.

تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب؟ وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول [١٩٣/أ]: أفلا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب أي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»، خرَّجه(١) **مسلم**(٢) بمعناه في حديث فيه طول.

باب رؤية أهل الجنة لله تعالى أحب إليهم مما هم فيه وأقر لأعينهم

مسلم(٣) عن صهيب ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة؟ وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ».

وفي رواية(٤): ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

وخرجه **النسائي**(٥) عن صهيب ﷺ قال: قيل لرسول الله(٦) ﷺ هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى منادٍ يا أهل الجنة إن لكم عند الله(٧) موعداً يريد أن ينجزكموه، قالوا: ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا، ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر ولا أقر لأعينهم».

---

(١) في (ع، ظ): أخرجه.

(٢) في صحيحه ٤/٢١٧٦، ح٢٨٢٩.

(٣) في صحيحه ١/١٦٣، ح١٨١.

(٤) في صحيح مسلم برقم الرواية السابقة.

(٥) في سننه الكبرى ٦/٣٦١، ح١١٢٣٤.

(٦) في (الأصل): قال: قال رسول الله، وما أثبته من (ع، ظ، م)، وفي (النسائي): قال قرأ رسول الله.

(٧) (عند الله): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م، والنسائي).

خرجه أبو داود **الطيالسي**[١] أيضاً قال: ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب ﷺ قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى منادٍ: يا أهل الجنة إن لكم عند الله تبارك وتعالى موعداً، فيقولون: ما هو؟ أليس قد بيض وجوهنا؟ وثقل موازيننا؟ وأدخلنا الجنة؟ فيقال لهم ذلك ثلاثاً، قال: فيتجلى لهم تبارك وتعالى فينظرون إليه فيكون ذلك عندهم أعظم مما أعطوه».

وأخبرناه الشيخ الفقيه الراوية أبو محمد عبد الوهاب عرف بابن رواج[٢] قراءة عليه بثغر الإسكندرية [حماها الله][٣] قال: قرئ على الحافظ السلفي أبو طاهر وأنا أسمع قال: أخبرنا الحاجب أبو الحسن علي بن محمد بن العلاف[٤]، أخبرنا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، حدثنا عبد الوهاب بن عبد الحكم الوراق النسائي[٥] ثنا يزيد بن هارون، أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة نودوا أن يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً لم تروه، قالوا: وما هو؟ ألم يبيض وجوهنا؟ ويزحزحنا عن النار ويدخلنا [١٩٣/ب] الجنة؟ قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم[٦] شيئاً هو أحب إليهم منه، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾».

---

(١) في مسنده ص(١٨٦)، ح١٣١٥.

(٢) (عرف بابن رواج)؛ ليست في (ع، ظ).

(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٤) في (ع، ظ): أبو الحسن بن العلاف.

(٥) في (ع، ظ): النيسابوري نسب في تهذيب الكمال ١٨/ ٥٠٠؛ وتاريخ بغداد ١١/ ٢٧ إلى بغداد فقالوا: البغدادي، ولم أقف على من نسبه إلى نسا أو نيسابور.

(٦) في (ع، ظ): ما أعطاهم الله.

وكذا أخرجه الإمام أحمد بن حنبل[(١)] رضي الله عنه والحارث بن أبي أسامة[(٢)]، كلاهما عن يزيد بن هارون، وانفرد مسلم[(٣)] بإخراجه، فرواه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن أبي هارون، ورواه نوح بن أبي مريم عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ فقال: «للذين أحسنوا العمل في الدنيا: الحسنى، وهي الجنة، قال: والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم[(٤)]»، فأخطأ فيه خطأً بيناً، ووهم فيه وهماً قبيحاً.

ابن المبارك[(٥)] قال: أخبرنا أبو بكر الهذلي قال: أخبرنا أبو تميمة الهجيمي قال: سمعت أبا موسى الأشعري على منبر البصرة يقول: إن الله يبعث يوم القيامة ملكاً إلى أهل الجنة، فيقول: هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ فينظرون فيرون الحلي والحلل والثمار، والأنهار والأزواج المطهرة، فيقولون: نعم، قد أنجزنا الله ما وعدنا، فيقول الملك: هل أنجزكم ما وعدكم؟ ثلاث مرات، فلا يفقدون شيئاً مما وعدوا، فيقولون: نعم، فيقول: بقي لكم شيء إن الله يقول: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ألا إن الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى الله تعالى.

فصل

ما رواه النسائي مرفوعاً [وكذلك أبو داود الطيالسي وأسندناه عن الآجري وذكره][(٦)] ابن المبارك موقوفاً يبين حديث مسلم، وأن المعنى بقوله: قال الله

(١) في مسنده ٦/ ١٥، ح٢٣٩٧٠.
(٢) ٢/ ٦٤٨، ح٦٣٢.
(٣) في صحيحه ١/ ١٦٣، ح١٨١.
(٤) وممن فسر الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، والحسن البصري ومالك والشافعي رحمهم الله تعالى، انظر: تفسير الطبري ١١/ ١٠٦؛ وشرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٣/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠.
(٥) في الزهد (الزوائد) ص(١٢٧)، ح٤١٩؛ والطبري في تفسيره ١١/ ١٠٥.
(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ط)، والأصل متوافق مع (م).

تعالى: قال ملك الله، يريدون شيئاً [أي][1] نزيدكم.

وقوله: فيكشف الحجاب: معناه: أنه يرفع الموانع من الإدراك عن أبصارهم حتى يروه على ما هو عليه من نعوت العظمة والجلال والبهاء والجمال والرفعة والكمال، لا إله إلا هو سبحانه عما يقوله الزائغون والمبطلون، فَذِكْرُ الحجاب إنما هو في حق المخلوق لا في حق الخالق، فهم المحجوبون، والباري جل اسمه وتقدست أسماؤه منزه عما يحجبه، إذ الحجب إنما هو تحيط بقدر محسوس، وذلك من نعوتنا، ولكن حجبه على أبصار خلقه وبصائرهم وإدراكاتهم بما شاء وكيف شاء[2].

وروي في صحيح الأحاديث[3]: «أن الله تعالى إذا تجلى لعباده ورفع الحجب عن أعينهم فإذا رأوه تدفقت الأنهار واصطفقت[4] الأشجار وتجاوبت السرر والغرفات بالصرير، والأعين المتدفقات بالخرير، واسترسل الريح المثيرة، وبثت في الدور والقصور المسك الأذفر والكافور، وغردت الطيور، وأشرقت الحور العين»، ذكره أبو المعالي في كتاب الرد له على السجزي، وقال: وكان ذلك بقضاء الله وقدره، وإن لم يكن فيها شيء عن الرؤية والنظر،

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله ﷺ: «فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه»، وهي الزيادة. وهذه الأحاديث وغيرها في الصحاح، وقد تلقاها السلف والأئمة بالقبول، واتفق عليها أهل السنة والجماعة، وإنما يكذب بها أو يحرفها الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والرافضة ونحوهم الذين يكذبون بصفات الله تعالى وبرؤيته وغير ذلك، وهم المعطلة شرار الخلق والخليقة، ودين الله وسط بين تكذيب هؤلاء بما أخبر به رسول الله ﷺ في الآخرة، وبين تصديق الغالية بأنه يرى بالعيون في الدنيا، وكلاهما باطل. وقال أيضاً: وعند من أثبت الرؤية من المتجهمة أن حجاب كل أحد معه، وكشفه خلق الإدراك فيه، لا أنه حجاب منفصل. انظر: مجموع الفتاوى ٣/ ٣٩١، ٦/ ١١، وهذا الإثبات الذي ذكره بعض الجهمية هو تكذيب مبطن بمسألة الحجاب.

(٣) لم أجده في المصادر الضعيفة فضلاً عن الصحيحة، هو أشبه بكلام الغزالي.

(٤) في (الأصل، ظ): واصطفت، وما أثبته من (ع، م).

ولكن الله تعالى يعود[1] بما شاء ما شاء من آيات عظمته، ودلالات هيبته، وذلك بمثابة [١٩٤/أ] تدكدك الجبل الذي تجلى الله له وترضرضه، حتى صار رملاً هائلاً سيالاً.

باب منه في الرؤية

مسلم[2] عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم ﷻ إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن».

وعن جرير بن عبد الله قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على[3] صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها [فافعلوا، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]][4]»، أخرجه البخاري[5] و[مسلم[6] وأبو داود[7] والترمذي[8]، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح][9].

وخرج **أبو داود**[10] عن أبي رزين العقيلي ﷺ قال: قلت يا رسول الله: «أكلنا يرى الله مخلياً به يوم القيامة؟ قال: نعم، قلت: وما آية ذلك في خلقه؟

(١) في (ع): يبين وفي (ظ): يعرف، والأصل متوافق مع (م).
(٢) في صحيحه ١/ ١٦٣، ح١٨٠.
(٣) في (الأصل): عن، والتصويب من (ع، ظ، البخاري، مسلم).
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م، البخاري).
(٥) في صحيحه ٤/ ١٨٣٦، ح٤٥٧٠.
(٦) في صحيحه ١/ ٤٣٩، ح٦٣٣.
(٧) في سننه ٤/ ٢٣٣، ح٤٧٢٩.
(٨) في جامعه ٤/ ٦٨٧، ح٢٥٥١.
(٩) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م).
(١٠) في سننه ٤/ ٢٣٤، ح٤٧٣١، حسنه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود له ٣/ ٨٩٦، ح٣٩٥٧.

قال: يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخلياً به؟ قلت: بلى، قال: فالله أعظم، قال: إنما هو خلق من خلق الله يعني القمر، فالله أجل وأعظم[١].

فصل

قوله: «إلا رداء الكبرياء على وجهه». الرداء هنا مستعار، كنى به عن كبريائه وعظمته، يبينه[٢] الحديث الآخر: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري»، يريد صفتي. فقوله: رداء الكبرياء: يريد[٣] صفة الكبرياء، فهو بكبريائه وعظمته لا يريد أن يراه أحد من خلقه بعد رؤية القيامة حتى يأذن لهم بدخول جنة عدن، فإذا دخلوها أراد أن يروه، فيروه وهم في جنة عدن، والله أعلم. قال معناه البيهقي[٤] وغيره.

وليست العظمة والكبرياء من جنس الثياب المحسوسة، وإنما هي توسعات[٥].

ووجه المناسبة: أن الرداء والإزار لما كانا ملازمين للإنسان، مخصوصين به، لا يشاركه فيها غيره: عبر عن عظمته وكبريائه بهما؛ لأنهما مما لا يجوز مشاركة الله تعالى فيهما، ألا ترى آخر الحديث: فمن نازعني واحداً منهما قصمته، ثم قذفته في النار.

باب منه وفي سلام الله تعالى عليهم

روى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ قال: «بينا أهل الجنة في نعيمهم، إذ سطع عليهم نور من فوقهم، فإذا الرب قد

---

(١) في (الأصل): فهو أجل وأعظم، وما أثبته من (ع، ظ، م، سنن أبي داود).

(٢) في (الأصل): وبينه، وما أثبته من (ع، ظ، م).

(٣) في (ظ): يريد به.

(٤) انظر: كتاب الاعتقاد له ص(١٣٠).

(٥) بعد أن ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية حديث: «.. إلا رداء الكبرياء على وجهه..» وغيره من الأحاديث، قال: وهذه الأحاديث وغيرها في الصحاح، قد تلقاها السلف والأئمة بالقبول، واتفق عليها أهل السنة والجماعة، وإنما يكذب بها أو يحرفها الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والرافضة، انظر: مجموع الفتاوى ٣٩١/٣.

أشرف عليهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، وذلك قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ [يس: ٥٨] قال: فإذا نظروا إليه نسوا نعيم الجنة حتى يحتجب عنهم، فإذا احتجب عنهم بقي نوره وبركته عليهم وفي ديارهم»[(١)].

فصل

قوله: «أشرف عليهم»، أي: اطلع، كما يقال: فلان [١٩٤/ب] مشرف عليك أي مطلع عليك من مكان عالٍ، والله تعالى لا يوصف بالمكان من جهة الحلول والتمكن، وإنما يوصف من جهة العلو والرفعة[(٢)]، فعبر عن اطلاعه عليهم ونظرهم إليه بالإشراف، ولما كان سبحانه قائلاً متكلماً، وكان الكلام له صفة[(٣)] في ذاته لم يزل ولا يزال، فهو يسلم عليهم سلاماً هو قول منه، كما قال: «﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾».

قوله: «فإذا نظروا إليه نسوا نعيم الجنة»، أي لهوا عنه بلذة النظر إلى وجهه الكريم، وذلك أن ما دون الله تعالى لا يقاوم تجليه، ولولا أن الله تعالى يثبتهم ويبقيهم لحل بهم ما حل بالجبل حين تجلى له.

وقوله: «حتى يحتجب عنهم»، يجوز أن يكون معناه: حتى يردهم إلى نعيم الجنة الذي نسوه، وإلى حظوظ أنفسهم وشهواتها التي سهوا عنها فانتفعوا بنعيم الجنة الذي وعده لهم، وينعموا بشهوات النفوس التي أعدت لهم، وليس ذلك إن شاء الله على معنى الاحتجاب عنهم الذي هو بمعنى الغيبة والاستتار، فيكونوا له ناسين، وعن شهوده محجوبين، وإلى نعيم الجنة ساكنين، ولكنه يردهم إلى ما نسوه، ولا يحجبهم عما شاهدوه، حجبة غيبة واستتار، يدل على ذلك قوله: بقي نوره وبركته عليهم وفي ديارهم، وكيف يحجبهم عنه وهو ينعت

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه ١/ ٦٥، ح١٨٤، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن ابن ماجه ص(١٤)، ح٣٣.
(٢) تم التعليق على هذه المسألة ص(٢٢٧).
(٣) في (ع): صفة له.

المزيد، وما وعدهم به من النعيم، والنظر إذا صح، والحجب إذا ارتفعت لم يكن بين نظر البصر وشهود السر فرق، ولا بين حال الشهود والغيبة بون، فيكون محجوباً في حال الغيبة بل تتفق الأوقات وتتساوى الأحوال فيكون في كل حال شاهداً وبكل جارحة ناظراً، ولا يكون في حال محجوباً ولا بالغيبة موصوفاً.

حكي عن قيس المجنون أنه قيل له: ندعو لك ليلى؟ فقال: وهل غابت عني فتُدعى، فقيل: أتحب ليلى؟ فقال: المحبة ذريعة الوصلة، وقد وقعت الوصلة، فأنا ليلى، وليلى أنا[(١)].

باب منه، وبيان قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾

يحيى بن سلام قال: أخبرني رجل من أهل الكوفة عن داود بن أبي هند عن الحسن ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة لينظرون إلى ربهم في كل يوم[(٢)] جمعة[(٣)] على كثيب من كافور لا يرى طرفاه، وفيه نهر جاري حافتاه المسك، عليه جوار يقرؤون القرآن[(٤)] بأحسن أصوات يسمعها الأولون والآخرون، فإذا انصرفوا إلى منازلهم أخذ كل رجل[(٥)] منهم[(٦)] بيد ما شاء منهن، ثم يمرون على قناطر من لؤلؤ إلى منازلهم [١٩٥/أ]، فلولا أن الله تعالى يهديهم إلى منازلهم ما اهتدوا إليها، لما يحدث الله لهم في كل جمعة».

وخرّج[(٧)] عن بكر بن عبد الله المزني قال: إن أهل الجنة ليزورون ربهم في مقدار كل عيد هو لكم، كأنه يقول: في كل سبعة أيام مرة، فيأتون رب

---

(١) لم يظهر لي وجه الدلالة من هذه الحكاية، وهل يستدل أو يستأنس بمثل حكايات المجانين في أبواب الاعتقاد، وفي الحكايات عبارات تخدم مذهب وحدة الوجود الصوفي.

(٢) (يوم): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م).

(٣) بداية قطع في (ع).

(٤) نهاية القطع في (ع).

(٥) في (ظ): كل واحد.

(٦) (منهم): ليست في (ع، ظ، م).

(٧) أي يحيى بن سلام.

العزة في حلل خضر ووجوه مشرقة، وأساور من ذهب، مكللة بالدر والزمرد عليهم أكاليل الذهب، ويركبون نجائبهم ويستأذنون على ربهم، فيأمر لهم ربنا بالكرامة.

وذكر هو[١] **وابن المبارك**[٢] جميعاً قالا: حدثنا المسعودي عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال: تسارعوا إلى الجمعة فإن الله تبارك وتعالى يبرز لأهل الجنة كل يوم جمعة في كثيب من كافور أبيض، فيكونون منه في القرب، قال ابن المبارك: على قدر تسارعهم إلى الجمعة في الدنيا، قال يحيى بن سلام: لمسارعتهم إلى الجُمَع في الدنيا، وزاد: فيحدث لهم من الكرامة شيئاً لم يكونوا رأوه قبل ذلك[٣]، قال يحيى: وسمعت غير المسعودي يزيد فيه: وهو قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾.

[وقال الحسن[٤] في قوله ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: الزيادة النظر إلى وجه الله ﷻ، وليس شيء أحب إلى أهل الجنة من يوم الجمعة يوم المزيد؛ لأنهم يرون فيه الجبار جل وعز[٥]][٦].

فصل

قلت: وفي قوله: كثيب، يريد أهل الجنة، أي هم على كثيب كما في مرسل الحسن أول الباب، والله أعلم.

وقيل: «المزيد ما يزوجون به من الحور العين»[٧]، رواه أبو سعيد

---

(١) أي يحيى بن سلام.

(٢) في الزهد (الزوائد) ص(١٣١)، ح٤٣٦؛ وعبد الله ابن الإمام أحمد في السنة ١/ ٢٥٩، ح٤٧٦.

(٣) (وزاد: فيحدث لهم من الكرامة شيئاً لم يكونوا رأوه قبل ذلك): ليست في (ع، ظ).

(٤) انظر: تفسير الحسن البصري ٢/ ٥.

(٥) في (ظ): جلّ جلاله وتقدست أسماؤه.

(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٧) لم أقف عليه.

الخدري ﷺ مرفوعاً، [وذكر أبو نعيم[١] عن خالد بن معدان[٢] عن كثير بن مرة قال: إن المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ما تريدون أن أمطركم؟ فلا يتمنون شيئاً إلا أمطروا، قال خالد: يقول كثير: لئن أشهدني الله ذلك لأقولنّ لها أمطرينا جواري مزينات][٣]، وقد تقدم[٤] من حديث ابن عمر ﷺ: «وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشياً»، وهذا يدل على أن أهل الجنة في الرؤية مختلفو الحال.

وروي عن أبي يزيد البسطامي ﷺ أنه قال: إن لله تعالى عباداً لو حجبهم في الجنة ساعةً لاستغاثوا من الجنة ونعيمها كما يستغيث أهل النار من النار وعذابها[٥].

باب نُبَذٌ من أقوال العلماء في تفسير كلمات وآيات من القرآن وردت في ذكر الجنة وأهلها

من ذلك: قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣].

قال ابن عباس[٦] ﷺ: إن[٧] أول ما يدخلون[٨] أهل الجنة، الجنة، تعرض عليهم عينان، فيشربون من إحدى العينين، فيذهب الله تعالى ما في قلوبهم من غلٍ، ثم يدخلون العين الأخرى، فيغتسلون منها[٩]، فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم، وتجري عليهم نضرة النعيم.

وقال علي ﷺ: في قوله تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]

---

(١) في الحلية ٥/ ٢١٤.
(٢) (وذكر أبو نعيم عن خالد بن معدان): ليست في (ظ).
(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ). (٤) ص(١٠٠٨).
(٥) ذكره أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٣٤.
(٦) ذكر قوله ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ٢٠٠.
(٧) (إن): ليست في (ع، ظ).
(٨) كذا في الأصل و(ع) على لغة أكلوني البراغيث، وفي (ظ): يدخل.
(٩) في (ع): فيها.

قال: إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت [١٩٥/ب] ساقها عينان، فيشربون من أحداهما فتجري عليهم نضرة النعيم فلا تتغير أبشارهم، ولا تشتعث أشعارهم أبداً، ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من الأذى، ثم تستقبلهم خزنة الجنة فتقول لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]»[١].

وذكره ابن المبارك[٢] قال: أخبرنا معمر عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي ﷺ أنه تلا هذه الآية: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ [الزمر: ٧٣] وجدوا عند باب الجنة شجرة يخرج من ساقها عينان، فعمدوا إلى إحداهما كأنما أمروا بها، فاغتسلوا منها، فلم تشعث رؤوسهم أبداً[٣]، ولم تغير جلودهم بعدها أبداً، كأنما دهنوا بالدهن، ثم عمدوا إلى الأخرى فشربوا منها فطهرت أجوافهم، وغسلت كل قذر فيها وتتلقاهم الملائكة خزنة الجنة على كل باب من أبواب الجنة، فتقول لهم[٤]: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ ثم يتلقاهم الولدان يطوفون بهم كما يطيف ولدان الدنيا بالحميم، يجيء من الغيبة يقولون: أبشر أعدّ الله لك كذا وكذا[٥]، ثم يذهب الغلام منهم إلى الزوجة من أزواجه[٦] فيقولون: قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى في الدنيا، فتقول له: أنت رأيته؟ فيستخفها الفرح حتى تقوم على أسكفة الباب ثم يرجع فينظر إلى تأسيس بنيانه من جندل اللؤلؤ أخضر وأصفر وأحمر من كل لون، ثم يجلس فينظر، فإذا زرابي مبثوثة وأكواب موضوعة، ثم يرفع رأسه إلى سقف[٧] بنيانه، فلولا أن الله تعالى قدره له لألَمّ

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره عن علي ﷺ ٨/ ١٨٤.
(٢) في الزهد له ص(٥١٩ ـ ٥١٠).
(٣) في (ع، ظ): رؤوسهم بعدها أبداً، وفي الزهد: فلم تشعث أشعارهم أبداً.
(٤) (خزنة الجنة على كل باب من أبواب الجنة، فتقول لهم): ليست في (ع).
(٥) (أبشر أعدّ الله لك كذا وكذا): ليست في (الزهد).
(٦) في (الزهد): من أزواجه من الحور العين.
(٧) في (ع، ظ): ثم يرفع رأسه فينظر إلى سقف، وفي (الزهد): ثم يرفع طرفه إلى سقفه.

أن يذهب بصره[١]، إنما هو مثل البرق، ثم يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

[وذكر القتبي في عيون الأخبار مرفوعاً عن علي ﷺ أنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥] ما هؤلاء الوفد؟ قال: «يحشرون ركباناً، ثم قال: والذي نفسي بيده أنهم إذا خرجوا من قبورهم ركبوا نوقاً عليها رحائل الذهب مرصعة بأنواع الجواهر فتسير بهم إلى باب الجنة، قال[٢]: وعند باب الجنة شجرة ينبع من أصلها عينان يشربون من أحد تلك العيون فإذا بلغ الشراب الصدر أخرج الله كل ما في قلوبهم من غل، فإذا بلغ الشراب البطن طهرهم الله به من دنس الدنيا وقذرها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ قال: ثم يغتسلون من العين الأخرى، فلا تشعث رؤوسهم ولا تتغير ألوانهم قال: ثم يضربون حلق باب الجنة فلو سمعت الخلائق طنين الأبواب لافتتنوا بها، فيبادر رضوان فيفتح لهم فينظرون إلى حسن وجهه فيخرون ساجدين فيقول لهم رضوان: يا أولياء الله أنا قيِّمكم الذي توكلت بكم وبمنازلكم فينطلق بهم إلى قصور من فضة شرافاتها[٣] من ذهب، يرى ظاهرها من باطنها من النور والرقة والحسن، قال: فيقول أولياء الله عند ذلك يا رضوان لمن هذا؟ فيقول[٤]: هذا لكم، فقال رسول الله ﷺ: فلولا أن الموت يرفع عن أهل الجنة لمات أكثرهم، ثم قال: يريد أحدهم أن يدخل قصره فيقول رضوان: اتبعني حتى أريك ما أعد الله لك فيمر به فيريه قصوراً وخيمة وما أعطاه الله ﷻ قال: ثم يأتي به إلى غرفة من ياقوتة من أسفلها إلى أعلاها مائة ذراع[٥] قد لونت بجميع الألوان على جنادل الدر والياقوت، وفي الغرفة سرير طوله فرسخ في عرض مثل ذلك عليه من

---

(١) في (جميع النسخ): فلولا أن الله تعالى قدر ذلك لأذهب ببصره، والتصويب من مصدر المصنف.

(٢) (قال): ليست في (ظ).

(٣) في (ظ): سرادقاتها.

(٤) في (ظ): قال: فيقول.

(٥) في (ظ): مائة ألف.

الفراش[١] كقدر خمسين غرفة بعضها فوق بعض، قال رسول الله ﷺ فذلك قوله ﷻ: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝٣٤﴾ [الواقعة: ٣٤] وهي من نور والسرير من نور، وعلى رأس ولي الله تاج له سبعون ركناً في كل ركن سبعون ياقوتة تضيء وقد رد الله وجهه كالبدر، وعليه طوق ووشاح يتلألأ من نور، وقد سُوِّر بثلاثة أسورة سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ، فذلك قوله ﷻ: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣]][٢].

قال ابن عباس ﷺ: الجنات سبع: دار الجلال، ودار السلام، وجنة عدن، وجنة المأوى، وجنة الخلد، وجنة الفردوس، وجنة النعيم[٣].

[وقيل: إن الجنان أربع لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾ [الرحمن: ٤٦]، وقال بعد ذلك: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢﴾ [الرحمن: ٦٢] ولم يذكر سوى هذه الأربع جنة خامسة، فإن قيل: فقد قال: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥﴾ [النجم: ١٥] قيل: جنة المأوى اسم لجميع الجنان، يدل عليه أنه قال: ﴿فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٩].

والجنة اسم الجنس، فمرة يقال: جنة، ومرة يقال: جنات، وكذلك جنة عدن وجنات عدن؛ لأن العدن الإقامة، وكلها دار للإقامة كما أن كلها دار المؤمنين[٤]، وكذلك دار الخلد ودار السلام؛ لأن جميعها الخلود والسلامة من كل خوف وحزن، وكذلك جنات النعيم وجنة نعيم؛ لأن كلها مشحونة بأصناف النعيم، ذكره الحليمي في كتاب منهاج الدين له[٥]، وقال[٦]: إن ما منعنا أن نجعل لكل واحدة من العدن والمأوى والنعيم جنة سوى الأخرى؛ لأن الله تعالى إن كان سمى شيئاً من هذه الأشياء جنة في موضع فقد سمى الجنات كلها بذلك الاسم في موضع آخر، فعلمنا أن هذه الأسماء ليست لتمييز جنة من جنة؛ ولكنها للجنان أجمع لا سيما وقد أتى الله بذكر العدد فلم يثبت إلا

---

(١) في (ظ): الفرش.
(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٣) لم أقف على من ذكر قوله.
(٤) في (ظ): مأوى المؤمنين.
(٥) ١/ ٤٧٤.
(٦) الحليمي أيضاً في المنهاج في شعب الإيمان ١/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥.

أربعاً، وقد أثبت لهذه الجنات أبواباً فقال: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] فقال عليه الصلاة والسلام: «إن أبواب الجنة ثمانية» فيحتمل أن يكون ذلك؛ لأن لكل جنة من الجنان الأربع، بابين، ووصف أهل الجنة وصنفهم صنفين أحدهما السابقون المقربون، والآخرون أصحاب اليمين، فعلمنا أن السابقين أهل الجنة العليين في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾، وأهل اليمين أهل الجنة الدنيين في قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ وبهذا جاءت الروايات، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾، إلى قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ قال: فتانك للمقربين، وهاتان لأصحاب اليمين، وعن أبي موسى الأشعري نحو ذلك، قوله تعالى][1]: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الحج من ٢٣].

قال المفسرون: ليس أحد من أهل الجنة إلا في يده ثلاثة أسورة: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ[2]. قال هنا: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الحج: ٢٣]، وقال في أخرى[3]: ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١]، وفي الصحيح: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث بلغ الوضوء»[4]. وقرئ: ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بالنصب[5] على معنى: ويحلون لؤلؤاً، وأساور جمع أسورة، وأسورة: واحدها سوار، وفيه لغات ثلاث: ضم السين، وكسرها، وأساور.

قال المفسرون: لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأساور والتيجان جعل الله ذلك لأهل الجنة إذ هم ملوك لقوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٢) رواه الديلمي في فردوسه ٢/٢٨٦، ح٣٣٢٠، قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، انظر: الموضوعات ٢/٣٧٣، ح٩٤٧.

(٣) في (ع): وقال في آية أخرى.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ١/٢١٩، ح٢٥٠.

(٥) وهي قراءة نافع وعاصم وأبو جعفر، وأما قراءة الجر المتقدمة فقراه بها بقية القراء، انظر: إتحاف فضلاء البشر ص(٣١٤).

روى يحيى بن سلام عن حماد بن سلمة عن أبي المهزم [١٩٦/أ] عن أبي هريرة ﷺ قال: دار المؤمن درة مجوفة[١] وسطها شجرة تنبت الحلل ويأخذ بأصبعه أو قال: بأصبعيه سبعين حلة منضمة باللؤلؤ والزبرجد[٢] والمرجان[٣].

[أخرجه **ابن المبارك**[٤] بهذا السند عن حماد عن أبي المهزم قال: سمعت أبا هريرة يقول: إن دار المؤمن في الجنة من لؤلؤة فيها أربعون بيتاً، في وسطها شجرة تنبت الحلل، فيذهب فيأخذ بأصبعيه سبعين حلة منضمة باللؤلؤ والزبرجد والمرجان][٥].

وقد تقدم[٦] هذا المعنى. وأبو المهزم ضعيف.

[وروي عن أبي هريرة أنه قال: بلغني أن ولي الله يلبس حلة ذات وجهين يتجاوبن بصوت تقول التي تلي جسده: أنا أكرم على ولي الله منك، أنا أمس بدنه وأنت لا تمسيه[٧]، وتقول التي تلي وجهه: أنا أكرم على ولي الله منك، أنا أرى وجهه وأنت محجوبة لا ترى وجهه][٨].

وقد تقدم[٩]: «أن من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة» من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، صححه أبو عمر ﷺ وقال: «هذا عندي على نحو المعنى الذي نزعنا به في شارب الخمر»[١٠] أنه إذا دخل الجنة لا يشرب فيها خمراً ولا يذكرها ولا يراها ولا تشتهيها نفسه، فكذلك لابس الحرير في الدنيا إن لم يتب منه.

---

(١) في (المصنف لابن أبي شيبة): دار المؤمن في الجنة درة مجوفة.
(٢) (والزبرجد): ليست في (ع، ظ، المصنف).
(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٤٠، ح٣٤٠٤٠؛ وهناد في الزهد له ١/ ١٠٤، ح١٢٥.
(٤) في الزهد له ١/ ٧٤، ح٢٦٢.
(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٦) ص(١٠٢٣).
(٧) (التي تلي جسده: أنا أكرم على ولي الله منك، أنا أمس بدنه وأنت لا تمسيه): ساقط من (ظ).
(٨) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٩) ص(٩٤٢).
(١٠) التمهيد ١٥/ ٩.

قلت: وكذلك من استعمل آنية الذهب والفضة ولم يتب من استعمالها.

وقد روي عن أبي موسى الأشعري ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من استمع إلى صوت غناء لم يؤذن له أن يسمع الروحانيين، فقيل: ومن الروحانيون يا رسول الله؟ قال: قراء أهل الجنة»، خرجه **الترمذي** أبو عبد الله في نوادر الأصول[1].

وقد قيل: إن حرمانه للخمر، ولباسه للحرير، وشربه في إناء الذهب والفضة، واستماعه للروحانيين إنما هو في الوقت الذي يعذب في النار، ويسقى من طينة الخبال، فإذا خرج من النار بالشفاعة أو بالرحمة العامة المعبر عنها في الحديث بالقبضة[2]، أدخل الجنة ولم يحرم شيئاً منها، لا خمراً ولا حريراً ولا غيره؛ لأن حرمان الشيء من لذات الدنيا لمن كان في الجنة نوع عقوبة ومؤاخذة، والجنة ليست بدار عقوبة ولا مؤاخذة فيها بوجه من الوجوه.

قلت: وحديث أبي سعيد الخدري وأبي موسى ﷺ يرد هذا القول وكما لا يشتهي منزلة من هو أرفع منه، وليس ذلك بعقوبة، كذلك لا يشتهي خمر الجنة ولا حريرها، ولا يكون ذلك عقوبة والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: ٣١]، وقال: ﴿عَلِيَهُمْ ثِيَابُ﴾ [الإنسان: ٢١]، وقرئ[3]: ﴿عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق﴾، الإستبرق: الديباج الصفيق الكثيف، والسندس: الخفيف الرقيق[4]. وخص الأخضر؛ لأنه الموافق للبصر؛ لأن البياض يبدد النظر ويؤلم، والسواد يورم، والخضرة لون بين البياض السواد، وذلك يجمع الشعاع والله أعلم.

---

(١) في الأصل الحادي والعشرين والمائة ٢/ ٨٧، قال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف الجامع الصغير ص(٧٨١)، ح٥٤٠٩.

(٢) يشير إلى الحديث الطويل الذي أخرجه مسلم ١/ ١٨٠، ح١٨٣ وفيه «.. فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط..».

(٣) عزاها ابن جرير في تفسيره ١٢/ ٣٧١ إلى بعض قراء مكة.

(٤) في (ع، ظ): الرقيق النحيف.

قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾، [الأرائك][(١)] جمع أريكة: وهي السرر في الحجال، وقال: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ [الطور: ٢٠].

[وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الرجل[(٢)] ليتزوج في شهر واحد ألف حوراء يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا»[(٣)]][(٤)].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الرجل من أهل الجنة ليعانق الحوراء سبعين سنة لا يملها ولا تمله، كلما أتاها وجدها بكراً، وكلما رجعت إليه عادت إليه شهوته فيجامعها بقوة سبعين رجلاً، لا يكون بينهما مني، يأتي من غير مني منه ولا منها[(٥)].

وقال المسيب بن شريك رضي الله عنه [١٩٦/ب]: قال النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾ [الواقعة: ٣٥ ـ ٣٦] قال: «هن عجائز الدنيا أنشأهن الله خلقاً جديداً، كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً، فلما سمعت عائشة رضي الله عنها ذلك[(٦)] قالت: وا وجعاه، فقال النبي ﷺ: ليس هناك وجع»[(٧)].

وذكر يحيى بن سلام عن صاحب له عن أبان بن أبي عياش عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل من أهل الجنة ليتنعم مع زوجته في تكأة واحدة سبعين عاماً، فتناديه أبهى منها وأجمل من غرفة أخرى: أما آن لنا منك دولة بعد، فيلتفت إليها فيقول: من أنت؟ فتقول أنا من اللاتي قال الله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، فيتحول إليها فيتنعم معها سبعين عاماً في تكأة واحدة، فتناديه أبهى منها وأجمل من غرفة أخرى: أما آن لنا منك دولة بعد، فيلتفت إليها فيقول: من أنت؟ فتقول: أنا من اللاتي قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ م).
(٢) في (ظ): الرجل من أهل الجنة.
(٣) لم أقف على هذه الرواية.
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٥) أورده المنذري في الترغيب والترهيب ٢٨٩/٤؛ وابن كثير في تفسيره ١٥٠/٢.
(٦) في (ع): بذلك.
(٧) ذكر الطبري نحوه عدة روايات في تفسيره ١٨٦/٢٧.

يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧]، فيتحول إليها فيتنعم معها في تكأة واحدة سبعين عاماً، فهم كذلك يدورون. وقال: ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان: ٥٤] الحور: البيض في قول قتادة[١] والعامة، العين: العظام العيون.

وقال قتادة[٢] في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ﴾ [يس: ٥٥] يعني في الآخرة، ﴿فِي شُغُلٍ﴾، يعني[٣] افتضاض العذارى، فاكهون[٤]: قال الحسن: مسرورون[٥]. ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس: ٥٦] قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾﴾ [الصافات: ٤١] فيه قولان:

أحدهما: حين يشتهونه، قاله مقاتل[٦].

الثاني: بمقدار الغداة والعشي، قاله ابن السائب.

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]، قال العلماء[٧]: ليس في الجنة ليل ولا نهار وهو في نور أبداً[٨]، وإنما يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق[٩] الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب، ذكره أبو الفرج [ابن][١٠] الجوزي[١١]، وخرّج أبو عبد الله الترمذي الحكيم في نوادر الأصول[١٢] من حديث أبان عن الحسن وأبي قلابة قالا: قال رجل: يا رسول الله هل في الجنة ليل؟ قال: «وما هيَّجك على هذا؟ قال سمعت الله تعالى يذكر في الكتاب: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ فقلت: الليل بين البكرة والعشي، فقال رسول الله ﷺ: ليس هناك ليل

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره ٢٣/ ٥٧.
(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٢٦.
(٣) في (ع، ظ): قال يعني.
(٤) ذكره الطبري عن ابن عباس وابن عباس وابن مسعود ﷺ ٢٣/ ١٨.
(٥) ذكره ابن الجوزي عن الحسن في زاد المسير ٧/ ٥٦.
(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٥٦.
(٧) ذكره الطبري في تفسيره ١٦/ ١٠٢.
(٨) في (ع، ظ): وإنما هم في نور أبداً.
(٩) في (ع): وإغتلاق.
(١٠) ما بين المعقوفتين من (ظ).
(١١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٢٤٨.
(١٢) لم أجده في نوادر الأصول.

[ولا نهار][1] وإنما هو ضوء ونور يرد الغدو على الرواح، والرواح على الغدو، ويأتيهم طرف الهدايا لمواقيت الصلاة التي كانوا يصلون فيها وتسلم عليهم الملائكة».

قوله تعالى: ﴿فَوَٰكِهُ﴾ [فواكه][2] جمع فاكهة، قال الله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ﴾ [الطور: ٢٢] وهي الثمار كلها رطبها ويابسها، قاله ابن عباس، وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾ [الإنسان: ١٤] يعني ظلال الشجر، ﴿وَذُلِّلَتْ [١٩٧/أ] قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ أي ذللت ثمارها يتناولون منها كيف شاؤوا إن قام ارتفعت بقدره، وإن قعد تدلت إليه، وإن اضطجع تدلت إليه حتى ينالها[3].

وذكر ابن المبارك[4] أخبرنا شريك عن أبي إسحاق عن البراء: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ قال: أهل الجنة يأكلون الثمار[5] في الشجر كيف شاؤوا جلوساً ومضطجعين، وكيف شاؤوا، وواحد القطوف قِطف بكسر القاف.

وذكر ابن وهب قال: أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن خلق أهل الجنة إذا دخلوا الجنة ستون ذراعاً كالنخلة السحوق يأكلون [من][6] ثمار الجنة قياماً».

وذكر يحيى بن سلام عن عثمان عن نعيم بن عبد الله عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن أهل الجنة ليتناولون من قطوفها وهم متكئون على فرشهم فما تصل إلى في أحدهم حتى يبدل الله تعالى مكانها أخرى».

قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١]،

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٣) في (ظ): حتى يتناولها.
(٤) في الزهد (الزوائد) ص(٦٧)، ح٢٣٠.
(٥) في (الأصل): الثمر، وما أثبته من (ع، ظ، الزهد).
(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

[وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة، الذي يقوم على رأسه عشرة ألف[١] خادم بيد كل خادم صحفتان واحدة من ذهب وأخرى فضة[٢]، في كل واحدة لون لا يشبه الآخر»[٣]، ذكره القتبي في عيون الأخبار][٤].

قال المفسرون: يطوف على أدناهم منزلة سبعون ألف خادم بسبعين ألف صحفة من ذهب يغدى عليها بها، في كل واحدة منها لون ليس في صاحبتها يأكل من آخرها كما يأكل من أولها، ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها، لا يشبه بعضه بعضاً[٥]، يراح عليه بمثلها ويطوف على أرفعهم درجة كل يوم سبع مائة ألف غلام مع كل غلام صحفة من ذهب فيها ألوان من الطعام ليس في صاحبتها يأكل من آخرها كما يأكل من أولها [ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها][٦] لا يشبه بعضه بعضاً[٧]، وأكواب أي يطاف عليهم بأكواب كما قال: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الإنسان: ١٥].

قال قتادة: الكوب: المدور القصير العنق القصير العروة، والإبريق: المستطيل الطويل العنق الطويل العروة[٨].

وقال ابن عزيز[٩]: أكواب: أباريق لا عرى لها ولا خراطيم، واحدها: كوب، وقاله الأخفش وقطرب.

وقال الجوهري في الصحاح[١٠]: الكوب كوز لا عروة له ونحوه.

قال مجاهد[١١] والسدي[١٢]: وهو مذهب أهل اللغة أنها التي لا آذان لها

(١) في (ظ): عشرة آلاف.
(٢) في (ظ): وأخرى من فضة.
(٣) رواه الطبراني في الأوسط ٧/ ٣٤٢، ح٧٦٧٤؛ قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات، مجمع الزوائد ١٠/ ٤٠١.
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٥) بداية سقط في (ظ).
(٦) ما بين المعقوفتين من (ع).
(٧) نهاية السقط في (ظ).
(٨) انظر: تفسير الطبري ٢٧/ ١٧٤.
(٩) له غريب القرآن، لم أقف عليه.
(١٠) ١/ ٢١٥.
(١١) ذكره قوله الطبري في تفسيره ٢٩/ ٢١٥.
(١٢) ذكره قوله الطبري في تفسيره ٢٥/ ٩٦ ـ ٩٧.

ولا عرى، ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ١٥ ـ ١٦]، أي اجتمع فيها صفاء القوارير مع بياض[1] الفضة وذلك أن لكل قوم من تراب أرضهم قوارير، وأن تراب الجنة فضة فهو قوارير من فضة قاله ابن عباس[2]، وقال هي في صفة[3] الفضة، وفي ذلك دليل على أن أرض الجنة من فضة؛ إذ المعهود في الدنيا اتخاذ الآنية من الأرض، يرى باطنها من ظاهرها، وظاهرها من باطنها كالقوارير يرى الشراب من وراء جدر القوارير، وهذا لا يكون في فضة الدنيا ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٦] أي في أنفسهم فأتتهم على نحو ما قدروا واشتهوا من صغار وكبار وأوساط [١٩٧/ب] هذا تفسير قتادة[4].

وقال ابن عباس[5] ومجاهد[6]: أتوا بها على قدر ريّهم بغير زيادة ولا نقصان، والمعنى قدرتها الملائكة التي تطوف عليهم، ويسقون فيها كأساً أي من كأس، كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ [الإنسان: ٥] يعني الخمر، قال: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝﴾ [الصافات: ٤٥] أي خمر، والمعين الماء الجاري الظاهر ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ أي لا تغتال عقولهم، ولا يصيبهم منها صداع، ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٧] أي لا تذهب عقولهم بشربها، يقال: الخمر غول للحلم[7]، الحرب غول للنفوس، أي تذهب بها.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿يُنزِفُونَ﴾ بكسر الزاي[8] من أنزف القوم إذا حان منهم النزف وهو السكر، كما يقال: أحصد الزرع إذا حان حصاده، وأقطف الكرم إذا حان قطافه، وأركب المهر إذا حان ركوبه.

وقيل: المعنى لا ينزفون شرابهم؛ لأنه دأبهم، والكأس عند أهل اللغة: اسم شامل لكل إناء مع شرابه، فإن كان فارغاً فليس بكأس، ﴿كَانَ مِزَاجُهَا

---

(١) في (ع، ظ): في بياض.
(٢) ذكره الماوردي في تفسيره ٦/ ١٧٠.
(٣) في (الأصل): صفة، والتصويب من (ع، ظ).
(٤) لم أقف على من ذكر قوله.
(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره ٤/ ٤٥٧.
(٦) ذكره الطبري في تفسيره ٢٩/ ٢١٧.
(٧) في (الأصل): للحكم، وما أثبته من (ع، ظ، م).
(٨) ذكر قراءتهما صاحب إتحاف فضلاء البشر ص(٣٦٩).

كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥] قال الكلبي: كافوراً عيناً في الجنة يشرب بها أي منها[١].

وقيل: الباء زائدة، والمعنى: يشربها، ومنه: ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] أي تنبت الدهن.

وقال تعالى: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٧] وكانت العرب تستطيب الزنجبيل، وتضرب به المثل وبالخمر ممتزجين[٢]، فخاطبهم الله بما كانوا يعرفون[٣] ويستحبون كأنه يقول: لكم في الآخرة مثل[٤] ما تستحبون في الدنيا إن آمنتم، ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨﴾ [الإنسان: ١٨]، السلسبيل: اسم العين، والسلسبيل في اللغة: صفة لما كان غاية في السلاسة.

وقال تعالى ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥﴾ [المطففين: ٢٥] يعني الشراب وهو الخمر مختوم ختامه مسك.

قال مجاهد: يختم به آخر جرعة[٥].

وقيل: المعنى إذا شربوا هذا الرحيق ففني ما في الكأس وانقطع الختم ذلك بطعم المسك[٦].

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ في قوله تعالى: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ خلطه ليس بخاتم يختم، ألم تر إلى قول المرأة من نسائكم أن خلطه من الطيب كذا وكذا، إنما خلطه مسك ليس بخاتم يختم، ذكره **ابن المبارك**[٧] وابن وهب واللفظ لابن وهب.

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره ٦/ ١٦٥.
(٢) في (الأصل): معزوجين، وما أثبته من (ع، ظ، م).
(٣) في (ظ): بما كانوا عارفين.
(٤) (مثل): ليست في (ع، ظ)، والأصل متوافق مع (م).
(٥) لم أقف على من ذكر قوله.
(٦) ذكره الماوردي في تفسيره ٦/ ٢٣٠.
(٧) في الزهد (الزوائد) ص(٧٨)، ح٢٧٧؛ والطبراني في الكبير ٩/ ٢١٩، ح٩٠٦٢.

وذكر المبارك[(١)] عن أبي الدرداء ﷺ: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ قال: شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شربهم، لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل فيه يده[(٢)] ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها.

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، أي: في الدنيا بالأعمال الصالحة.

قال: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾ [المطففين: ٢٧]، أي: ومزاج ذلك الشراب من تسنيم، ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين: ٢٨] قال قتادة: يشرب بها المقربون صرفاً وتمزج لسائر أهل الجنة[(٣)]، وتسنيم أشرف شراب [١٩٨/أ] في الجنة، وأصل التسنيم في اللغة: الارتفاع، فهي عين ماء يجري من علو إلى أسفل.

ومنه: سنام البعير: لعلوه من بدنه[(٤)]، وكذلك تسنيم القبور، قد تسنم العيون والمياه، وشرف عليهم تجري من أعلا العرش، يحقق ذلك ما رواه أبو مقاتل عن صالح بن سعيد عن أبي سهل عن الحسن ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع عيون في الجنة: عينان تجريان من تحت العرش: إحداهما التي ذكر الله: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦]، الأخرى نضاختان من فوق العرش: إحداهما التي ذكر الله ﴿سَلْسَبِيلًا﴾، والأخرى التسنيم، ذكره الترمذي الحكيم [في الأصل التاسع والثلاثين من نوادر الأصول[(٥)]][(٦)] وقال: التسنيم للمقربين خاصة شراباً لهم، والكافور للأبرار شراباً لهم يمزج للأبرار من التسنيم شرابهم، وأما الزنجبيل السلسبيل فللأبرار منها مزاج، هكذا ذكره

---

(١) في الزهد (الزوائد) ص(٧٨)، ح٢٧٦.

(٢) في (ع، ظ): يده فيه، والأصل متوافق مع الزهد.

(٣) حكاه الماوردي في تفسيره عن ابن مسعود ﷺ ٦/ ٢٣١.

(٤) في (الأصل): العلو من بدنه، وما أثبته من (ع، ظ، م).

(٥) لم أجد قول الترمذي في الأصل الذي ذكره المؤلف ولا في غيره من الأصول من كتابه النوادر.

(٦) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ) والأصل متوافق مع (م).

في التنزيل، وسكت عن ذكر ذلك لمن هي شرب، فما كان للأبرار منها مزاج فهو للمقربين صرف، وما كان للأبرار صرف فهو لسائر أهل الجنة مزاج.

والأبرار [هم][١] الصادقون، والمقربون [هم][٢] الصديقون.

قال الحسن[٣]: خمر الجنة أشد بياضاً من اللبن.

وفي التنزيل: ﴿بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝٤٥ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٤٦﴾ [الصافات: ٤٥ ـ ٤٦] أي لذيذة، يقال: شراب لذّ إذا كان طيباً.

قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الصافات: ٤٨]، أي نساء قد قصر طرفهن على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم.

قال ابن زيد: إن المرأة منهن لتقول لزوجها: وعزة ربي ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك[٤].

﴿عِينٌ﴾ عظام العيون، الواحدة منهن عِيناً ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ۝٤٩﴾ [الصافات: ٤٩] أي مصون.

وقال الحسن[٥] وابن زيد[٦]: شبههن[٧] ببيض النعام تكنها النعامة بريشها[٨] من الريح والغبار، فلونه أبيض في صفرة وهو أحسن ألوان النساء.

وقيل: المراد بالبيض: اللؤلؤ[٩] كقوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ۝٢٣﴾ [الواقعة: ٢٢ ـ ٢٣] أي في أصدافه.

وقال: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠﴾ [الرحمن: ٧٠] يعني النساء، الواحدة خيرة وأصله خيرات فخفف: كهين ولين.

ابن المبارك[١٠]: حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية عن سعيد بن عامر

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٣) ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٢٧.
(٤) ذكره الطبري في تفسيره ٢٧/ ١٥٠.
(٥) ذكره الماوردي في تفسيره ٥/ ٤٨.
(٦) ذكره الطبري في تفسيره ٢٣/ ٥٧.
(٧) في (ع): يشبهن.
(٨) في (ع، ظ): بالريش.
(٩) حكاه الطبري في تفسيره ٢٣/ ٥٧ عن ابن عباس.
(١٠) في الزهد (الزوائد) ص(٧٤)، ح٢٦١.

قال: لو أن خيرة من خيرات حسان اطلعت من السماء لأضاءت لها، ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر، ولنصيف تكساه خيرة خير من الدنيا وما فيها.

النصيف: القناع، وقوله: حسان أي حسان الخلق، وإذا قال الله تعالى: ﴿حِسَانٍ﴾ فمن يقدر [أن][1] يصف حسنهن، جواري بيض مقصورات أي محبوسات في الخيام: جمع خيمة، وقد تقدم[2] صفتها.

وقال ابن عباس: الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب، ذكره ابن المبارك[3] أخبرنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس.

وذكر [١٩٨/ب] عن أبي الدرداء قال: الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون باباً كلها در[4].

وعن أبي الأحوص[5]: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝٧٢﴾ [الرحمن: ٧٢]، قال بلغنا في الرواية: أن سحابة مطرت من العرش فخلقن من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة خيمة على شاطئ الأنهار سعتها أربعون ميلاً، وليس لها باب حتى إذا حل[6] ولي الله تعالى بالخيمة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة والخدم لم تأخذها، فهي مقصورة[7] قد قصر بها عن أبصار المخلوقين والله أعلم.

وذكر الدارقطني في كتاب المديح عن المعتمر بن سليمان قال: إن في الجنة نهراً ينبت الجواري الأبكار، والله أعلم[8].

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م).
(٢) ص(٩٧١).
(٣) في الزهد (الزوائد) ص(٧١ ـ ٧٢)، ح٢٤٩؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٤١، ح٣٤٠٥٨.
(٤) ذكره ابن المبارك في الزهد ١/ ٧٢، ح٢٥٠؛ وابن أبي عاصم في الزهد له ٢٧/ ١٦٤.
(٥) لم أقف على ما يعنيه.
(٦) في (ظ): إذا دخل.
(٧) في (الأصل): مقصورات، والتصويب من (ع، ظ، م).
(٨) وذكره يحيى بن معين في تاريخه من رواية الدوري ٤/ ٢٢٦، ح٤٣٠٢.

والرفرف[١]: المحابس[٢] قاله قتادة[٣]؛

وقيل: فضول المحابس[٤].

وقال أبو عبيد: الرفرف: الفرش[٥].

وذكر الترمذي الحكيم[٦] أن الرفرف شيء إذا استوى عليه صاحبه رفرف وأهوى به المرجاج يميناً وشمالاً ورفعاً وخفضاً يتلذذ به مع أنيسه، فإذا ركبوا الرفارف أخذ إسرافيل في السماع، فيروى في الخبر أنه ليس أحد من خلق الله تعالى أحسن صوتاً من إسرافيل، فإذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم، فإذا ركبوا الرفارف وأخذ إسرافيل في السماع بألوان الأغاني تسبيحاً وتقديساً للملك القدوس، فلم تبق شجرة في الجنة إلا وردت، ولم يبق ستر ولا باب إلا ارتج وانفتح، ولم تبق حلقة على باب إلا طنت بألوان طنينها، ولم يبق أجمة من آجام الذهب إلا وقع لهبوب الصوت في مقاصبها، فزمرت تلك المقاصب بفنون الزمر ولم تبق جارية من جواري الحور العين إلا غنت بأغانيها والطير بألحانها، ويوحي الله تبارك وتعالى للملائكة أن جاوبوهم واسمعوا عبادي الذين نزهوا أسماعهم عن مزامير الشيطان فيجاوبون بألحان وأصوات روحانيين، فتختلط هذه الأصوات فتصير رجة واحدة، ثم يقول الله ﷻ ذكره: يا داود قم عند ساق العرش فمجدني، فيندفع داود بتمجيد ربه بصوت يغمر الأصوات ويجليها وتتضاعف اللذة، وأهل الخيام من تلك الرفارف تهوي بهم وقد حفت بهم أفانين اللذات والأغاني، فذلك قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥].

---

(١) الرَّفْرَفُ ثياب خضر يتخذ منها المحابس، مختار الصحاح ١/١٠٥.

(٢) المِحْبَسُ: المِقْرَمَةُ يعني السِّتْرَ، وقد حَبَسَ الفِراشَ بالمِحْبَس، وهي المِقْرَمَةُ التي تبسط على وجه الفِراشِ للنوم، لسان العرب ٦/٤٤.

(٣) ذكره الطبري في تفسيره ٢٧/١٦٤.

(٤) ذكره الطبري في تفسيره ٢٧/١٦٤، والماوردي في النكت والعيون ٥/٤٤٣ عن ابن عباس.

(٥) ذكره في مجاز القرآن له ٢/٢٤٦.

(٦) لم أجده في نوادر الأصول المطبوع.

[وعن يحيى بن أبي كثير(١) في قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾](٢) قال: الروضة: اللذة والسماع. قوله تعالى: ﴿وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] العبقري: الفرش، قاله ابن عباس رضي الله عنه، الواحدة عبقرة وهي النمارق أيضاً في قوله: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾﴾ [الغاشية: ١٥]، والزرابي البسط مبثوثة معناه: مبسوطة، وقيل: أي منسوجة بالدر والياقوت، قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الواقعة: ٢٧] يعني أهل الجنة من غير السابقين، وأصحاب الجنة كلهم أصحاب [١٩٩/أ] يمين: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الواقعة: ٢٨] الذي نزع شوكه وقد تقدم(٣)، ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الواقعة: ٢٩] أي بعضه على بعض، وقال المفسرون: الطلح شجر الموز هاهنا وهو عند العرب شجر حسن اللون لخضرته، وإنما خص بالذكر؛ لأن قريشاً كانوا يعجبون من وج(٤) وكثرة ظلاله من طلح وسدر فخوطبوا ووعدوا بما يحبون مثله، قاله مجاهد وغيره.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥] قال مجاهد: مطهرة من الحيض والغائط والبول [والنخام](٥) والبصاق والمني والولد، ذكره ابن المبارك](٦)، **أخبره أبو جريج(٧) عن مجاهد فذكره.**

﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]، أي باقون لا خروج لهم منها، وقد تقدم(٨).

وقال مجاهد أيضاً في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]

---

(١) أبو نصر الطائي، اختلف في اسم أبيه فقيل: صالح، وقيل: يسار، روى عن أبي أمامة الباهلي، روى عنه الأوزاعي، مات سنة ١٢٩هـ، السير ٦/٢٧.
(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ). (٣) ص(٩٤٧).
(٤) وج: وادٍ مشهور بالطائف.
(٥) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م، الزهد).
(٦) في الزهد (الزوائد) ص(٧١)، ح٢٤٣.
(٧) في (الأصل): أبو جرير، والتصويب من (ع، ظ، م، والزهد).
(٨) ص(٨٩٤ _ ٨٩٥).

قال: «لا ينظر بعضهم في قفا»[١] بعض تواصلاً وتحابياً.

وقيل: الأسرة تدور كيف شاؤوا فلا يرى أحد قفا أحد[٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنه: على سرر مكللة بالدر والياقوت والزبرجد، والسرير: ما بين صنعاء إلى الجابية وما بين عدن إلى أيلة، وقيل: تدور بأهل المنزل الواحد. والله أعلم.

باب ما جاء في أطفال المسلمين والمشركين

ذكر أبو عمر في كتاب التمهيد[٣] والاستذكار[٤]، وأبو عبد الله الترمذي في نوادر الأصول[٥]، والمفسرون[٦] عن علي رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۝٣٩﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٣٩] قال: هم أطفال المسلمين، زاد الترمذي: لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم.

قال أبو عمرو[٧]: الجمهور من العلماء على أن أطفال المسلمين في الجنة.

وقد ذهبت طائفة من العلماء إلى الوقف في أطفال المسلمين وأولاد المشركين أن يكونوا في جنة أو نار، منهم: حماد بن زيد وابن سلمة وابن المبارك وإسحاق بن راهويه، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الأطفال فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»[٨]، هكذا قال: الأطفال، لم يخص طفلاً من طفل.

---

(١) ذكره ابن جرير في تفسيره ٢٧/ ١٧٣؛ وابن المبارك في الزهد ١/ ١٣٠، ح٤٣٤.
(٢) في (ظ): قفا الآخر.
(٣) ١٨/ ١١٥.
(٤) ٨/ ٣٩٦، ح١٢٠٨٢.
(٥) لم أجده في نوادر الأصول المطبوع.
(٦) وذكره ابن جرير الطبري في تفسيره ٢٩/ ١٦٥ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
(٧) في التمهيد ١٨/ ٩٦.
(٨) رواه البخاري ١/ ٤٦٥، ح١٣١٨؛ ومسلم ٤/ ٢٠٤٩، ح٢٦٥٩؛ وأبو عمر في التمهيد ١٨/ ٩٩.

[قال الحليمي في كتاب منهاج الدين[(١)]: وقد توقف في ولدان المسلمين من توقف في ولدان المشركين، وقال إذا كان كلاً منهم يعامل بما علم الله تعالى منه أنه فاعله لو بلغه، فكذلك ولدان المسلمين، واحتج بأن صبياً صغيراً مات لرجل من المسلمين، فقالت إحدى نساء النبي ﷺ: طوبى له عصفور من عصافير الجنة، فقال النبي ﷺ: وما يدريك أن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً، وخلق النار وخلق لها أهلاً»، قال: فهذا يدل على أنه لا يمكن أن يقطع في أطفال المسلمين بشيء، قال الحليمي[(٢)]: وهذا الحديث يحتمل أن يكون إنكار النبي ﷺ على التي قطعت بأن الصبي في الجنة؛ لأن القطع بذلك قطع بإيمان أبويه، وقد يحتمل أن يكونا منافقين، فيكون الصبي ابن كافرين[(٣)]، فيخرّج هذا على قول من يقول: قد يجوز أن يكون ولدان المشركين في النار، وقد يحتمل أن يكون أنكر ذلك؛ لأنه لم يكن أنزل عليه في ولدان المسلمين شيء، ثم أنزل عليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ[(٤)]﴾ وقد قرئ: «واتبعناهم[(٥)] ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم[(٦)]»[(٧)]، فأخبر تعالى أن الذين آمنوا في الحياة الدنيا، وجعل ذرياتهم أتباعاً لهم في الإيمان وأنه يُلحق بهم ذرياتهم في الآخرة، فثبت بذلك أن ذراري المسلمين في الجنة، وقال النبي ﷺ: «سألت ربي أن يريني أهل الجنة وأهل النار، فجاءني جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام في النوم، فقالا: انطلق يا أبا القاسم، إلى أن قال: وأنا أسمع لغط الصبيان، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هم ذرية أهل الإسلام الذين يموتون قبل آبائهم تكفل بهم إبراهيم ﷺ حتى يلحق آباؤهم»، فدل أنهم في الجنة.

---

(١) ١/١٥٩.
(٢) في المنهاج في شعب الإيمان ١/١٦٠.
(٣) في (ظ): ابن كافر.
(٤) في (ظ): ذرياتهم.
(٥) في (ظ): واتبعتهم.
(٦) في (ظ): ذريتهم.
(٧) وهي قراءة أبي عمرو البصري، انظر: إتحاف فضلاء البشر ص(٤٠٠).

قال الشيخ رحمه الله: الحديث الذي احتجوا به خرّجه أبو داود الطيالسي[١] قال: حدثنا قيس بن الربيع عن يحيى بن إسحاق عن عائشة بنت طلحة عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ: «أتي بصبي من الأنصار ليصلي عليه، فقلت: يا رسول الله: طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوء قط، ولم يدره، فقال: يا عائشة أو لا تدرين أن الله تبارك وتعالى خلق الجنة وخلق لها أهلاً، خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم[٢]»][٣].

وقال طائفة: أولاد المسلمين في الجنة وأولاد المشركين في النار، واحتجوا بحديث سلمة بن يزيد الجعفي قال: «أتيت النبي ﷺ أنا وأخي، فقلنا: يا رسول الله إن أمنا ماتت في الجاهلية وكانت تقري الضيف، وتصل الرحم، وتفعل وتفعل فهل ينفعها من عملها ذلك شيء؟ قال: لا، قال: فقلنا: إن أمنا وأدت[٤] أختاً لنا في الجاهلية لم تبلغ الحنث فهل ذلك نافع أختنا، فقال رسول الله ﷺ: أرأيتم الوائدة والموؤدة فإنهما في النار إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فيغفر لها»[٥].

قال أبو عمرو[٦]: هذا [١٩٩/ب] الحديث صحيح من جهة الإسناد، إلا أنه يحتمل أن يكون خرج على جواب السائل في عين مقصودة فكانت الإشارة إليها. والله أعلم.

[وفي بعض طرق حديث سلمة بن يزيد: «فلما رأى ما قد دخل علينا،

---

(١) في مسنده ص(٢٢٠)، ح١٥٧٤؛ والحديث في مسلم ٤/ ٢٠٥٠، ح٢٦٦٢ عن عائشة أيضاً.

(٢) (وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم): ليست في (ظ).

(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٤) هكذا في جميع النسخ والتاريخ للبخاري، وفي التمهيد: ولدت.

(٥) رواه البخاري في التاريخ الكبير ٤/ ٧٢، رقم ١٩٩٥، وابن عبد البر في التمهيد ١٨/ ١١٩.

(٦) في التمهيد ١٨/ ١٢٠.

فقال: وأمي مع أمكما»[١]، خرجه ورواه أبو داود **الطيالسي** في مسنده[٢] عن سلمة بن يزيد قال: «سألت النبي ﷺ فقلت: أمي ماتت وكانت تقري الضيف، وتطعم الجار، وكانت وأدت وأداً في الجاهلية، ولي سعة من المال أينفعها إن تصدقت عنها؟ فقال رسول الله ﷺ: لا ينفع الإسلام إلا من أدركه، إنها وما وأدت في النار، ورأى ذلك قد شق علي فقال: وأم محمد معهما ما فيهما خير».

وخرج **أبو نعيم**[٣] الحافظ وغيره عن ابن مسعود قال: جاء أبناء مليكة إلى النبي ﷺ فقالا: يا رسول الله، إن أمنا كانت تكرم الزوج، وتعطف على الولد، وذكر الضيف، غير أنها وأدت في الجاهلية، فقال: أمكما في النار، فأدبرا والشر يرى في وجوههما، فأمر بهما فردوا والبشرى في وجوههما رجاء أن يكون حدث شيء، قال: أمي مع أمكما» وذكر الحديث][٤].

وروى بقية بن الوليد عن محمد بن يزيد الألهاني قال: سمعت عبد الله بن قيس يقول: سمعت عائشة ﵂ تقول: «سألت النبي ﷺ عن ذراري المؤمنين، فقال: هم مع آبائهم، قلت: بلا عمل، قال: الله أعلم[٥] بما كانوا عاملين، وسألته عن ذراري المشركين، فقال: هم مع آبائهم، قلت: بلا عمل، قال: الله أعلم[٦] بما كانوا عاملين»[٧].

قال أبو عمر[٨]: «عبد الله بن قيس هذا شامي تابعي ثقة. وأما بقية بن الوليد فضعيف وأكثر حديثه مناكير». ولكن هذا الحديث قد روي مرفوعاً عن

---

(١) رواه أحمد ١/ ٣٩٨، ح٣٧٨٧؛ والبزار ٤/ ٣٣٩، ح١٥٣٤ في مسنديهما، والطبراني في الكبير ١٠/ ٨٠، ح١٠٠١٧؛ قال الهيثمي: رواه أحمد والبزار والطبراني وفي أسانيدهم كلهم عثمان بن عمير وهو ضعيف، مجمع الزوائد ١٠/ ٣٦٢.

(٢) ص(١٨٥)، ح١٣٠٦.

(٣) في الحلية ٤/ ٢٣٨.

(٤) ما بين المعقوفتين من (ع).

(٥) في (ظ): الله عليم.

(٦) في (ظ): الله عليم.

(٧) رواه أحمد في مسنده ٦/ ٨٤، ح٢٤٥٨٩؛ وذكره ابن عبد البر في التمهيد ١٨/ ١٢١.

(٨) في التمهيد ١٨/ ١٢١.

عائشة ﷺ من غير هذا الوجه، قالت عائشة ﷺ: «سألت رسول الله ﷺ عن ولدان المسلمين أين هم[١]؟ قال: في الجنة، قالت: وسألته عن ولدان المشركين أين هم يوم القيامة؟ قال: في النار، فقلت مجيبة له: يا رسول الله لم يدركوا الأعمال ولم تجر عليهم الأقلام، قال: ربك أعلم بما كانوا عاملين، والذي نفسي بيده إن شئت أسمعتك تضاغيهم في النار»[٢].

قال أبو عمر[٣]: «في طريقه أبو عقيل صاحب بُهَيَّة[٤] لا يحتج بمثله عند أهل العلم بالنقل».

[قال المؤلف رحمه الله: كذا ذكر أبو عمر هذا الحديث بهذا اللفظ، وكذلك[٥] ذكره أبو أحمد بن عدي[٦] فيما ذكر أبو محمد عبد الحق، وذكر أبو داود الطيالسي[٧] قال: حدثنا أبو عقيل عن بهية عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين؟ قال: «هم في النار يا عائشة، قالت: فقلت: فما تقول في أطفال المسلمين؟ قال: هم في الجنة يا عائشة، قالت: قلت: وكيف ولم يدركوا الأعمال، ولم تجر عليهم الأقلام؟ قال: ربك أعلم بما كانوا عاملين»، قال أبو محمد: يحيى بن المتوكل: ضعيف، وبهية لم يرو عنها إلا أبو عقيل][٨].

وقالت طائفة: إن الأطفال يمتحنون في الآخرة، واحتجوا بحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في الهالك في الفترة والمعتوه والمولود، قال: «يقول الهالك في الفترة: لم يأتيني كتاب ولا رسول ثم تلا:

---

(١) في (ع، ظ): أين هم يوم القيامة، والأصل متوافق مع (م، والتمهيد).
(٢) ذكره ابن عبد البر في التمهيد ١٨/١٢٢؛ وروى نحوه أحمد في مسنده ٦/٢٠٨، ح٢٥٧٨٤.
(٣) في التمهيد ١٨/١٢٢.
(٤) في (الأصل): نهبة، والتصويب من (ع، ظ، م، التمهيد).
(٥) (قال المؤلف رحمه الله: كذا ذكر أبو عمر هذا الحديث بهذا اللفظ، وكذلك): ليست في (ظ).
(٦) في الكامل في ضعفاء الرجال له ٧/٢٠٧.
(٧) في مسنده ص(٢٢٠)، ح١٥٧٦.
(٨) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ [طه: ١٣٤] الآية، ويقول المعتوه: رب لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً، ويقول المولود: رب لم أدرك العمل، فترفع لهم نار فيقول لهم: ردوها وادخلوها، قال: فيردوها أن يدخلها من كان من علم الله سعيداً لو أدرك العمل، [ويمسك عنها من كان في علم الله شقياً لو أدرك العمل][(١)]، فيقول الله تعالى: إياي عصيتم فكيف رسلي لو أتتكم؟»[(٢)].

قال أبو عمر[(٣)]: «من الناس من يوقف هذا الحديث على أبي سعيد ولا يرفعه منهم: أبو نعيم الملائي[(٤)]».

قلت: ويضعفه من جهة المعنى أن الآخرة ليست بدار تكليف وإنما هي دار جزاء ثواب وعقاب، والله أعلم.

[وقال الحليمي[(٥)]: وهذا الحديث ليس بثابت، وهو مخالف لأصول المسلمين؛ لأن الآخرة ليست بدارٍ للامتحان، فإن المعرفة بالله تعالى فيها تكون ضرورة، ولا محنة مع الضرورة؛ ولأن الأطفال هناك لا يخلو من أن يكونوا عقلاء أو غير عقلاء، فإن كانوا عقلاء كانوا مضطرين إلى المعرفة فلا يليق بأحوالهم المحنة، وإن كانوا غير عقلاء فهم من المحنة أبعد[(٦)]][(٧)].

قال أبو عمر[(٨)]: «هذه الأحاديث من أحاديث الشيوخ وفيها علل وليست من أحاديث الأئمة الفقهاء، وهو أصل عظيم والقطع فيه بمثل هذه الأحاديث

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م، التمهيد).

(٢) ذكره ابن عبد البر في التمهيد ١٨/١٢٧

(٣) في التمهيد ١٨/١٢٨.

(٤) هو أبو نعيم الفضل بن دكين، الحافظ، القرشي مولاهم، الكوفي الملائي، من كبار شيوخ البخاري، مات سنة ٢١٩هـ. السير ١٠/١٤٢.

(٥) في المنهاج ١/١٥٩.

(٦) (وإن كانوا غير عقلاء فهم من المحنة أبعد): ساقطة من (ظ).

(٧) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٨) في التمهيد ١٨/١٣٠.

ضعيف في العلم والنظر مع أنه قد عارضها ما هو أقوى مجيباً[١] [منها][٢]».

ذكر **البخاري**[٣] من حديث أبي رجاء العطاردي عن سمرة بن جندب ﷺ عن النبي ﷺ الحديث الطويل حديث الرؤيا [٢٠٠/أ] وفيه قوله ﷺ: «وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإبراهيم ﷺ، وأما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة، قال: فقيل: يا رسول الله وأولاد المشركين؟ قال رسول الله ﷺ: وأولاد المشركين».

وخرج **البخاري**[٤] أيضاً في رواية أخرى عن أبي رجاء: «والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم ﷺ والصبيان حوله أولاد الناس». وهذا يقتضي عمومه جميع الناس.

قلت: ذهب إلى هذا جماعة من العلماء وهو أصح شيء في الباب، قالوا: أولاد المشركين إذا ماتوا صغاراً في الجنة، واحتجوا أيضاً بحديث عائشة ﷺ ذكره أبو عمر في التمهيد[٥]، قال: سألت خديجة رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين، فقال: «هم مع آبائهم، ثم سألته بعد ذلك، فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين، ثم سألته بعد ما استحكم الإسلام فنزلت: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، قال: هم على الفطرة[٦] أو قال في الجنة».

قلت: هذا الحديث مرتب مفسر في غاية البيان، وهو يقضي على ما روي عن النبي في أحاديث صحاح من قوله في الأطفال، الله أعلم بما كانوا عاملين، فكان ذلك منه قبل أن يعلم أن أولاد المشركين في الجنة وقبل أن ينزل عليه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

[وقد كان ﷺ أنزل عليه بمكة: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا

---

(١) (مجيباً): ليست في التمهيد.

(٢) ما بين المعقوفتين من (ظ، م، التمهيد)، وفي (ع): لها، وفي (م) زيادة: وبالله التوفيق.

(٣) في صحيحه ٦/ ٢٥٨٥، ح٦٦٤٠.

(٤) في صحيحه ١/ ٤٦٦، ح١٣٢٠.

(٥) ١٨/ ١١٧.

(٦) في (الأصل): القنطرة، وتصويبه من (ع، ظ، م، التمهيد).

يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩]، ولم يكشف له[1] عاقبة[2] أمره وأمر المشركين، ثم أنزل الله عليه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ [التوبة: ٣٣] الآية، فأنزل عليه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ۝﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣]، وأنزل عليه: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف: ١٣]، فأعلمه أن الله يفعل به أن يظهره عليهم][3].

وقد ذكر ابن سنجر واسمه: محمد بن سنجر قال: حدثنا هودة قال: ثنا عوف عن خنساء بنت معاوية قالت: حدثني عمي قال: قلت: يا رسول الله من في الجنة؟ قال: «النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة، [والوئيد في الجنة][4]»[5].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي عن اللاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فأعطانيهم»[6].

قال أبو عمر[7]: «إنما قيل للأطفال اللاهين لأن أعمالهم كاللهو واللعب من غير عقد ولا عزم، من قولهم: لهيت عن الشيء أي: لم أعتقده، كقوله: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٣].

وقالت طائفة: أولاد المشركين خدم أهل الجنة، وحجتهم ما رواه الحجاج بن نصير عن مبارك بن فضالة عن علي بن زيد عن أنس ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أولاد المشركين خدم أهل الجنة» ذكره أبو عمر[8].

---

(١) في (ظ): ولم يكشف لهم. (٢) في (ع): عن عاقبة.
(٣) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م، وأحمد في مسنده).
(٥) رواه أحمد في مسنده ٥/٥٨، ح٢٠٦٠٢، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف الجامع الصغير ص(٨٦٣)، ح٥٩٨٥.
(٦) ذكره ابن عبد البر في التمهيد ١٨/١١٧.
(٧) في التمهيد ١٨/١١٧.
(٨) في التمهيد ١٨/١١٨؛ والطبراني في الكبير ٧/٢٤٤، ح٦٩٩٣؛ قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار وفيه عباد بن منصور، وثقه يحيى القطان وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات، مجمع الزوائد ٧/٢١٩.

قلت: وإسناد هذا الحديث ليس بالقوي، لكن يدل على صحة هذا القول أعني: أنهم في الجنة أو أنهم خدم أهل الجنة ما ذكره جماعة من العلماء بالتأويل أن الله تعالى لما أخرج ذرية آدم من صلبه في صورة(١) الذر أقروا له بالربوبية وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ(٢) وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ [٢٠٠/ب] أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ثم أعادهم في صلب آدم بعد أن أقروا له بأنه الله لا إله غيره(٣)، ثم يكتب العبد في بطن أمه شقياً أو سعيداً على الكتاب الأول، فمن كان في الكتاب الأول شقياً عمّر حتى يجري عليه القلم فينقض الميثاق الذي أخذ عليه في صلب آدم بالشرك، ومن كان في الكتاب الأول سعيداً عمّر حتى يجري عليه القلم فيؤمن فيصير سعيداً، ومن مات صغيراً من أولاد المؤمنين قبل أن يجري عليه القلم فهم مع آبائهم في الجنة، ومن كان من أولاد المشركين فمات قبل أن يجري عليه القلم فليس يكونون مع آبائهم في النار؛ لأنهم ماتوا على الميثاق [الأول](٤) الذي أخذ عليهم في صلب آدم ولم ينقضوا الميثاق.

قلت: وهذا أيضاً حسن؛ فإنه جمع بين الأحاديث، ويكون معنى قوله ﷺ: لما سئل عن أولاد المشركين فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين يعني لو بلغوا بدليل حديث البخاري وغيره مما ذكرناه، وقد روي عن أنس(٥) ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال: «لم يكن لهم حسنات فيجزوا بها، فيكونوا من ملوك الجنة، ولم تكن له سيئات فيعاقبوا عليها فيكونوا في النار فهم خدم لأهل الجنة»(٦)، ذكره يحيى بن سلام في

(١) في (ع، ظ): صور، والأصل متوافق مع (م).
(٢) هكذا في الأصل، و(ع، م) بالجمع، وفي (ظ): ذريتهم بالإفراد فقرأ نافع وأبو جعفر وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب (ذرياتهم) بالجمع، وقرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بالإفراد، انظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ص(٢٣٣).
(٣) في (ع): بأنه لا إله إلا هو.
(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م).
(٥) في (ع، ظ): قد روى أبان عن أنس، والأصل متوافق مع (م، والحلية).
(٦) رواه أبو نعيم في الحلية ٣٠٨/٦.

التفسير له[(١)]، [وأبو داود **الطيالسي**[(٢)] في مسنده، **وأبو نعيم**[(٣)] **الحافظ**[(٤)] عن أنس قال: «سألت رسول الله ﷺ عن ذراري المشركين لم تكن لهم ذنوب يعاقبون[(٥)] عليها فيدخلون النار، ولم تكن لهم حسنة يجازون بها فيكونون[(٦)] من ملوك الجنة، فقال النبي ﷺ: من خدم الجنة[(٧)]»][(٨)].

وقد روى أبو عبد الله الترمذي الحكيم في نوادر الأصول[(٩)] قال: ثنا أبو طالب الهروي قال: ثنا يوسف بن عطية عن قتادة قال: ثنا أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد من ولد كافر أو مسلم وإنما يولدون على الفطرة على الإسلام كلهم ولكن الشياطين أتتهم فاجتالتهم[(١٠)] عن دينهم فهوّدتهم ونصّرتهم ومجّستهم، وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً».

وخرّج[(١١)] من حديث عياض بن حمار المجاشعي ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال في خطبته: «إن الله أمرني أن أعلمكم وقال: إني خلقت عبادي كلهم حنفاء فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بي وحرمت عليهم ما أحللت لهم».

قال أبو عبد الله الترمذي[(١٢)]: «وهذا بعد الإدراك حين عقلوا أمر الدنيا وتأكدت حجة الله عليهم بما نصب من الآيات الظاهرة من خلق السماوات والأرض والشمس والقمر والبر والبحر واختلاف الليل والنهار، فلما عملت[(١٣)]

---

(١) في (ع، ظ): في تفسيره، والأصل متوافق مع (م).
(٢) في مسنده ص(٢٨٢)، ح٢١١١. (٣) في الحلية ٦/٣٠٨.
(٤) (وأبو داود الطيالسي في مسنده وأبو نعيم الحافظ): ليست في (ع).
(٥) في (ظ): فيعاقبوا، و(ع) متوافقة مع الحلية.
(٦) في (ظ، الحلية): فيكونوا.
(٧) في (مسند الطيالسي والحلية): هم خدم أهل الجنة.
(٨) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ). (٩) ١/ ٣١٠.
(١٠) في (الأصل): فاجتالهم، والتصويب من (ع، ظ، مصدر المصنف).
(١١) أي الحكيم الترمذي في نوادره ١/ ٣١٠؛ وابن حبان في صحيحه ٢/ ٤٢٢، ح٦٥٣.
(١٢) في نوادره ١/ ٣١٠.
(١٣) في (الأصل): غلب، والتصويب من (ع، ظ، م).

أهواؤهم فيهم أتتهم الشياطين فدعتهم إلى اليهودية والنصرانية[١] فذهبت[٢] بأهوائهم يميناً وشمالاً».

قلت: وهذا أيضاً يقوي ما اخترناه من [أن][٣] أطفال المشركين في الجنة، وحديث عياض بن حمار خرجه مسلم [٢٠١/أ] في صحيحه[٤] وحسبك، وللعلماء في الفطرة أقوال ذكرناها[٥] في كتاب جامع أحكام القرآن[٦] من سورة الروم، والحمد لله.

[باب منه وفي ثواب[٧] من قدّم ولداً]

مسلم[٨] عن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة ﷺ: إنه مات لي ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم، صغارهم دعاميص الجنة، يتلقى أحدهم أباه، أو قال: أبويه فيأخذ بثوبه، أو قال: بيده، كما آخذ أنا بصَنِفَة[٩] ثوبك هذا، فلا يتناهى أو قال: ولا ينتهي حتى يدخله الله وأبويه[١٠] الجنة[١١]».

وخرج أبو داود **الطيالسي**[١٢] قال: حدثنا شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه أن النبي ﷺ كان يختلف إليه رجل من الأنصار معه ابن له، فقال له

---

(١) (فلما عملت أهواؤهم فيهم أتتهم الشياطين فدعتهم إلى اليهودية والنصرانية): ليست في (نوادر الأصول)، وفيه في هذا الموضع: وهذه حجج الله على عبيده فذهبت بأهوائهم يميناً وشمالاً.

(٢) في (الأصل): فذهب، وما أثبته من (ع، ظ، م، نوادر الأصول).

(٣) ما بين المعقوفتين من (ظ، م).

(٤) ٢١٩٧/٤، ح٢٨٦٥.

(٥) في (ظ): قد ذكرناها.

(٦) ١٧/١٤ فقرة رقم ٢٤.

(٧) في (ظ): في ثواب.

(٨) في صحيحه ٢٠٢٩/٤، ح٢٦٣٥.

(٩) صَنِفَة الإزار طرفه مما يلي طرته، النهاية في غريب الحديث ٥٦/٣.

(١٠) في (مسلم): وأباه.

(١١) في (ظ): حتى يدخله الجنة أو أبويه الجنة.

(١٢) في مسنده ص(١٤٥)، ح١٠٧٥؛ والبزار في مسنده ٢٤٢/٨، ح٣٣٠٢؛ والطبراني في الكبير ٢٦/١٩، ح٥٤.

رسول الله ﷺ ذات يوم: «أتحبه يا فلان؟ فقال: نعم يا رسول الله، أحبك الله كما أحبه[(١)]، ففقده النبي ﷺ فسأل عنه فقالوا: يا رسول الله مات ابنه، فقال رسول الله ﷺ: أما ترضى أو لا ترضى أن لا تأتي باباً من أبواب الجنة إلا جاء يسعى حتى[(٢)] يفتحه لك؟ فقالوا[(٣)]: يا رسول الله أله وحده أم لكلنا[(٤)]؟ فقال رسول الله ﷺ: بل لكلكم[(٥)]»، ذكره أبو عمر في التمهيد[(٦)] أيضاً، وقال: هذا حديث ثابت صحيح[(٧)].

وخرج أبو داود **الطيالسي**[(٨)] أيضاً في مسنده قال: ثنا هشام عن قتادة عن راشد[(٩)] عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «والنفساء يجرها ولدها يوم القيامة بسرره إلى الجنة».

فصل

هذا الباب يدل على أن صغار أولاد[(١٠)] المؤمنين في الجنة، وهو قول أكثر أهل العلم كما بينا[(١١)].

قيل: وهو مقتضى ظاهر قول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا واتبعناهم ذرياتهم[(١٢)] بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذرياتهم[(١٣)]﴾ كما تقدم، وقد ذكر[(١٤)] بعض العلماء

---

(١) في (ظ): كما تحبه.
(٢) (حتى): ليست في (ع)، وما أثبته من (ظ، الطيالسي).
(٣) في (ع): فقال، ما أثبته من (ظ، الطيالسي).
(٤) في (ظ): أم لنا كلنا.
(٥) في (ظ): بل لكم كلكم.
(٦) ٦/٣٥١.
(٧) في (ظ): وقال: حديث حسن ثابت صحيح.
(٨) في مسنده ص(٧٩)، ح٥٧٨؛ وأحمد في مسنده ٣/٤٨٩، ح١٦٠٤١؛ والطبراني في الأوسط ٩/١٢٥، ح٩٣١٤؛ قال الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله ثقات، مجمع الزوائد ٥/٢٩٩.
(٩) (أبو داود الطيالسي أيضاً في مسنده قال: ثنا هشام عن قتادة عن راشد): ليست في (ظ).
(١٠) (أولاد): ليست في (ظ).
(١١) في (ظ): كما بيناه في الباب الأول.
(١٢) في (ظ): واتبعتهم ذريتهم.
(١٣) في (ظ): ذريتهم.
(١٤) في (ع): وقد أنكر.

الخلاف فيهم، وهذا فيما عدا أولاد الأنبياء فإنه قد تقرر بالإجماع(١) على أنهم في الجنة، حكاه أبو عبد الله المازري(٢).

ودعاميص: جمع دعموص، هو دويبة تغوص في الماء، والجمع دعاميص، ودعامص، قال الأعشى(٣):

فما ذنباً إن جاش لي(٤) بحر عمكم وبحرك ساج لا يواري الدعامصا(٥)

وقد قيل: إن الدعموص يراد به: الآذن على الملوك المصرف بين يديه، قال أمية بن أبي الصلت(٦):

دعموص أبواب الملوك وجانب للخرق فاتح

وهذا هو المراد بالحديث، والله أعلم.

وفي صحيح **البخاري**(٧) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كان له حجاباً من النار أو دخل الجنة(٨)».

قال الشيخ رضي الله عنه: قوله عليه الصلاة والسلام: «لم يبلغوا الحنث»، معناه عند أهل العلم: لم يبلغوا الحلم، ولم يبلغوا أن يلزمهم حنث.

---

(١) (بالإجماع): ليست في (ظ).

(٢) محمد بن علي بن عمر التميمي، المازري، المالكي، مصنف كتاب المعلم بفوائد مسلم، حدث عنه القاضي عياض الذي ألف كتاب إكمال المعلم بفوائد مسلم، توفي سنة ٥٣٦هـ، انظر: الديباج المذهب لابن فرحون المالكي ص(٢٧٩)، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٠٤.

(٣) عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث، أبو المصبح، أعشى همدان، كان شاعراً مفوهاً، قتل سنة نيف وثمانين، السير ٤/ ١٨٥.

(٤) (لي): ليست في (ظ).

(٥) البيت في ديوانه ص(١٩١)، دار الكتاب العربي ط. الأولى، وذكره ابن عبد البر في التمهيد ٦/ ٣٥١.

(٦) في ديوانه ص(٣٤٨) صنعة د. عبد الحفيظ السلطي، ط. الثانية.

(٧) في صحيحه ١/ ٤٦٤، ذكره البخاري في ترجمة باب ما قيل في أولاد المسلمين.

(٨) في (ظ): إلا دخل الجنة، و(ع) متوافقة مع البخاري.

وقد روى **الترمذي**[١] عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث[٢] كانوا له حصناً حصيناً من النار، قال أبو ذر: قدمت اثنين، قال: واثنين، قال أبي بن كعب سيد القراء: قدمت واحداً، قال: وواحداً ولكن إنما ذلك عند الصدمة الأولى»، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه، خرجه **ابن ماجه**[٣] أيضاً، وفي هذا كله «دليل على أن أطفال المسلمين في الجنة؛ لأن الرحمة إذا نزلت بآبائهم استحال أن يرحموا من أجل من ليس بمرحوم»[٤].

قال أبو عمر بن عبد البر[٥]: «وهذا إجماع من العلماء في أن أطفال المسلمين في الجنة، ولم يخالف في ذلك إلا فرقة شذت من المجبرة فجعلتهم في المشيئة، وهو قول مهجور مردود بإجماع الحجة الذين لا يجوز مخالفتهم، ولا يجوز على مثلهم الغلط، إلا ما روي عن النبي ﷺ من أخبار الآحاد الثقات العدول، وأنه قوله ﷺ: «الشقي من شقي في بطن أمه»[٦]، وأن الملك ينزل فيكتب أجله ورزقه الحدث، مخصوص، وأن من مات من أطفال المسلمين قبل الاكتساب فهو ممن سعد في بطن أمه ولم يشق، بدليل الأحاديث والإجماع، وكذلك قوله ﷺ لعائشة: «إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم»[٧]، ساقط ضعيف مردود بالإجماع والآثار[٨]، وطلحة بن يحيى الذي

---

(١) في جامعه ٣/٣٧٥، ح١٠٦١، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن الترمذي ص(١١٩)، ح١٧٩.

(٢) في (الترمذي): لم يبلغوا الحلم.

(٣) في سننه بمعناه ١/٥١٢، ح١٦٠٣.

(٤) هذا نص كلام ابن عبد البر في التمهيد ٦/٣٤٨.

(٥) في التمهيد ٦/٣٤٨ ـ ٣٥١.

(٦) رواه البزار في مسنده ٤/٢٨٠، ح١٤٤٧؛ والطبراني في الأوسط ٣/١٠٧، ح٢٦٣١؛ قال الهيثمي: رواه البزار والطبراني في الصغير ورجال البزار رجال الصحيح. مجمع الزوائد ٧/١٩٣.

(٧) تقدم تخريجه ص(١٠٣٨).

(٨) في (ظ): بمجموع الآثار.

يرويه: ضعيف لا يحتج به، وهذا الحديث مما انفرد به ولا يعرج عليه[1]»][2].

باب ما جاء في نزل أهل الجنة وتحفتهم إذا دخلوها

روى **البخاري**[3] **ومسلم**[4] عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة. قال: فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: بلى، قال: تكون الأرض خبزةً واحدةً كما قال النبي ﷺ، قال: فنظر إلينا رسول الله ﷺ ثم ضحك حتى بدت نواجذه، قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: بلى، قال: إدامهم بالأم ونون، قالوا: وما هذا؟ قال: ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما[5] سبعون ألفاً».

وخرّج **مسلم**[6] عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: «كنت قاعداً عند رسول الله ﷺ فجاءه حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعةً كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: إن اسمي محمد الذي سمّاني به أهلي، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: أينفعك شيء إن حدثتك؟ قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: سل، فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: في الظلمة دون الجسر، قال: فمن أول الناس إجازة، قال: فقراء المهاجرين، فقال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: زيادة كبد النون، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها، قال: فما شرابهم عليه؟ قال: من عين فيها تسمى سلسبيلاً، قال: صدقت» وذكر الحديث.

---

(١) في (ظ): فلا يعرج عليه.
(٢) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٣) في صحيحه ٥/٢٣٨٩، ح٦١٥٥.
(٤) في صحيحه ٤/٢١٥١، ح٢٧٩٢.
(٥) في (الأصل): كبده، وما أثبته من (ع، ظ، م، والبخاري ومسلم).
(٦) في صحيحه ١/٢٥٢، ح٣١٥.

فصل

قلت: هذا الحديث انفرد به مسلم وهو أبين من الحديث الذي قبله؛ لأنه من قول النبي ﷺ جواباً لليهودي، والحديث الذي قبله آخر من قول اليهودي وهو يدخل في المسند لإقرار النبي ﷺ، والجبار اسم من أسماء الله تعالى قد أتينا على ذكره في الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى(١)، ويكفؤها: [٢٠١/ب] يقلبها ويميلها، من قولك كفأت الإناء إذا كببته، وقد تقدم(٢) أن أرض الحشر كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد، والنزل ما يعد للضيف من الطعام والشراب، ويقال: نزل أو نزُل بتخفيف الزاي وتثقيلها، وقرئ بذلك قوله: ﴿نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]، قال أهل اللغة: النزل: ما يهيأ للنزيل، والنزيل الضيف، قال الشاعر:

نزيل القوم أعظمهم حقوقا وحق الله في حق النزيل

وحظ النزيل مجتمع، والتحفة ما يتحف به الإنسان من الفواكه والطرف محاسنةً وملاطفةً، وزيادة كبد النون قطعة منه كالإصبع، وبالأم قد جاء مفسراً في متن الحديث أنه الثور ولعل اللفظة عبرانية، والنون: الحوت وهو عربي، وفي الخبر عن النبي ﷺ قال: «سيد إدام الدنيا والآخرة اللحم»(٣)، ذكره أبو عمر في التمهيد(٤).

وذكر **ابن المبارك**(٥) قال: أخبرنا ابن لهيعة قال: حدثني يزيد بن أبي حبيب أن أبا الخير أخبره أن أبا العوام مؤذن إيليا أول رجل أذن بإيليا، أخبره أنه سمع كعباً يقول: إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة إذا دخلوها: إن لكل ضيف جزوراً، وأني أجزركم اليوم حوتاً وثوراً فيجزر لأهل الجنة.

---

(١) لم أجد هذا الاسم ضمن الأسماء المذكورة في كتاب الأسنى المطبوع.
(٢) ص(٥٢٤).
(٣) رواه عبد الله بن مسلم بن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ١/ ٢٤٤.
(٤) لم أجده في التمهيد.
(٥) في الزهد (الزوائد) ص(١٣٠)، ح٤٣٢.

باب ما جاء أن مفتاح الجنة لا إله إلا الله [والصلاة(١)]

أبو داود **الطيالسي**(٢) قال: حدثنا سليمان بن معاذ الضبي عن يحيى(٣) القتات عن مجاهد عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «مفتاح الصلاة الوضوء، ومفتاح الجنة الصلاة»](٤).

البيهقي عن معاذ بن جبل ﷺ عن النبي ﷺ قال له حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي أهل الكتاب فيسألونك عن مفاتيح الجنة، فقل: شهادة أن لا إله إلا الله»(٥).

وفي **البخاري**(٦): وقيل لوهب: أليس مفاتيح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى، ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح [لك](٧).

فصل

قلت: الأسنان عبارة عن توحيد الله تعالى وعبادته جميعاً، وعن توحيده أيضاً فقط. قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف: ١٠٧]، وهو في القرآن كثير الإيمان مع العمل.

---

(١) (والصلاة): ليست في (ظ).

(٢) في مسنده ص(٢٤٧)، ح١٧٩٠، ضعفه الألباني، انظر: ضعيف الجامع الصغير ص(٧٦١)، ح٥٢٦٥.

(٣) في (ظ): عن أبي يحيى.

(٤) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).

(٥) ورواه الديلمي في فردوسه ٥/ ٣٧٤، ح٨٤٧٥.

(٦) في صحيحه ١/ ٤١٧ ذكره ضمن ترجمة باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله.

(٧) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ، م، البخاري).

[وهو مقتضى الحديث الأول حديث جابر وعن توحيد فقط كما][١] في الصحيحين[٢] عن أبي ذر وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: وإن زنا وإن سرق، قال: وإن زنا [٢٠٢/أ] وإن سرق».

وذكر الطبراني[٣] من حديث موسى بن عقبة عن إسحاق بن يحيى بن طلحة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حضر ملك الموت عليه السلام رجلاً فنظر في كل عضو من أعضائه فلم يجد فيه حسنة، ثم شق عن قلبه فلم يجد فيه شيئاً، ثم فك عن لحييه فوجد طرف لسانه لاصقاً بحنكه يقول: لا إله إلا الله، فقال: وجبت لك الجنة بقولك[٤] كلمة الإخلاص».

كمل كتاب الجنة ولله الحمد والفضل والمنة، ويتلوه كتاب الفتن والأشراط بعون الله تعالى.

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ع، ظ).
(٢) في البخاري ١/٤١٧، ح١١٨٠؛ ومسلم ١/٩٤، ح٩٤.
(٣) لم أجده في معاجم الطبراني، ومسند الشاميين له، والحديث ضعفه الألباني، انظر: ضعيف الجامع الصغير ص(٤٠٢)، ح٢٧٢٥.
(٤) في (الأصل، ظ): بقول، وما أثبته من (ع، م، والديلمي).